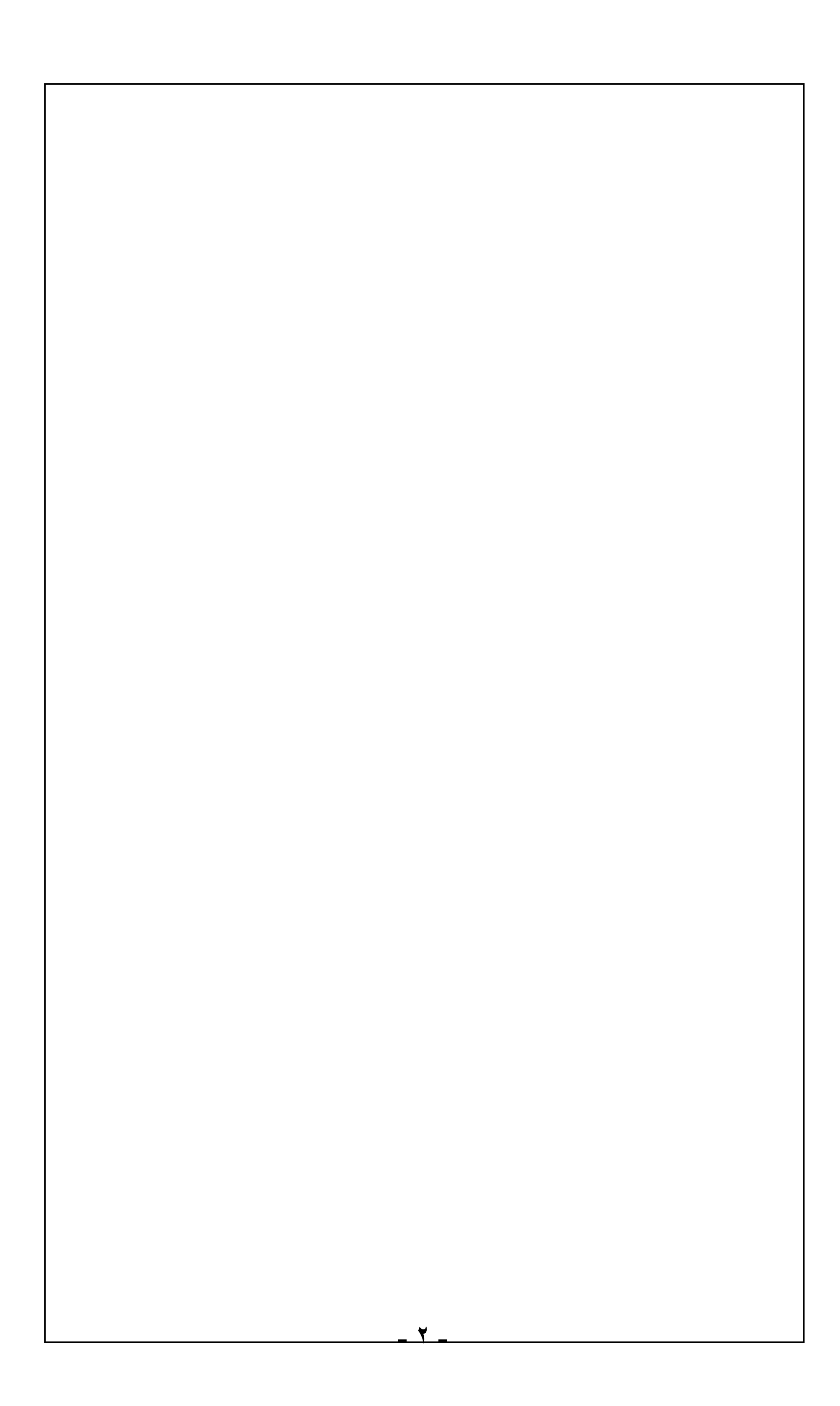


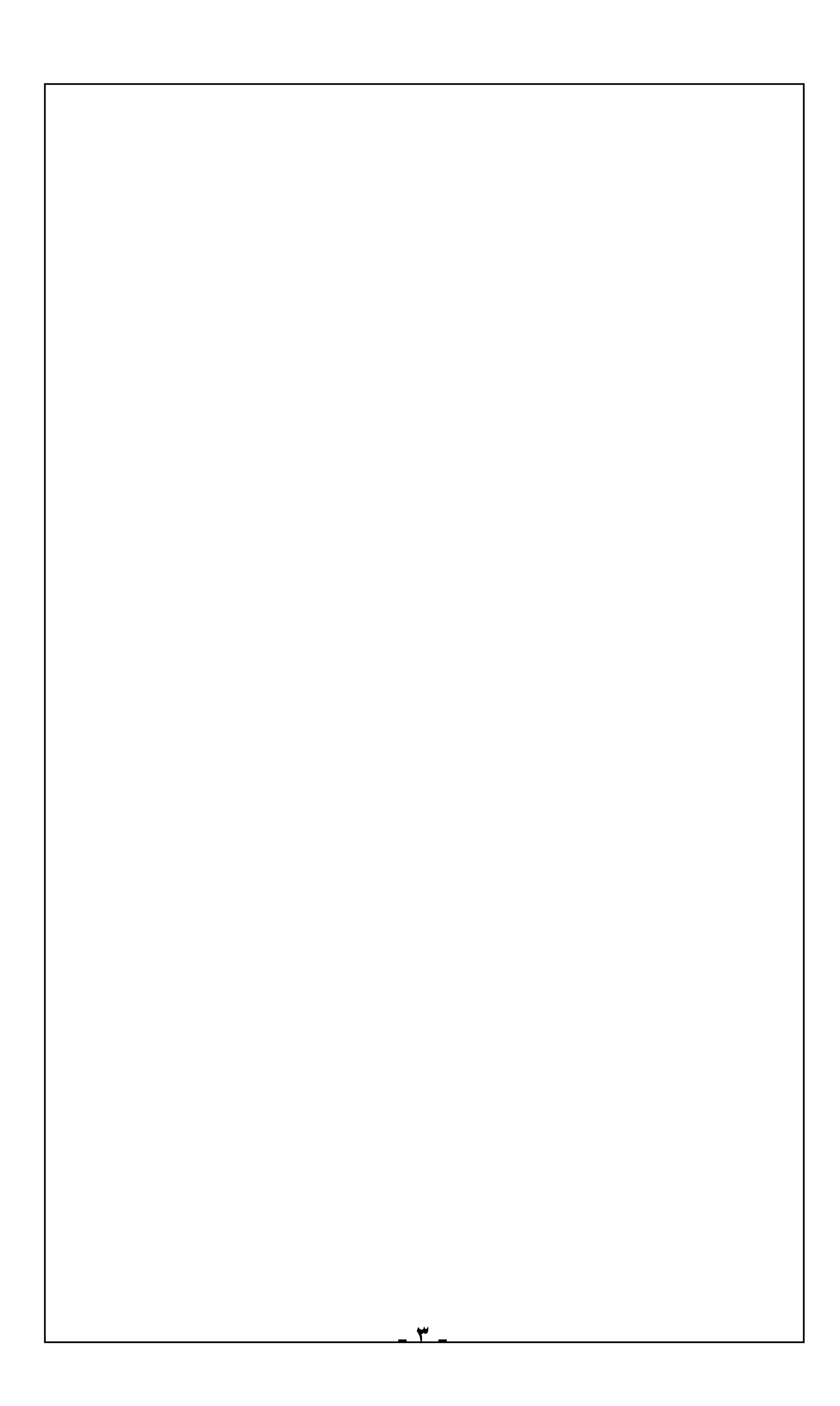
جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف

الخطب العصرية
لوزارة الأوقاف المصرية
الجزء الأول

إشراف وتقديم
أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

١٤٣٦هـ /٢٠١٥م





بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــدمــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين .

وبعد :

فيسرنا أن نقدم للسادة الأئمة والخطباء في مصر والعالم العربي والإسلامي حصاد العام الأول من الخطب العصرية التي أعدتها ونفذتها وزارة الأوقاف المصرية بمساجدها على مستوى الجمهورية خلال عام ١٤٣٥ هـ .

ونستطيع أن نقول : إن هذا الكتاب يُعد نقطة تحول هامة في تناول القضايا العصرية من منظور شرعي ، وبما نؤمل أن يسهم الاستمرار عليه في تشكيل وعي ديني صحيح سمح ، وحس وطني صادق ، ومن أهم الموضوعات التي تناولها :

١. أهمية التخطيط في حياة الفرد والمجتمع .
٢. ترتيب الأولويات وأثره في حياة الفرد والمجتمع .
٣. خطورة الإسراف والتبذير .
٤. حرمة التلاعب بأقوات الناس وحاجاتهم الأساسية .
٥. خطورة التكفير والتخريب والفتوى بدون علم .
٦. الرشوة والمحسوبية وخطورة كل منهما على الفرد والمجتمع .
٧. عناية الإسلام بالمرأة وإكرامه لها ودورها في المشاركة الوطنية .

وقد راعينا فيه ما يجب أن يتحلى به الخطيب من البعد عن تناول الأشخاص أو الهيئات أو المؤسسات ، وبما يحفظ للمنبر هيبته وقدسيته ، ويمنع تكرار التجرؤ على المنابر أو الخطباء ، على نحو ما كان يحدث يوم أن زج بعض الخطباء بالمنبر في الصراعات السياسية والحزبية .

كما أننا راعينا أن يكون الخطاب الدينى محققاً لرسالة المسجد ، يجمع ولايفرق ، ويهدف إلى تحقيق مصالح البلاد والعباد ، من منطلق أن شرع الله (عز وجل) قائم على مراعاة هذه المصالح ، فحيث تكون المصلحة فثمة شرع الله .

وإننا لماضون بإذن الله تعالى فى خطتنا للعام المقبل ١٤٣٦ هـ على أمل أن نصدر فى نهايته الجزء الثانى من الخطب العصرية ، لنضع تحت يد السادة الأئمة والخطباء أكثر من نموذج للموضوع الواحد ، مراعين ما يستجد من قضايا في ضوء فقه الواقع ، مع دراسة المستجدات والقضايا العصرية دراسة علمية وافية متخصصة في ضوء ثوابت الشرع ومقاصده العامه.

أ.د / محمد مختار جمعه
وزيرالأوقاف

نحو عام جديد من العمل والإنتاج
ودعم المنتج الوطني

أولًا: العناصر:

١- قيمة الوقت في حياة الفرد.

٢- قيمة الوقت في حياة الأمم .

٣- أهمية العمل ومكانته في الإسلام.

٤- إتقان العمل.

٥- دعم المنتج الوطني.

ثانياً : الأدلة:

الأدلة من القرآن:

١- قال تعالى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا } [الإسراء: ١٢].

٢- وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } [الحشر: ١٨].

٣- وقال تعالى: { وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}
[التوبة:١٠٥]

٤- وقال تعالى: { فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الجمعة:١٠].

٥- وقال تعالى: {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [هود: ٦١].

٦- وقال تعالى: { وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ}
[المزمل:٢٠]

الأدلة من السنة:

١- عن ابن مسعود (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: " لا تَزُولُ قَدمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَنْ

عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلاهُ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ عِلمهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ؟"(المعجم الكبير للطبراني).

٢- وعن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "من أمسى كالاً من عمل يديه أمسى مغفورا له".
(المعجم الأوسط).

٣- عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ " لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ "(صحيح البخاري).

٤- وعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا ، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا ، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ ، أَوْ إِنْسَانٌ ، أَوْ بَهِيمَةٌ إِلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ ". (متفق عليه).

٥- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ(رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: " إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا" (الأدب المفرد للبخاري).

٦- وعن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله قال : " إِنَّ اللهَ (عز و جل) يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ " (المعجم الأوسط).

٧- وعَنْ كَعْبِ بن عُجْرَةَ(رضى الله عنه) قَالَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) رَجُلٌ، فَرَأَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) مِنْ جِلْدِهِ وَنَشَاطِهِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم):"إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ".
(المعجم الكبير للطبراني)

ثالثاً: **الموضوع**:

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد :

فبعد أيام قلائل ستودع أمتنا الإسلامية عاماً هجرياً ، وتستقبل عاماً آخر ، نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العام خيرا من سلفه ، وأن يجعل خلفه خيرا منه ، كما ندعو الله جل وعلا ونسأله أن يجعله عام نصر وعزة للإسلام والمسلمين، وصلاحا لأحوالهم في كل مكان.

والأمة العاقلة هي التي تأخذ من ماضيها لحاضرها وتستفيد منه الدروس والعبر ، وتتخطى الصعاب بالعمل الجاد والصبر الجميل .

ولقد قدّس الإسلام العمل، وكرّم العاملين والمنتجين، واعتبره شرفاً وجهاداً وصورة مُعبِّرة عن ذات الإنسان واستعداداته، فبالعمل يؤدِّي الإنسان رسالته الإعمارية في هذه الأرض، وبالعمل يتطابق مع دعوة القرآن إلى الإعمار والإصلاح في هذه الأرض. قال تعالى: { هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [هود:٦١].

وانطلاقاً من هذه الدعوة، أخذ الإسلام يحثّ على العمل ويُحارب الكسَل ، ويدعو إلى الجدِّ وبذل الجهد من أجل تحصيل الرِّزق والانتفاع بطيِّبات الحياة ، وإعمار الأرض وإصلاحها، ومن ثم يكون النهوض بالوطن والرقي بالمجتمع.

ولقد حظي العمل في الإسلام بمنزلة خاصة واحترام عظيم، ويكفي في إظهار ذلك تنبيه القرآن إلى السعي والابتغاء من فضل الله في الأرض بمختلف الأساليب وشتى الوسائل التي شرعها ، قال تعالى:{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُور}

[الملك: ١٥]

فالعمل خير للإنسان من أن يسأل الناس، لأن ترك العمل يؤدي إلى الفقر والبطالة، وفي هذا يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : " لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ ، أَوْ مَنَعُوهُ " (رواه البخاري عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ).

ولم يأمر سبحانه وتعالى بالانصراف عن تحصيل المعاش إلا للعبادة، فإذا قضيت الصلاة فثَمَّ الانتشار في الأرض واستثمار كل طاقاتها، واستخراج كنوزها وخيراتها وبركاتها ، قال تعالى : {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[الجمعة:١٠]، وقال تعالى: { وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ}[الأعراف:١٠].

وكذا يقرر الإسلام أن العمل الصالح تمتد آثاره، وتجبى ثماره من كل جهة، فيقول (صلى الله عليه وسلم): " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ " (متفق عليه). وسئل النبي (صلى الله عليه وسلم) أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ؟ قَالَ : " عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ" (رواه الإمام أحمد بسند حسن).

وقد ضربَ الرسول (صلى الله عليه وسلم) وخلفاؤه أروع الأمثلة في الجدِّ وممارسة العمل والنزول إلى ميدان الحياة، فلم يستخفّوا بالعمل ولم يحتقروا العاملين، بل كرّموا العمل والعاملين واستنكروا الخمول والكسل؛ لأنّ العمل في عُرف الإسلام هو بذل الجهد من أجل إشباع حاجة إنسانية محلّلة، وهو ضرب من ضروب العبادة وتحقيق لإرادة الله وحكمته في الأرض والسّعي لبناء الحياة وفقَ مشيئته تبارك وتعالى.

ولعلّ خير شاهد على ذلك ما كان يمارسه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من عمل التجارة ورعي الغنم في حياته قبل النّبوّة، وممارسته للزّراعة وغرس النخيل في المدينة أيّام النبوّة، ومثلها أيضاً ما ورد في القرآن الكريم عن تأجير النبي موسى (عليه السلام) لنفسه ثمان سنوات يشتغل فيها أجيراً في بيت شعيب (عليه السلام)، قال تعالى: { قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ * قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ}

[القصص: ٢٦ – ٢٨]

إن الإسلام يدعو أتباعه إلى الإنتاج والعمل على استثمار الموارد المتاحة لهم سواء أكانت مادية أم مالية أم بشرية وتوظيفها بما يحقق تقدمهم، واستغناءهم عن التبعية لغيرهم ، ويهدف إلى عمارة الأرض ، فيؤسس نهضة في الزراعة والصناعة والتجارة فيتناول القرآن الكريم تلك المعاني في آيات عديدة وكثيرة ، فيوجهنا إلى إحياء الأرض وزراعتها واستثمارها بقوله تعالى : { فَلْيَنْظُرْ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا*وَحَدَائِقَ غُلْبًا*وَفَاكِهَةً وَأَبًّا*مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ}[عبس: ٢٤-٣٢].

وهناك توجيهات قرآنية أيضًا إلى التنمية الصناعية بكل أشكالها في إطار الضوابط الشرعية، والتي لا يمكن أن تتأتى إلا بالعمل والبذل والإنتاج ، فقد أشار القرآن الكريم إلى صناعة الحديد :{ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ}[الحديد: ٢٥]، وصناعة الدروع وعدة الحرب { أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}[سبأ:١١]. وصناعة السفن والمراكب{ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا}[المؤمنون: ٢٧].

وإن الأمة عندما تحسن في عملها، سوف تتخلص بإذن الله من تسلط أعدائها عليها ، وسوف تشعر بكرامتها وعزتها ، وسوف تحمل عقيدتها وفكرها ، وتقدمه للآخرين تعرضه عليهم ، وتدعوهم إليه . أمّا وهي ضعيفة مهزومة .. أمّا وهي فقيرة مستجدية لفضل غيرها ؛ فإنها لن تحمل فكراً ، ولن تدعو إليه .. ولو دعت فلن يقبل منها إلا قليلاً.

وحتى يتحقق نجاح الأمة وتفوقها في مجال العمل فإنها تحتاج أن تترك سلبيتها وتواكلها، وتنطلق في ميدان الإنتاج والإتقان.

والإتقان هدف تربوي، فهو من أسس التربية في الإسلام، لأن الإتقان في المجتمع المسلم ظاهرة سلوكية تلازم المسلم في حياته، والمجتمع في تفاعله وإنتاجه، فلا يكفي الفرد أن يؤدي العمل صحيحاً بل لا بد أن يكون صحيحاً ومتقناً، حتى يكون الإتقان جزءاً من سلوكه الفعلي.

والإتقان في المفهوم الإسلامي ليس هدفاً سلوكياً فحسب، بل هو ظاهرة

حضارية تؤدي إلى رقي الجنس البشري، وعليه تقوم الحضارات، ويعمر الكون، وتثرى الحياة، وتنعش، ثم هو قبل ذلك كله هدف من أهداف الدين يسمو به المسلم ويرقى به في مرضاة الله والإخلاص له ؛ لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه، وإخلاص العمل لا يكون إلا بإتقانه.

لذلك كانت مطالبة الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يتقن الإنسان عمله : "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه" (رواه البيهقي).

فعندما حثنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) علي إتقان العمل بقوله: إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه ، فإنه رفع منزلة الإتقان إلي أسمي المنازل ، وجعله سبيل رضوان الله وحبه، وجعلنا نتدبر وندرك أنه أساس نهضة الأمة، وعلو شأنها، واستقامة حياتها، فهو الذي ينفع الناس ويقيم البناء القوي الشامخ، والمجتمع الصالح الظافر، وهو دليل على الحرص على أداء الواجب كاملا في العمل، واستنفاد الجهد في إبلاغه تمام الإحسان، كما أنه برهان واضح علي إخلاص المرء لعمله ، وعدم تفريطه في حقوق وطنه.

ولاشك في أن وطننا الحبيب يطالب الجميع بالإتقان حتى ينهض ، ويحقق آماله، ويريد من كل عامل في مصر أن يزكي قلبه بالإخلاص، وينقي لبه بالإحسان، ويعلم أنه لن تعلو مرتبته إلا بحسن العمل وجودة الإنتاج، وسلامة الصنع ونبل المقصد.

وفي إطار دعم المنتج الوطني لا بد لنا من وقفة جادة نستطيع من خلالها النهوض بالمجتمع والرقي به إلى أفضل وطن نعيش فيه.

إن دعم المنتج الوطني في كل الظروف يشكل حجر الأساس في بناء دولة قوية ، وذلك من خلال رفع قدرة المنتج التنافسية ، فهو جزء لايتجزأ من دعمه ، فكلما أقبلنا على شرائه كلما أعطينا المنتجين والمصنعين الفرصة والدافع لرفع قدرته التنافسية لنصيب بذلك عصفورين بحجر واحد، فنبني اقتصادنا ونحسن جودة منتجاتنا ،كل ذلك بإقبالنا عليها، ودائما لا بد لنا أن نتيقن أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

أهمية التخطيط في حياة الفرد والمجتمع

أولا : العناصر :

١. أهمية التخطيط في الإسلام .
٢. القرآن الكريم يرشدنا إلى التخطيط .
٣. التخطيط في حياة الأنبياء والرسل .
٤. عناصـــــــــر التخـطيط الناجـــح .
٥. حاجتنا إلى التخطيط لتغيير واقعنا المعاصر.
٦. التخطيط الجيد يؤدي إلى استقرار الأسرة والمجتمع .

ثانيا: الأدلة :

الأدلة من القرآن الكريم:

١- قال الله تعالى: { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ }

[سورة المؤمنون : ١١٥ / ١١٦]

٢- وقال تعالى: {قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ } [سورة يوسف – ٤٧: ٤٩]

٣- وقال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} [الأنفال٦٠] .

٤-وقال تعالى: { حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا

حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا}[الكهف٩٣-٩٧]

الأدلة من السنة:

١- عَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) ،قَالَتْ : «لَقَلَّ يَوْمٌ كَانَ يَأْتِي عَلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) إِلاَّ يَأْتِي فِيهِ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ أَحَدَ طَرَفَيِ النَّهَارِ فَلَمَّا أُذِنَ لَهُ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ لَمْ يَرُعْنَا إِلاَّ وَقَدْ أَتَانَا ظُهْرًا فَخُبِّرَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ مَا جَاءَنَا النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) : فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلاَّ لأَمْرٍ حَدَثَ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لأَبِي بَكْرٍ أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ يَعْنِي عَائِشَةَ وَأَسْمَاءَ قَالَ أَشَعَرْتَ أَنَّهُ قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ قَالَ الصُّحْبَةَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ الصُّحْبَةَ قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ عِنْدِي نَاقَتَيْنِ أَعْدَدْتُهُمَا لِلْخُرُوجِ فَخُذْ إِحْدَاهُمَا قَالَ:" قَدْ أَخَذْتُهَا بِالثَّمَنِ" (صحيح البخاري) وغير ذلك من الأحداث التي تُشِير إلى تخطيط النبي (صلى الله عليه وسلم) : للهجرة والثابتة باستفاضة في كتب السنة والسيرة .

٢- وعَنْ الْبَرَاءِ (رضي الله عنه) قَالَ : لَقِينَا الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ (يوم أحد) وَأَجْلَسَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم)جَيْشًا مِنْ الرُّمَاةِ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ – عبد الله بن جبير – وَقَالَ" لَا تَبْرَحُوا إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تُعِينُونَا " فَلَمَّا لَقِينَا هَرَبُوا حَتَّى رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ فِي الْجَبَلِ رَفَعْنَ عَنْ سُوقِهِنَّ قَدْ بَدَتْ خَلَاخِلُهُنَّ فَأَخَذُوا يَقُولُونَ الْغَنِيمَةَ الْغَنِيمَةَ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) أَنْ لَا تَبْرَحُوا فَأَبَوْا فَلَمَّا أَبَوْا صُرِفَ وُجُوهُهُمْ فَأُصِيبَ سَبْعُونَ قَتِيلًا (صحيح البخاري) .

٣- وعن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ (رضي الله عنه) قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) يَعُودُنِي وَأَنَا مَرِيضٌ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ : لِي مَالٌ ، أُوصِي بِمَالِي كُلِّهِ؟ قَالَ : "لاَ" قُلْتُ: فَالشَّطْرِ؟ قَال: "لاَ" قُلْتُ: فَالثُّلُثِ؟ قَالَ : الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ ، أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ ، وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ ، حَتَّى

٣اللُّقْمَةَ تَرْفَعُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ، وَلَعَلَّ اللَّهَ يَرْفَعُكَ ، يَنْتَفِعُ بِكَ نَاسٌ ، وَيُضَرُّ بِكَ آخَرُونَ" (صحيح البخاري) .

٤- وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) لِأَصْحَابِهِ (يوم بدر) : "أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي الْمَنْزِلِ" فَقَالَ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْت هَذَا الْمَنْزِلَ أَمَنْزِلٌ أَنْزَلَكَهُ اللَّهُ فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَهُ وَلَا نَتَأَخَّرَ عَنْهُ أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟ قَالَ : " بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ ". قَالَ فَإِنّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ انْطَلِقْ بِنَا إلَى أَدْنَى مَاءِ الْقَوْمِ فَإِنّي عَالِمٌ بِهَا وَبِقُلُبِهَا، بِهَا قَلِيبٌ قَدْ عَرَفْت عُذُوبَةَ مَائِهِ وَمَاءٌ كَثِيرٌ لَا يَنْزَحُ ثُمّ نَبْنِي عَلَيْهَا حَوْضًا وَنَقْذِفُ فِيهِ الْآنِيَةَ فَنَشْرَبُ وَنُقَاتِلُ وَنُغَوّرُ١ مَا سِوَاهَا مِنْ الْقُلُبِ (مغازي الواقدي) .

٥- وعندما تجمعت الأحزاب للهجوم على المدينة في غزوة الخندق ندب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الناس وأخبرهم خبر عدوهم ، وشاورهم في أمرهم : أيبرز من المدينة أم يكون فيها ، ويحاربهم عليها وفي طرقها ؟ فأشار سلمان (رضي الله عنه) بالخندق، وقال: يا رسول الله إنا كنا بأرض فارس إذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا ، فأعجبهم ذلك ، وأحبوا الثبات في المدينة ، وأمرهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالجد ، ووعدهم النصر، إذا هم صبروا واتقوا ، وأمرهم بالطاعة . (سبل الهدى والرشاد) .

ثالثاً : الموضوع:

إنّ الله (عز وجل) لم يخلق الإنسان عبثًا ، بل جعل له في الحياة رسالةً وهدفًا يسعى لتحقيقه ، قال سبحانه وتعالى : { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} [المؤمنون : ١١٥ ، ١١٦].

وهذا الهدف لن يتحقق إلا بتدبيرٍ وإعدادٍ وتخطيطٍ ، فالإنسان الذي يسير على غير هدى لا يعرف له وجهة ، ولا يدرك له غاية ، فهو إنسانٌ تتعاوره الضربات لتسقطه صريع المحن ، بائس الحال ، شقي النفس ، قليل الإنجاز أو

عديمه ، قال عمر (رضي الله عنه) : إِنِّي أَكْرَهُ الرَّجُلَ أَنْ أَرَاهُ يَمْشِي سَبَهْلَلًا "أَيْ : لَا فِي أَمْرِ الدُّنْيَا وَلَا فِي أَمْرِ الآخِرَةِ. (الآداب الشرعية لابن مفلح) ، وقد صح في الحديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَال : قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم): "نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ "(صحيح البخاري) .

والتخطيط للمستقبل أخذ بالأسباب ، وهو لا يتنافى مع التوكل على الله تعالى، فلا حرج على المسلم أن يقول " إن شاء الله سأفعل كذا " ، قال تعالى : { وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} [الكهف: ٢٣، ٢٤] ، وقد أشار القرآن الكريم في قصة ذي القرنين إلى أنه أخذ بالأسباب، وخطّط للمستقبل،وفي ذلك يقول الله تعالى : {حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا *فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا } [الكهف٩٣-٩٧].

وفي قصة نبي الله يوسف (عليه السلام) كان التخطيط سببًا لنجاة البلاد والعباد من مجاعة مهلكة، وخطر محدق ، قام بذلك نبي الله يوسف (عليه السلام) في خطة استغرق تنفيذها خمس عشرة سنة، وذلك في تأويل يوسف لرؤيا الملك كما حكي القرآن الكريم على لسانه في قوله تعالى: {قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ* ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ* ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ } (سورة يوسف – ٤٧: ٤٩) لقد وازن سيدنا يوسف عليه السلام بين الإنتاج المتقن والعمل الدؤوب والاستهلاك الرشيد ، والادخار المحكم، لقد أدرك المشكلة ففكر في الحلِّ ولم يبخل به على من سجنوه ظلمًا وعدوانًا ، فإنّ المصلحة العامة عنده مقدّمة على المصلحة الخاصة ، وهذه دروس بالغة الأهمية ، فلا ينبغي الاكتفاء بعرض المشكلة فقط والوقوف عندها ، بل ينبغي السعي لإيجاد المخرج من الأزمة.

ومن أراد أن يتعلم التخطيط فليتأمل هجرة النبي (صلى الله عليه وسلم) فقد كان (صلى الله عليه وسلم) نموذجًا للقائد والمعلِّم ، فتراه وهو في رحلة الهجرة يخطط ويدبر ويثق في نصر الله (عزّ وجلّ) أولاً وأخيرًا. إنه يأتي بعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ؛ لينام في فراشه على سبيل التمويه ، ويسلك طريقًا وعِرًا غير مأهول ولا معتاد ، ويختبئ في الغار حتى يهدأ الطلب عليه وعلى صاحبه ، ويدبر من يأتيه في الغار بالأخبار والطعام، ومن يعفي على الآثار ، ويحسن انتقاء من يقوم بكل مهمة ، وهُو في هَذا كلّه متوكلٌ على الله تعالى مُعلنًا أنه في معية الله تعالى فيقول لصاحبه : { ..لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا..}[التوبة:٤٠] .

ومن حسن التخطيط والأخذ بالمشورة معًا ما كان منه (صلى الله عليه وسلم) : في غزوة بدر حين قال لأصحابه : " أَشِيرُوا عَلَيّ فِي الْمَنْزِلِ"فَقَالَ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ : يَا رَسُولَ اللّهِ أَرَأَيْت هَذَا الْمَنْزِلَ أَمَنْزِلٌ أَنْزَلَكَهُ اللّهُ فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدّمَهُ وَلَا نَتَأَخّرَ عَنْهُ أَمْ هُوَ الرّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟ قَالَ: " بَلْ هُوَ الرّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ ". قَالَ فَإِنّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ انْطَلِقْ بِنَا إلَى أَدْنَى مَاءِ الْقَوْمِ فَإِنّي عَالِمٌ بِهَا وَبِقُلُبِهَا ، بِهَا قَلِيبٌ قَدْ عَرَفْت عُذُوبَةَ مَائِهِ وَمَاءٌ كَثِيرٌ لَا يَنْزَحُ ثُمّ نَبْنِي عَلَيْهَا حَوْضًا وَنَقْذِفُ فِيهِ الْآنِيَةَ فَنَشْرَبُ وَنُقَاتِلُ وَنُغَوّرُ مَا سِوَاهَا مِنْ الْقُلُبِ (مغازي الواقدي).

وفي غزوة أحد يدير المعركة باقتدار حقّق به المسلمون النصر في أول المعركة ، وهو يخطط للميدان تخطيطًا تميز بالمرونة ، فقد انسحب عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الجيش قبل بداية المعركة ، ومع ذلك يعيد النبي (صلى الله عليه وسلم) توزيع الجيش ليسيطر على الميدان ، ويوزع المسلمين على أماكن القتال ، وعندما خالف المسلمون الخطة دارت عليهم الدوائر ، فقد روى الإمام البخاري بسنده من حديث الْبَرَاءِ (رضي الله عنه) قَالَ : لَقِينَا الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ وَأَجْلَسَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) جَيْشًا مِنْ الرُّمَاةِ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عبد الله بن جبير(رضي الله عنه) وَقَالَ : " لَا تَبْرَحُوا إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تُعِينُونَا" فَلَمَّا لَقِينَا هَرَبُوا حَتَّى رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ فِي الْجَبَلِ رَفَعْنَ عَنْ سُوقِهِنَّ قَدْ بَدَتْ

خَلَاخِلُهُنَّ فَأَخَذُوا يَقُولُونَ : الْغَنِيمَةَ الْغَنِيمَةَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) أَنْ لَا تَبْرَحُوا فَأَبَوْا فَلَمَّا أَبَوْا صُرِفَ وُجُوهُهُمْ فَأُصِيبَ سَبْعُونَ قَتِيلًا .

وفي غزوة الخندق يخطط (صلى الله عليه وسلم) ويستشير أصحابه ، ويأمر بحفر الخندق حول المدينة ، وهو أمر لم يكن معلومًا في خطط العرب في القتال ؛ ليحافظ على الدولة من الأعداء المتربصين بها ، المحاصرين لها ، حتى كشف الله غمهم ، وأزاح همهم .

و إن من حسن التخطيط حسن توظيف المهارات ، بأن تضع الرجل في موضعه المناسب ليحسن العمل ، يظهر ذلك جليًا من خلال عدة مواقف للنبي (صلى الله عليه وسلم) نذكر منها :

١- اختياره لأسامة بن زيد (رضي الله عنهما) قائدًا لجيش من جيوش المسلمين على الرغم من صغر سنه .

٢- ترتيبه لقادة الجيش في غزوة مؤتة ؛ لأجل تحقيق النصر على الروم ، حيث وضع كل رجل في موضعه.

٣- اختياره لزيد بن ثابت (رضي الله عنه) ؛ ليتعلم اللغة العبرانية ويتولى الترجمة له (صلى الله عليه وسلم) .

٤- اختياره لمعاذ بن جبل (رضي الله عنه) لمهمة القضاء في اليمن ؛ لفقهه وعلمه وبراعته.

من هذا نرى مدى إدراكه (صلى الله عليه وسلم) لمهارات كل فرد من أصحابه ، ومدى الاستفادة منها بحسن توظيفها .

وعلى المستوى الشخصي يوجه النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه إلى النظر للمستقبل نظرةَ تدبيرٍ وحسابٍ لصروف الزمن ومتغيرات الحياة ، فها هو سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) يقول : كَانَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) يَعُودُنِي وَأَنَا مَرِيضٌ بِمَكَّةَ ، فَقُلْتُ : لِي مَالٌ ، أُوصِي بِمَالِي كُلِّهِ؟ قَالَ : "لَا" قُلْتُ : فَالشَّطْرِ؟ قَالَ : "لَا" قُلْتُ : فَالثُّلُثِ؟ قَالَ : "الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ ، أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ ، وَمَهْمَا

أَنْفَقْتَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ ، حَتَّى اللُّقْمَةَ تَرْفَعُهَا فِي فِيِّ امْرَأَتِكَ ، وَلَعَلَّ اللَّهَ يَرْفَعُكَ ، يَنْتَفِعُ بِكَ نَاسٌ ، وَيُضَرُّ بِكَ آخَرُونَ" (صحيح البخاري)،

فهذا توجيهٌ إلى أمرين:

الأول : التخطيط للأسرة في مستقبلها المادي تخطيطًا يقيها صروف الزمان.

الثاني : فضل النفقة على الأهل.

وقد تعلم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ذلك من الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فإذا به يخطط للدولة الإسلامية فيقيم فيها الدواوين ، ويرتب الولاة ، وينظم بيت المال ، وحين تتعرض الدولة لمجاعة في عهده يحسن إدارة الأزمة والتخطيط لمواجهتها ، وهو بهذا الفكر وهذه الإدارة يقفز بالدولة الإسلامية الفتية قفزات واسعة ، سادت بها الدنيا شرقاً وغرباً .

ثم جاء حفيده عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) الذي أعاد التخطيط للبلاد ؛ ليعيد توزيع الموارد للبلاد بالعدالة الاجتماعية المرجوّة ، ويخطط لاستغلال الفائض من الزكاة ؛ ليعيد توزيعه فيما ينفع الناس ، فيوزّع على الفقراء ، ثم يسد الديون ، ثم يُزوّج الشباب الذي لا يستطيع النكاح ، ثم يعطى فقراء أهل الكتاب ، ولحسن تخطيطه وصدقه مع ربه يبارك الله له حتى أطعم الحيوان والطير على رؤوس الجبال .

ما أحوجنا إلى هذا التخطيط في حياتنا ؛ لنحقق الكثير لديننا وأنفسنا وبلادنا !

إن العظماء هم الذين يعرفون هدفهم فيخططون لبلوغه، فإن كانوا أفرادًا كانوا ناجحين ، وإن كانوا قادة كانوا لشعوبهم ملهِمين وبالمسؤولية قائمين .

إن بلدنا في حاجة ماسّة إلى أن نضع خططًا قوية تنهض بحاضرها ومستقبلها في كل المجالات الزراعية والتجارية والتعليمية والاقتصادية والعسكرية والإدارية، ولابدّ أن تراعي هذه الخطط الحفاظ على الكفاءات،وتُقِيم مبدأ تكافؤ الفرص بما يحقق العدالة الشاملة ، فبدون تخطيط سليم ووعي لمستقبلنا ، وإدراك لما حولنا لن يتحقق لنا تقدم ورفاهية.

وفى الوقت الحالي تمر بلادنا بمنعطف خطير في تاريخها، لا يسمح بالفوضى ، بل لابد من الإعداد الجيد، والتخطيط السليم، والأخذ بالأسباب، وحسن التوكل على الله، والثقة فيه، فليحدد كل منا رسالته وهدفه في الحياة ، وليجتهد لتحقيق هدفه ، وبلوغ أمله، فالتخطيط السليم والعمل الجاد ثمرتهما حياة طيبة وأجر حسن، قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل٩٧].

وللتخطيط أهميةٌ في حياتنا الخاصة ، فإنهم يقولون : " التدبير نصف المعيشة " ، ويقولون: " ما عال من اقتصد " ، وحسن التدبير وتصريف الأمور وفق الإمكانات المتاحة وعدم تكليف النفس فوق طاقتها أحد أهم عوامل استقرار الأسرة والمجتمع .

ترتيب الأولويات وأثره في حياة الفرد والمجتمع

أولاً : العناصر:

١- الإسلام يراعي ترتيب الأولويات.

٢- ترتيب الأولويات على مستوى الفرد والأسرة .

٣- أولويات يفتقدها المجتمع المعاصر.

٤- أثر ترتيب الأولويات في تقدم الأمم والمجتمعات .

٥- نماذج من الأولويات :

- العلم قبل العمل .
- تقديم قضاء حوائج الناس من إطعام الجائع ومداواة المريض على حج النافلة وتكرار العمرة .
- تقديم الأكثر احتياجًا على الأقل .
- تقديم العامّ النفع على قاصر النفع أو محدود النفع .
- العفو والصفح أولى من المعاقبة والانتقام .
- إبراء المعسر أولى من إنظاره .
- فضل الأمّ على سائر الأقارب في الإحسان إليها والوفاء بحقها .

ثانياً : الأدلة :

الأدلة من القرآن الكريم :

١- قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ }[البقرة -٢١٥] .

٢- وقال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } [النحل: ١٢٥].

٣- وقال تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا } [النساء: ٣٦].

٤- وقال تعالى : { وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى } [طه:١٢٣] .

٥- وقال تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ"} [الأعراف: ١٩٩].

الأدلة من السنة :

١-عَنْ جَابِرٍ (رضي الله عنه) قَالَ : أَعْتَقَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عُذْرَةَ عَبْدًا لَهُ عَنْ دُبُرٍ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ: " أَلَكَ مَالٌ غَيْرُهُ ". فَقَالَ لاَ، فَقَالَ " مَنْ يَشْتَرِيهِ مِنِّى " . فَاشْتَرَاهُ نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَدَوِىُّ بِثَمَانِمِائَةِ دِرْهَمٍ فَجَاءَ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ "ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا فَإِنْ فَضَلَ شَىْءٌ فَلأَهْلِكَ فَإِنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلِكَ شَىْءٌ فَلِذِى قَرَابَتِكَ فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِى قَرَابَتِكَ شَىْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا " . يَقُولُ فَبَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ. (صحيح مسلم) .

٢-وعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : " الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ "

(متفق عليه).

٣-وعَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ (رضي الله عنهما) قَالَ : آخَى النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدر داء ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً فَقَالَ لَهَا : مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ : أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا ، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فَقَالَ: كُلْ ، قَالَ : فَإِنِّي صَائِمٌ ، قَالَ : مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ ، قَالَ : فَأَكَلَ ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ قَالَ : نَمْ ، فَنَامَ ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ : نَمْ ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ : قُمِ الآنَ ، فَصَلَّيَا ، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ : إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. فَأَتَى النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) : "صَدَقَ سَلْمَانُ"

(صحيح البخاري).

٤- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) أَنَّ مُعَاذًا (رضي الله عنه) قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ(صلى الله عليه وسلم) (يعني إلى اليمن) قَالَ : "إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ" (متفق عليه).

٥- وعن أَبِي الدَّرْدَاءِ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : "إِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ" (سنن أبي داود).

٦- وعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) أَنَّ رَجُلا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ وَأَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : " أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا ، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ - شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامِ " (المعجم الكبير للطبراني).

٧-وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِى؟ قَالَ: " أُمُّكَ " ، قَالَ ثُمَّ مَنْ قَالَ " ثُمَّ أُمُّكَ " ، قَالَ ثُمَّ مَنْ قَالَ " ثُمَّ أُمُّكَ " ، قَالَ ثُمَّ مَنْ قَالَ " ثُمَّ أَبُوكَ "(متفق عليه).

٨-وعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ (رضي الله عنهما)أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ حَدَّثَهُ أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فِي شِرَاجِ الْحَرَّةِ الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ فَقَالَ الأنصاري : سَرِّحِ الْمَاءَ يَمُرُّ ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ فَاخْتَصَمُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) لِلزُّبَيْرِ : " اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ". (صحيح مسلم).

ثالثًا : **الموضوع** :

من الواجبات الشرعية لكل مسلم أن ينضبط لديه ميزان الدين الصحيح ، فيرتب الأوامر الشرعية والتعاليم الإسلامية حسب وضعها في دين الله تعالى ، حتى لا يؤخر ما قدمّه الدين أو يقدِّم ما أخره، أو يضيع الفاضل بانشغاله بالمفضول ، فيظن المرء أنه محسنٌ والحال أنه مخدوع ، يقول الله تعالى : {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا }[الكهف ١٠٣ – ١٠٤].

والقرآن الكريم حافل بكثير من الآيات التي ترغب المسلم في السعي نحو الأفضل والأكمل في كل شيء ، وتطالبه بأن يستفرغ جهده لتحقيق الأولى في عمله الديني والدنيوي معًا، من هذه الآيات قوله تعالى : {وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا} [الأعراف : ١٤٥] ، وقوله جل شأنه: {وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا }[النساء :٨٦] ، وقوله سبحانه : {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل :١٢٥]، وقوله تعالى : {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }[الإسراء : ٥٣] ، إلى غير ذلك من الآيات التي يشتمل عليها القرآن الكريم وكلها تدعو المسلم بالسعي الدؤوب نحو الأفضل والأكمل في كل شيء.

وفي السنة النبوية إشارات إلى وضع كل شيء في مكانه الجدير به، وعدم الانشغال بالنوافل عن الحقوق والواجبات ، فهذا سيدنا سلمان الفارسي (رضي الله عنه) الذي آخَى النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) بَيْنَهُ وبين أَبِي الدرداء ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مبتذلة ، فَقَالَ لَهَا مَا شَأْنُكِ

قَالَتْ : أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فَقَالَ كُلْ قَالَ فَإِنِّي صَائِمٌ قَالَ مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ قَالَ فَأَكَلَ ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ قَالَ : نَمْ ، فَنَامَ ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ : نَمْ ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ : قُمِ الآنَ فَصَلَّيَا ، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ : إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ(صلى الله عليه وسلم) : "صَدَقَ سَلْمَانُ".

ويتضح من توجيهات النبي (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه في مواضع عديدة أن تقديم الأولويات من أوجب الواجبات ، لأنها تحدث توازنًا في حياة الإنسان ومعاشه .

ومراعاة الأولويات في حياتنا تستلزم العلم بالواقع والفقه بالواجبات الشرعية معًا، ولهذا فقد قدّم الإسلام العلم على العمل ، ورفع شأن العلماء العاملين على العابدين بغير علم، فعن أَبِي الدَّرْدَاءِ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : "إِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ " ، فالعلم شجرة والعمل ثمرة ، العلم والد والعمل مولود، والعلم مع العمل ، والرواية مع الدراية.

وإننا إذ نتكلم عن ترتيب الأولويات فهناك مشكلات تتقلب فيها الأمة ، علينا أن نرتبها ونبحث لها عن حلول ، فهذا أولى من أن نهتم بأمور هي من نوافل العبادات ، كمن يهتم بصيام الاثنين والخميس من كل أسبوع ، وهو للواجبات مضيع ، ولحقوق العباد آكل ، أو كمن يحرص على حج النافلة وهو لمصالح العباد معطل ، فالذين يحجون ويعتمرون مرات ومرات تطوعًا وتنفلًا مع احتياج بعض أهليهم وجيرانهم وبني وطنهم إلى الطعام والكساء والدواء واحتياج أوطانهم إلى مقومات أساسية لا تستقيم حياة أبنائه إلا بها ، وبخاصة في مجالات الصحة والتعليم ، فهؤلاء نذكرهم بأمرين :

أولهما : أن قضاء حوائج الناس والقيام بمتطلبات حياتهم ليس مجرد نافلة، إنما هو واجب شرعي ووطني ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ" (أخرجه البزار) ،

ويقول الحق سبحانه : { أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ} [الماعون ١ – ٣].

فإذا كان هذا جزاء من لا يحض غيره وهو لا يملك فما بالنا بمن لايؤدي حق الله تعالى؟ يقول الحق سبحانه: { وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [التوبة : ٣٤] ، ويقول سبحانه مخاطبًا أهل النار : {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ } [المدثر: ٤٢ / ٤٤]، ويقول سبحانه: {هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُم مَّنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ}[محمد : ٣٨].

وعلى العكس من ذلك فإن جزاء المحسنين المنفقين جد عظيم عند الله تعالى وعند الناس، يقول الحق سبحانه: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٦١] ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا " (متفق عليه).

الثاني : أن قضاء حوائج الناس مقدم على ألف حجة وحجة بعد حجة الإسلام التي هي حجة الفريضة ، ومن ألف عمرة نافلة ، فالأول الذي هو قضاء حوائج الناس إصلاح للفرد والمجتمع ، والآخر الذي هو حج النافلة وتكرار العمرة لا يخرج عن دائرة صلاح النفس ، والإصلاح مقدم على الصلاح وقد يصير ذلك ضروريًا ومُحَتَّمًا في مثل الظروف الاقتصادية التي نمر بها .

كما أن الأول مصلحة عامة ، والثاني يدخل في دائرة المصالح الخاصة ، والعام مقدم على الخاص ، والأعم نفعًا مقدم على محدود النفع أو قاصر النفع .

والأول الذي هو قضاء حوائج الناس لا يخرج عن كونه فرض عين أو فرض كفاية ، ولا شك أن الفرض والواجب عينيًا كان أم كفائيًا مقدم على سائر

النوافل لا على حج النافلة وتكرار العمرة فحسب ، ولهذا فإننا نرى النبي (صلى الله عليه وسلم) يقدم قضاء حوائج الناس على الاعتكاف في مسجده هو (صلى الله عليه وسلم) : " أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكَشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا ، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ – يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ – شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامِ " .

وقد نقل حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في إحيائه عن أبي نصر التمار أن رجلا جاء يودع بشر بن الحارث وقال : قد عزمت على الحج فتأمرني بشيء؟ فقال له كم أعددت للنفقة؟ فقال : ألفي درهم، قال بشر : فأي شيء تبتغي بحجك؟ تزهدًا أو اشتياقًا إلى البيت أو ابتغاء مرضاة الله؟ قال : ابتغاء مرضاة الله ، قال : فإن أصبت مرضاة الله تعالى وأنت في منزلك وتنفق ألفي درهم وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى أتفعل ذلك؟ قال : نعم قال اذهب فأعطها عشرة أنفس ، مدين يقضي دينه ، وفقير يرم شعثه ، ومعيل يغني عياله ، ومربي يتيم يفرحه ، وإن قوي قلبك تعطيها واحدًا فافعل ، فإن إدخالك السرور على قلب المسلم وإغاثة اللهفان وكشف الضر وإعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الإسلام ، قم فأخرجها كما أمرناك ، وإلا فقل لنا ما في قلبك؟ فقال: يا أبا نصر سفري أقوى في قلبي، فتبسم بشر – رحمه الله – وأقبل عليه وقال له : المال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس أن تقضي به وطرًا فأظهرت الأعمال الصالحات ، وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل إلا عمل المتقين .

ومن نماذج الأولويات التي ينبغي أن يلتفت إليها المؤمن : أن العفو والصفح أولى من الانتصار ، قال تعالى : {وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُون ، وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ

الظَّالِمِين} [الشورى: ٣٩-٤٠] ، فإذا كان الانتصار وردُّ العدوان لا لوم فيه ولاعدوان ولا مؤاخذة ، فإن المغفرة أفضل وأليق بالمؤمن.

ومن هذه النماذج أيضًا أن الصدقة حال الصحة أولى من الوصية: فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال : يا رسول الله ، أي الصدقة أعظم أجرا؟ قال " أن تصدق وأنت صحيح شحيح ، تخشى الفقر وتأمل الغنى ، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم" قلت : لفلان كذا ، ولفلان كذا، وقد كان لفلان (صحيح البخاري) ، ومن ثم فإن الإحسان في وقت الصحة والعافية ، أفضل وأكثر أجرًا من بذل المال حال المرض واقتراب الأجل.

ومن ذلك ضرورة الوعي بترتيب الأولويات في باب الصدقة الجارية مثلًا في هذا الزمان أن يوجه كثير من الناس أموالهم في بابٍ واحد من أبواب الصدقات كمن يبني مسجدًا في قرية يوجد بها مساجد أكثر من حاجة المصلين ، في الوقت الذي هي في أمسِّ الحاجة إلى مستشفى أو مدرسة أو غير ذلك من مصالح الناس ومرافقهم الضرورية ، أو ما تقتضيه مصلحة الدين والبلاد والعباد ، فإن كان يبنيه لنفسه فليفعل ما يشاء ، وإن كان يبنيه لله فمصالح العباد واحتياجاتهم مما يحبه الله ويرغب فيه ؛ لأن ذلك دليل على الإخلاص وعلى ابتغاء ما عند الله .

ومن الأولويات التي يقررها الإسلام أن إبراء المعسر وإعفاءه أولى من إنظاره ، يقول الحقّ سبحانه:{ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}[البقرة:٢٨٠]، ويقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ " (صحيح مسلم).

ولعل من أشد الأزمات التي نتعرض لها اليوم ، بل هي أساس أزمات كثيرة : أزمة عدم الوعي بالقضايا الجوهرية والمصيرية ، والاهتمام بقضايا بعيدة عن الواقع ، ومن ذلك ضرورة الوعي بترتيب الأولويات ، ومن هنا رأينا من يحرص على المفضول ويترك الأفضل ، ومن يحرص على بعض المستحبات ويُفرِّط في الفرائض والواجبات أو يتساهل في المحرمات ، الأمر الذي يستلزم المعرفة بفقه الأولويات وكيفية الموازنة بين المصالح والمفاسد والترجيح بينها إذا تعارضت.

وقد كان ابن عمر (رضي الله عنهما) يقول لأهل العراق : ما أسْأَلَكم عن الصغيرة وأَجْرَأَكُم على الكبيرة (صحيح مسلم) ، يعني ما أكثر سؤالكم عن الصغائر مع جرأتكم على الكبائر .

وحتى نكون واعين بمشكلاتنا قادرين على حلها لابُدّ أولاً من إصلاح الأسرة التي هي نواة المجتمع ، فنرتب أولويات الحياة الأسرية والتي من أهمها : البر والصلة بين أفراد الأسرة ، فلدينا مشكلة العقوق بين الأبناء والآباء والتي اهتمّ بها القرآن وكثيرًا ما تحدّث عنها وأمر ببر الوالدين ، وبخاصة الأم ، فقال الحقّ سبحانه وتعالى : {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ }[الأحقاف : ١٦/١٥] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ : "أُمُّكَ" قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ : " ثُمَّ أُمُّكَ" قَالَ : ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ : "ثُمَّ أُمُّكَ" قَالَ : ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ : " ثُمَّ أَبُوكَ" (صحيح البخاري) .

وتقديم الأمّ هنا ؛ لضعفها وحاجتها إلى مزيد رعاية وعناية ولأولويتها بالاهتمام .

كما أنّ من الأولويات: الاهتمام برعاية الأبناء وتربيتهم تربية تتفق مع مبادئ الإسلام : تقدم أولويات التربية من حيث الأخلاق ، والحفاظ على

العبادة ، وتقديم القدوة الصالحة التي تتمثل في رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وصحابته الكرام ، مع مراعاة عدم الإمعان في الرفاهية لدرجة خرق المروءة ، أو القسوة والشدة لدرجة انعدام الرحمة ، فعَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ رضي الله عنه أَبْصَرَ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) يُقَبِّلُ الْحَسَنَ فَقَالَ : إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ"

[صحيح مسلم].

فإذا أحسنا ترتيب أولوياتنا وأحسنا توظيف طاقاتنا وجميع إمكاناتنا العلمية والثقافية والمادية وفق هذه الأولوية فإن ذلك بلا شك يسهم في نهضتنا ورقينا وتقدمنا بإذن الله تعالى .

خطورة الإسراف والتبذير على الفرد والمجتمع

أولاً: العناصر:

١- الإسلام دين الوسطية والاعتدال.
٢- محاربة الإسلام للإسراف والتبذير.
٣- من صور الإسراف والتبذير:
أ- الإسراف فى استخدام الماء.
ب- الإسراف فى استخدام الطاقة.
ج - الإسراف فى الطعام والشراب واللباس.
د- الإسراف فى الولائم العامة والخاصة.
هـ - الإسراف فى الكماليات.
٤- خطورة الإسراف والتبذير على الفرد والمجتمع.
٥- الإسراف والتبذير من أسباب هلاك الأمم.
٦- من عناية الإسلام بالمال شرع الحجر على السفيه والمبذر، وهو نوعان :
أ- حَجْرٌ لحق الغير.
ب - حَجْرٌ لحق المال.

ثانياً : الأدلة :

الأدلة من القرآن :

١- قال تعالى: {...وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِين وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا} [الإسراء: ٢٦، ٢٧].
٢- وقال تعالى: {...وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: ٣١].
٣- وقال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الفرقان:٦٧].
٤- وقال تعالى: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا } [الإسراء:٢٩].

٥- وقال تعالى: { وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَان * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ} [الرحمن:٧-٩].

٦- وقال تعالى: { وَأَصْحَابُ الشِّمَال مَا أَصْحَابُ الشِّمَال * فِي سَمُوم وَحَمِيم * وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُوم * لا بَارِدٍ وَلا كَرِيم * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ}[الواقعة:٤١- ٤٥].

٧- وقال تعالى: { وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا} [النساء:٥].

الأدلة من السنة:

١- قال الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه : بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ، وَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالْبَسُوا وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ " وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما): كُلْ مَا شِئْتَ وَالْبَسْ (وَاشْرَبْ) مَا شِئْتَ مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ سَرَفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ.

٢- وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَسْأَلُهُ عَنِ الْوُضُوءِ ؟ فَأَرَاهُ ثَلاَثًا ثَلاَثًا ، ثُمَّ قَالَ "هَكَذَا الْوُضُوءُ فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا فَقَدْ أَسَاءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ"

(السنن الكبرى للنسائي).

٣- وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاَثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ"(متفق عليه).

٤- وعَنْ خَوْلَةَ الأَنْصَارِيَّةِ (رضي الله عنها) قَالَتْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ:" إِنَّ رِجَالاً يخوضون فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (صحيح البخاري) .

٥- وعن الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ (رضي الله عنه) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ:" مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ،

حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ، يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ" (شعب الإيمان).

ثالثاً: الموضوع:

إن الإسلام دين الوسطية والاعتدال ، والقسط والميزان ، وبهذه المبادئ تميز عن غيره من الأديان فى كل نواحى الحياة، فى أحكامه وتوجيهاته، ومواقفه فى العادات والعبادات، والمعاملات والتصرفات، والأخلاق والسلوك، والعقل والفكر، فالتوسط والاعتدال أصل من أصوله التَّشريعية ، ومبادئه الأساسية ، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً) [البقرة :١٤٣].

وكذلك من أصول الإسلام التشريعية أيضًا: حفظ الأمور الضرورية للنَّاس، وهى: الدِّين، والنَّفس، والمال، والعِرْض، والعقل، ومن هذا المنطلق جاءت النُّصوص الشَّرعية تحذِّر من الإسراف والتَّبذير، وتنْهى عن البخل والتَّقتير.

كذلك أكد الإسلام أن المسلم الحق معتدل في حياته ، ومقتصد في أموره كلها، لا إفْراطَ ولا تفريطَ ، لا غُلُو ولا مُجافَاةَ، لا إسراف ولا تقتير، لأنه ينطلق في ذلك من تعاليم الإسلام التي تأمره بالاعتدال والتوازن والاقتصاد في جميع الأمور، وتنهاه عن الإسراف والتبذير، فعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ :" كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالْبَسُوا وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ"، قال المناوي (رحمه الله تعالى): وهذا الخبر جامع لفضائل تدبير المرء نفسه، فالإسراف يضر بالجسد والمعيشة، والخيلاء تضر بالنفس حيث تُكسبها العُجْب، وبالدنيا حيث تُكسب المقت من الناس، وبالآخرة حيث تُكسب الإثم .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) : كُلْ مَا شِئْتَ وَالْبَسْ وَاشْرَبْ مَا شِئْتَ مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ سَرَفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ . ويقول أبو بكر الصديق(رضي الله عنه) : إني لأبغض أهل بيت ينفقون رزق أيام في يوم واحد ، فالاقتصاد في الإنفاق طريق الغنى والسعادة والراحة ففي الأثر: مَا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ ، وفي الأثر أيضًا : من اقتصد أغناه الله، ومن بذر أفقره الله .

كما مدح الله سبحانه وتعالى المحافظين على هذه الوسطية وهذا التوازن وعدّهم من عباد الرحمن الذين ينالون كل خير ويجزون الغرفة بما صبروا، فقال سبحانه:{وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الفرقان:٦٧].

إن الإسراف من أمراض هذه الأمّة ، وآفة من آفات العصر الحديث ، وداء فتَّاك يهدّد الأمم والمجتمعات، ويبدّد الأموال والثروات، وهو سبب للعقوبات والبليات العاجلة والآجلة، فالمسرف لا يَقدر نعمة الله حقَّ قدرها ، فيتناول هذه النعمة بما ينبغى لها من المحافظة عليها، واستعمالها فيما خُلقت له، واستخدامها فيما يحبُّ الله تعالى ويرضى ، بالقصد وبالاعتدال والتوسط ، دون إسراف ولا تقتير، فهذا هو شأن الإنسان المؤمن، وهذا ما أقام الله عليه الحياة، وأقام عليه هذا الكون ، كما قال سبحانه:{وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَان * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ} [الرحمن:٧-٩] ، لا طغيان: لا تجاوز للحدِّ. ولا إخسار: لا نقص عنه، ولا تطفيف فيه.

ومن الجدير بالذكر أن الإسلام يسعى إلى إقامة اقتصاد دائم متين ، أساسه المعاملات الشرعية، لذلك حرم كل ما من شأنه الإخلال بهذه المعاملات ، فنهى عن الإسراف والتبذير نهيا شديدًا، فقال عزَّ من قائل:{ كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}[الأعراف:٣١] ، وقال جلّ وعلا فى ذمِّ المبذرين:{...وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِين وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا}[الإسراء: ٢٦-٢٧]، فالتبذير المنهى عنه إنفاق المال فى غير حقه ، وتفريقه فيما لا ينبغى.

وفى تشبيه المبذر فى هذه الآية بالشيطان فى سلوكه السيئ ، وفى عصيانه لربه ، إشعار بأن صفة التبذير من أقبح الصفات التى يجب على العاقل أن يبتعد عنها ، حتى لا يكون مماثلاً للشيطان الجاحد لنعم ربه ، الكافر بها.

ومن ثم كان المبذرون إخوان الشياطين؛ لأنهم ينفقون فى الباطل، وينفقون في الشر، وينفقون في المعصية، فهم رفقاء الشياطين وأصحابهم،

فالشيطان لا يؤدي حق النعمة، كذلك إخوانه المبذرون لا يؤدون حق النعمة، وحقها أن ينفقوها فى الطاعات والحقوق غير متجاوزين ولا مبذرين.

فالإسراف مفسدة للنفس والمال والمجتمع، والتقتير مثله، حبس للمال عن انتفاع صاحبه به وانتفاع الجماعة من حوله، والإسراف والتقتير يحدثان اختلالاً فى المحيط الاجتماعى والحياة الاقتصادية ، وانتشار الجرائم بكل أنواعها، بالإضافة إلى فساد القلوب والأخلاق ، لذلك أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالتوازن والتوسط فى النفقة ، فقال سبحانه: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا } [الإسراء:٢٩]، ويقول سبحانه: {والَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الفرقان: ٦٧].

فالتوجيه القرآنى يرشد الإنسان إلى أن يكون متوسطًا فى أموره كلها، معتدلاً فى إنفاق أمواله، بحيث لا يكون بخيلاً ولا مسرفًا ؛ لأن الإسراف والبخل يؤديان به إلى أن يصير مذمومًا من الخلق والخالق ، ومغمومًا منقطعًا عن الوصول إلى مبتغاه بسبب ضياع ماله، واحتياجه إلى غيره.

إن الناظر اليوم فى أحوال كثير من الناس على اختلاف طبقاتهم يراهم قد بالغوا فى الإسراف والتبذير فى جميع شئون حياتهم وأمورهم، فإذا نظرنا إلى مظاهر الإسراف والتبذير فى حياة الفرد والمجتمع نجدها كثيرةً ومتعددةً ، فنرى إسرافًا فى الطعام والشراب مع أن الإسلام نهى أتباعه عن ذلك ، فقال تعالى :{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف:٣١]، وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) :" مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ، يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ"(شعب الإيمان).

وكذلك نهى الإسلام عن الإسراف فى الملبس بجانب الطعام والشراب ، بل نهى حتى عن الإسراف فى الصدقات، فقال (صلى الله عليه وسلم) فى حديث عمرو بن شعيب الذي ذكرناه آنفًا: " كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالْبَسُوا وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ" ، كذلك نرى إسرافًا فى الولائم العامة والخاصة وذلك للتفاخر والتعاظم والتكبر، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّهُ

كَانَ يَقُولُ: بِئْسَ الطَّعَامُ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُدْعَى إِلَيْهِ الْأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الْمَسَاكِينُ (صحيح مسلم)، وإسرافًا في الكماليات، فنجد أقوامًا من الناس يتباهون بكثرة الإنفاق ولو بالدَّين تكبرًا وتفاخرًا ، وإسرافًا في استخدام الماء ، حيث يستخدم بعض الناس الماء استخدامًا فيه سرفٌ شديد ، فإنهم يهدرون الماء في الحقول، وفي البيوت، وفي المدارس، وفي الطرقات يغسلون بها سياراتهم بخراطيم المياه دون ضابط مما يسبب إهدارًا للماء وإفسادًا للطريق، إنهم لايدرون أن الله تعالى سيحاسبهم على كل نقطة ماء يهدرونها، فالماء أغلى ما في الحياة، بل هو الحياة، يقول الله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ} [الأنبياء:٣٠].

فلنتق الله فيما أنزله الله تعالى من السماء طهورًا، وقد نهى (صلى الله عليه وسلم) عن الإسراف في الماء حتى في الوضوء ، ففي سنن النسائي وابن ماجه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) توضأ ثلاثًا ثلاثًا ثم قال:"هَكَذَا الْوُضُوءُ فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا فَقَدْ أَسَاءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ"، وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْن عَمْرو (رضي الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) مَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَقَالَ: "مَا هَذَا السَّرَفُ ؟ فَقَالَ : أَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَر جَار" (سنن ان ماجة).

وكذلك نجد إسرافًا في استخدام الطاقة ، فنرى الكثير من الناس يسرفون في استخدام الطاقة بسفه شديد أو بغفلة وعدم إدراك للأمور أو تكاسل أو نحوه ، بل إن بعضهم يسرقونها، ويتهربون من سداد فواتيرها، وهذا محرم شرعًا ؛ لأن ذلك يعدُّ خيانة للأمانة ، وإهداراً للمال العام، وإسرافًا في الشهوات والملذات، ومنشأ ذلك كله الجهل والغفلة ، والبعد عن تعاليم الإسلام، ومن ثمَّ فقد حرم الإسلام كل مظاهر الإسراف والتبذير وحياة الترف لما في ذلك من أضرار دنيوية وأخروية .

ولخطورة الإسراف والتبذير قرر الإسلام حكمًا شرعيًّا وهو: الحجر على السفيه ومنعه من التصرف في المال بكل أنواعه، وجعل له وليًا يعطيه قدر حاجته، فقال تعالى:{ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا}[النساء:٥] ، فالآية الكريمة

نهت الأولياء عن إعطاء السفهاء من اليتامى أموالهم التى جعلها الله مناط عيشهم، خشية إساءة التصرف فيها لخفة أحلامهم، والمراد بالسفهاء كل من لا يحسن المحافظة على ماله لصغره، أو لضعف عقله، أو لسوء تصرفاته سواء أكان من اليتامى أم من غيرهم.

والحجر ينقسم إلى قسمين: الأول: الحجر لحق الغير مثل: الحجر على المفلس فإنه يمنع من التصرف فى ماله محافظة على حقوق الغير، فقد حجر الرسول (صلى الله عليه وسلم) على معاذ وباع ماله فى دينه-

(رواه سعيد بن منصور).

والثاني: الحجر لحق المال مثل: الحجر على الصغير والسفيه والمبذر والمجنون فإن فى الحجر على هؤلاء مصلحة تعود عليهم وعلى المال بالحفظ، ذلك لأن المال إنما هو مال الله، يقول سبحانه: {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ} [الحديد: ٧]، ويقول سبحانه: {وَآتُوهُمْ مِنْ مَال اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ } [النور: ٣٣]، فنحن مستخلفون فيما تحت أيدينا من أموال، فمن أحسن الاستخلاف كانت له حرية التصرف فى ماله، ومن أساء الاستخلاف أو لم يكن أهلاً له وجب أن يكون له ولىٌّ يحول بينه وبين الإسراف والتبذير.

وللإسراف والتبذير أضرار وخيمة على الفرد والمجتمع، حيث يؤدي إلى الاستخفاف بنعم الله والانغماس فى الشهوات والأنانية وحب الثراء ونسيان المحرومين، كما يؤدي إلى ظهور طبقة مترفة تعيش على الفواحش وتضييع الثروات واختلال التوازن فى المجتمعات، فقد ذم الله تعالى الترف وعابه وتوعد أهله فى كتابه ، إذ قال تعالى: { وَأَصْحَابُ الشِّمَال مَا أَصْحَابُ الشِّمَال * فِي سَمُوم وَحَمِيم * وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُوم * لا بَاردٍ وَلا كَريم * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ} [الواقعة:٤١- ٤٥].

كما أن التبذير والإسراف يؤدي بصاحبه إلى إضاعة المال وتبديد الثروة، فكم من ثروات عظيمة وأموال طائلة بددها التبذير وأهلكها الإسراف، وأفناها سوء التدبير، وقد نهانا الإسلام عن إضاعة المال والتخوض فيه بغير حق ، ففي

حديث المغيرة (رضى الله عنه) قال: سمعنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول:" إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاثًا قِيلَ وَقَالَ وَإِضَاعَةَ الْمَال وَكَثْرَةَ السُّؤَال" وكذلك قال (صلى الله عليه وسلم): " إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَال اللَّهِ بِغَيْر حَقٍّ فَلَهُمْ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

والإسراف والتبذير هما من أسباب الضلال فى الدين والدنيا، وعدم الهداية لمصالح المعاش والمعاد، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ}[غافر:٢٨] ، وقال سبحانه: { أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ}[الزخرف:٥] وقال سبحانه: { كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[يونس:١٢].

فالإسراف يحرم الإنسان محبة الله (عز وجل) اسمعوا قول الله تعالى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف:٣١]. وماذا يصنع من حُرم محبة الله؟! وهل يفلح إنسان حرمه الله تعالى من محبته؟! إنه يعيش فى قلق، ويعيش فى اضطراب، ويعيش فى ألم نفسى، وإن أحاطت به الدنيا من كل جانب.

وكذلك الإسراف والتبذير من أقصر الطرق إلى جهنم، قال تعالى: {..وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّار}[غافر:٤٣]. بل إن الإسراف والتبذير يشكلان جريمة على العالم كله ويدفع ثمنها الضعفاء والفقراء ومتوسطوا الحال طيلة حياتهم ويرثها أجيالهم المستقبلية.

فالتاريخ والواقع ينبئان بالعلاقة الطردية بين مستوى الرفاهية والبذخ والترف الذي يعيش فيه الأفراد وبين معدلات الاندثار والهلاك التى يحتمل أن يصاب بها مجتمع ما ، فكلما زادت معدلات الإسراف والإنفاق زادت احتمالات السقوط والتردي الاجتماعى التى ربما أصيب بها المجتمع فى مرحلة تالية، وهذه سنة كونية وشرعية لا تتبدل؛ قال تعالى: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً}
[الإسراء: ١٦].

فالإسراف والتبذير طريق من طرق كفران النعمة، يؤدي إلى الهلاك والتدمير، قال تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَان فَكَفَرَتْ بِأَنْعُم اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوع وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [النحل:١١٢] .

لأجل ذلك كان التحذير الشرعي المستمر من الإسراف والتبذير والترف، بل والحث على التقلل من مباهج الحياة الدنيا قدر ما يستطيع الإنسان، لكيلا تسيطر عليه شهواتها وملذاتها وتسيِّره حيث تشاء، فيصير عبدًا لها، فالأفراد يكتسبون قوتهم باستعلائهم على الشهوات والملذات واستغنائهم عنها.

حرمة التلاعب بأقوات الناس وحاجاتهم الأساسية

أولاً : العناصر:

١- حث الإسلام على التراحم والإحسان بين الناس في المعاملة.

٢- الحث على الكسب الحلال ، والتحذير من الكسب الخبيث .

٣- النهي عن الغش ، والاحتكار ، وغلاء الأسعار.

٤- النهي عن التلاعب بأرزاق الناس وأقواتهم.

ثانياً: الأدلة:

الأدلة من القرآن:

١- قال تعالى: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة: ١٩٥]

٢- وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [البقرة: ١٧٢].

٣- و قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا } [النساء: ٢٩].

٤- وقال تعالى: {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ}[آل عمران/١٦١].

٥- وقال تعالى: { وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ }

[أول سورة المطففين].

الأدلة من السنة :

١- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): " الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ" (سنن الترمذي).

٢- و عَـنْ جَـابِرِ بْـنِ عَبْـدِ اللَّـهِ (رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهُمَـا) أَنَّ رَسُـولَ اللَّـهِ (صلى الله عليه وسلم) قَـالَ : "رَحِمَ اللَّـهُ رَجُلاً سَـمْحًا إِذَا بَـاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى" (صحيح البخاري).

٣- وعَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ (رضي الله عنـه) عَـنْ النَّبِـيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : " يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ أَمِنَ الْحَلاَلِ أَمْ مِنْ الْحَرَامِ"(صحيح البخاري).

٤- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): "كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ" (صحيح مسلم).

٥- و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) مَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ مِنْ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً، فَقَالَ: " يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ، مَا هَذَا؟"، قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَـا رَسُـولَ اللَّـهِ، قَـالَ: " أَفَـلاَ جَعَلْتَـهُ فَـوْقَ الطَّعَـامِ حَتَّـى يَـرَاهُ النَّاسُ"، ثُمَّ قَالَ: " مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا" (سنن الترمذي).

٦- وعَـنْ مَعْمَرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَدَوِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) :" لاَ يَحْتَكِرُ إِلاَّ خَاطِئٌ" (صحيح مسلم).

٧- وعَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ (رضـي الله عنـه) قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : " مَنِ احْتَكَرَ حُكْرَةً ، يُرِيدُ أَنْ يُغْلِيَ بِهَا عَلَـى الْمُسْـلِمِينَ، فَهُـوَ خَـاطِئٌ " (مسـند أحمـد) ، وفي روايـة : (... وقد بَرِئَت منه ذمة الله ورسوله) (كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال).

٨- وعن عُمَرَ بن الخطاب (رضي الله عنه) قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: (مَنِ احْتَكَرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ طَعَامًا ضَرَبَهُ اللهُ بِالْجُذَامِ وَالْإِفْلَاسِ) (سنن ابن ماجه).

٩- و عَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي اللَّهُ عَنْهُمَا) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : " مَنِ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الله ،

وَالله بَرِئٌ مِنْهُ ، وَأَيُّمَا أَهْلِ عَرْصَةٍ ظَلَّ فِيهِمُ امْرُؤٌ جَائِعًا ، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ الله"(مسند أحمد).

١٠- وعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ (رضي الله عنه) قال: سمعتُ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "مَنْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْعَارِ الْمُسْلِمِينَ لِيُغَلِّيَهُ عَلَيْهِمْ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُقْعِدَهُ بِعُظْمٍ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (رواه أحمد). وعند البيهقي في السنن الكبرى "كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَقْذِفَهُ فِي مُعْظَمٍ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

ثالثاً : الموضوع:

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِيْنَ، وَلاَ عُدْوَانَ إلاَّ عَلَى الظَّالِمِيْنَ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ وَلِيُّ الصَّالِحِيْنَ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ إِمَامُ الأَنبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِيْنَ، وَأَفْضَلُ خَلْق اللهِ أَجْمَعِيْنَ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِيْنَ لَهُمْ بِإِحْسَان إِلَى يَوْم الدِّيْن.

أما بعد: فإن الإسلام بوسطيته وشمولية منهجه جاء بما يتماشى مع حياة أتباعه الاجتماعية ، ويتوافق مع تطلعاتهم المعيشية واحتياجاتهم الدنيوية، فلا يصطدم مع طبيعتهم البشرية بل يهذبها ويصون كيانها، ولا يقف حائلاً دون رغباتهم الإنسانية بل يشبعها وينظم دوافعها دون ميل أو حيف ، فهو دين شامل لكل نواحي الحياة، فلا تجد أمرًا من أمور الدنيا يحتاجه الناس، إلا وجد له العلاج الأمثل الناجح الذي يعالج هذا الأمر في كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، قال تعالى : {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا} [المائدة: ٣].

ولقد جاءت الشريعة الإسلامية بسبل التعامل الحلال ، وبتيسير الأمور على العباد ، وحثت على تبادل المنافع بين الناس بما يحقق لهم السعادة والاستقرار ، فأمرت بالتراحم والإحسان بين الناس في التعامل حتى تنتشر بينهم المودة والمحبة ، ويشيع التعاون والتآزر في معاملاتهم ، قال تعالى : {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[البقرة: ١٩٥] ، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو –

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْض يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ"

(سنن الترمذي).

ولما كان الإنسان مجبولاً على حب المال حريصاً على طلبه وتحصيله – لأن به قوام حياته وانتظام أمر ه ومعاشه – جاء الشرع الحنيف بالحث على السعى فى تحصيل المال واكتسابه مما أذن الله به وشرعه من طرق الكسب الحلال والعمل المباح ، فأباح كل كسب ليس فيه اعتداء ولا ظلم ولا ضرر على الغير ، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [البقرة: ١٧٢].

ومن ثمَّ حثت الشريعة الإسلامية التاجر المسلم على السهولة واليسر ، والسماحة وحسن المعاملة ، ونبل الأخلاق فى البيع والشراء ، وحضت على الشفَقَة والعَطف بإخوانه المسلمين، لا يغالى فى الرِّبح، ولا يبالغ فى التكسُّب، ولا يرهق كواهل إخوانه ، فذلك سبب إلى وجود البركة فى الرزق ، والسعة فى الأموال، لأن النبى(صلى الله عليه وسلم) لا يحض أمته إلا على ما فيه النفع لهم فى الدنيا والآخرة ، فقد دعا (صلى الله عليه وسلم) بالرحمة لمن فعل ذلك ، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : "رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى" (صحيح البخاري). وفى رواية للترمذي من حديث جابر – أيضاً – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): " غَفَرَ اللَّهُ لِرَجُل كَانَ قَبْلَكُمْ، كَانَ سَهْلاً إِذَا بَاعَ، سَهْلاً إِذَا اشْتَرَى، سَهْلاً إِذَا اقْتَضَى" .

وفى المقابل حرمت الشريعة الإسلامية كل صور المعاملات المحرمة ، التى تؤدي إلى الكسب الخبيث ، والتى من شأنها أن توغر الصدور ، وتفسد العلاقة بين المسلمين ، فحرمت أكل أموال الناس بالباطل ، والغش فى التعامل بين المسلمين ، و حرمت احتكار السلع الأساسية التى يحتاجون إليها ورفع أسعارها ، وحرمت التضييق على عباد الله فى أرزاقهم ، والتلاعب بأقواتهم و حاجاتهم الأساسية .

فكل ذلك من المحرمات والكسب الخبيث ؛ لأنه إثراء بغير حق على حساب أقوات الناس وحاجاتهم الأساسية ، بل نوع من أنواع الغلول (السرقة) والله تبارك وتعالى يقول: {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ}[آل عمران/١٦١]. وسوف يسأل عنه الإنسان يوم القيامة ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : " لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ " (رواه الترمذي).

ولما كانت المكاسب الخبيثة محرمة ؛ لما يترتَّب عليها من ظلم وعدوان ، وعدم تحقيق العدل والمساواة بين المسلمين، فقد حذَّرنا منها ديننا الحنيف ، وسدَّ الأبواب الموصلة إليها ، وحرص على توجيهِ المسلم وإرشادِه حتى يكونَ حريصًا على تنقيةِ مكاسبِه من كلِّ كسبٍ خبيثٍ أو مال محرَّم ، ومن ثمَّ حرَّم الكسبَ الخبيث بكل الطرق والأساليب .

ومن ذلك : أكل أموال الناس بالباطل ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا } [النساء: ٢٩]. وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): " كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ" (صحيح مسلم).

إنَّ المتأمِّلَ فى عالم الناس اليوم يرى أنه عالمٌ تغيَّرت فيه كثيرٌ من القِيَم الصّحيحة ، وتبدَّلت فيه المفاهيمُ المستقيمة ، عالمٌ سَيْطَرَت فيه المادة على نفوس كثير من الناس ، وإيثارُ المال هَيْمَن على قُلوبِهم، فراحوا يجمعون الدّنيا بكلِّ طريق ويستكثِرون منها بأيِّ سبيل، وتساهلوا فى جمع الأموال، لا يهمهم حلال أم حرام ، حتى صدَق عليهم إخبارُ المصطفى (صلى الله عليه وسلم) بقولِه : "يَأْتِى عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يُبَالِى الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ أَمِنَ الْحَلاَلِ أَمْ مِنَ الْحَرَام" (صحيح البخاري).

ونظراً لما يترتب على الكسب الخبيث من آفاتٍ وشرور جاءت شريعة الإسلام ضابطةً لتصرفات البيع والشراء والتعاملات المالية بما يحقق التوازن بين سعْي التجار في تحصيل الأرباح، وسعْي العامة في تلبية احتياجاتهم،

فحرمت كل ما يؤدي إلى التلاعب بأقوات الناس وحاجاتهم الأساسية ، ومن ذلك : الغش بجميع صوره :

فقد أكد القرآن الكريم حرمة هذه الآفة الخطيرة – وهى الغش – وتوعد عليها بالويل والخسران ، لمن يتلاعب بالوزن والكيل ، فقال سبحانه: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتالُوا عَلَى النَّاس يَسْتَوْفُونَ * وَإِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ }[أول سورة المطففين].

وقد حذر نبى الله شعيب (صلى الله عليه وسلم) قومه من بخس الناس أشياءهم والتطفيف فى المكيال والميزان ، كما حكى الله (عز وجل) ذلك عنه فى القرآن ، فقال:{ وَيَا قَوْم أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْض مُفْسِدِينَ}[هود: ٨٥].

فالذي يغش الناس يعتبر آكلاً للحرام؛ لأنّ الواجبَ على البائع الصدقُ فى بيعه، وأن لا يخدَع ولا يغشَّ ولا يخون، بل يكون إخبارُه صحيحًا صِدقًا، فإن دلَّس وغشَّ وخان كان آكلاً للمال الحرام.

ومن الغش : دسُّ الرديء فى ثنايا الجيد ، و بيعه جميعاً بقيمة الجيد دون بيان الواقع والحقيقة ، وكذلك إخفاء العيب الموجود فى السلعة ، فإن باع بيعًا يعلَم أنَّ فيه عيوباً قد لا يطَّلع المشتري عليها إلاّ بعد حين يُعتبر بهذا آكلاً للحرام؛ لأن الواجب عليه أن ينصَحَ لإخوانه، وأن يحبَّ لهم ما يحبُّه لنفسه ، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) مَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ مِنْ طَعَام، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً، فَقَالَ: " يَا صَاحِبَ الطَّعَام، مَا هَذَا؟"، قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَام حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ "، ثُمَّ قَالَ: " مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا"

(سنن الترمذي).

وكذلك من المكاسب الخبيثة التى حرمها الإسلام ونهى عنها: احتكار السلع الأساسية التى يحتاجها الناس ، ورفع أسعارها ، وتلاعب بعض التجار بأقوات الناس وضروريات حياتهم.

والاحتكار : حبس ما يحتاج إليه الناس من مال أو منفعة أو عمل ، والامتناع عن بيعه وبذله حتى يرتفع سعره ويغلو غلاءً غير معتاد ، بسبب قلّته

مع شدة الحاجة إليه ، لتحصيل أكبر كسب ممكن . وهذا ليس خاصاً بالأقوات بل هو عامٌ في كل ما يحتاجه الناس ويقعون في حرج أو ضيق إذا فقد أو قَلَّ أو ارتفع سعره ارتفاعاً فاحشاً ، سواءً كان طعاماً أو لباساً أو دواءً أو عقاراً ، أو غير ذلك مما يحتاجه الناس .

فإن العدالة الاجتماعية في المعاملات الإنسانية تقتضي أن يرعى الناس حقوق وحاجات بعضهم البعض ، وأن لا يكون كل منهم سبباً في تضييق العيش على الآخر والإضرار بمصالحه، فذلك مما تستنكفه الفطر السليمة وتترفع عنه الطبيعة الإنسانية، وقبل ذلك تحرمه الأديان السماوية ؛ ذلك لأنه مسبب للفرقة مستنبت للكراهية والضغينة ، مولد لثقافة الحقد والبغضاء بين الناس، كما أنه ضرار بالناس ، والنبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: "لا ضَرَرَ ولا ضِرَارَ" (رواه أحمد في مسنده) .

لقد عاني كثير من المسلمين من احتكار السلع الضرورية وغلاء أسعارها، ولا يزال ذلك في ازدياد، مما أثَّر على معيشة كثير من الناس، وأدى بهم إلى زيادة الحاجة والعوز ، وخاصة الفقراء وأصحاب الحاجات ، وهذا بطبعه فيه إضرار بهم، وهو أيضًا منهي عنه شرعًا؛ فقد تضافرت الأحاديث النبوية على التشنيع على المحتكرين لأرزاق وأقوات الناس بغية التغالي في أسعارها، ومن ذلك: قوله (صلى الله عليه وسلم): "مَن احْتَكَرَ حُكْرَةً ، يُرِيدُ أَنْ يُغْلِيَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَهُوَ خَاطِئٌ " (مسند أحمد) ،

وفي رواية : (... وقد بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ ورسولِه) (كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال). وعَن ابْن عُمَرَ (رضى اللَّهُ عَنْهُمَا) عَن النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : "مَن احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الله ، وَالله بَرِئٌ مِنْهُ ، وَأَيُّمَا أَهْل عَرْصَةٍ ظَلَّ فِيهِمُ امْرُؤٌ جَائِعًا، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ الله" (رواه أحمد في مسنده).

ومما لاشك فيه أن احتكار السلع يحمل في طياته بذور الهلاك والدمار ؛ لما يسببه من ظلم وغلاءٍ في الأسعار ، وإهدار لتجارة المسلمين وصناعتهم، وتضييقٍ لأبواب العمل والرزق ، وانتشار الحقد والكراهية بين الأفراد مما

يساعد على تفكك المجتمع وانهيار العلاقات بين أفراده ؛ لذلك قال النبى (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ يَحْتَكِرُ إلاَّ خَاطِئٌ) (رواه مسلم) ، (والخاطئ هو الآثم).

وليعلم المحتكر أن هذا الربح الزائد الذي يجنيه من احتكاره حرام ، لأنه ليس نظير زيادة فى البضاعة ولا فى صفاتها ، ولا نظير خدمة خاصة يقدمها البائع ، إنما هو إلجاء أصحاب الحاجات إلى شراء حاجاتهم بأكثر من أثمانها الحقيقية ؛ من أجل ذلك كان المحتكر للسلعة ملعوناً ، وخاطئاً، وقد برئت منه ذمة الله ورسوله ، وتوعده الله بالعقاب الأليم، فعَنْ عُمَرَ بْن الْخَطَّابِ (رضى الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ وَالْمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ " (السنن الكبرى للبيهقى) ، وعن عُمَرَ بن الخطاب (رضى الله عنه) قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: "مَن احْتَكَرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ طَعَامًا ضَرَبَهُ اللهُ بِالْجُذَام وَالإِفْلاَس" (سنن ابن ماجه).

فالتاجر الذي يزيد فى السعر من غير مبرر أو يكتم ما فى السلعة من عيوب، أو يبخس فى الكيل والوزن، أو يتلاعب بأقوات الناس وحاجاتهم الضرورية يعد آكلاً للحرام.

أما التاجر الذي يرأف بالناس يرأف الله به، ومن يرحمهم يرحمه الله، ومن ييسر عليهم ييسر الله عليه ، ومن صدق فى بيعه وشرائه نال الأجر العظيم والثواب الجزيل، ويكفيه شرفًا وفخرًا أن ينال الجنة بفضل الله تعالى ورحمته؛ فقد روى الترمذي منْ حديث أَبِى سَعِيدٍ ، قال (صلى الله عليه وسلم) : " التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ".

هكذا جاء الإسلام بشريعته الخالدة داعيًا إلى الخير والعدل والتسامح ومحاربًا لكل ما هو فاسد ويضر بالفرد والمجتمع ؛ لأن التسعير من غير ضرورة ظلم كبير ، والاحتكار نوع من التلاعب بالأسعار واستغلال حاجة المحتاجين .

ولا شك أن لغلاء الأسعار آثارًا سيِّئةً على الفرد والمجتمع، فقد يعجز الفقير عَن شِراءِ حاجاته الضرورية، وقد يتحمَّل ديونًا يعجَز عن أدائها، وقد

يلجأ إلى طرق محرمة للحصول على المال، وتتعمَّق الفجوة بين الناس، وتهن الروابطُ، وتنقَطِع الصِّلات؛ ولذا روي عنه (صلى الله عليه وسلم) الوعيدَ الشديد لمن دخَل في شيءٍ من أسعار المسلمين ظلمًا وعُدوانًا لِيُغَلِّيَهُ عليهم، فعَنْ مَعْقِل بْن يَسَار رضى الله عنه قال: سمعتُ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "مَنْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْعَار الْمُسْلِمِينَ لِيُغَلِّيَهُ عَلَيْهِمْ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُقْعِدَهُ بِعُظْم مِنَ النَّار يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (رواه أحمد). وعند البيهقي في السنن الكبرى "كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَقْذِفَهُ فِي مُعْظَم مِنَ النَّار يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

خطورة التكفير والتخريب والفتوى بدون علم

أولاً : **العناصر**:

١. الإسلام دين الوسطية والاعتدال .
٢. الإسلام يرفض التشدّد والغلوّ والتّطرف.
٣. التحـذير مـن تكفـير المسـلمين ، وبيـان أضـرار ه علـى الفـرد والمجتمع .
٤. كيف نعالج ظاهرة التكفير؟.
٥. خطورة الفتوى بدون علم.

ثانياً : **الأدلة**:

الأدلة من القرآن :

١- قـال الله تعـالى: {وَكَـذَلِكَ جَعَلْنَـاكُمْ أُمَّـةً وَسَـطًا لِتَكُونُـوا شُـهَدَاءَ عَلَـى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَـةَ الَّتِـي كُنْـتَ عَلَيْهَـا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّـنْ يَنْقَلِبُ عَلَـى عَقِبَيْـهِ وَإِنْ كَانَـتْ لَكَـبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـانَكُمْ إِنَّ اللَّـهَ بِالنَّـاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ }[البقرة: ١٤٣].

٢- وقـال تعـالى: {ادْعُ إِلَـى سَـبِيلِ رَبِّـكَ بِالْحِكْمَـةِ وَالْمَوْعِظَـةِ الْحَسَـنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[النحل:١٢٥] .

٣- وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ فَتَبَيَّنُـوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَـرَضَ الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً}[النساء:٩٤].

٤- وقال تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً}[الأحزاب : ٥٨] .

٥- وقال تعالى: { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }[الأنعام: ١٤٤].

الأدلة من السنة :

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ).

(صحيح البخاري).

٢- وعن أنس (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يقول: " لاَ تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدَّدَ عَلَيْكُمْ فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارِ (رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ) ".(رواه أبو داود).

٣- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ".(رواه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجة).

٤- عَنِ ابْنِ سِيرِينَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) يَقُولُ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ ". (صحيح مسلم).

٥- وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ : حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهُ فَفَزِعَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : " لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا". (رواه أبو داود وصححه الألباني).

٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : "إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا "

(رواه البخاري).

٧- وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : " أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ . فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلاَّ رَجَعَتْ عَلَيْهِ".

٨- وعن أبي ذر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ :

" ...وَمَنْ دَعَا رَجُلاً بِالْكُفْرِ أَوْ قَالَ عَدُوَّ اللَّهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلاَّ حَارَ عَلَيْهِ – رجع عليه " (صحيح مسلم).

٩- وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ إِيَّاكُمْ وَأَصْحَابَ الرَّأْىِ فَإِنَّهُمْ أَعْدَاءُ السُّنَنِ أَعْيَتْهُمُ الأَحَادِيثُ أَنْ يَحْفَظُوهَا فَقَالُوا بِالرَّأْىِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا

(سنن الدارقطني).

ثالثاً : الموضوع:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول اللّه، وعلى آله وصحبه ومَن اهتدى بهُداه ، وبعد:

فلقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالاستقامة والاعتدال ، وإن الدين الإسلامي يعارض التطرف والتعصب، ويحترم التعددية الثقافية والدينية والحضارية وينبذ العنصرية ، ويدعو للوسطية التي شَرّفَ بها أُمّةَ الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ، وجعلها أُمّةً وسطًا بين سائرِ الأُمم، فقال تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النّاسِ وَيَكُونَ الرّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}[البقرة: ١٤٣] .

ونهاهم عن الغلو والانحلال، فقال تعالى: { يَاأَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ } (الآية ١٧١ سورة النساء) ، فلا إفراط ولا تفريط ، لا غلو ولا تطرف ولا تشدد في الإسلام ، إنه دين الوسطية والاعتدال والعدل ، دين الرحمة والتسامح والوفاء والصدق ، دين الأخلاق الحميدة الفاضلة.

ولم تعرف البشرية نظاماً ولا ديناً اشتملت مبادئه على الوسطية والسماحة واليسر كالإسلام ؛ لأن تعاليمه تتفق وطبيعة الإنسان الضعيف{ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً}[النساء: ٢٨]، ولذا أوصى النبي (صلى الله عليه وسلم) بالقصد والاعتدال واليسر والسماحة ، فقال (صلى الله عليه وسلم): "إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ". (رواه البخاري).

وفي مواجهة التحديات الخطيرة التي تواجه المجتمع من الجماعات التكفيرية التي تتبنى الإرهاب والتطرف ، ومن دعاة العنف والتخريب والمتسرعين في الفتوى بغير علم ، حثّ الإسلام على الدعوة بالتي هي

أحسن ، فقال تعالى:{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [العنكبوت: ٤٦]. وقال تعالى :{ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [النحل: ١٢٥].

لذلك حذر النبي (صلى الله عليه وسلم) من الغلو في التدين، وأنكر على من بالغ من أصحابه في التعبد والتقشف مبالغة تخرجه عن حدّ الاعتدال فعن أنس (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يقول: " لاَ تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدَّدَ عَلَيْكُمْ فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِى الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارِ (رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ) ".(رواه أبو داود).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ".(رواه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجة). فالإسلام يرفض الغلو والتطرف والتشدد في الدين ؛ لأنه خلاف ما جاء به.

ومَن تأمَّل مقاصدَ الشّرع في العبادات والمعاملات والآدابِ والأخلاق والأوامِر والنّواهي تبيّن أن له مقصداً كبيراً وغاية عُظمى، وهي جمعُ الكلِمة وغرسُ المحبّة وزرعُ الأُلفة ونشر المودّة بين أفرادِ الأمّة، والحثّ على التناصُر والتعاون ، والبعدُ عن أسباب العداوة والبغضاء وما يحمِل على الكراهة والشّحناء ، وما يثير الأحقادَ والأضغان ، والتحذيرُ الشديد مِن الطّعن في المسلمين والتّشهير بهم وإساءةِ الظنِّ بهم واتهامهم ببدعةٍ أو كفر أو فسوقٍ أو نفاق أو ظلمٍ أو جهل ، ومن ثم فإن الإسلام دين الوسطية واليسر والتسامح ، ودين المحبة والألفة والتعاون ، وليس دين قتل أو تخريب أو إرهاب .

أما ما يحدث من تكفير وتطرف وغلو في مجتمعنا.. وما ينشأ عنه من ترويع وإرهاب و سفك للدماء البريئة، وتفجير للمساكن والمركبات والمرافق العامة والخاصة، وتخريب للمنشآت ، فكلها أعمال إجرامية دخيلة على بلادنا وعلى عاداتنا وتقاليدنا ، إنها إفساد في الأرض وإشاعة للرعب والخوف ،

واستهداف للأمن والأمان والاطمئنان ، والإسلام بريء منها ، وكذلك كل مسلم يؤمن باللّه واليوم الآخر بريء منها، فديننا الحنيف حذّر من إرهاب الآخرين ، ونهى عن ترويع الآمنين وتخويفهم، وحرّم التعدي عليهم ، لأنه إجرام تأْباه الشريعة والفطرة ، يقول (صلى الله عليه وسلم): « مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ »

(صحيح مسلم)

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِى لَيْلَى قَالَ : حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهُ فَفَزِعَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : " لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا ".

(رواه أبو داود وصححه الألباني)

ولا يمكن لوطني عاقل أن يقبل بمظاهر الحرق والتخريب والتدمير التي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون تظاهراً سلمياً مقبولاً، أو مجرد تعبير عن الرأي، أو مجرد احتجاج، فضلاً عن أن يكون مشاركاً فيها، أو مؤيداً لها، أو متعاطفاً معها إلا إذا كان قد انسلخ من كل معاني الوطنية، فإن من يسلك هذه المسالك التكفيرية أو التخريبية أو يقدم على الفتوى بدون علم لن يجنى إلا حسرة وندماً وسوء عاقبة .

إن الإسلام وشريعته السمحة منذ نزول الوحي علي سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) يمنع أي تعدّ سواء أكان علي أصحاب الديانات المخالفة أو علي المتّحدين في الديانة ، كما يتبرأ ممن يحملون السلاح علي الأمة ويخرجون علي المجتمع ؛ لقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : "من حمل علينا السلاح فليس منا " (متفق عليه) .

ويتوعد القرآن الكريم من يستحل القتل ودم الأبرياء بالعقاب الأليم، يقول تعالي: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا } [النساء: ٩٣].

فالإسلام أكّد علي حفظ الحرمات – حرمة النفس والعرض والمال – وحذر من العدوان عليها ، وشرع الحدود والعقوبات صيانة لتلك الحقوق ،

فكل من يرهب ويفزع الآمنين ويشهر السلاح يكون من أهل الفساد ومن المحاربين ويستحق قوله تعالي: { إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[المائدة ٣٣].

فالإرهاب والإضرار بالناس والتعدي عليهم وهم آمنون ، وقذف الأحكام والفتاوى جزافاً على الناس ليس من الدين في شيء .

والمتأمل في زماننا هذا يجد أن بعض الناس أصبح يطلق الأحكام كيفما يشاء بدون علم ولا بصيرة ، فمن وافق هواه واتبع فكره أطلق له عبارات المدح والثناء ، ومن خالفه في بعض الأفكار والأمور أطلق عليه أبشع الألقاب والصفات ، وربما وصل ذلك إلى وصفه بالردة والخروج عن الملة -والعياذ بالله - لمجرد فعله معصية أو ارتكاب كبيرة بحق الله سبحانه وتعالى.

وإن من أخطر تلك الأحكام المتساهل بها هو (التكفير) ، فإذا شرُف المرء بالإسلام ودخل فيه يقيناً فلا يجوز الحكم عليه بالخروج منه إلا بحجة قاطعة ويقين جازم ، لا بالظنون والشكوك والأوهام والتخرصات والهوى الذي يحكم به الإنسان لمجرد هواه من غير بينة من رب العالمين.

ومن عِظمِ ذلك جاءت نصوص الكتاب الكريم باحترام المسلمين – دينهم وأعراضهم – حتى يكون المسلم على بصيرة من أمره ، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً}[النساء:٩٤].

فنهاهم أن يطلقوا الكفر على من أظهر الإسلام حتى يتبين حقيقة الأمر ، فإن من أعلن إسلامه وجب علينا قبول إسلامه والحكم عليه بالإسلام ظاهراً إلى أن يأتي ما يناقض ذلك، قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً} [الأحزاب: ٥٨]، فرميه بالكفر من أعظم الأذى والإيلام له، ثم حذرنا الحق– سبحانه – من

الحكم على الأمور بلا علم ولا بصيرة ، فقال: {وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً}[الإسراء: ٣٦].

وكذلك بينت السنة النبوية خطورة إطلاق الكفر بمجرد الظن والهوى بغير علم وحذّرت المسلم من ذلك، فقال (صلى الله عليه وسلم) : " إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا " (رواه البخاري). وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: " أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلاَّ رَجَعَتْ عَلَيْهِ ". أي إذا قلت لإنسان يا كافر فإنه يبوء بها إما أنت أو هو فإن كان ليس كذلك رجع ذلك الإثم عليك فيخشى عليك بأن تكون كافراً بعد إسلامك .

إن للتكفير أخطاراً عظيمة ، ويترتب عليه أمور عظيمة ، فقف عند حدك أيها المسلم ولا تحكم إلا بحكم شرعي ، فإن أثر التكفير على الفرد، والجماعة المسلمة ، وعلى الإسلام عموماً، فضرره على الفرد : إذا حكمت عليه بالكفر فمعناه أنك حكمت بردته، وحكمت عليه بالخلود في النار ، وفرقت بينه وبين امرأته، ولم تجعل له ولاية على أولاده ، ولا ميراث له، ولاتصل عليه، ولا تدفنه في مقابر المسلمين، ولا يجوز التوارث بينه وبين أبناءه وزوجه ؛ لأنك حكمت عليه بالكفر ، فيترتب على هذا الحكم أمور كثيرة فكيف ترضاها أيها المسلم بلا دليل ولا روية، إن ذلك خطر عظيم.

وأما ضرره على الجماعة المسلمة : فإنه يشتت الكلمة ويفرق الصف ، ويغرس العداوة والبغضاء في النفوس ، ويخالف ما دعت الشريعة إليه من التعاون والتآلف والتناصر ، ويغلق باب التناصح والدعوة إلى الله بالتي هي أحسن، إذ الداعي إلى الله لا يهمه التكفير وإنما مبدؤه الإصلاح والترغيب في الإسلام ، وبيان محاسنه وفضائله ودعوة الناس إليه ، أما أن يواجه الناس بالتكفير من قبل أن يقيم عليهم الحجة فهذا أمر خطير يترتب عليه مفاسد عظيمة.

وأما ضرره على الإسلام عموما فإن هؤلاء الذي يكفرون الناس بلا حجة يشوهون سمعة الإسلام، ويظهرون أن دين الإسلام دين الإرهاب وسفك

الدماء ، وانتهاك الأعراض ونهب الأموال، ويشوهون صورة الإسلام بما يحدثونه ، إذ هذه الكلمة تسبب لهم عدم احترام الدماء والأموال والأعراض حيث حكموا بالكفر فرتبوا على هذا الكفر ما يقصدون وما يريدون وهذا أمر خطير .

إن قضية التكفير والتخريب والفتوى بدون علم قضية خطيرة ، فكم فرقت الأمة في القرون الخالية ، وكم زلت بها أقدام ما كانت لتزل ، وضلت فيها أفهام ما كانت لتضل وذلك بالتباس الأمر على بعض الناس حتى ترتب على ذلك أمور خطيرة .

وعلاج هذه الظاهرة يتمثل في توعية المجتمع المسلم بكافة أطيافه ، وأن نوضح لهم خطر هذا المنهج وضرره ومساوئه ومفاسده في الحاضر والمستقبل ، وأن تكون التوعية والتربية الصالحة على الخير لا على هذا الأمر الخطير لنكون على بصيرة من أمرنا ، وأن نعالج الأفراد الذين وقعوا فيما وقعوا فيه بأن نزيل عنهم الشبهة والغشاوة التي طرأت عليهم ونوضح لهم الحق بالتوعية الصادقة والنصيحة الهادفة ، فكم من أناس انخدعوا واغتروا بدعاة ضلال وفساد ظنوا أنهم على خير وأنهم محقون ولكنهم مسيئون لهم فساءت أفهامهم وقلَّ إدراكهم ، فلا بد من توجيههم وإزالة كل الغشاوة التي علقت بأذهانهم.

ومن ثمَّ كان النهي عن تكفير المسلمين جزافاً بدون علم أو سند شرعي ، قال تعالى: { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[الأنعام: ١٤٤]. فإن كثيراً من العامة يفتي بعضهم بعضاً بما لا يعلمون ، فتجدهم يقولون : هذا حلال وهو مما حرمه الله ، أو يقولون : هذا حرام وهو مما أحله الله ، أما يعلم هذا الذي يفتي بغير علم أن الله سائله عما قال يوم القيامة ؟ أفلا يعلم أنه إذا أضل شخصاً فأحل له ما حرم الله أو حرم ما أحل الله له فقد باء بإثمه وكان عليه مثل وزر ما عمله من إثم بسبب فتواه؟ قال تعالى:{ وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُون * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[النحل:١١٦-١١٧].

وها هو أبو بكر رضي الله عنه (يقول أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا أنا قلت في كتاب الله بغير علم)(رواه ابن ماجه).

وسئل الشعبي عن مسألة فقال لا أحسنها فقال له أصحابه قد استحيينا لك فقال لكن الملائكة لم تستحي حين قالت (لا علم لنا إلا ما علمتنا)

(ابن القيم في إعلام الموقعين صـ٢١٨ ، والآية : ٣٢من سورة البقرة).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : "مَنْ أُفْتِيَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ" (رواه أبو داود في سننه). وفي رواية : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): " مَنْ أُفْتِيَ بِفُتْيَا غَيْرَ ثَبَتٍ ، فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ". (سنن ابن ماجة).

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه) قَالَ : إِيَّاكُمْ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ فَإِنَّهُمْ أَعْدَاءُ السُّنَنِ أَعْيَتْهُمُ الأَحَادِيثُ أَنْ يَحْفَظُوهَا فَقَالُوا بالرَّأْيِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا) (سنن الدارقطنى) .

الرشوة والمحسوبية وخطورة كل منهما على الفرد والمجتمع

أولاً : العناصر:

١. النهي عن أكل أموال الناس بالباطل.

٢. التحذير من الرشوة.

٣. الرشوة تقوّض بنيان المجتمع.

٤. الرشوة وتعطيل مصالح العباد.

٥. التحذير من استخدام النفوذ الوظيفي للمصالح الشخصية.

ثانياً : الأدلة:

الأدلـة من القرآن:

١. قال تعالى: { وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة:١٨٨].

٢. وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ} [النساء:٢٩].

٣. وقال تعالى: { مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا} [النساء:٨٥].

٤. وقال تعالى: { سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ} [المائدة:٤٢].

الأدلـة من السنة:

١. عَنْ أَبِى بَكْرَةَ نفيع بن الحارث (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ – في حجة الوداع– : "... إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ فَلاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا أَوْ ضُلَّالًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ " (متفق عليه).

٢. عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : " إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلاَ يَأْخُذْهَا" . (رواه البخاري).

٣. وعَنْ ثَوْبَانَ (رضي الله عنه) قال: لَعَنَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) " الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ وَالرَّائِشَ " يَعْنِي: الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمَا .
(رواه الإمام أحمد في مسنده).

٤. وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):"الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي فِي النَّارِ" (رواه الطبراني في الصغير).

٥. وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " مَنِ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْ عِصَابَةٍ وَفِي تِلْكَ الْعِصَابَةِ مَنْ هُوَ أَرْضَى لِلَّهِ مِنْهُ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وخانَ رَسُولَهُ وخانَ الْمُؤْمِنِينَ)
(المستدرك).

٦- وعن أبي حميد الساعدي (رضي الله عنه) قال : استعمل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رجلا على صَدَقَاتِ بَنِي سُليم يُدْعَى ابن اللُّتبيّة فلمّا جاء حَاسَبَه ، قال هذا مالُكُم وهذا هَدِيّة، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "فهلاّ جَلَستَ في بيتِ أَبيكَ وأمّكَ حتّى تأتِيكُم هَدِيتّكُم إنْ كنتَ صَادِقًا " ثُم ّخَطَبنا فَحِمدَ الله وأَثنى عَليْه ثُمّ قال: أمّا بَعدُ فإنّي أَسْتَعْمِلُ الرّجُل مِنكُم علَى العملِ مما ولّاني الله فيأتي يقول: هذا مالُكم وهذا هديّة أُهْدِيتْ لي أفلا جَلس َفي بيت ِأبيه وأمِّه حتّى تَأتِيَهُ هَديّته ، والله لا يأخذُ أحدُ منْكم شيئًا بغير حقّه إلا لقي الله يحملُهُ يوم القيامة ، فلأعْرِفنّ أحدًا منكم لقي الله يَحملُ بَعيرًا له رُغاءٌ، أو بقرة َلها خوارٌ ، أو شاةً تَيْعَرُ ، ثمّ رفع يدَهُ حتّى رُئِيَ بياض إبِطِه ِيقول: (اللهم هلْ بلغتَ بصْر عيني وسمْع أُذني).
(رواه البخاري).

٧- وعنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: " لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ " .(المستدرك على الصحيحين)، وفي قصة المخزومية التي سرقت خير دليل على تحريم الرشوة ؛ فقد فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): " أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ " ؟ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فَقَالَ : " وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا "(صحيح مسلم).

ثالثاً : الموضوع:

الحمد لله ربّ العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد ألّا إله إلا الله وحده لا شريك له، وليُّ الصالحين ، شهادةً أدّخرها عنده عُدة ليوم الدين ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله ، المرسلُ رحمةً للعالمين ، ومحجةً للسالكين، وحجةً على الخلق أجمعين، اللهم صلِ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين. وبعد :

فإن المتتبع لشريعة الإسلام يرى أن المال الصالح قوام الحياة ، ولقد أجمع الأنبياء والرسل قاطبة على الديانة بالتوحيد في مللهم ، وعلى حفظ المال والنفس والعقل والعرض.

كما أن الإسلام يدعو إلى كسب المال واستثماره وتنميته بالطرق المشروعة ، ويأبى أي عدوان على حقوق الناس المالية دون سبب مشروع، فيقول جل شأنه : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ} [النساء:٢٩] ويقول جلّ شأنه: { وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ }

[البقرة: ١٨٨].

وكما أن العدوان على الدم والعرض منكر لا يقبل ، فكذلك العدوان على المال ، وفي خطبة الوداع بيّنَ النبيُّ– عليه الصلاة والسلام– ما ينبغي لحقوق الناس المالية من قداسة، فقال بعد أن تساءل : (أي شهر هذا ؟ أي بلد هذا ؟ فَإِنّ دِمَاءَكُم وَأَمْوَلَكُم عَلَيْكُم حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُم هَذَا فِي شَهْرِكُم هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا) (صحيح البخاري).

فمن خالف أمر الله بأكل الحرام فهو المعتدي ، ولا يرضى المسلم أن يُخْرج نفسه عن نطاق محبة الله باعتدائه ، لأن الله يقول: {إِنّ اللّهَ لاَ يُحِبّ الْمُعْتَدِينَ }[المائدة:١٩٠].

إن من طرق اكتساب المال الذي حرمته شريعتنا تحريمًا جازما الرشوة ، أخذًا وإعطاءً وتوسطًا ، وذلك لخطرها الكبير على المجتمعات الإنسانية ، فهي من أشدّ الأمراض الاجتماعية فتكًا بالأمم ، فهي تفتك بالمجتمع فتكًا ذريعًا، وتهدر أخلاق الأمة وكيانها وتعود عليها بالوبال والدمار في الأسر والمجتمعات والأفراد والمال في الدنيا ويوم العرض على الكبير المتعال ، فإذا فشت الرشوة في أمة من الأمم واسْتَمْرَأَ الناس تعاطيَها فاعلم أن الضمائر قد ماتت ، وأن نظام الأمة قد قُوِّض ، فقد شدّد الشرع على آخذها ودافعها والساعي بينهما بأن جعلهم مطرودين عن رحمة الله ، متعرضين لسخطه وغضبه، فَنْ ثَوْبَانَ (رضي الله عنه) قال: لَعَنَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) "الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ وَالرَّائِشَ " يَعْنِي: الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمَا وما دخلت الرشوة عملًا إلا عاقته، ولا مجتمعًا إلا أفسدته ، فكلٌ منهم ظالم المرتشي لأخذه الذي يحمله على الجور في حكمه ، أو التساهل في عمله، والغلظة على من لا يدفع شيئًا ، وتقطيب وجهه أمامه حتى يجعله يهاب من مراجعته ؛ والدافع لها عون كبير على الظلم ، وعلى تشجيع الظالمين ، ومفسد لقلوبهم على الآخرين، الذين تأبى أذواقهم السليمة ، ومظهرهم المستقيم، وعقيدتهم الحية عن دفع الرشوة ؛ والساعي بينهما راضٍ لفعلهما ومقرٌ لمنكَرهما ، والراضي كالفاعل . فالرشوة ُ أكل للأموال بالباطل، وتناول للسحت ، يقول تعالى: {وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ} [البقرة: ١٨٨]، ويقول سبحانه في شأن اليهود: {سَمّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكّالُونَ لِلسُّحْتِ}

[المائدة ٤٢]

يُروى عن عمر (رضي الله عنه) أنه قال بابان من السحت يأكلهما الناس : الرشا ومهر الزانية (أخرجه ابن جرير في تفسيره (٦/ ٢٤٠) وعزاه في الدر المنثور (٣/ ٨١) أيضًا لعبد بن حميد) .

ولم يتوقف الأمر على مجرد النهي عنها وذمها ، بل تعدى ذلك ليصل إلى حد اللعن الصريح الذي يعني الطرد من رحمة الله تعالى ، وما هذا إلا لأن الرشوة قتل لكفاءات المجتمع، ودعوة صريحة لهدم أساساته التي يقوم عليها ازدهاره وتقدمه ، وهي تقديم أهل الكفاءة والخبرة ، فإذا تقهقر هؤلاء

وتصدر المشهدَ أربابُ الأموال الذين لا علم لهم ولا كفاءة ولا مقدرة على قيادة دفة الأمور، فإن المجتمع يصير علي شفا جُرُفٍ هار ، معرض للانهيار في أية لحظة ، فهو وإن بدا قوياً في ظاهره ، إلا أنه خاوٍ من أي مضمون ، ما هو إلا مجرد قشرة خارجية لا يتعدى سمكها قيمة الأموال الزائلة التي شكلهتا وحددت معالمها .

إن ضعاف النفوس من محبي المال يعينون الفاسدين علي إفسادهم ، ويساهمون من حيث لا يشعرون في تقويض قدرات مجتمعهم وفشله ، فحبهم للمال يدفعهم ويسوقهم إلى ارتكاب خطيئة الرشوة ودفع المجتمع إلى الهاوية ، فإن لم يتحملوا المسئولية التي أنيطت بهم فإنهم يعرضون أنفسهم وأهليهم ومجتمعهم إلي الهلاك غير المباشر والذي قد لا يظهر أثره في وقت سريع ، وإنما يسقط المجتمع على المدى الطويل عندما يتحول المجرم إلي بريء والبريء إلي مجرم بفعل الرشوة ، وعندما يتحول صاحب الكفاءة إلى كم مهمل ، وعندما يتحول الشخص التافه إلى قائد أو مسئول أو حتى موظف في غير مكانه.

ففي الحديث الشريف : عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) " مَنِ استعملَ رجلاً من عصابةٍ وفي تلكَ العصابةِ من هو أرضى للهِ منه فقد خانَ اللهَ وخانَ رسولَهُ وخانَ المؤمنين".

(المستدرك وقال :هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

ومن أقبح وأخسِّ الأساليب الملتوية للحصول على الرشوة: تعطيلُ مصالح الناس والتسويف في إنجازها إلى أن يتم أخذ الرشوة، وفي ذلك خيانة للأمانة التي يقول الله تعالي فيها:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ } [الأنفال:٢٧،٢٨].

وهكذا تضيع الأمانات بسبب الرشوة , وتؤكل بسببها أموال الناس بالباطل، وتتحول الأعمال الشريفة إلى أعمال لصوصية ، كرشوة المسئولين في مشاريع الدولة العمرانية من قبل بعض أصحاب الأعمال ، وكرشوة بعض المشرفين على الأعمال من أجل التقصير بالعمل ، وعدم تنفيذ الشروط

المبرمة بالعقود ، وعدم الوفاء بما عليها من التزامات . فالمرتشي يخون الأمانة التي عُهِدَ بها إليه ، ويمنع الحق عن صاحبه ،ويشجع على ضياع الذمم ، وخراب الضمائر وإهدار الشرف والكرامة . والراشي كذلك يساعد المرتشي على أموال الناس بالباطل ، وينمي فيه الخلق السيئ ، وييسر له التحكم فيما هو حق لغيره ، ويستحل ما ليس له ، ومن أجل هذا كان الراشي والمرتشي ملعونين على لسان نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، فعن عبد الله بن عمرو (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "لعنةُ اللهِ على الراشِي والمرتَشِي" (سنن ابن ماجة) ، أي: الآخذ والمعطي.

فالرشوة في الإسلام محرمة بأيةِ صورة كانت ، وبأي اسم سميت ، سواء أسميت هدية أم مكافأة ، فالأسماء لا تغير من الحقائق شيئًا ، والعبرة للحقائق والمعاني لا للألفاظ والمباني . ومن المقرر في الشريعة الإسلامية أن هدايا العمال غلول- وهو الخيانة في المغنم ، والسرقة من الغنيمة قبل القسمة . يقال : غل في المغنم يغل غلولا فهو غال ، وكل من خان في شيئ خفية فقد غلّ - والمراد بالعمال كل من تولى عملا للمسلمين ، وهذا يشمل السلطان ونوّابه وموظفيه ، أيًا كانت مسؤولياتهم , ومهما اختلفت مرتباتهم وتنوعت درجاتهم ، فعن أبي حميد الساعدي قال : استعمل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رجلا على صَدَقَاتِ بَنِي سُليم يُدْعَى ابن اللُّتبيّة فلمّا جاء حَاسَبَه ، قال هذا مالُكُم وهذا هَدِيّة فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : فهلاّ جَلَستَ في بيتِ أَبيكَ وأمّكَ حتّى تأتِيك هَدِيّتُك إنْ كنتَ صَادِقًا ، ثُم خَطَبنا فَحِمدَ الله وأثنى عَلَيْه ثُمّ قال : أمّا بَعدُ فإنّي أَسْتعْمِلُ الرّجُل مِنكُم علَى العملِ مما ولّاني الله فيأتي يقول : هذا مالُكم وهذا هدّية أُهْدِيتْ لي أفلا جَلس في بيتِ أبيه وأمّه حتّى تَأتِيَهُ هَديّته ، والله لا يأخذُ أحدُ منْكم شيئًا بغير حقّه إلا لقي الله يحملهُ يوم القيامة ، فلأعْرِفنّ أحدًا منكم لقي الله يَحملُ بَعيرًا له رُغاءٌ ، أو بقرةً لها خوارٌ ، أو شاةً تَيْعَرُ ، ثمّ رفع يدَهُ حتّى رُئِيَ بياض إبطِه يقول: (اللهُم هلْ بلغتَ بصْر عيني وسمْع أُذني)

(صحيح البخاري)

ففي هذا الحديث وعيد شديد لمن يستغل نفوذه ويستبيح لنفسه أن يأخذ ما لا يحل له أخذه ، وإن ألبسه أثوابا مستعارة كالهدية والوساطة وغير ذلك ، فهذا خيانة في الأمانة ، وسحت لا يبارك الله له فيه ولا في نفسه ولا في أولاده ولا في عائلته ولا إنفاقه في الأمانة ولا مأكله ولا مشربه ، فكل جسم نبت من حرام فالنار أولى به ، كما في حديث كعب ابن عجرة الأنصاري (رضي الله عنه) قال : قال لي رسول الله (صلي الله عليه وسلم): "لا يدخلُ الجنةَ لحمٌ نبتَ من سحتٍ ، وكلُّ لحمٍ نبتَ من سحتٍ فالنارُ أولى به ..." (المعجم الصغير) . فيتعين على الحاكم ومن له ولاية تتعلق بأمور الناس أن لايقبل الهدية ممن لم يكن معتادًا الإهداء إليه قبل ولايته ، فهي في هذا المقام تعتبر رشوة.

ومن ثم فإنه ينبغي على المسلم أن يحذر استغلال وظيفته ومكانه ، بأن يجعل ذلك سببًا لجذب المال ، والثراء من خلال أداء العمل ، فيحابي ويجامل لأجل أن ينال مطامع مادية في عمله ، فذلك المكسب مكسب خبيث ، وأخذ للمال بغير حق ، ولأجل هذا حرّم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) الرشوة ، تحذيرًا للمسلمين من شرها ، وإبعادًا لهم من ضررها ، وحماية لدينهم ، وحماية لأموالهم ، وحماية للمجتمع عموماً . فكم من مظالم انتهكت وكم من دماء ضيعت ، وكم من حقوق طمست ، ما أضاعها وما طمسها إلا الراشون والمرتشون فحسبهم الله الذي لا تنام عينه ، وويل لهم مما عملت أيديهم وويل لهم مما يكسبون.

فأيّ خير يرجى في قوم مقياس الكفاءة فيهم ما يتزلف به المرءوس لرؤسائه من قرابين؟! وأيّ إنتاج يرتجى لأعمال لا تسير عندهم إلا بعد هدايا الراشين والمرتشين ؟! فالرشوة تهدر الحقوق ، وتعطل المصالح ، وبها يقدم السفيه الخامل، ويبعد المجد العامل ، فكم ضَيعتْ من حق ، وأَهدرتْ من كرامة ، ورفعتْ من لئيم ، وأهانت من كريم . إن الرشوة قضية خطيرة ينبغي التصدي لها بقوة والأخذ على متعاطيها بيد من حديد.

عنايةُ الإسلام بالمرأة وإكرامُه لها
ودورها في المشاركة الوطنية

أولاً : **العناصر**:

١- تكريم الله لبني آدم.
٢- مكانة المرأة في الإسلام.
٣- صور ظلم المرأة في الجاهلية .
٤- رعاية الإسلام المرأة في جميع مراحل حياتها.
٥- الحث على مراعاة حق النساء ، ومعاشرتهن بالمعروف .

ثانياً : **الأدلة**:

الأدلة من القرآن :

١- قال الله تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}
[الإسراء:٧٠].

٢- وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[الحجرات: ١٣].

٣- وقال تعالى: { وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [البقرة: ٢٢٨] .

٤- وقال تعالى: {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ}[الشورى:٤٩].

٥- وقال تعالى: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [النحل: ٥٨، ٥٩]. وقال تعالى: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} [التكوير: ٨، ٩].

٦-وقال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: ٩٧].

٧-وقال تعالى: {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً}[النساء:٣٧].

٨-وقال تعالى: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [البقرة: ٢٣٣] .

٩-وقال تعالى: { وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} [الإسراء:٢٣، ٢٤].

١٠- وقال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }

[الروم: ٢١].

الأدلة من السنة :

١- يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا نَعُدُّ النِّسَاءَ شَيْئًا فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ وَذَكَرَهُنَّ اللَّهُ رَأَيْنَا لَهُنَّ بِذَلِكَ عَلَيْنَا حَقًّا (صحيح البخاري).

٢- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ كَانَتْ لَهُ أُنْثَى فَلَمْ يَئِدْهَا وَلَمْ يُهِنْهَا وَلَمْ يُؤْثِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا - قَالَ يَعْنِى الذُّكُورَ - أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ ". (سنن أبى داود).

٣- وعن أنس (رضي الله عنه) عن النَّبي (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : " مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ " وضَمَّ أَصَابِعَهُ .(رواه مسلم).

٤- وعن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ (رضي الله عنه): قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : يَقُولُ : "مَنْ كَانَتْ وَقَالَ مَرَّةً مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ فَأَطْعَمَهُنَّ وَسَقَاهُنَّ وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَّتِهِ كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنْ النَّارِ" (مسند أحمد).

٥- وعن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيّ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: " لَا يَكُونُ لِأَحَدِكُمْ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ فَيُحْسِنُ إِلَيْهِنَّ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ "(رواه الترمذي).

٦- وعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : "مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ أَوْ بِنْتَانِ أَوْ أُخْتَانِ اتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ حَتَّى يَبِنَّ أَوْ يَمُتْنَ كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنْ النَّارِ " (مسند أحمد).

٧- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ : "أُمُّكَ "، قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : "ثُمَّ أُمُّكَ" ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : "ثُمَّ أُمُّكَ" ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ :" ثُمَّ أَبُوكَ"

(صحيح البخاري).

٨- وعن عائشة (رضي الله عنها) ، قالت : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) عَنِ الْجَارِيَةِ يُنْكِحُهَا أَهْلُهَا أَتُسْتَأْمَرُ أَمْ لاَ؟ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم):" نَعَمْ تُسْتَأْمَرُ" قَالَتْ عَائِشَةُ: فَإِنَّهَا تَسْتَحْيِي فَتَسْكُتُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) " ذَاكَ إِذْنُهَا إِذَا سَكَتَتْ" (متفق عليه).

٩- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ :" لَا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ وَلَا الثَّيِّبُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ " فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ إِذْنُهَا ؟ قَالَ :" إِذَا سَكَتَتْ ..."(صحيح البخاري).

١٠ – وعن أَبِي هُرَيْرَةَ(رضي الله عنه) عَنِ النَّبِي (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ،

فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا)
(أخرجه البخاري).

١١- وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ(رضي الله عنهما) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) : فِي خُطْبَتِهِ بِعَرَفَاتَ قال: " اتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّهُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمُ، اتَّخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ ". فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ اتَّخَذْتُمُوهُنَّ عَلَى شَرْطِ اللهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: {فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} [البقرة: ٢٢٩] (شعب الإيمان).

١٢- وعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه): قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) : :(السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ كَالَّذِي يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ).

ثالثًا : الموضوع:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على مَن أرسله اللهُ رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وسلك طريقه إلى يوم الدِّين.

أمّا بعد: فإن الله – سبحانه وتعالى – قد كرم بني آدم جميعاً ، وفضلهم على سائر المخلوقات، فقال تعالى :{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}[الإسراء:٧٠].

ولقد رفع الإسلام مكانة المرأة ، وأكرمها بما لم يكرمها به دين سواه؛ فالنساء في الإسلام شقائق الرجال ، خُلقا من أصل واحد- خلقا من ذكر وأنثى- يَسعد كل منهما بالآخر، ويأنس به في هذه الحياة، فالنساء والرجال في الإنسانية سواء ، قال عز من قائل: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[الحجرات: ١٣].

وهي معه في جانب العبادات على قدم المساواة ، قال تعالى : { إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ

وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } [الأحزاب: ٣٥]. وقال سبحانه :{فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ}[آل عمران: ١٩٥].

وعلى ذلك فالمرأة قسيمة الرجل في الأحكام الشرعية ، لها ما له من الحقوق ، وعليها أيضا من الواجبات ما يلائم تكوينها وفطرتها ، قال (صلى الله عليه وسلم) "إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ" (سنن أبى داود).

جدير بالذكر أن أول تكليف إلهي صدر للإنسان كان للرجل والمرأة جميعاً، حيث قال الله للإنسان الأول- آدم وزوجه - : {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} [البقرة: ٣٥].

ولم تعرف البشرية ديناً ولا حضارةً عنيت بالمرأة أجمل عناية وأتم رعاية كالإسلام؛ فقد تحدث عن المرأة وأكد على مكانتها وعظم منزلتها، وجعلها مرفوعة الرأس عالية القدر، لها الاعتبار الأسمى والمقام الأعلى، حيث تتمتع بشخصية محترمة وحقوق مقررة وواجبات معتبرة.

ومع هذا فقد كلّفها الله (عز وجل) مثلما كلّف الرجل سواء بسواء ، إلا ما كان خاصًّا بها ويتناسب مع فطرتها، رحمةً بها ومراعاة لضعفها ، فهي كالرجل في المطالبة بالتكاليف الشرعية، وما يترتَّب عليها من جزاءات أو عقوبات ، قال تعالى: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [البقرة: ٢٢٨] ،

وقال سبحانه: { مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: ٩٧]

وقال تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [المائدة: ٣٨]

ولقد بلغ من تكريم الإسلام للمرأة أن خصص لها سورة من القرآن سماها « سورة النساء » فدلّ ذلك على اهتمام الإسلام بالمرأة اهتماماً كبيراً ، بخلاف ما كان عليه أمرها في الجاهلية قبل الإسلام.

لقد كانت البشرية قبل بعثة النبي(صلى الله عليه وسلم) في ضلالة عمياء وجاهلية جهلاء، لا تعرف معروفاً ولا تنكر منكراً ، فقد ظلمت المرأة في الجاهلية ظلماً شديداً ، حيث كان العرب في الجاهلية ينظرون إلى المرأة على أنها متاع من الأمتعة التي يمتلكونها ويتوارثونها، ويتصرفون فيها كما يشاءون.

كما كانوا يكرهون البنات، ويئدونهن في التراب أحياء خشية العار، وقد أنكر الإسلام هذه العادة ، وصورها القرآن في أبشع صورة ، فقال تعالى: { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [النحل:٥٩]. وقد بالغ الله سبحانه وتعالى في الإنكار عليهم في دفن البنات، فقال:{ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ}[التكوير:٩].

وكانوا كذلك لا يورثون المرأة ، ويرون أنها ليس لها حق في الإرث ، وكذلك لم يكن للمرأة على زوجها أي حق، وليس للطلاق عدد محدود، وليس لتعدد الزوجات عدد معين، وكانوا إذا مات الرجل وله زوجة وأولاد من غيرها، كان الولد الأكبر أحق بزوجة أبيه من غيره، فهو يعتبرها إرثًا كبقية أموال أبيه ، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: كان الرجل إذا مات أبوه، أو حموه، فهو أحق بامرأته إن شاء أمسكها، أو يحبسها حتى تفتدي بصداقها، أو تموت فيذهب بمالها (رواه أبو داود.).

وكانوا أيضاً يُكرهون إماءهم على الزنا، ويتقاضون على ذلك أجراً ، حتى نزل قول الله تعالى: {وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [النور: ٣٣]. وهذا كان حال المرأة في الجاهلية قبل الإسلام.

فلما جاء الإسلام ونزل القرآن رفع الله مكانة المرأة وأعزها وأكرمها، يقول أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب(رضي الله عنه) كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا نَعُدُّ النِّسَاءَ شَيْئًا فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ وَذَكَرَهُنَّ اللَّهُ رَأَيْنَا لَهُنَّ بِذَلِكَ عَلَيْنَا حَقًّا (صحيح البخاري).

أجل لقد حرص الإسلام أشد الحرص على حفظ كرامة المرأة ، واحترام شخصيتها المعنوية، وسواها بالرجل في أهلية الوجوب والأداء، وأثبت لها حقها في التصرف ومباشرة جميع الحقوق كحق البيع، وحق الشراء وغير ذلك، قال تعالى :{لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ} [النساء:٣٢]، وجعل لها حق الميراث فقال تعالى : { لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً} [النساء:٣٧]

وهكذا فالمرأةُ في ظل تعاليم الإسلام القويمة وتوجيهاتِه الحكيمة تعيش حياةً كريمة في مجتمعها المسلم، حياةً مِلؤها الحفاوةُ والتكريم من أوَّل يوم تقدُم فيه إلى هذه الحياة، مُرورًا بكل حال من أحوال حياتها ، أماً كانت ، أو بنتاً ، أو أختاَ ، أو زوجة ، أو امرأة من سائر أفراد المجتمع .

ففي باب البر أوصى الله تعالى بها بعد عبادته ، ودعا إلى إكرامها إكرامًا خاصًّا، وحثَّ على العناية بها ، فقال تعالى:{وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}[الإسراء:٢٣، ٢٤].

فأي تكريم أعظمُ من أن يقرن الله حقها بحقه ، ويجعلها المصطفى (صلى الله عليه وسلم) أحقَّ الناس بحسن الصحبة وإسداء المعروف ، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله (صلى الله عليه وسلم) ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: "أُمُّكَ" قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "أُمُّكَ" قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "أُمُّكَ" قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ "ثُمَّ أَبُوكَ". (متفق عليه).

وفي باب الصلة رعى الإسلامُ حقَّ المرأة بنتاً : فرفع شأنها، وعدَّها نعمةً عظيمةً وهِبةً كريمة ، يجب مراعاتها وإكرامُها وإعزازها ، فقال تعالى:{ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ}[الشورى: ٤٩].

ثمَّ أمر الله بإكرامها طفلةً ، وحثَّ على رعايتها والإحسان إليها، قال تعالى :{ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ}[البقرة: ٢٣٣] .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ كَانَتْ لَهُ أُنْثَى فَلَمْ يَئِدْهَا وَلَمْ يُهِنْهَا وَلَمْ يُؤْثِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا – قَالَ يَعْنِي الذُّكُورَ – أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ". (رواه أبو داود). وفي صحيح مسلم من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: " مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْن حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ ، وضَمَّ أَصَابِعَهُ ". وفي مسند أحمد من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ (رضي الله عنه) قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ :"مَنْ كَانَتْ– وَقَالَ مَرَّةً – مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ فَأَطْعَمَهُنَّ وَسَقَاهُنَّ وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَّتِهِ كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنْ النَّارِ" .

وفي باب الإحسان رعى الإسلامُ حقَّ المرأة أختًا، فحثّ على إكرامها والإحسان إليها ، ووعد من أحسن إليها أجراً عظيماً، فعند الترمذي من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: " لَا يَكُونُ لِأَحَدِكُمْ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ فَيُحْسِنُ إِلَيْهِنَّ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ ". وفي مسند أحمد من حديث عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) :" مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ أَوْ بِنْتَانِ أَوْ أُخْتَانِ اتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ حَتَّى يَبِنَّ أَوْ يَمُتْنَ كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنْ النَّارِ".

وفي باب الحريات كرَّم الإسلام المرأة فأعطاها الحرية في اختيار الزوج بالقيود الشرعية. فعن عائشة (رضي الله عنها) ، قالت : سَأَلْتُ

رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) عَنِ الْجَارِيَةِ يُنْكِحُهَا أَهْلُهَا أَتُسْتَأْمَرُ أَمْ لا؟ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) :" نَعَمْ تُسْتَأْمَرُ " قَالَتْ عَائِشَةُ : فَإِنَّهَا تَسْتَحْيِي فَتَسْكُتُ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم):" ذَاكَ إِذْنُهَا إِذَا سَكَتَتْ " (متفق عليه). وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : " لَا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ وَلَا الثَّيِّبُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ" فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ إِذْنُهَا ؟ قَالَ : "إِذَا سَكَتَتْ ...) (صحيح البخاري)

فإذا غدت المرأة زوجة فإنها لا تكون في ظل شريعة الإسلام كما كانت عند الآخرين ، ولكن سما بها إلى العلياء ، وجعل رباط الزواج من نعمه سبحانه على عباده ، فقال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }[الروم:٢١]، وعندئذ أوجب الإسلام لها صداقاً تكريماً ورفعة لشأنها ، فقال تعالى:{ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا} [النساء: ٤]، فلا يجوز لأحد أكل مهرها أو التصرف فيه بغير إذنها الكامل ورضاها الحقيقي، فإذا ما تزوجت فإن على الزوج أن ينفق عليها ، والنفقة تشمل الطعام والشراب والملبس والمسكن ، وما تحتاج إليه الزوجة لقوام بدنها لقوله تعالى:{لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ} [الطلاق:٧].

ومن مظاهر تكريم الإسلام للمرأة كزوج : عنايته بحقوق الزوجات ، قوله (صلى الله عليه وسلم) في خطبته في حجة الوداع : " اتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّهُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ، اتَّخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ ". فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ اتَّخَذْتُمُوهُنَّ عَلَى شَرْطِ اللهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: { فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} [البقرة:٢٢٩] (شعب الإيمان).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِي (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا" (أخرجه البخاري)

وهكـذا جعـل الإسـلامُ لهـا حقوقـاً عظيمـةً علـى زوجهـا، مـن المعاشـرة بالمعروف والإحسان والرفق والإكرام، لأنها تقوم بعمل عظيم في بيتها، ألا وهو تربية الأولاد الذين يتكوَّن منهم المجتمع، ومن المجتمع تتكون الدولة المسلمة ، فصلاح المجتمع بصلاحها، وفساده بفسادها.

وفي حال كونِها أجنبيةً فقد حثَّ على عونها ومساعدتها ورعايتها، ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) :"السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوْ: كَالَّذِي يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ".

هـاهي المرأة المسلمة التي رضيت بـالله ربًّا وبالإسلام دينـاً وبمحمـد (صلى الله عليه وسلم) نبيًّا ورسولاً، هاهي قد حُفَّت بسياج عظيم من التكريم ، وأمطرت عليها سحب الرسالة فيضاً من الحفظ والصون ، والاهتمام والرعاية حتى عدت مشاركة قوية وفعالة في الحياة ، لا تصلح الحياة إذا فسدت.

براءة الإسلام من العمليات الانتحارية والتفجيرية والتخريبية

أولاً :العناصر :

١. الإسلام دين الأمن والأمان .
٢. حرمة النفس الإنسانية .
٣. كف الأذى مقياس لخيرية الإنسان .
٤. براءة الإسلام من القتل والتخريب والتفجير .
٥. الفرق بين التضحية بالنفس والعلميات الانتحارية .

ثانياً : الأدلة :

الأدلة من القرآن

١- قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ}

[البقرة: ١١، ١٢]

٢- وقال تعالى: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ }[المائدة : ٣٢].

٣- وقال تعالى: {لإِيلاَفِ قُرَيْشٍ * إِيلاَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}[سورة قريش].

٤- وقال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ } [آل عمران: ١١٠].

٥- وقال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ

دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَيُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }

[النور: ٥٥]

٦- وقال تعالى :{ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا }[الأحزاب ٥٨].

الأدلة من السنة :

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : " الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ " (سنن الترمذي).

٢- وعَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رضي الله عنهما) أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ ؟ قَالَ : "مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ " (صحيح مسلم).

٣- و عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِحْصَنٍ الخَطْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا"

(سنن الترمذي).

٤- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : "سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ "

(متفق عليه).

٥- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : "مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ وَلَوْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ ، لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ : آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ". (سنن ابن ماجة).

٦- وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : "مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا" (صحيح البخاري).

٧- وروى الترمذي في سننه من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنهما) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِى دَمِ مُؤْمِنٍ لأَكَبَّهُمُ اللَّهُ فِى النَّارِ).

ثالثاً : **الموضوع**:

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، الحمد لله الذي خلقنا لعبادته ، وأمرنا بتوحيده وطاعته ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ إِمَامُ الأَنبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِيْنَ، وَأَفْضَلُ خَلْق اللهِ أَجْمَعِيْنَ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِيْنَ لَهُمْ بِإِحْسَان إِلَى يَوْم الدِّيْن. وبعد:

فإن الله – سبحانه وتعالى – خلق الإنسان وجعله خليفة فى الأرض ليَعْمَرُها ، وأنعم عليه بنعمة الأمن وأحاطه بسياج من الضوابط الصارمة التى تمنع المعتدين من الوصول إلى إزهاق نفسه أو انتقاص حريته ، قال تعالى : {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْض وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُجِيبٌ }[هود: ٦١].

وإذا كان الله تبارك وتعالى قد منَّ على الإنسان بنعمة الأمن فانه سبحانه جعل استدامة هذه النعمة مرهونًا بالتمسك بالشرع والوقوف عند حدوده وآدابه ، فإذا ما أهمل الإنسان العمل بالدين وتفلت من الضوابط الشرعية نزع الله عز وجل عنه هذه النعمة السابغة وألبسه لباس الجوع والخوف ، فقال تعالى : (وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَان فَكَفَرَتْ بِأَنْعُم اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الجُوع والخوف بما كانوا يصنعون) [النحل : ١١٢].

إن العالم اليوم تعتريه موجات عنيفة من الخوف و الفزع وعدم الاستقرار نتيجة قيام بعض الأفراد غير المسئولين ، بل غير العقلاء بالاعتداء على بعض الأفراد بالقتل والاختطاف ، وعلى بعض المنشئات بالتدمير والتخريب ، وهو ما يسمى الآن بظاهرة التفجيرات الانتحارية والإرهابية ، والإسلام بعيد كل البعد عن هذه العمليات وبريء منها وممن ينفذها أو يشارك فيها ، لأن فى ذلك هدم لبنيان الله ، وإفساد فى الأرض ، وترويع للآمنين ، وحينما يواجهون بما يفعلونه يدّعون أنهم يصلحون ولا يخربون ، فهؤلاء صدق فيهم قول الله تعالى : {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِى الْأَرْض قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ} [البقرة: ١١، ١٢].

إن نعمة الأمن، تشكل مع العافية والرزق ، الملكَ الحقيقيَ للدنيا.. فعن عبيد الله بن محصن الأنصاري عن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال : "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا" (رواه الترمذي).

فالأمن هو : اطمئنان الفرد والأسرة والمجتمع دونما خوف على النفس والعرض والمال ، والأمن مِنْ أن يعتدي عليهم أحد دون وجه حق ، ولقد ذكر هذا المعنى فى قول الله تعالى: { الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ }[سورة الفيل: ٤]، ففى الجمع بين إطعامهم من جوع وأمنهم من خوف ، نعمة عظمى لأن الإنسان لا ينعم ولا يسعد إلا بتحصيل هاتين النعمتين معاً ، إذ لا عيش مع الجوع ، ولا أمن مع الخوف ، وتكمل النعمة باجتماعهما .

ففى رحاب الأمن ، يأمنُ الناس على أموالهم ومحارمهم وأعراضهم .. وفى ظلال الأمن، يعبدون ربهم ويقيمون شريعته ويدعون إلى سبيله .. فى رحابِ الأمن وظلِه تعم الطمأنينةُ النفوس ، ويسودها الهدوء ، وترفرف عليها السعادة ، وتؤدي الواجبات باطمئنان ، من غير خوفِ هضم ولا حرمان.

إن عقد الأمن لو انفرط ساعة لرأيت كيف تعم الفوضى وتتعطل المصالح ويكثر الهرج.. ففى ظل الأمن والأمان تحلو العبادة، ويصير النوم سباتاً، والطعام هنيئاً، والشراب مريئاً، لأن الأمن والأمان هما هدف كل المجتمعات على اختلاف مشاربها ، بل هو مطلب الشعوب كافة بلا استثناء ، ويشتد الأمر بخاصة فى المجتمعات المسلمة ، التى إذا آمَنَتْ أَمِنَتْ، وإذا أمنت نمت ؛ فانبثق عنها أمن وإيمان ، إذ لا أمن بلا إيمان ، إذ أن الأمن والإيمان قرينان ، فلا يتحقق الأمن إلا بالإيمان .. قال تعالى : {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام: ٨٢]

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ... ولا دنيا لمن لم يحي دينا
ومن رضى الحياة بغير دين ... فقد جعل الفناء لها قرينا

والحق الذي لا مراء فيه أن الإسلام برئ من الإرهاب ومن القائمين به ، وأنه دين الأمن والأمان ، والسلم والسلام ؛ لأنه دين يصون النفس الإنسانية ويحرم الاعتداء عليها لما لها من حرمة مقررة ، حتى إنه جعل

الاعتداء على نفس واحدة اعتداء على الناس جميعا ، فقال جل شأنه {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ} [الأعراف :٣٢] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ وَلَوْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ ، لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ : آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ". (سنن ابن ماجة). وروى الترمذي في سننه من حديث أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ (رضى الله عنهما) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : "لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لأَكَبَّهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ ".

ليس هذا فحسب ، بل إن الإسلام ينهى عن المسلم عن مجرد الإيذاء باللسان ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : "الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ"(سنن الترمذي). وفي رواية عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ– رضى الله عنهما – أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ ؟ قَالَ: "مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ " (صحيح مسلم)

فلا خير فيمن يدعي الإيمان وهو يؤذي الناس بالقول والفعل ، لا نستطيع أن نسمي مثل هذا مؤمناً ، وقد تبرأ منه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حيث قال: "مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا" (صحيح البخاري).

و لخطورة هذا الأمر نبه الرسول (صلى الله عليه وسلم) على أن مجرد سباب المسلم لأخيه المسلم فسوق ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رضى الله عنهما) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : "سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ" (متفق عليه). فإذا لم يستطع المرء أن يفعل خيراً مع أخيه أو مجتمعه فلا أقل من أن يكف أذاه ويمسك شره عن الناس ، وهو في ذلك مأجور ،

قال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} [آل عمران: ١١٠]

إننا فى زمن اختلطت فيه المفاهيم فسمى الإرهاب جهاداً وسمى البغى عدلاً ، ولبس الباطل ثوب الحق ، وانطلقت أبواق الدعاية لتتهم الإسلام بالإرهاب ٠

والإسلام بريء من هذا الافتراء ، فلفظ الإسلام مأخوذ من مادة السلام ؛ لأن الإسلام والسلام يلتقيان فى توفير الطمأنينة والأمن وصيانة الحرمات ، والله تعالى من أسمائه السلام ، ورسول الإسلام (صلى الله عليه وسلم) يدعو الناس إلى السلام الذي يجمع القلوب على المحبة فيقول (صلى الله عليه وسلم) : " لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ"(صحيح مسلم) ٠

ومَن تأمَّل مقاصدَ الشّرع فى العبادات والمعاملات والآدابِ والأخلاق والأوامِرِ والنّواهى تبيّن أن له مقصداً كبيراً وغاية عُظمى، وهى جمعُ الكلِمة وغرسُ المحبّة وزرعُ الأُلفة ونشر المودّة بين أفرادِ الأمّة، والحثّ على التناصُر والتعاون ، والبعدُ عن أسباب العداوة والبغضاء وما يحمِل على الكراهية والشّحناء ، وما يثير الأحقادَ والأضغان ، والتحذيرُ الشديد مِن الطّعن فى المسلمين والتّشهير بهم وإساءةِ الظنِّ بهم واتهامهم ببدعةٍ أو كفر أو فسوق أو نفاق أو ظلم أو جهل ، ومن ثم فإن الإسلام دين الوسطية واليسر والتسامح ، ودين المحبة والألفة والتعاون ، وليس دين قتل أو تخريب أو إرهاب .

أما ما يحدث من تكفير وتخريب وتفجير وغلو فى مجتمعنا.. وما ينشأ عنه من ترويع وإرهاب وسفك للدماء البريئة ، وتفجير للمساكن والمركبات والمرافق العامة والخاصة، وتخريب للمنشآت ، فكلها أعمال إجرامية دخيلة على بلادنا وعلى عاداتنا وتقاليدنا ، إنها إفساد في الأرض وإشاعة للرعب

والخوف ، واستهداف للأمن والأمان والاطمئنان ، والإسلام بريء منها ، وكذلك كل مسلم يؤمن باللّه واليوم الآخر بريء منها، فديننا الحنيف حذّر من إرهاب الآخرين ، ونهى عن ترويع الآمنين وتخويفهم، وحرّم التعدي عليهم ، لأنه إجرام تأْباه الشريعة والفطرة ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ " (صحيح مسلم) ، وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَن بْن أَبِى لَيْلَى قَالَ : حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِىّ (صلى الله عليه وسلم) فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْل مَعَهُ فَأَخَذَهُ فَفَزِعَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : " لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا "

(رواه أبو داود وصححه الألبانى)

ولا يمكن لوطنى عاقل أن يقبل بمظاهر الحرق والتخريب والتدمير التى لا يقرها شرع أو دين بأي حال من الأحوال ، فضلاً عن أن يكون مشاركاً فيها، أو مؤيداً لها، أو متعاطفاً معها إلا إذا كان قد انسلخ من كل معانى الوطنية، فإن من يسلك هذه المسالك التكفيرية أو التخريبية أو التفجيرية لن يجنى إلا حسرة وندماً وسوء عاقبة.

ولا ينكر أحد أننا فى ظروف استثنائية فى تاريخ مصرنا العزيزة ، فإما أن يكون وطن أو لا يكون ، وقد يظن البعض من الذين يفجرون أنفسهم أنهم يقومون بعمل بطولي ويضحون بأرواحهم من أجل فكرة ، أو معتقد ، أودين ، وهذا فهم خاطئ ، فهناك فرق بين التضحية بالنفس وبين من يفجر نفسه لإيذاء الآخرين فليس هناك شرع يبيح أو يجيز ذلك.

وفى العمليات الانتحارية تتعدد الجرائم ، فمفجر نفسه سواء أصاب غيره أم لم يصب منتحر يعجل بنفسه إلى الهلاك فى الدنيا والآخرة ، وقد نهى الحق سبحانه وتعالى عن قتل النفس ، أو الاعتداء عليها بأي لون من الألوان

فقال سبحانه : {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}[النساء: ٢٩] وقال أيضاَ:{وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}[الأنعام: ١٥١]، فإن فجَّر عن بعد في غيره فهو قاتل ومفسد ومعتد على الآخرين.

على أن هذه التفجيرات الإجرامية إذا استشرت ولم تواجه بيقظة وحزم من الجميع أكلت الأخضر واليابس، وارتدت على أصحابها والمحرضين لهم، والصامتين عن جرائمهم، والمترددين والخائفين.

الامتناع عن سداد فواتير الكهرباء
أكل للسحت وخيانة للوطن

أولاً : **العناصر**:

١- الحث على الكسب الحلال ، والتحذير من أكل أموال الناس بالباطل.
٢- حماية المال العام في الإسلام ضرورة شرعية.
٣- صور الاعتداءات على المال العام.
٤- التهرب من دفع فواتير الكهرباء والماء أكل للسحت وخيانة للوطن.

ثانياً : **الأدلة**:

الأدلة من القرآن :

١- قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [البقرة: ١٧٢].
٢- وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}[النساء: ٢٩].
٣- و قال تعالى: {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ}[آل عمران/١٦١].
٤- وقال تعالى: { لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ } [المائدة: ٦٣].
٥- وقال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ}[المائدة: ١].
٦- وقال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الأنفال: ٢٧].

الأدلة من السنة :

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنْ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ سبحانهُ:{ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا

صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}[المؤمنون :٥١] وَقَالَ (عزَّ وجلَّ): { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ }[البقرة :١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ " (رواه مسلم).

٢- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): "يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ أَمِنَ الْحَلاَلِ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ"(صحيح البخاري).

٣- وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ(رضي الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ لِكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ: " يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ ، النَّارُ أَوْلَى بِهِ" (مسند أحمد) .

٤- وعَنْ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ (رضى الله عنهم) قالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : "الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ إِلاَّ شَرْطًا حَرَّمَ حَلاَلاً أَوْ شَرْطًا أَحَلَّ حَرَامًا" (السنن الكبرى للبيهقي)، و في رواية عن أبي هريرة (رضي الله عنه) بلفظ (الْمُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ) (رواه أبو داود).

ثالثاً : **الموضوع**:

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِيْنَ، وَلاَ عُدْوَانَ إلاَّ عَلَى الظَّالِمِيْنَ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ وَلِيُّ الصَّالِحِيْنَ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ إِمَامُ الأَنبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِيْنَ، وَأَفْضَلُ خَلْق اللهِ أَجْمَعِيْنَ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِيْنَ لَهُمْ بِإِحْسَان إِلَى يَوْم الدِّيْن.

أما بعد: فإن الإنسان لما كان مجبولاً على حب المال حريصاً على طلبه وتحصيله – لأن به قوام حياته وانتظام أمر ه ومعاشه – جاء الشرع الحنيف بالحث على السعى فى تحصيل المال واكتسابه مما أذن الله به وشرعه من طرق الكسب الحلال والعمل المباح ، فأباح كل كسب ليس فيه اعتداء ولا ظلم ولا ضرر على الغير ، قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [البقرة: ١٧٢].

فعلَى المسلمِ أَنْ يتحرَّى الحلالَ فِي أَيِّ عملٍ يقومُ بِهِ؛ حتى يتقبَّلُ اللهُ مِنْهُ أعمالَهُ الصَّالحةَ، ويستجيبُ دعاءَهُ، ويرفعُ قدرَهُ، ويُعْلِي شأنَهُ، ويُعظِمُ لَهُ أجرَهُ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : "يُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ سبحانهُ:{ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}[المؤمنون :٥١] ، وَقَالَ عزَّ وجلَّ: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [البقرة:١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ" (رواه مسلم).

ففي هذا الحديث يشير النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى خطورة أكل المال الحرام بأي طريقة كانت، وأي وسيلة حصلت ، فالمال الحرام سبب لمنع إجابة الدعاء ، وإغلاق باب السماء ، فالمال الحرام طريق مستعر ، محفوف بالخطر ، ينتهي بصاحبه إلى النار ، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ لِكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ: (يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ ، النَّارُ أَوْلَى بِهِ)

(مسند أحمد) .

ومن ثمَّ حرمت الشريعة الإسلامية كل صور المعاملات المحرمة التي تؤدي إلى الكسب الخبيث ، والتي من شأنها أن توغر الصدور ، وتفسد العلاقة بين المسلمين .

ولما كانت المكاسب الخبيثة محرمة ؛ لما يترتَّب عليها من ظلمٍ وعدوان ، وعدم تحقيق العدل والمساواة بين المسلمين، فقد حذَّرنا منها ديننا الحنيف ، وسدَّ الأبواب الموصلة إليها ، وحرِص على توجيهِ المسلم وإرشادِه حتى يكونَ حريصًا على تنقيةِ مكاسبِه من كلِّ كسبٍ خبيثٍ أو مالٍ محرَّم ، ومن ثمَّ حرَّم الكسبَ الخبيث بكل الطرق والأساليب.

ومن ذلك : أكل أموال الناس بالباطل ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}[النساء: ٢٩]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): "كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ" (صحيح مسلم).

والمال إما أن يكون مالاً عاماً أو خاصاً ، فالمال العام محمى بموجب الشرع مثل حماية المال الخاص؛ بل إن المال العام قد يكون أشد حرمة لكثرة الحقوق المتعلقة به، وتعدد الذمم المالكة له، ولذلك حذر الإسلام من سرقته أو الإضرار به ، قال تعالى : {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْس مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} [آل عمران/١٦١].

ولقد تضمنت الشريعة الإسلامية الأحكام والمبادئ لحماية المال وتحريم الاعتداء عليه ، وطلبت من الفرد حماية ماله الخاص حتى ولو استشهد فى سبيل ذلك ، أمّا الملكية العامة فهى من مسئولية ولى الأمر والمسلمين جميعاً ، لأن منفعتها تعود على الناس كافة ولقد فرض الله عليهم حمايتها ، ويدخل ذلك فى نطاق المسئولية والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

إنَّ المتأمِّلَ فى عالم الناس اليوم يرى أنه عالمٌ تغيَّرت فيه كثيرٌ من القِيَم الصّحيحة ، وتبدَّلت فيه المفاهيمُ المستقيمة ، عالمٌ سَيْطَرَ ت فيه المادة على نفوس كثير من الناس ، وإيثارُ المال هَيْمَن على قُلوبِهم، فراحوا يجمعون الدّنيا بكلِّ طريق ويستكثِرون منها بأيِّ سبيل، وتساهلوا فى جمع الأموال، لا يهمهم حلال أم حرام ، حتى صدَق عليهم إخبارُ المصطفى (صلى الله عليه وسلم) بقوله: "يَأْتِي عَلَى النَّاس زَمَانٌ لاَ يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ أَمِنَ الْحَلاَل أَمْ مِنْ الْحَرَام" (صحيح البخاري).

وفى الآونة الأخيرة كثرت صور الاعتداءات على الملكية العامة والمال العام لأسباب شتى من بينها : ضعف القيم الإيمانية والأخلاقية لدى العاملين عليه والمتعاملين به ، وما نجم عن ذلك من الفساد الاجتماعى والاقتصادي ، وعلت صيحات تستغيث بضرورة حماية المال العام من السارقين والمختلسين ، والغلولين والنصّابين والمرتشين والأفَّاقين ، والمرابين والمقامرين ، ومن أكلة السحت وممن يأكلون أموال الناس بالباطل ويبغونها عوجاً ، ومن المتربحين من الوظائف العامة وممن يتلفون ويسرقون ويبذرون ويضيعون المال والوقت

وممن يستغلون المال العام لمنافعهم ومآربهم الشخصية والحزبية من دون الناس جميعاً لأنهم سببوا أضراراً جسيمة بالناس وبالمجتمع وبالأمة الإسلامية .

وعلى مر العصور والأزمنة يتعرض المال العام للاعتداءات ، وإن تغيرت فى الشكل والطريقة والأسلوب إلاّ أن مضمونها واحد ، ويتمثل ذلك فى استئثار أحد الأفراد به وحده بدون حق ، أو انتزاع ملكيته من مجموع الناس إليه بدون حق ، أو سوء استخدامه أو إتلافه ، أو عدم أداء ما عليه من حقوق الدولة ، ويلحق بذلك كل من يعتدي على المال العام كمن يسرق الكهرباء أو يتلاعب فى عدادات قراءتها، أو سرقة أسلاكها وأبراجها، وكذلك من يعتدي على أملاك الدولة، أو يحتال على صرف دعم لا يستحقه، أو يزور بيانات للحصول على عطاء من التموين لا يستحقه، أو يحتال للحصول على إسكان مدعم لا يستحقه، فهؤلاء جميعًا يضيعون الفرصة والحق على مستحقيه الحقيقيين.

ومن ثمَّ فإنه يجب شرعًا سداد فاتورة الكهرباء والماء فى موعدها، لأن ذلك هو مقتضى العقد القائم بين المزودين لهذه الخدمات كشركة الكهرباء ، والجهة المزودة بالماء وبين المشترك فى هذه الخدمات، ولا يجوز التهرب من السداد، فقد أمر الله عز وجل بالوفاء بالعقود فى قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ}[المائدة: ١]، فهذه الآية الكريمة عامة تشمل كل العقود والعهود والالتزامات التي يلتزم بها الشخص مع غيره.

وفي الحديث الشريف يقول رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ إِلاَّ شَرْطًا حَرَّمَ حَلاَلاً أَوْ شَرْطًا أَحَلَّ حَرَامًا)

(السنن الكبرى للبيهقي)

و في رواية عن أبي هريرة (رضي الله عنه)بلفظ: (الْمُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ) (رواه أبو داود).

فالعقد شريعة المتعاقدين، والله جل وعلا أمر بالوفاء بالعقود ، فهؤلاء الذين يتهربون من دفع شيء تعاقدوا عليه، ويأخذون أشياء لهم، ويمتنعون

من دفع أشياء عليهم أخطئوا من وجهين:

الأول: عدم الوفاء بالعقود.

والثانى: أنهم يأخذون حقوقاً ليست لهم ويتهربون من دفع حقوق عليهم.

فالواجب عليهم أن يدفعوا ما يطلب منهم.

وعليه فإن الامتناع عن سداد فواتير الماء والكهرباء محرم شرعاً ؛ لأن ذلك يعتبر إخلالًا بالشرط بين الجهة المزودة للكهرباء والماء وبين المشترك، وذلك خيانة للأمانة، قال تعالى: {إِنّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النّاس أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْل إِنّ اللَّهَ نِعِمّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}[النساء: ٥٨]. فهذه الآية عامة تشمل كل الأمانات ، ثم نهى الله تعالى عن خيانته سبحانه ، وخيانة رسوله (صلى الله عليه وسلم) وخيانة المسلمين بعضهم لبعض، فقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}[الأنفال: ٢٧].

على أننا نؤكد أن الحقوق والواجبات متبادلة ، ونهيب بقراء العدادات أن يتحروا الدقة فى عملهم فى المواعيد المقررة ، وأن لا تكون هناك تقديرات جزافية يمكن أن تضر بأحد من المواطنين .

كما نؤكد أن استخدام الماء أو الكهرباء بأي لون من ألوان الإسراف والإفساد محرم شرعاً، بل إن الظروف التى تمر بها البلاد تحتم ترشيد الاستهلاك ، وبخاصة فى مجال الطاقة والمياه والكهرباء.

حرمة المال العام والخاص

أولاً : العناصر:

١- منزلة المال في الإسلام.

٢- حماية المال العام ضرورة شرعية.

٣- صور الاعتداءات على المال العام.

٤- حرمة الاعتداء على المال الخاص.

٥- من حفاظ الإسلام على المال ما شرعه من حدود وأحكام لحمايته.

ثانياً : الأدلة :

الأدلة من القرآن :

١- قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} [النساء: ٢٩]

٢- وقال تعالى: (وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة:١٨٨] .

٣- وقال تعالى: {...وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ}[آل عمران/١٦١].

٤- وقال تعالى: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ } [التغابن: ١٥].

٥- وقال تعالى: {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا} [النساء: ٥].

٦- وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا } [النساء: ١٠]

الأدلة من السنة والآثار:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) : " تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ"

(سنن ابن ماجة، وهو في البخاري بنحوه)

٢- وعَنْ خَوْلَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: "إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمْ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"(صحيح البخاري).

(يتخوضون) أي : يتصرفون في مال المسلمين بالباطل.

٣- وَعن الْعُرْسِ بْنِ عَمِيرَةَ عَنْ أَبِيهِ عَدِيٍّ، قَالَ: خَاصَمَ رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ يُقَالُ لَهُ: امْرُؤُ الْقَيْسِ بْنُ عَابِسٍ، رَجُلًا مِنْ حَضْرَمَوْتَ إِلَى رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي أَرْضٍ، فَقَضَى عَلَى الْحَضْرَمِيِّ بِالْبَيِّنَةِ ، فَلَمْ تَكُنْ لَهُ بَيِّنَةٌ، فَقَضَى عَلَى امْرِئِ الْقَيْسِ بِالْيَمِينِ، فَقَالَ الْحَضْرَمِيُّ: إِنْ أَمْكَنْتَهُ مِنَ الْيَمِينِ يَا رَسُولَ اللهِ ذَهَبَتْ وَاللهِ – أَوْ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ – أَرْضِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ أَخِيهِ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ" قَالَ رَجَاءُ: وَتَلَا رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا} [آل عمران: ٧٧] فَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ: مَاذَا لِمَنْ تَرَكَهَا يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: " الْجَنَّةُ " قَالَ: فَاشْهَدْ أَنِّي قَدْ تَرَكْتُهَا لَهُ كُلَّهَا (مسند الإمام أحمد).

٤- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا بِبَاطِلٍ لِيَدْحَضَ بِبَاطِلِهِ حَقًّا فَقَدْ بَرِئَ مِنْ ذِمَّةِ اللهِ (عَزَّ وَجَلَّ) وَذِمَّةِ رَسُولِهِ (صلى الله عليه وسلم) وَمَنْ أَكَلَ دِرْهَمًا مِنْ رِبًا فَهُوَ مِثْلُ ثَلاثٍ وَثَلاثِينَ زَنْيَةً، وَمَنْ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ" (المعجم الكبير للطبراني).

٥- وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قِيلَ لَهُ فِي رَجُلٍ كَانَ يُمْسِكُ بِرَأْسِ دَابَّتِهِ عِنْدَ الْقِتَالِ: اسْتُشْهِدَ فُلَانٌ

فَقَالَ: "إِنَّهُ الْآنَ يَتَقَلَّبُ فِي النَّارِ" قِيلَ: وَلِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ: "غَلَّ شَمْلَةً يَوْمَ خَيْبَرَ" فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَخَذْتُ شِرَاكَيْنِ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا قَالَ: "شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ"

(مصنف عبد الرزاق)

٦- وعن أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ (رضي الله عنه) أنَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) اسْتَعْمَلَ رَجُلاً مِنَ الأَزْدِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي قَالَ فَهَلاَّ جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ ، أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ فَيَنْظُرَ يُهْدَى لَهُ أَمْ لاَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْهُ شَيْئًا إِلاَّ جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ ، ثُمَّ رَفَعَ بِيَدِهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَةَ إِبْطَيْهِ – اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ثَلاَثًا) (متفق عليه).

٧- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ أَمِنَ الْحَلاَلِ أَمْ مِنْ الْحَرَامِ" (صحيح البخاري).

٨- وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : "كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ ".

(صحيح مسلم)

٩- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ". قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ "إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ"(صحيح مسلم).

الآثـار:

١- وعَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ (رضي الله عنهما) قَالَ: لَمَّا احْتُضِرَ أَبُو بَكْرٍ (رضي الله عنه) قَالَ: يَا عَائِشَةُ انْظُرِي اللِّقْحَةَ الَّتِي كُنَّا نَشْرَبُ مِنْ لَبَنِهَا، وَالْجَفْنَةَ الَّتِي كُنَّا نَصْطَبِحُ فِيهَا ، وَالْقَطِيفَةَ الَّتِي كُنَّا نَلْبَسُهَا، فَإِنَّا

كُنَّا نَنْتَفِعُ بِذَلِكَ حِينَ كُنَّا نَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِذَا مِتُّ فَارْدُدِيهِ إِلَى عُمَرَ، فَلَمَّا مَاتَ أَبُو بَكْرٍ أَرْسَلَتْ بِهِ إِلَى عُمَرَ، فَقَالَ عُمَرُ: رَحِمَكَ اللَّهُ لَقَدْ أَتْعَبْتَ مَنْ جَاءَ بَعْدَكَ) (مجمع الزوائد).

٢- وكان مُعَيْقيبُ على بيت مال عمر، فكنس بيت المال يومًا فوجد فيه درهمًا فدفعه إلى ابنٍ لعمر، قال معيقيب: ثم انصرفت إلى بيتي، فإذا رسول عمر قد جاءني يدعوني، فجئت فإذا الدرهم في يده فقال لي: ويحك يا معيقيب، أوجدت عليّ في نفسك شيئًا؟ قال قلت: ما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: أردت أن تخاصمني أمة محمد (صلى الله عليه و سلم) في هذا الدرهم؟! (الورع لابن أبي الدنيا).

ثالثا - الموضوع:

إنَّ المال نعمة من نعم الله (عز وجل) التي أنعم بها على عباده لتستقيم به شئونهم، وهو نوع من أنواع الزينة في هذه الحياة الدنيا، كما قال تعالى: (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً) [الكهف: ٤٦].

ولا ينكر أحد ما للمال من أهمية في تسيير أمور الحياة، والنهوض بالأفراد والأمم لتحقيق وسائل العيش الكريم، والرقى إلى مدارج التقدم، وصدق أمير الشعراء أحمد شوقي حيث قال:

بالعِلمِ والمالِ يَبني النّاسُ مُلْكَهُمُ ... لم يُبنَ مُلْكٌ على جهلٍ وإقلالِ

فالمال قِوام الحياة الإنسانيَّة ، به يؤدي الإنسان رسالته، وبه يقضي حاجاته، وهو سلاحه في المهمات والملمات، ويؤيد ذلك ما قاله السلف: " المال سلاح المؤمن، ولأن أترك مالاً يحاسبني الله عليه خير من أحتاج إلى الناس"، قال تعالى: {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا} [النساء: ٥]

ومع أنَّ المال يكتسب هذه الأهمية في الحياة، إلا أن الإسلام جعله وسيلة لا غاية، فالمال في الإسلام وسيلة لعبادة الله تعالى وإقامة شرعه المطهر، ووسيلة للصلاح والإصلاح، ووسيلة للبر والصلة والتكافل بين المسلمين،

ووسيلة لدعم قضايا المسلمين، فلا يجوز للإنسان أن يرفعه فوق منزلته، ولا أن يكون هو الغاية في حياته ، فالمال وسيلة إذا استخدم في الصلاح كان نعمة، كما قال (صلى الله عليه وسلم) : "نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ" (الأدب المفرد) ، وإذا استُخدم في الفساد كان وبالاً، وشقاءً وتعاسةً على صاحبه، كما قال (صلى الله عليه وسلم) : "تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ ، وَإِذَا شيكَ فَلاَ انْتَقَشَ"

[أي إذا أصابته الشوكة فلا أخرجت منه بالمنقاش]

والمال إما أن يكون مالاً عامًا أو خاصًا، فالمال العام له حماية بموجب الشرع مثل حماية المال الخاص؛ بل إن المال العام أشد حرمة لكثرة الحقوق المتعلقة به، وتعدد الذمم المالكة له، ولذلك حذر الإسلام من إتلافه أو سرقته أو الإضرار به ، قال تعالى : {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ}[آل عمران/١٦١].

ولقد تضمنت الشريعة الإسلامية الأحكام والمبادئ لحماية المال وتحريم الاعتداء عليه ، وطلبت من الفرد حماية ماله الخاص حتى ولو استشهد في سبيل ذلك ، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم): يَقُولُ:" مَنْ قُتِلَ دُونَ مالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ"

(متفق عليه)

أمّا الملكية العامة فالحفاظ عليها مسئوليتنا جميعًا، لأن منفعتها تعود على الناس كافة ، ولقد فرض الله عليهم حمايتها ، ويدخل ذلك في نطاق المسئولية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فحماية المال العام ضرورة شرعية ، لأن به تدار شئون البلاد والعباد ، ويعتبر الاعتداء عليه اعتداءً على مجموع الأفراد والمجتمع ، لأن الذي يسرق من المال العام فإنه يسرق من الأمة كلها، وعليه إثم كل من له حق في هذا المال ، فسرقته أعظم جرمًا من سرقة المال الخاص، كان مُعَيْقِيب على بيت مال عمر، فكنس بيت المال يومًا فوجد فيه درهمًا فدفعه إلى ابنٍ لعمر، قال مُعيقيب: ثم انصرفت إلى بيتي، فإذا رسول عمر قد جاءني يدعوني، فجئت فإذا الدرهم في يده فقال لي: ويحك يا مُعيقيب، أوجدت عليّ في نفسك

شيئًا؟ قال قلت: ما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: أردت أن تخاصمني أمة محمد (صلى الله عليه و سلم) في هذا الدرهم؟!

فكما يجب الحفاظ على أموال الناس الخاصة يجب الحفاظ على المال العام، فقد جاء في الحديث: أن رجلاً سرق شملةً من الغنيمة قبل تقسيمها – وهى مال عام – فبيَّن النبي(صلى الله عليه وسلم) أنه يتقلب في النار بسببها، فعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قِيلَ لَهُ فِي رَجُلٍ كَانَ يُمْسِكُ بِرَأْسِ دَابَّتِهِ عِنْدَ الْقِتَالِ: اسْتُشْهِدَ فُلَانٌ فَقَالَ: "إِنَّهُ الْآنَ يَتَقَلَّبُ فِي النَّارِ" قِيلَ: وَلِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ: "غَلَّ شَمْلَةً يَوْمَ خَيْبَرَ" فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَخَذْتُ شِرَاكَيْنِ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا قَالَ: "شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ"، والغلول معناه : السرقة في خفية من المتاع من خلف الإمام، وكل المعاني لهذه الكلمة تؤكد أن الغلول هو السرقة من المال العام.

ومن هنا وجب على كل مسلم أن يحترم المال العام، وأن يكون أمينًا عليه، حافظًا له، لهذا قال تعالى– على لسان سيدنا يوسف– (عليه السلام): {اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} [يوسف: ٥٥].

إن المال العام أمانة عند كل من يكون تحت يده شيء منه، فيجب عليه أن يحافظ على تلك الأمانة، وأن يرعاها، وأن يردها كاملة غير منقوصة ، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً}

[النساء:٥٨]

ومما يدل على عظم حرمة المال العام ما جاء في الصحيحين من حديث أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) اسْتَعْمَلَ رَجُلاً مِنَ الأَزْدِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي قَالَ: "فَهَلاَّ جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ ، أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ فَيَنْظُرَ يُهْدَى لَهُ أَمْ لاَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْهُ شَيْئًا إِلاَّ جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ ، ثُمَّ رَفَعَ بِيَدِهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَةَ إِبْطَيْهِ – اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ثَلاَثًا"(متفق عليه).

ولقد تربى أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على الحفاظ على المال العام ومراعاة حرمته، فها هو الصديق (رضي الله عنه) لما تولى الخلافة في صبيحة ولايته يخرج من بيته واضعًا حبله على عاتقه ذاهبًا إلى السوق متاجرًا ليعيش من كسب يده، فينادى عليه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قائلاً: يا أبا بكر قد كفيناك اجلس لمصالح المسلمين، ثم ينادى عمر (رضي الله عنه) على أبى عبيدة بن الجراح أمين الأمة ويقول يا أبا عبيدة: اجعل لأبى بكر ما يكفيه وأهله من بيت المال، فيقول أبو عبيدة: له مقدار شاة في كل يوم وليلة ، وله ثوب في الصيف وثوب في الشتاء، لا يأخذ ثوب الصيف إلا إذا سلم ثوب الشتاء، ويستمر أبو بكر على هذا مراعيًا حقَّ الأمة حريصًا على مالها العام حتى نهاية حياته ، فعَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ (رضي الله عنهما) قَالَ: لَمَّا احْتُضِرَ أَبُو بَكْرٍ قَالَ: يَا عَائِشَةُ انْظُرِي اللِّقْحَةَ الَّتِي كُنَّا نَشْرَبُ مِنْ لَبَنِهَا، وَالْجَفْنَةَ الَّتِي كُنَّا نَصْطَبِحُ فِيهَا ، وَالْقَطِيفَةَ الَّتِي كُنَّا نَلْبَسُهَا، فَإِنَّا كُنَّا نَنْتَفِعُ بِذَلِكَ حِينَ كُنَّا نَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِذَا مِتُّ فَارْدُدِيهِ إِلَى عُمَرَ، فَلَمَّا مَاتَ أَبُو بَكْرٍ أَرْسَلَتْ بِهِ إِلَى عُمَرَ، فَقَالَ عُمَرُ: رَحِمَكَ اللَّهُ لَقَدْ أَتْعَبْتَ مَنْ جَاءَ بَعْدَكَ) (مجمع الزوائد).

ولما تولى الخلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) سار بالمسلمين أعظم سيرة حافظًا لهم ولأموالهم مراعيًا حرمة المال العام حتى إنه سار يوما فرأى أبقارًا سمانًا فقال لمن هذه الأبقار ؟ فقالوا له : إنها لعبد الله بن عمر ، فقال (رضي الله عنه) : ضموها إلى بيت المال فوالله ما سمنت إلا باسم أمير المؤمنين، إذا رعت هنا أو هناك قالوا : دعوها إنها أبقار ابن أمير المؤمنين، ردوها إلى بيت المال.

وها هو الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) يستدعى أحد عماله ليحاسبه عن رعيته ويوقد أمير المؤمنين مصباحًا ليتم الحساب في ضوئه ، ولما انتهى حساب الرجل بدأ يسأل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز عن صحته وعن أولاده ، فيقوم عمر بن عبد العزيز إلى المصباح فيطفئه ثم يوقد مصباحًا آخر ، فيسأل الرجل أمير المؤمنين عن ذلك العمل ، فيقول (رضي الله عنه) : عندما كنت أحاسبك عن الرعية كنا نستضيء بمصباح يوقد

بزيت من بيت مال المسلمين، أما وقد انتقل الحديث والسؤال عني وعن أولادي أوقدت غيره من مالي الخاص لأنه لا يحل لنا عندئذ أن نستضيء بمصباح يوقد بزيت من مال المسلمين.

فالمال العام مِلْكٌ للمسلمين جميعًا، وليس مِلْكًا لفِئَة معيَّنة من الناس، والقائمون عليه إنَّما هم أُمَناء في حِفْظه وتحصيله ، وصَرْفه لأهْله، فلا يحلُّ لأحدٍ أن يعتديَ عليه، أو يأخُذَ منه ما لا يستحقُّ، لأن ذلك يعد خيانة وظُلمًا واعتداءً على المسلمين جميعًا.

والمتأمِّلُ في عالم الناس اليوم يرى أنه عالمٌ تغيَّرت فيه كثيرٌ من القِيَم الصّحيحة ، وتبدَّلت فيه المفاهيمُ المستقيمة ، عالمٌ سَيْطَرَت فيه المادة على نفوسِ كثير من الناس ، وإيثارُ المالِ هَيْمَن على قُلوبهم، فراحوا يجمعون الدّنيا بكلِّ طريق ويستكثِرون منها بأيِّ سبيل، و تساهلوا في جمع الأموال، لا يهمهم حلال أم حرام ، حتى صدَق عليهم إخبارُ المصطفى (صلى الله عليه وسلم) بقولِه: "يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ أَمِنَ الْحَلاَلِ أَمْ مِنْ الْحَرَامِ" (صحيح البخاري).

وعلى مر العصور والأزمنة يتعرض المال العام للاعتداءات ، وإن تغيرت في الشكل والطريقة والأسلوب إلاّ أن مضمونها واحد ، ويتمثل ذلك في استئثار أحد الأفراد به وحده بدون حق ، أو انتزاع ملكيته من مجموع الناس إليه بدون حق ، أو سوء استخدامه أو إتلافه.

وفي الآونة الأخيرة كثرت صور الاعتداءات على الملكية العامة والمال العام لأسباب شتى من بينها: ضعف القيم الإيمانية والأخلاقية ، ونتج عن ذلك كثير من الفساد الاجتماعي والاقتصادي ، من أجل ذلك حرم الله الاعتداء على الأموال بأي صورة من الصور ، فقال عزَّ وجلَّ: {وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة:١٨٨] .

ومن صور الاعتداء على المال العام : السرقة، أو السطو ، أو التحايُل، أو الاختلاس ، أو الرِّشوة ، أو التربُّحُ من الوظيفة ، أو تضييع وقت عمله الذي يتقاضى نظيره أجرًا، أو استغلال المال العام لأغراض سياسية حزبية فئوية ،

وغير ذلك من صور الاعتداء ، وشَرَع العقوبة على ذلك ، فقال تعالى:{وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[المائدة: ٣٨]، بل شرع حد الحرابة لمن يسطو عليه غصبًا فقال: { إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [المائدة: ٣٣].

ومن صور الاعتداء على المال العام كذلك اغتصاب الأرض بوضع اليد عليها ظلمًا، أو الاعتداء على أملاك الدولة والأوقاف، فعن عَائِشَةَ (رضي الله عنها) عن رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ"(متفق عليه).

وكما حرم الإسلام الاعتداء على المال العام ، كذلك حرم الاعتداء على المال الخاص وجعله محرمًا على الغير ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : "كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ ". (صحيح مسلم).

إن الله تعالى برحمته وفضله يتجاوز ويعفو عن عبده فيما كان بينه وبين ربه، فالله تعالى يغفر ما كان في حقه سبحانه، أما ما يتعلق بحقوق العباد فإن الله تعالى لا يغفر حتى يغفر له المظلوم ويعفو عنه، فإذا لم يعفُ فإن الله (عز وجل) يقتص له في الآخرة من حسنات الظالم بما يفي حقه، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ". قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ "إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ".

ولقد وقف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في خطبة عرفة في حجة الوداع وأعلن للدنيا كلها حرمة الأموال فقال (صلى الله عليه وسلم) في هذه الخطبة البليغة الرائعة: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَالُوا : يَوْمٌ حَرَامٌ ، قَالَ :

فأي بَلَدٍ هَذَا؟ قَالُوا : بَلَدٌ حَرَامٌ ، قَالَ : فأي شَهْرٍ هَذَا ؟ قَالُوا : شَهْرٌ حَرَامٌ ، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا" (صحيح البخاري) .

هكذا يدعو الإسلام أتباعه إلى حرمة الاعتداء على المال العام ، والدعوة إلى احترام أموال الناس الخاصة ، وعدم التعرض لها وأكلها بالباطل

وبهذا حفِظَ الإسلام المالَ وصانَه عن الفَساد؛ حتى يؤدِّي دورَه باعتباره قيمةً لا غِنى عنها في حِفْظ نظام الحياة الإنسانية، وتحقيق أهدافها الحضاريَّة والإنسانيَّة، والتي دون مراعاتها وحِفْظ نظامها يخرب العالَم ، وتَستحيل الحياة الإنسانيَّة ويَقف عطاؤها واستثمارُها في هذا الوجود.

وخلاصة القول: إننا يجب أن نحافظ على المال العام ، وسائر مرافق الدولة من المدارس، والمعاهد، والمستشفيات، والطرقات ووسائل النقل، وسائر المرافق العامة باعتبارها ملكًا لنا جميعًا ، وأمانة في أعناقنا .

ونؤكد أن الاعتداء عليها أشد جرمًا من الاعتداء على المال الخاص ، وأنه يجب علينا جميعًا أن نتصدى لكل ألوان التخريب أو الإفساد التي يمكن أن تطال هذه المنشآتِ العامةَ، مؤكدين على أن المساس بها تخريب أو إفساد يعد جريمة شرعية وخيانة وطنية.

الحفاظ على المياه وترشيد استخدامها

أولا : العناصر:

١- الماء نعمة من أعظم النعم الإلهية.

٢- الماء أصل الحياة ... وعنصر التطهير.

٣- القصد والاعتدال من أهم المبادئ الإسلامية ، ويتأكد على ذلك في الحفاظ على المياه وترشيد استهلاكها، وعدم الإسراف فيها.

٤- نهي الإسلام عن تلويث المياه.

٥- أهمية العلاقات الدولية في الحفاظ على مواردنا المائية ، ودور الأزهر والأوقاف في ذلك.

ثانياً: الأدلة.

الأدلة من القرآن.

١- قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} [الحج: ٦٣].

٢- وقال تعالى: { أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ }

[الواقعة: ٦٨ : ٧٠]

٣- وقال تعالى: { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ }

[الملك:٣٠]

٤- وقال تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [النور: ٤٥].

٥- وقال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ}

[الأنبياء: ٣٠]

٦- وقال تعالى: {إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ } [الأنفال: ١١].

٧- وقال تعالى: { وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ} [المؤمنون:١٨].

الأدلة من السنة:

١- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم):" إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا ". (صحيح مسلم).

٢- وعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ : رَأَى رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) رَجُلاً يَتَوَضَّأُ ، فَقَالَ :" لاَ تُسْرِفْ ، لاَ تُسْرِفْ". (سنن ابن ماجة).

٣- وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) مَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ ، فَقَالَ : "مَا هَذَا السَّرَفُ "؟ فَقَالَ : أَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ ؟ قَالَ :" نَعَمْ ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ جَارٍ". (سنن ابن ماجة).

٤- وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ(رضي الله عنهم)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا، وَالبَسُوا غَيْرَ مَخِيلَةٍ وَلَا سَرَفٍ " وفي رواية : " فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلاَ مَخِيلَةٍ" (رواه أحمد).

٥- عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ(رضي الله عنه) قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): " اتَّقُوا الْمَلاَعِنَ الثَّلاَثَ الْبَرَازَ في الْمَوَارِدِ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ وَالظِّلِّ" (سنن أبي داود).

٦- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ"(رواه مسلم).

ثالثا: **الموضوع**:

مما لاشك فيه أن الماء عصب الحياة في كافة مناحيها ، حيث لايستطيع الإنسان أن يعيش بدونه ، مما يتطلب خلق الوعي عند الجميع بأهميته وترشيد استهلاكه ، والحفاظ عليه ، فهو ضرورة في الحياة ، قال تعالى : {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ} [الأنبياء: ٣٠].

إن واجبنا نحو الماء يتمثل في النقاط التالية:

أولاً: المحافظة على الماء ومصادره:

إن الماء ثروة غالية نفيسة ، ولكن الناس لا يقدرونها حق قدرها؛ لأن الله تعالى هيأها لكل المخلوقات مجاناً في الأنهار والبحار والأمطار ، كما قال تعالى: { وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ}[إبراهيم: ٣٢]. وقال تعالى: { وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا}
[النازعات : ٣٠ ، ٣١]

ومن فضل الله تعالى على عباده أن جعل الماء أرخص الأشياء ؛ لأنه أوجده وهيأه للناس بوفرة، وهذا ما جعل كثيراً من الناس لا يحسون ولايقدرون هذه النعمة العظيمة إلا إذا فقدوها أو حرموا منها ولو نسبياً ، ساعتها يدرك الإنسان قدر الماء وفائدته. وقد قيل قديماً: " لا يعرف الشيء إلا بفقده ".

ومما ينبغي أن يعلم: أن الماء خاصة لا يقبل الزيادة مثل الثروة الزراعية أو الحيوانية ؛ لأن الله تعالى يقول:{وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ } [المؤمنون:١٨].

وإذا كان الإنسان لا يستطيع أن يعيش بغير الماء ، والماء محدود فالواجب على البشر أن يحافظوا على هذه الثروة النفيسة ولا يسيئوا إليها بالتلوث والإهدار في غير وجهها الصحيح أو الإسراف في الاستهلاك لغير حاجة أو مصلحة لها اعتبارها عند العقلاء من الناس .

ولقد نبه علماء "الجيولوجيا" وغيرهم على أن الماء من أهم مكونات البيئة وأن الحاجة إليه عامة ، وأن البشرية مقبلة على أزمة في المياه توشك أن تكون هذه الأزمة من أسباب الحروب بين الناس، وأن الماء في المستقبل سيكون أهم وأغلى من البترول وربما ظهرت مؤشرات لهذه الأزمة نلحظها اليوم.

وإذا أمعنا النظر في تعاليم الإسلام وأحكامه نجد أنه عنى عناية بالغة بالحفاظ على الثروة المائية وذلك من خلال عدة توجيهات ملزمة للناس ، تتناول الجوانب الأخلاقية، والجوانب القانونية ، والتي نوضحها في الأمور الآتية:

*- الاستخدام الأمثل للماء :

ينبغي للإنسان أن يستخدم الماء الاستخدام الأمثل باعتبار أن الماء من أعظم النعم التي أنعم الله بها عليه وعلى الكائنات الحية من حوله ، ويتمثل الاستخدام الأمثل للماء في الالتزام بالآتي:

أ- المحافظة على الماء نقياً طاهراً:

وتكون المحافظة على طهارة الماء ونقاوته بعدم تلوثه بأي ملوث من الملوثات التي تخرجه عن خصائصه وطهوريته التي أوجده الله عليها ، وتجعل الماء خبيثاً غير طيب ضاراً غير نافع، وأن يستخدم الماء في الأغراض النافعة لا في الأغراض الضارة وآفة الحضارة الحديثة أنها لم تراع ذلك في استخدام الماء فكان تلوث الماء في الأنهار والبحار وغيرها سبباً في موت كثير من الكائنات الحية في الماء أو إصابتها بما يضرها ويضر الإنسان معها. قال تعالى: { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ }.
[الملك: ٣٠]

ب- عدم الإسراف في الماء:

لقد نهى الإسلام عن الإسراف فى الماء كما نهى عن الإسراف في كل شيء فقد روى أكثر من صحابي عن عائشة وجابر أن أعرابياً جاء إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) وسأله عن الوضوء فأراه ثلاثاً ثلاثاً، ثم قال :" هذا الوضوء "، فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم(رواه النسائي، وأبو داود بلفظ فمن زاد على هذا أو نقص).

وروى ابن ماجه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رأى رجلاً يتوضأ فقال: "لا تسرف لا تسرف"(ابن ماجة). ويدخل في إطار الإسراف كل ما يقع تحت يدي الإنسان من الأشياء والآلات والأدوات والمساكن فيجب عليه أن يحافظ عليها وألا يفسدها أو يعتدي عليها بالإتلاف أو الإهمال أو إضاعتها فتضيع بذلك ثروة على المجتمع كله.

ثانياً: العناية بالمصادر المائية:

من التوجيهات الإسلامية النهى عن تلويث الماء بأي سبب من الأسباب ، فالماء أساس الحياة كما قال تعالى:{وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن

مّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا}.[البقرة: ١٦٤]، وقوله تعالى:{ وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ}[الأنعام: ٩٩].

ومن الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في العناية بالمصادر المائية ، ما ورد عن معاذ بن جبل أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: " اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ وَالظِّلِّ ". (رواه أبو داود وحسنه الألباني). وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ (أي الراكد) ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ"(رواه مسلم).

* - التوعية بخطر تلوث المصادر المائية:

خلق الله الأرض وما عليها من أنهار وبحار نظيفة لا تحمل أي نوع من أنواع التلوث ، متوازنة لا خلل فيها ، صالحة لحياة الإنسان وقيامه بمهمته تلك هي فطرة الله التي فطر الكون والأشياء عليها، قال تعالى:{ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً }.[الفرقان: ٤٨]. و قال تعالى:{ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ}[النمل:٨٨].

فالماء فطره الله من غير خبث ولا تلوث ولا خلل في التكوين صالح لقضاء احتياجات المخلوقات، إنما يأتي الخلل والتلوث والخبث بما يفعله الإنسان من إساءة في استخدام هذه النعمة واستعمالها ، فالمسئول عن تلوث الماء ومصادره إذاً هو الإنسان الذي استجاب لظلمه وجهله قال تعالى:{ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً }[الأحزاب: ٧٢] .

ولم يتبع الإنسان وحي ربه الذي هداه السبيل وأضاء له الطريق وأرشده إلى كل خير وحفظه من كل شر، قال تعالى:{ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً}[الجن: ١٦].

فأصل المياه العذبة من الأمطار التي تتحول إلى أنهار وبحيرات ، بالإضافة إلى الأنهار المتجمدة في شمال الكرة الأرضية وجبال الجليد الموجودة في القطبين والآبار والعيون في جوف الأرض. فالأنهار هي المورد الرئيسي للمياه العذبة حيث يعتمد كثير من البشر عليها في أغراض الزراعة والتصنيع وتوفير مياه الشرب والنظافة.

تنمية الموارد المائية:

علينا فى سبيل تنمية مواردنا المائية أن نسلك طريقين:

الطريق الأول: التوعية بخطر استنزاف الموارد المائية:

إن استنزاف الموارد المائية يعد مشكلة من مشاكلنا العصرية بحيث أصبح الإنسان فى العالم مهدد بأنه قد يأتي يوم ليس ببعيد يجد أن الماء لايكفيه وذلك ليس لقلة الماء فإن الله تعالى خلق الماء كاف لجميع خلقه ولكن ظلم الإنسان لنفسه ولغيره وكفرانه بنعمة الماء هما اللذان أديا بالإنسان إلى هذه العاقبة الوخيمة. قال تعالى: { وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ }[إبراهيم: ٣٤] ، فاستنزاف الماء نقيض المحافظة عليه فلنكن على وعي من هذا كله حيث إن ذلك إنذار بالخطر الذي بات يهدد البشرية كلها.

ويتمثل استنزاف الموارد المائية فيما يلي:

١- استخدام المياه في غير ما خلقت له:

فالماء خلقه الله تعالى ليحي به أو يسقيه الإنسان والحيوان ، وليكون وسيلة للطهارة والنظافة ولتعيش فيه الأحياء التي يحتاج إليها الإنسان فى مأكله ، كما قال تعالى: { وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً}[الفرقان: ٤٨ ، ٤٩]. وقوله تعالى: { وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ } [الأنفال: ١١] ، فلا يجوز للإنسان أن يضيع الماء فى غير ما خلقه الله له وذلك بإهداره فى غير محله.

٢- الإساءة في استخدام المياه :

ومن مظاهر الإساءة فى استخدام الماء وسوء استعماله ما يلي:

١- عدم إصلاح صنابير المياه فى المنازل والمحلات والمصالح العامة والخاصة.

٢- ظاهرة غسل السيارات بالماء الصالح للشرب بصورة فيها إساءة إلى استعمال الماء.

٣- رش الشوارع بالمياه النقية بصورة تؤدى إلى الإسراف فى الماء.

٤- الإساءة في ري الأراضي الزراعية والحدائق العامة وذلك بترك الماء يغمر الأرض الزراعية والحدائق لغير حاجة.

الطريق الثاني: التوعية بخطر الإسراف:

لما كان الإسراف فى الماء مظهر من مظاهر استنزاف الموارد المائية فإن الإسلام نهى عن الإسراف فى عديد من الآيات والأحاديث النبوية ، وحثنا على القصد والاعتدال وبين أن التبذير مدخل من مداخل الإسراف ، وحسبنا فى ذم المسرفين أن الله تعالى لا يحبهم كما لا يحب الظالمين والمفسدين، قال تعالى: { وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } [الأعراف: ٣١] ، وكما نهى عن الإسراف نهى عن التبذير ، قال تعالى: { إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً }[الإسراء: ٢٧].

والفرق بين الإسراف والتبذير : أن الإسراف هو تجاوز الحد في استهلاك الحلال المباح ، أما التبذير فهو استغلال الحلال المباح فيما حرم الله وإن قلّ ، فمن تجاوز الحد في استخدام الماء ولو فى النظافة والطهارة الشرعية فقد أسرف وأساء. ففي الحديث: أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: " كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة "

(رواه أحمد والنسائي وابن ماجة والحاكم)

وكان (صلى الله عليه وسلم) مثالاً فى الاعتدال فى استخدام الماء ، مع أن بعض الناس يسرف في الوضوء، وقد نهانا عن الإسراف فى الماء ، ففي الحديث : أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مرّ بسعد بن أبى وقاص وهو يتوضأ فقال: "ما هذا السرف يا سعد" ؟ فقال أفي الوضوء سرف ؟ قال:" نعم وإن كنت على نهر جار "(رواه أحمد).

أهمية العلاقات الدولية في الحفاظ على الموارد المائية :

إن العلاقات الدولية في الحفاظ على الموارد المائية تتمثل في تطور العلاقات الدبلوماسية المصرية مع دول حوض النيل ، وتفعيل دور المؤسسات الدينية من (الأزهر، والأوقاف ، والكنيسة) في التعامل مع قضية مياه النيل للمساهمة في تفعيل التواجد المصري في دول حوض النيل ، من خلال

البعثات التعليمية ، أو الدينية ، أو الثقافية، بما يضمن تفهم موقف مصر واحتياجاتها للمياه.

كما تقوم القوى العالمية بالتنسيق مع مجموعة الدول الذين يشتركون في نهر واحد بالتعاون الدولي بين الحكومات ، لتقسيم عادل للمياه ، ضماناَ للتوصل لاتفاقيات مقبولة في سبيل إدارة أفضل لموارد المياه المشتركة ، حتى يمكن تقليل الأضرار للحد الأدنى بعيدا عن مبدأ الحق المطلق للدول التي تمر أو تنبع من أراضيها الأنهار.

الزكاة وسد حاجات المجتمع (مصرف سداد ديون الغارمين)

أولاً: العناصر :

١- منزلة الزكاة في الإسلام .
٢- المعاني السامية للزكاة في الإسلام (الزكاة طهارة ونماء وزيادة) .
٣- . مصارف الزكاة .
٤- الزكاة مورد أساسى لمصرف الغارمين وكفالة العاجزين .

ثانياً: الأدلة :

الأدلة من القرآن:

١- قال تعالى: { وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }(البقرة: ١١٠) .
٢- وقال تعالى: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}[البقرة:٣].
٣- وقال تعالى: { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }[التوبة:١٠٣].
٤- وقال تعالى: { فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }[التوبة:١١].
٥- وقال تعالى: {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}
[سبأ:٣٩].
٦- وقال تعالى: {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}[المعارج: ٢٤، ٢٥].
٧- وقال تعالى: { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}[التوبة:٦٠].

الأدلة من السنة :

١- عَنِ ابْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم):"بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ

مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَحَجِّ الْبَيْتِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ".(متفق عليه).

٢- وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) بعث معاذاً (رضي الله عنه) إلى اليمن فقال له: " إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِجَابٌ ". (مسند أحمد).

٣- وعَنْ أَنَس بْن مَالِكٍ (رضي الله عنه)عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُ قَالَ : " إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِثَلَاثَةٍ لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ ، أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ ، أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ " (مسند أحمد) .

٤- وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ : أُصِيبَ رَجُلٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فِي ثِمَارٍ ابْتَاعَهَا فَكَثُرَ دَيْنُهُ – أي اشترى ثماراً وتلفت وعليه دفع ثمنها وهذه الحالات تتكرر كثيراً–، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : "تَصَدَّقُوا عَلَيْهِ ، فَتَصَدَّقَ النَّاسُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ وَفَاءَ دَيْنِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) لِغُرَمَائِهِ : خُذُوا مَا وَجَدْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ" (رواه الترمذي و قَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ).

٥- وعن أبي هريرةَ (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "ما مِن يومٍ يصبح العبادُ فيه إلا ملَكان ينزلان، فيقول أحدُهما: اللّهمّ أعطِ منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللّهمّ أعطِ ممسكا تلفًا" (رواه البخاريّ ومسلم).

٦- وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ ، وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَأَعِدُّوا لِلْبَلاءِ الدُّعَاءَ). (المعجم الكبير للطبراني).

ثالثًا : الموضوع:

الحمدُ للهِ الذي جعل الزكاةَ ركناً من أركان الإسلام ، وفرضَها علَى الأغنياءِ مِنَ المؤمنينَ طُهْرةً لِلأموالِ، ومواساةً للفقراءِ والمساكينِ، وعوناً لسائرِ المستحقِّينَ.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له أمرَ نبيَّه بأخذِ الزكاةِ منَ الموسرينَ ، فقال سبحانه :{ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }[التوبة:١٠٣]

وأشهدُ أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ رحمةً لِلعالَمينَ وخير من أنفق على الفقراء والمحتاجين . صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلهِ الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الإسلام يقوم على ركائز قوية ، وأسس ثابتة، وقواعد مترابطة، ترسخ العقيدة الصحيحة في نفس المسلم، وتغرس فيه حب العبادة لله تعالى، وتنمي فيه روح الألفة والمحبة لإخوانه المسلمين، ومن بين تلك الأسس التي يقوم عليها الإسلام فريضة الزكاة ، ففي الحديث المتفق عليه يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) :" بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَحَجِّ الْبَيْتِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ".

ولقد أوجب الله سبحانه وتعالى الزكاة على عباده ، تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم، فهي عبادة مالية اجتماعية مهمة ، وهي الفريضة الثانية في الإسلام ، قرنت في القرآن الكريم بالصلاة في عشرات المواضع ، تعظيماً لشأنها ، وتنويهاً بذكرها، وترغيباً في أدائها ، وترهيباً من منعها، أو التساهل فيها، وتعدد ذكرها تارةً بلفظ الإنفاق ، وتارةً بلفظ الزكاة ، وثالثةً

بلفظ الصدقة ، ففي مطلع سورة البقرة يصف الله المتقين الذين ينتفعون بهدي كتابه فيقول : {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [البقرة:٣]

وفي موضع آخرَ من نفس السورة يقول سبحانه : { وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }[البقرة: ١١٠].

ويقول سبحانه : {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [التوبة: ١٠٣].

إنها فريضة لازمة يكفر من جحدها ، ويفسق من منعها ، ويقاتل من تحدى جماعة المسلمين بتركها ، يقول الله سبحانه : { فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } [التوبة:١١] ، وحسبنا أن الخليفة الأول أبا بكر(رضي الله عنه) جهز جيشاً كبيراً لقتال المرتدين الذين امتنعوا عن دفع الزكاة ، وقال : " وَاللَّهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالاً كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ ، فَقَالَ عُمَرُ : فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ". (صحيح البخاري).

وقد شرع الله سبحانه وتعالى الزكاة لحكم عالية وأغراض سامية ، تعود على الأفراد والمجتمعات بالفضل العظيم، والخير العميم، يقول تعالى: { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [التوبة:١٠٣].

فالزكاة طهارة للمال ونماء له ، وطهارة لنفس الغني من الشح والبخل وطهارة لنفس الفقير من الحسد والحقد ، وسد حاجة الفقراء وإغناؤهم ورفع الفقر عنهم ، ووقاية للمجتمع من سخط الله وغضبه ، وفيها تثبيت لأواصر المحبة والتراحم ، والمودة والتكاتف والتلاحم ، ليشعر الفقير في المجتمع المسلم أنه أمام تعاون لا تطاحن ، وأمام إيثار لا أثرة، وأمام مساواة وعطف

وإخاء، لا ظلم و لا جفاء ، فليست الزكاة محض مال يؤخذ من الجيوب ، بل هي غرس للرأفة والرحمة في القلوب.

فالزكاة طهارة لنفس الغني من الشح والبغض : {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩] ، وهي في الجانب الآخر طهارة لنفس الفقير من الحقد والحسد والضغينة على ذلك الغني، ومن شأن الإحسان أن يستميل قلب الإنسان ، وعلى الجملة فهي طهارة للمجتمع كله أغنيائه وفقرائه من عوامل الهدم والتفرقة والصراع ، فعن ابن عباس (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) بعث معاذاً (رضي الله عنه) إلى اليمن فقال له: "إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِجَابٌ " . (مسند أحمد).

كما أنها طهارة للمال وحفظه، فقد أخرج الحاكم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنهما) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قال : " إِذَا أَدَّيْتَ زَكَاةَ مَالِكَ فَقَدْ أَذْهَبْتَ عَنْكَ شَرَّهُ " ، وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ ، وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ ، وَأَعِدُّوا لِلْبَلاءِ الدُّعَاءَ. "(المعجم الكبير للطبراني).

وكما أن الزكاة طهارة للغني والفقير ، وطهارة للمال فهي سبب لنماء المال وبركته ، وهذه حقيقة لا مرية فيها ولاشك ، فقد أفصح عنها الكتاب العزيز، وأكدتها السنة المطهرة ، يقول تعالى : {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [سبأ:٣٩]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُ قَالَ : "مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عبداً بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ " (رواه مسلم).

فالزكاة هي السبيل لحصول النماء والبركة ، فعن أبي هريرةَ (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "ما مِن يومٍ يصبِح العبادُ فيه إلا ملَكان ينزلان، فيقول أحدُهما: اللّهمّ أعطِ منفقًا خلفًا، ويقول الآخر : اللّهمّ أعطِ ممسكا تلفًا" (رواه البخاريّ ومسلم) .

إن الزكاة حق واجب على الأغنياء للفقراء ، وامتحان يمتحن الله به الأغنياء ، فهي ليست منة يمتن بها الغني على الفقير ، ولا مجرد تفضل يتفضل بها عليه ، وإنما هي فرضٌ فرضَ الله أداءه ليعلم من يُخرج زكاته موقناً بها حامداً لله وشاكراً له على أدائها فيؤديها عن طيب نفس ، وبين من يخرجها – وهو كاره – كأنها مغرم أو غرامة عليه ، كما هو حال المنافقين من الأعراب الذين قال الله عنهم: {وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[التوبة: ٩٨].

هذه هي الزكاة جعلها الإسلام رابطاً بين الغني والفقير ، فالغني يرحم الفقير ، والفقير يحسن إلى الغني ، فتتقوى الرابطة والعلاقة بينهما ؛ لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها.

إن الزكاة علاج لمشكلة الفقر ، هذه المعضلة الاجتماعية التي عجز العالم عن حلها وعجزت الأنظمة البشرية على القضاء عليها فإن الإسلام قد فرض الزكاة دواء أصيلاً وعلاجاً جذرياً لحل هذه المشكلة ، فهي مورد أساس للعاجزين الذين لا يستطيعون العمل ، والأرامل اللاتي مات عنهن أزواجهن ولا مال لهن ، واليتامى والشيوخ والمرضى والمقعدين ومن أصابتهم الكوارث فأقعدتهم عن الكسب.

إن الإسلام لم ينس هؤلاء ، لقد فرض الله لهم في أموال الأغنياء حقاً معلوماً وفريضة مقررة ثابتة هي الزكاة ، قال تعالى : {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}[المعارج: ٢٤، ٢٥]، فالهدف الأول من الزكاة هو إغناء الفقراء بها .

ولقد حدد الله تعالى مصارف الزكاة وأهلها المستحقين لها بمقتضى علم وحكمة ، وعدل ورحمة ، فشملت جميع الطوائف الفقيرة والبائسة والمستضعفة ، وكفلت لهم ما يغنيهم عن ذل السؤال، وعن الحاجة .، فقال

سبحانه : { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}[التوبة: ٦٠].

وإذا نظرنا إلى مصارف الزكاة الثمانية لوجدنا أن من أبرز مصارفها : "الغارمين" وهم الذين استدانوا في غير معصية الله ، أو تحملوا الديون وتعذر عليهم أداؤها ، و لا يقدر ون على سدادها ، فيجوز الدفع إليهم، لأنهم فقراء اليد .

ففي داخل المجتمع يمكن أن يوجد من يحجم عن إقراض الآخرين مخافة أن يتعرضوا لإفلاس أو يمتنعوا عن التسديد، نتيجة ضيق ذات اليد ، إلا أن الزكاة منحت لهؤلاء تأميناً على أموالهم بحيث إنه إذا ما وقع المحظور فإن في الزكاة سهماً لمواجهة مثل هذه الحالات .

والغارمون : جمع غارم ، وأصل الغرم في اللغة : اللزوم ، ومنه قوله تعالى في جهنم : {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا } [الفرقان: ٦٥] ، ومنه سمي الغارم ، لأن الدين قد لزمه ، فقد روى الطبري عن أبي جعفر -ونحوه عن قتادة-: الغارم: المستدين في غير سرف ، وينبغي للإمام أن يقضي عنهم من بيت المال (تفسير الطبري).

فالغارمون هم المدينون العاجزون عن وفاء ديونهم، فإن وقعوا في عجز، وجب على المسلمين مدّ يد العون لهم من الزكاة؛ لتمكين أمثالهم من سداد ديونهم، ومن استمرارهم في رسالتهم .

فعن أَنَس بْن مَالِكٍ (رضي الله عنه)عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُ قَالَ : " إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِثَلَاثَةٍ لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ أَوْلِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ " (مسند أحمد) .

والفقر المدقع : أي الشديد والذي ألصق صاحبه بالتراب ؛ والغرم المفظع : ما يلزمه أداؤه إجباراً فوق طاقته ؛ والدم الموجع : قضية إطفاء الفتنة ودفع الدية.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ أُصِيبَ رَجُلٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فِي ثِمَارٍ ابْتَاعَهَا فَكَثُرَ دَيْنُهُ - أي اشترى

ثمار اً وتلفت وعليه دفع ثمنها وهذه الحالات تتكرر كثيراً- ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : "تَصَدَّقُوا عَلَيْهِ "، فَتَصَدَّقَ النَّاسُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ وَفَاءَ دَيْنِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) لِغُرَمَائِهِ : "خُذُوا مَا وَجَدْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ" (رواه الترمذي و قَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ).
وقوله(صلى الله عليه وسلم) "خُذُوا مَا وَجَدْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ" يدل على تخفيف الدين عن المدين ، وتخليص ذمته من المطالبة المستقبلية ، وبيان أنه ليس عنده شيء ، فتطيب قلوبهم بما أخذوا ، فيسهل عليهم ترك ما بقي ، وليتشارك المتصدقون في أجر المعونة وثوابها ، وليكون ذلك سُنَّه حسنة .

فهذا دليل على أن الغارمين الذين استدانوا لحاجة أساسية ، أو ضمنوا ديناً فلزمهم دفع الدين ، أو تحملوا حمالة من أجل إطفاء الفتنة ، هؤلاء الغارمون يأخذون من مال الزكاة ما يفي بديونهم، حتى يتحقق التكافل الاجتماعي الذي يحفظ على المجتمع تَوَازُنه ، بالعَطْف، والمودَّة، والإيثار ، ونقاء السَّرِيرة ، ونَبْذ سُمُوم الأَحْقَاد والتَّحاسُدِ ، فإن فريضة الزكاة مورد أساس لكفالة العاجزين.

وبذلك تسري روح المحبة والمودة والإخاء في أفئدة المسلمين أغنياء وفقراء ، حتى يصير المجتمع كالجسد الواحد ، كما يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"

(متفق عليه)

وعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفر مَعَ اَلنبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) ، إِذْ جَاءَ رَجُل عَلَى رَاحِلَة لَهُ قَالَ : فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِيناً وَشِمَالاً ، فَقَالَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) " مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْل مِن زَاد فَلَيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَه" ، قَالَ : فَذَكَرَ مِن أَصْنَافِ اَلْمَالِ مَا ذَكَر ، حَتَّى رَأَيْنَا أَنَهُ لاحق لأَحَدٍ منا فِي فَضْل". (أخرجه أحمد ومسلم).

فهؤلاء أولى بالزكاة من الذين امتهنوا التسول وجعلوه مهنة سهلة فتراهم يطاردون الناس في كل مكان على أبواب المساجد بل في داخلها

وفي الشوارع وفي إشارات المرور ، وربما طرقوا الأبواب على ساكنيها وألحوا في المسألة إلى غير ذلك من الصور المزرية التي لا تخفى على أحد.

فعلينا أن نتذكر المستحقين وحاجاتهم ، والضعفاء وضعفهم ، والفقراء وفقرهم ، والمحتاجين ومعاناتهم ، فكم من أسرة تراكمت ديونها ، وكم من بيت مرض من يعوله ، وكم من أناس تعرضوا لنازلة أو مصيبة استنزفتهم، وكم من رجال أصيبوا بحالات نفسية جراء الواقع الأليم ، وكم من شرفاء تفيض أعينهم من الدمع لا يجدون ما يشترون به حاجاتهم الضرورية ، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : " مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ .... "(الحديث رواه مسلم)

ولنعلمْ أن من أحب الأعمال التي يُتقرب بها إلى الله تعالى : إدخال السرور على القلوب بأية وسيلة، وبأية صورة، وبأي لون من ألوان القربات، وهذا هو جوهر رسالة الإسلام ، عن ابن عمر – (رضي الله عنهما) – قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعَهُمْ لِلنَّاسِ ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٍ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِينًا ، أَوْ تُطْرَدُ عَنْهُ جُوعًا " (المعجم الكبير للطبراني).

المشاركة الإيجابية والوفاء للوطن
في حياة النبي (صلي الله عليه وسلم)

أولًا : العناصر:

١- حب الوطن والوفاء له أمر غريزي وطبيعة طبع الله النفوس عليها.

٢- دعوة الإسلام إلى الإيجابية.

٣- الإيجابية صفة الأنبياء والمؤمنين.

٤- مواقف من الإيجابية في حياة النبي (صلي الله عليه وسلم) .

٥- السلبية آفة خطيرة يعود ضررها على الفرد والمجتمع.

ثانيًا : الأدلة:

الأدلة من القرآن :

١- قال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[المائدة: ٢].

٢- وقال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ}

[آل عمران: ١١٠]

٣- وقال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[التوبة: ٧١].

٤- وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ }

[المدثر ١ : ٧]

٥- وقال تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} [الأنبياء: ٩٠].

٦- وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ }[الأنفال: ٢٤].

٧- وقال تعالى:{ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } [الرعد: ١١]

الأدلة من السنة :

١- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلْدَةٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ ، مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ" (رواه الترمذي و ابن حبان). وفي مسند أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: وَقَفَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) عَلَى الْحَزْوَرَةِ، فَقَالَ: "عَلِمْتُ أَنَّكِ خَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ الأَرْضِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَوْلاَ أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ".

٢- وعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإيمان"(رواه مسلم).

٣- وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ لاَ يَهْتَمُّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَمَنْ لَمْ يُصْبِحْ وَيُمْسِي نَاصِحًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ وَلإِمَامِهِ وَلِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ " (مجمع الزوائد).

٤- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه)قَالَ: ذُكِرَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ: كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ. وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً، فَانْطَلَقُوا قِبَلَ الصَّوْتِ،

فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ، مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ، وَهُوَ يَقُولُ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَنْ تُرَاعُوا" يَرُدُّهُمْ، ثُمَّ قَالَ: لِلْفَرَسِ (وَجَدْنَاهُ بَحْرًا) أَوْ (إِنَّهُ لَبَحْرٌ) أي واسع الخطو سريعا (رواه ابن ماجه).

٥- وعَنْ عَلِيٍّ (رضي الله عنه) قَالَ:كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْبَأْسُ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَلَا يَكُونُ أَحَدٌ مِنَّا أَدْنَى إِلَى الْقَوْمِ مِنْهُ) (المستدرك للحاكم). وقال (رضي الله عنه) : لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا (مسند أحمد).

٦- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : "كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" (متفق عليه).

٧- وعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلاَ يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ" (سنن ابن ماجه).

٨- وعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا" (الأدب المفرد).

٩- وعن أبي الدَّرْدَاءِ (رضي الله عنه) قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: "مَا مِنْ ثَلاثَةِ نَفَرٍ فِي قَرْيَةٍ وَلاَ بَدْوٍ لا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاَةُ إِلاَّ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ" (المستدرك للحاكم).

ثالثاً : **الموضوع** .

الحَمْدُ للهِ الذِي أَمَرَ عِبادَهُ بِالجِدِّ والاجتِهادِ، والسَّعْي لِما فِيهِ مَصلَحَةُ العِبادِ، والحِرص علَى رُقِيِّ وازدِهار البِلاَدِ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَشَرِيكَ لَهُ ، جَعَلَ السَّعْيَ إلِى الكَمال الإِنسَانِيِّ طَبِيعَةً بَشَرِيَّةً، والرُّقِيَّ بِالأَوضاعِ إلى الأَحْسَن غَايَةً دِينِيَّةً.

وأَشْهَدُ أَنَّ مُحمَّدًا عَبْدُ اللهِ ورَسولُهُ، وَصفِيُّهُ مِنْ خَلْقِهِ وحَبِيبُهُ، عَلَّمَ أُمَّتَهَ مَعانِي الهِمَّةِ والعَزِيمَةِ، وغَرَسَ فِيهم قُوَّةَ الإِرادَةِ ، ونَفَّرَهُم مِنْ صُوَر الاستِكانَةِ والهَزِيمَةِ، صلى الله عليه وسلم وعَلَى آلهِ وصَحْبِهِ ذَوي الأَخلاَق القَويمَةِ، وعَلَى مَنْ تَبِعَهُم بِإحسَان إلى يَوْم الدِّين. وبعد:

فلقد جُبِل الإنسان بفطرته على حب الوطن والشعور بالانتماء إليه، يشترك فى هذا جميع الناس على تنوع أعراقهم واختلاف مشاربهم، وعندما جاء الإسلام دين الفطرة والإنسانية لم يقف فى وجه هذا الميل الطبيعى بل أقر ذلك ودعا إليه ، وجعله سبيلا للعمل الصالح وفعل الخيرات وزيادة التماسك بين أبناء الوطن الواحد.

فمحبة الوطن طبيعة طبع الله النفوس عليها، وقد اقترن حب الوطن فى القرآن الكريم بحب النفس، قال تعالى:{ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اُقْتُلُوا أَنْفُسكُمْ أَوْ اُخْرُجُوا مِنْ دِيَاركُمْ مَّا فَعَلُوهُ إلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ} [النساء:٦٦].

ومن ثمَّ فليس غريباً أن يُحب الإنسان وطنه الذي نشأ على أرضه، وشبَّ على ثراه، وترعرع بين جنباته ، وليس غريباً أن يشعر الإنسان بالحنين الصادق لوطنه عندما يُغادره إلى مكان آخر ، فما ذلك إلا دليلٌ على قوة الارتباط وصدق الانتماء.

إن الوطن الذي ينعم أبناؤه بالأمن والطمأنينة فى أكنافه ، وتنمو أعوادهم من خيراته وثمراته، ليحتم على كل فرد أن ينهض بواجباته ومسؤوليّاته نحوه، ومن أهم تلك الواجبات : محبّتُه وصيانتُه ، والدفاعُ عنه ، والمحافظة على مرافِقه ومواردِ الاقتصادِ فيه ، والحِرص على مكتسَباته وعوامِل بنائه ورخائِه ، والحذرُ من كلّ ما يؤدي إلى هدمه وتخريبه ، فَلِلْوَطَن فِي الإِسْلامِ شَأْنٌ عَظِيمٌ، والتَّفْرِيطُ فِي حَقِّهِ خَطَرٌ جَسِيمٌ .

إن تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف تحُث الإنسان على حب وطنه ، ولعل خير دليلٍ على ذلك : ما أعلنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن حبِّه ووفائه لوطنه مكة، وهو يغادرها مهاجرًا إلى المدينة – كما في الحديث الصحيح – فقد روي عن ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلْدَةٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ ، مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ)(رواه الترمذي و ابن حبان). وفي مسند أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: وَقَفَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) عَلَى الْحَزْوَرَةِ – قرية إلى جنب المدينة ، فَقَالَ: "عَلِمْتُ أَنَّكِ خَيْرُ أَرْضِ اللهِ ، وَأَحَبُّ الأَرْضِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَوْلاَ أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ".

ما أروعَها من كلمات! قالها الحبيب (صلى الله عليه وسلم) وهو يودِّع وطنه، إنها تكشف عن حبٍّه العميق، وتعلُّقه الكبير بوطنه وبلده مكة المكرمة، لِمَا لها مِنْ مَكَانَةٍ فِي نَفْسِهِ، إنها الأرض التى ولد فيها، ونشأ فيها، وشبَّ فيها، وتزوَّج فيها، فيها ذكرياتٌ لا تُنسى، فالوطن ذاكرة الإنسان، فيه الأحباب والأصحاب ، فيه الآباء والأجداد.

ولولا أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو مُعلم البشرية، يُحب وطنه لما قال هذا القول الذي لو أدرك كلُ إنسان معناه لرأينا حب الوطن يتجلى فى أجمل صوره وأصدق معانيه.

وحِينَ انْتَقَلَ (صلى الله عليه وسلم) مُهَاجِراً مُضْطَرّاً إلى المَدِينَةِ ، سَأَلَ اللهَ أَنْ يُحبِّبَ إِلَيْهِ وَطَنَهُ الثَّانِي وَيُنْزِلَ عَلَيْهِ فِيهِ الرَّاحَةَ والسَّكِينَةَ، والأَمْنَ والطُّمَأْنِينَةَ ، فَعَنْ أُمِّ المُؤْمِنينَ عَائشَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْها– قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : "اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ، كَحُبِّنَا مَكَّةَ ، أَو أَشَدَّ " (رواه البخاري). هكذا كان مَثَلُنا وقدوتُنا (صلى الله عليه وسلم) يحمل فى قلبِه الطاهر محبتَه الصادقة للوطن.

وحب الفرد لوطنه وبلده لا ينبغى أن يقف عند المشاعر والعواطف والأحاسيس؛ بل لابد أن يترجم إلى سلوك صالح نافع للفرد والمجتمع ، فإنَّ لِحُبِّ الوَطَنِ والوَفَاءِ له صُوَرَاً مُتَعَدِّدةً، وأَشْكَالاً مُتَنَوِّعَةً، أهمها وأعلاها

وأجملها : المشاركة الإيجابية فى إصلاحه، والمُسَاهَمَةُ فِي النُّهُوض به ، وهذا ما دعا إليه الإسلام .

فإن الإسلام دعا المسلم إلى الإيجابية فى كل ما من شأنه خدمة الوطن ورفعته، وأظهر هذه الدعوة فى كثير من المواقف الفردية والجماعية طوال حياة الفرد منذ نعومة أظفاره حتى نهاية حياته . فالمسلم لا يقف من الأحداث موقف المتفرج ، بل يجب أن يكون إيجابياً ، يسعى إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعن الفساد والتسيب والانحراف والظلم، فما استحق المسلمون الخيرية إلا بذلك ، ولن يعود مجد المسلمين ولا عزتهم إلا إذا عادت لهم إيجابيتهم التى هى مصدر خيرتهم ، يقول تعالى:{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ}

[آل عمران: ١١٠]

ولقد حاول النبى (صلى الله عليه وسلم) أن يبث هذه الإيجابية فى حياة الناس، ويجهد فى بنائها فى نفوسهم ، فعن أبى سعيد الخدري (رضى الله عنه) قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإيمان"(رواه مسلم). فأكد (صلى الله عليه وسلم) على ضرورة أن يكون المسلم إيجابيًا فى حياته ، فيسارع فى تغيير المنكر والفساد لأنه واجب ، كما أن تغيير المنكر نفسه واجب آخر.

إننا لا نبالغ إذا قلنا: إنَّ الإيجابية هى الحياة أو هى الدين كله فالدين لم يقم فى أرضه على السلبية والخمول والتقاعس والكسل وإنما قام على الإيجابية ، وإن شئت فقل الذاتية منذ أن خاطب الله نبيه (صلى الله عليه وسلم) بقوله:{ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ }[سورة المدثر١: ٧]٠

والإيجابية تعنى الاستجابة والتلبية، والطاعة والمسارعة إلى الخير، ولقد خاطب الله نبيه بمعنى الإيجابية لكى يضمن لأمته صلاحيتها وبقائها إلى الأبد فقال سبحانه: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا

يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}[الأنفال:٢٤]. فالإيجابية صفة الأنبياء والمؤمنين فى كل زمان ومكان ، قال تعالى:{ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} [الأنبياء:٩٠].

ولقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم)المعلم الأول للإيجابية رغم كثرة الشدائد والمحن التى تعرض لها هو وأصحابه، وقد انطبعت كل أعماله وتصرفاته (صلى الله عليه وسلم) بنظرته الإيجابية ، فهو (صلى الله عليه وسلم) خير نموذج فى الإيجابية – إذ فى سلوكه (صلى الله عليه وسلم) التطبيق العملى للقرآن الكريم–، فقد كان (صلى الله عليه وسلم) أجود الناس وأشجعهم، يعطى فقيرهم، ويغيث ملهوفهم، وينصر مظلومهم، حتى قال أَنَسُ بن مَالِكٍ (رضى الله عنه) : كَانَ أَحْسَنَ النَّاس، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاس، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاس. وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً، فَانْطَلَقُوا قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ عَلَى فَرَس لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ، مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ، وَهُوَ يَقُولُ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَنْ تُرَاعُوا" يَرُدُّهُمْ، ثُمَّ قَالَ: لِلْفَرَس (وَجَدْنَاهُ بَحْرًا) أَوْ (إِنَّهُ لَبَحْرٌ) أي واسع الخطو سريعا (رواه ابن ماجه).

وقال عَلِيٌّ (رضى الله عنه): كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْبَأْسُ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ، اتَّقَيْنَا بِرَسُول اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَلَا يَكُونُ أَحَدٌ مِنَّا أَدْنَى إِلَى الْقَوْم مِنْهُ (المستدرك للحاكم). وقال (رضى الله عنه): لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْر وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُول اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم)، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاس يَوْمَئِذٍ بَأْسًا (مسند أحمد).

وقالت أم المؤمنين السيدة خديجة (رضى الله عنها): أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لَايُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ (متفق عليه).

فإذا كنت محبًّا لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فكن إيجابيًّا عند كل أمر من شأنه تهديد أمن الوطن، وأمن المجتمع. ولا تنتظر من يأخذ بيدك، فليس هو أولى منك بالسبق.

فالإيجابية تعنى: الشعور بالمسئولية والمشاركة الفاعلة فى المجتمع بالتوجيه والإصلاح والارتقاء بالوطن والمواطنين، وهى صفة أصحاب الهمة العالية ، الساعين دوما إلى تقديم الخير ومقاومة الشر والفساد، فالمسلم لا يقف ساكتاً أمام المنكر، ولكنه يتخذ موقفاً إيجابياً فعَّالاً، يدعو الناس إلى الخير وينهاهم عن الشر، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يحب للمسلمين ما يحب لنفسه ، ويبغض للمسلمين ما يبغضه لنفسه ، وهكذا يكون إيجابياًّ فى مجتمعه ، ومن ثم يتحقق فيه قول الله تعالى: {الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْض يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَن الْمُنْكَر وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[التوبة: ٧١].

أما إذا كان المرء فى وادٍ والمسلمون فى واد آخر، إذا كان غافلاً عن أمور المسلمين وهمومهم ومشكلاتهم، لا هَمَّ له إلا نفسه، فاعلم أن هذه هى السلبية بعينها وذاتها، السلبية التى جعلت هذا الإنسان عبارة عن عضو مبتور ، لا صلة له بوطنه ولا بمجتمعه الذي يعيش فيه ؛ لأن الإيجابية، إنما تعنى مشاركة الناس فى حزنهم وفرحهم، والتفاعل معهم ، والإيجابية تعنى: التفاعل مع أي حدث من الأحداث التى يمر بها الوطن ، فَعَنْ حُذَيْفَةَ بْن الْيَمَان (رضى الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "َنْ لاَ يَهْتَمُّ بِأَمْر الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَمَنْ لَمْ يُصْبِحْ وَيُمْسِي نَاصِحًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ وَلإِمَامِهِ وَلِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ "(مجمع الزوائد).

إن من أبرز سمات الإيجابية فى الشخصية الإسلامية دعوتها لكى يتحمل صاحبها المسئولية، فلا يقف من الأحداث موقفاً سلبياً، فالمسلم مسئول عن نفسه وعن زوجته وأبنائه وعن مجتمعه ووطنه، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْن عُمَرَ (رضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)انَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ:"ُلُّكُمْ رَاع، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاع وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاع فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"(متفق عليه).

فمن مظاهر الإيجابية دعوة الإسلام إلى التعاون بين الناس على البر والتقوى؛ لقوله تعالى:{ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَان وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[المائدة:٢].

ومن مظاهر الإيجابية كذلك حرص الإسلام على الاختلاط بالناس وحضور جمعهم، وزيارة مريضهم ، وحضور جنائزهم، ومواساتهم فى أحزانهم ، فعَن ابْن عُمَرَ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) المؤمن الذي يخالط الناس ويصبرعَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلاَ يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ"(سنن ابن ماجه)

إن الإيجابية خلق دافع إلى الأمام، وإن الأمة اليوم وقد تناوشتها العداوات من كل جانب، فإنها أحوج ما تكون إلى أناس إيجابيين ليكشفوا عنها ما تعاني منه وتقاسي، سواء بالمال أم بالجهد أم بالوقت أم بالرأي، أما السلبية والتقاعس عن تلبية نداءات الواجب ، وعدم الاهتمام بشأن الغير والتخلص من التبعات ، والفرار من المسؤوليات ، والأنانية ، والأثرة ، والتواكل وإلقاء الأحمال بعيداً عن النفس والذات كل ذلك ليس من أخلاق المسلمين.

كثير من الناس لا يشاركون فى اختيار ممثليهم أو التعبير عن آراءهم بالموافقة أو بالرفض، إنهم بذلك يتخلون عن حق من حقوقهم الدستورية وعن مسئولية من مسئولياتهم الوطنية.

ويبين النبى (صلى الله عليه وسلم) أهمية هذه القيمة الإسلامية ، فيرشد أمته إلى الالتزام بالعمل الإيجابى والمشاركة الوطنية من جميع أبناء الوطن لأجل نهضته ورفعته، وتقدمه وازدهاره، حتى ولو كانت القيامة تلوح فى الأفق، فيقول (صلى الله عليه وسلم):(إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا) (الأدب المفرد).

إنها مبالغة فى الحثّ على غرس الأشجار وحفر الأنهار لتبقى الدنيا عامرة إلى آخر أمدها المعلوم عند خالقها ، فالمسلم لابد وأن يكون إيجابيًا حتى قيام الساعة وحتى آخر رمق فى حياته، وألا تشغله الأحداث عن المشاركة بيده حتى لو كانت أحداث القيامة ولحظاتها، وأن يبادر إلى غرس

تلك الفسيلة قبل لحظات الساعة ، فليس المهم أن يستظل بظل هذه الشجرة، أو يأكل من ثمرها .. المهم أن يكون إيجابياً في لحظته التي يعيشها ولا تشغله الأحداث عن ذلك في شيء.

وفي المقابل حذر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الوحدة والعزلة السلبيَّة، وبين أنها تجرّ على صاحبها كل عناء وبليَّة، فعن أبي الدَّرْدَاءِ (رضي الله عنه) قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ:"ما مِنْ ثَلاثَةِ نَفَرٍ فِي قَرْيَةٍ وَلاَ بَدْوٍ لا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاَةُ إِلاَّ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ"(المستدرك للحاكم).

ونحن في مثل هذه المناسبة العظيمة علينا أن نقتدي برسولنا (صلى الله عليه وسلم) في كل أحواله ، ونعمل جاهدين على أن نأصل الإيجابية والمشاركة الوطنية حتى نرتقي ببلدنا ووطننا ومجتمعنا ، وهذا لون من ألوان الاحتفال بميلاد رسولنا (صلى الله عليه وسلم) ، فإن إصلاح الأفراد والمجتمعات يحتاج إلى أن تأصيل قيمة الإيجابية فيما بيننا، وأن نفعِّلها حتى يتم التغيير :{ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ }.

[الرعد: ١١]

فالإيجابية هي التي تبني الفرد بناءً سليمًا، وإذا شعر الفرد بمسئوليته تجاه مجتمعه أهمَّه ما قد يجده من سلبيات فيه، فيعمل على تغييرها أو إزالتها بالتعاون مع مَن ينتهجون نفس المنهج وتجمعهم نفس التصورات.

فكم يحتاجُ وطنُنا اليوم إلى قلوبٍ سليمةٍ منفتحة على كلِّ أبوابِ الخير؛ واعية بحقِّ ربِّها عالمة بحقوق من حولها. وكم يحتاجُ وطنُنا اليوم إلى جموع متآلفة متعاونة تقية، تتعاملُ بينها بإحسان لتنشأ الأمَّةُ التي أرادنا اللهُ أن نحيا في رحابِها في أمان واطمئنان، وطننا في حاجةٍ إلى تآلفِنا من أجل أنيستعيدَ قوَّتَه وقانونَه، في حاجةٍ إلينا أخوة متحابين آمنين مطمئنين.

دور الشباب في بناء المجتمع

أولاً : العناصر:

١- عناية الإسلام بالشباب .
٢- ضرورة الإفادة من طاقات الشباب وحسن توجيهها .
٣- الشباب والعمل .
٤- نماذج من دور القيادات الشبابية في بناء الأوطان .
٥- العلاقة بين الشباب والشيوخ علاقة تكامل لا علاقة صراع .
٦- الدور الوطني لشباب الجامعة يتمثل في حرصه على التفوق والابتكار لا التخريب والهدم .

ثانياً : الأدلة :

الأدلة من القرآن:

١- قال تعالى: { يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا } [مريم : ١٢]

٢- وقال تعالى: {إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى} [الكهف : ١٣]

٣- وقال تعالى: { فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ . فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ } [الصافات : ١٠١ ، ١٠٢]

٤- وقال تعالى: {وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ . فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا }[الأنبياء : ٧٨، ٧٩].

الأدلة من السنة:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : "سبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ الإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ

امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"(واه البخاري)

٢- عَنْ أَبِى بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ "(رواه الترمذي).

٣- وعَنْ عَمْرو بْنِ مَيْمُونٍ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ :"اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ : شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ"

(السنن الكبرى للنسائي)

٤- وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : جَاءَ شَيْخٌ يُرِيدُ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) فَأَبْطَأَ الْقَوْمُ عَنْهُ أَنْ يُوَسِّعُوا لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) "لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا" (رواه الترمذي) .

ثالثاً : الموضوع:

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ، الحمد لله الذي خلقنا لعبادته ، وأمرنا بتوحيده وطاعته، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ إِمَامُ الأَنبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِيْنَ، وَأَفْضَلُ خَلْقِ اللهِ أَجْمَعِيْنَ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِيْنَ لَهُمْ بِإِحْسَان إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ. وبعد:

فإن الشباب مرحلة القوة والنشاط ، يتميز فيها الشخص بالتفتح الذهني ، والقوة البدنية ، والأمل الواسع ، والانفتاح على كل ألوان الحياة بأكبر نصيب ، لا يهدأ له بال حتى يرضي آماله ، ويحقق طموحه ، وهو بهذه الميزات قوة لا تعدلها في نمو الحياة وازدهارها إذا أحسن استغلاله

واستثماره في مجالات الحياة المختلفة ، ولهذا قال الله تعالى عن هذه المرحلة من العمر التي عبر عنها بالقوة : { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً } [الروم:٥٤].

قوة في الكيان الجسدي ، وفي البناء الإنساني ، وفي التكوين النفسي والعقلي، فهي المرحلة التي يستطيع الإنسان أن يعطي فيها ما لا يقدر عليه في مراحل العمر .

ولهذا اعتنى الإسلام بالشباب عناية فائقة ، فقدم القرآن الكريم العديد من النماذج الشابة من الأنبياء والمرسلين ، وغيرهم من الصالحين ، ليكونوا قدوة صالحة لشباب المسلمين ، وربى النبي (صلى الله عليه وسلم) جيلاً من شباب الصحابة الكرام الذين ضربوا أروع الأمثلة في البذل والعطاء ، والتضحية والفداء ، والعلم والعمل ، فكانوا خير قادة وأفضل سادة ، ولقد صور القرآن الكريم هذه الحقيقة في قصة أصحاب الكهف ، وهم شباب قاموا داعين لتوحيد الله تعالى في مجتمع طغت فيه الوثنية ، وانتشر فيه الإلحاد .
قال تعالى : { إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى } [الكهف :١٣] ولفظ (الفتية) ينطبق على المرحلة الزمنية التي يطلق عليها مرحلة الشباب بكل خصائصها وسماتها .

وهذا خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام) يقوم بواجبه الدعوي في مرحلة الشباب ويتحدى مجتمعاً غفل عقله فعبد ما يصنع بيده ، وهذا ماحكاه القرآن الكريم على لسان القوم حين حطم الخليل(عليه السلام) أصنامهم ، قال تعالى : { قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيم } [الأنبياء : ٥٩،٦٠] .

كما أشار القرآن الكريم إلى ما أوتيه سيدنا سليمان (عليه السلام) من وافر الفطنة وحدة الذكاء وهو في مرحلة الشباب ، فقال : { وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ * وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ } [الأنبياء : ٧٨-٨٠] .

وهذا يحي (عليه السلام) نودي ليحمل عبْ الدعوة ، وينهض بالأمانة في قوة وعزم الشباب، لا يضعف ، ولا يتهاون ، ولا يتراجع عن تكاليف الوراثة ، مع ما أتاه الله من المؤهلات التي لا تتوفر إلا للشباب { يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا } [مريم:١٢] .

وهذا نبي الله موسى (عليه السلام) في ريعان شبابه ، حينما فرَّ إلى أرض مدين ، وجد مجتمعاً انعدمت فيه القيم لا يعبأ بالضعفاء ،كتلك المرأتين اللتين اضطرتهما الحاجة إلى موارد الرجال ، فثارت نخوته وفطرته السليمة ، كما ينبغي أن يفعل الشباب ذووا الشهامة ، وهو غريب في أرض لا يعرفها ، لا سند له فيها ولا ظهير ، تلبية لدواع المروءة والنجدة والمعروف ، يقول تعالى : { وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ } [القصص:٢٣،٢٤] .

وقد حث النبي (صلى الله عليه وسلم) الشباب على فعل الخير والطاعة ، وبين لهم فضل العبادة ، لاسيما في مرحلة الشباب ، حيث يظلهم الله في ظله ، فقال في حديثه الشريف : "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ ، الإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ "(صحيح البخاري). فجعل منزلة الشاب الطائع لله تعالى تلي منزلة الإمام العادل لما لمرحلة الشباب من خصائص تميزها عن غيرها من مراحل العمر .

وقد اهتم الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالشباب اهتماماً كبيراً ، تربية ، وتوجيهاً وتعليماً ، فعن ابن عباس(ضي الله عنهما)قال : " كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَوْمًا فَقَالَ "يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ

يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَىْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَىْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَىْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ "

(رواه الترمذي)

كما أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان كثيراً ما يطلب مشورة الشباب ، وينزل على رأيهم، كما حدث في غزوة أحد ، حين نزل على رأيهم بملاقاة المشركين خارج المدينة .

وإذا كان الإسلام قد اهتم بالشباب هذا الاهتمام ، وأولاه هذه العناية الفائقة فلا بد إذاً من الاستفادة من طاقات الشباب في عصرنا ، وحسن توجيهها فيما يخدم بناء الوطن بناءً قوياً اقتصاديا وثقافياً ، وهذا ما فعله النبي (صلى الله عليه وسلم) فقد كان يختبر ذكاء الشباب من صحابته ويعهد إليهم بما يتفق وإمكانات كل واحد منهم ، فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : قال (رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَهِيَ مَثَلُ الْمُسْلِمِ حَدِّثُونِي مَا هِيَ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَادِيَةِ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ قَالَ عَبْدُ اللهِ فَاسْتَحْيَيْتُ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنَا بِهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم هِيَ النَّخْلَةُ " (صحيح البخاري)

وأمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) أن يتعلم السريانية فتعلمها في وقت قصير ، فعنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، عَنْ أَبِيهِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، قَالَ : أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ قَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابٍ قَالَ : فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ قَالَ : فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ. (سنن الترمذي)

ولا نعجب عندما نرى سيدنا أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) في الثامنة عشرة من عمره ، وقد ولاه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إمرة جيش فيه كبار الصحابة (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وكان أول بعث يتابع تنفيذه في زمن سيدنا أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ، بلغ ذلك الجيش الذي قاده هذا الشاب ثلاثة آلاف من أصحاب رسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فلما جلس أبو بكر للخلافة أشار عليه غير واحد أن يرد الجيش خوفاً عليهم ، فإنهم خافوا أن

يطمع الناس في الجيش بعد موت رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، كما أشار عليه بعضهم أن يغير أسامة لحداثة سنه ، فامتنع أبو بكر من رد الجيش أو تغيير القائد ، وأمر بإنفاذه ، وقال : لا أحل راية عقدها رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فأنفذ الجيش بمن فيه ، واستأذن أبو بكر القائد أسامة في أن يأذن لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في الإقامة ، لأنه ذو رأي ناصح للإسلام فأذن له . وسار أسامة بجيشه فنصرهم الله نصراً عظيماً ، وردهم إلى المدينة سالمين .

وكان سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يستشير عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) ويقربه منه ، روى أن المهاجرين قالوا لعمر (رضي الله عنه) : أَلا تَدْعُو أَبْنَاءَنَا كَمَا تَدْعُو ابْنَ عَبَّاسٍ؟ قَالَ: ذَاكُمْ فَتَى الْكُهُولِ إِنَّ لَهُ لِسَانًا سَؤُولا، وَقَلْبًا عَقُولا .(شرح السنة : للإمام البغوي) .

هذا وقد وجه الإسلام الشباب إلى استثمار طاقاتهم فيما ينفع العباد والبلاد وذلك عن طريق العلم والعمل ، فقد دعا الإسلام إلى الأخذ بالعلم ، وحث على طلبه ونشره ، قال تعالى :{ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } [المجادلة:١١] .

ولذلك برز في تاريخ المسلمين المُشرق علماء في شتى التخصصات أفادت البشرية منهم أيما إفادة كابن سينا ، والحسن بن الهيثم ، والرازي ، وجابر بن حيان وغيرهم ممن تركوا خلفهم ثروة علمية خدمت البشرية في كافة المجالات.

وإن الإسلام لا يقبل أن يعيش الشباب عالة على المجتمع ، بل دعا الشباب إلى العمل والإنتاج ، فعن كَعْبِ بن عُجْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رَجُلٌ، فَرَأَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنْ جِلْدِهِ وَنَشَاطِهِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):"إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ

فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ".

(المعجم الكبير للطبراني)

وقد عمل النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في شبابه برعي الغنم ، كما عمل بالتجارة في مال السيدة خديجة (رضي الله عنها) ، فهل لشبابنا أسوة وقدوة في رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ؟ ، وبخاصة في اغتنام شبابهم في الخير ، فعنَ مُعَاذِ بن جَبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : "لاتَزُولُ قَدِمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلاهُ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ؟"

(رواه الطبراني ، وكذا أخرجه الترمذي وقال :حديث صحيح) .

وذكره (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الشباب بعد العمر من باب ذكر الخاص بعد العام لما لمرحلة الشباب من خصوصية ليست لغيرها من مراحل العمر .

وقد رأينا في عصرنا الحاضر نماذج لطاقات من الشباب العامل المنتج والمبتكر الذي استطاع أن يخدم نفسه مادياً ويخدم البشرية علمياً وتقنياً ، وإذا لم تستثمر أمتنا طاقات الشباب فمتى تنهض ؟ يقول الشاعر :

إذا المــرء أعيتــه المــروءة ناشــئاً فمطلبهــا كهــلاً عليــه شــديــدُ

إننا في حاجة إلى أن نعيد تأهيل الشباب تأهيلاً مبنياً على العلم والدين الصحيح ودفعه إلى العمل والإنتاج والابتكار بعيداً عن تلك الثقافات التي تسربت إلى أخلاقيات المجتمع عامة والشباب خاصة ، وأن نغرس في نفوس الشباب احترام الآخر .

كما أنه لن ينهض مجتمع إلا بالتعاون المثمر القائم على المحبة والمودة والاحترام الكامل بين الشباب والشيوخ ، حيث يفيد الشباب من

حكمة الشيوخ ، ويفيد الشيوخ من طاقة وقوة الشباب، فيوجه كل واحد منهما طاقته إلى ما يعود نفعه خيراً على الوطن والمواطنين ، وهذا التعاون أحرى ما يكون بين كافة أطياف المجتمع وفئاته وطبقاته ، وخاصة بين الطالب وأستاذه ، فطالب العلم يجب عليه أن يخفض الجناح لمعلمه ، ويتذلل له كي يفيد من علمه ، ويجني منه خبرةً وخيراً .

قال ابن عباس (رضي الله عنهما) : ذللت طالباً فعززت مطلوباً ، وقال بعض الحكماء : من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقى في ذل الجهل أبداً (أدب الدنيا والدين).

وفي المقابل يجب على العالم أن يتواضع لطلابه فيهش لهم ويرحمهم ويصبر عليهم ، قال بعض السلف : من تكبر بعلمه وترفَّع وضعه الله به ، ومن تواضع بعلمه رفعه الله به فكلما ازداد علم العالم ازداد تواضعه ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا"(الأدب المفرد) .

على أننا نؤكد أن ما يحدث من بعض طلاب الجامعات ضد القيم الجامعية وأخلاق طالب العلم ، ضروب من الفساد والتخريب أحياناً ، كل ذلك يتنافى مع ما يجب أن يكون طالب العلم من القيم والأخلاق ، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يتفق مع نخوة ومرؤة الشباب ، ولله در القائل :

فإذا رزقتَ خليقة محمودة ... فقدِ اصطفاكَ مقسّمُ الأرزاقِ
فالناسُ هذا حظهُ مالٌ، وذا ... علمٌ وذاك مكارمُ الأخلاقِ
والمالُ إن لم تدَّخرهُ محصناً ... بالعلم كان نهاية الإملاقِ
والعلمُ إن لم تكتنفهُ شمائلٌ ... تعليهِ كان مطية الإخفاق
لا تحسبنَّ العلم ينفعُ وحدهُ ... مالم يتوَّج ربّهُ بخلاق

ظاهرة أطفال الشوارع وأهمية تربية النشء والعناية باليتيم

أولاً : العناصر:

١- حقوق الطفل في الإسلام .
٢- تربية الأطفال وتنشئتهم على الثقة والاستقامة .
٣- الآثار المترتبة على إهمال تربية النشء .
٤- حق اليتيم وضرورة العناية به .
٥- أسباب ظاهرة أطفال الشوارع .
أ- الطلاق والخلافات الأسرية .
ب-التسرب من التعليم .
ج - الأوضاع الاقتصادية لبعض الأسر .
٦- علاج المشكلة ودور المؤسسات ورجال الأعمال .
أ - واجب الأغنياء ورجال الأعمال.
ب - واجب المؤسسات والهيئات الدعوية ، والتعليمية، والشبابية، والاجتماعية .
٧- أهمية التعليم وتوفير فرص العمل والقضاء على البطالة.
٨- أهمية الصحبة الصالحة وخطورة رفقاء السوء .

ثانياً : الأدلة

الأدلة من القرآن الكريم :

١- قال تعالى: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ } [التغابن : ١٥].

٢- وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } . [التحريم:٦].

٣- وقال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ} [الطور:٢١].

٤- وقال تعالى: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} [إبراهيم:٣٧].

٥- وقال تعالى: {رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا } [الفرقان:٧٤].

٦- وقال تعالى: { وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} [طه : ١٣٢].

٧- وقال تعالى: { وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ *وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ } [لقمان : ١٣ : ١٩].

٨- وقال تعالى: { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [البقرة:٢٢٠].

٩- وقال تعالى: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى *وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ } [الضحى: ٦-٩].

الأدلة من السنة والآثار:

١- عَنْ أَبِى مُوسَى (رضي الله عنه)عَنِ النَّبِىِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ " إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ

وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً "(متفق عليه).

٢- وعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنه) قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ : " كُلُّكُمْ رَاعٍ ومسئول عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالإِمَامُ رَاعٍ ومسئول عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ ومسئول عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ ومسئولة عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ ومسئول عَنْ رَعِيَّتِهِ "، قَالَ فَسَمِعْتُ هَؤُلاَءِ مِنَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : "وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ ومسئول عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مسئول عَنْ رَعِيَّتِهِ".(رواه البخاري).

٣ – وعن مَعْقِلِ بن يَسَارٍ (رضي الله عنه) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: " مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلاَّ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ"(متفق عليه).

٤- وعن سَهلِ بْن سَعْدٍ ، عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : "أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَقَالَ : بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى" (أخرجه البخاري)

٥- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنه) قَالَ كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَوْمًا فَقَالَ: " يَا غُلاَمُ إِنِّى أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَىْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَىْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَىْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَىْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ"(سنن الترمذي).

٦- وعن عُثْمَان الْحَاطِبِيّ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ(رضي الله عنه) يَقُولُ لِرَجُلٍ: أَدِّبِ ابْنَكَ، فَإِنَّكَ مَسْئُولٌ عَنْ وَلَدِكَ ، مَاذَا أَدَّبْتَه ُ؟ وَمَاذَا عَلَّمْتَهُ؟ وَأَنَّهُ مَسْئُولٌ عَنْ بِرِّكَ وَطَوَاعِيَتِهِ لَكَ . (السنن الكبرى للبيهقي)

ثالثاً : الموضوع :

إنّ ممّا فطر الله تعالى النفس الإنسانية عليه محبةُ الأولاد ، فالقلوبُ متعلقة بهم ، ويسعى الإنسان في حياته من بدايتها إلى نهايتها ، وجزءٌ كبيرٌ من سعيه لأجلهم ، فهم قرةٌ للعين،وزينةٌ للحياة، وفَلَذَاتٌ للأكباد، وثمراتٌ للفؤاد ، وسببٌ من أسباب دخول الجنة لمن أحسن تأديبهم ، وراعى حقوقهم ، ولأجل هذا كان من دعاء عباد الرحمن قول الله تعالى : {...وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا } [الفرقان:٧٤] كما دعا زكريا (عليه السلام) بأن يرزقه الله تعالى الولد، قال تعالى : {هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ} [آل عمران:٣٨] ، وجعل الله (عز ّوجلّ) العطف عليهم والرأفة بهم بابًا من أبواب الرحمة ، فعن أبى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيّ جَالِسًا، فَقَالَ الأَقْرَعُ : إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) ثُمَّ قَالَ : "مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ" (صحيح البخاري) .

لقد اعتنى الإسلام عناية فائقةً بالأطفال وتربيتهم تربيةً تحقق للأبناء وللآباء سعادةً في الدنيا والآخرة ، فاعتنى الإسلام بالطفل قبل أن يأتي للحياة فأمر راغبى الزواج بالانتقاء والاختيار على أساس الدين ، لأنّ البيوت إذا شاع فيها جوُّ الإيمان انعكست آثاره على أهله خيرًا وبرًا، وسعادةً وهناءً ، وهذا ما أشار إليه الرسول (صلى الله عليه وسلم) حين قال : " ... فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ " (صحيح مسلم) ، فإذا ما أَهَلَّ المولود على أبويه فهما مأموران باختيار أحسن الأسماء له ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : " الغُلَامُ مُرْتَهَنٌ بعقيقته يُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ السَّابِعِ، وَيُسَمَّى، وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ"(سنن الترمذي) ، فهذه جملةٌ من السنن المستحبة للمولود ، وفيها إظهارٌ لفرحة الآباء بالمولود ، وإدخالٌ للبهجة والسرور على الأهل والأحباب والفقراء .

ثم يأمر الإسلام بعد ذلك بالعناية بالمولود في مراحل حياته ، ففي مرحلة الطفولة نجد النبي (صلى الله عليه وسلم) يحنو عليهم ويُلاعبُهم ، فعن

أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ (رضي الله عنه) ، قالَ: إِنْ كَانَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) لَيُخَالِطُنَا ، حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ: "يَا أَبَا عُمَيرٍ ، مَا فَعَلَ التغير" (صحيح البخاري) ، ومع هذه الرحمة توجيهٌ للأطفال وتأديبٌ وتهذيبٌ وتدريبٌ على أحكام الدين وتعاليمه .

هذه تعاليم الإسلام وتوجيهاته التي تبين أنّ للأطفال حقوقًا وواجباتٍ، إذا ما حافظ عليها الآباءُ فإنهم سيجنون ثمرتها برًا ورحمةً وخيرًا ، ومن ثمَّ فإنّه ينبغي على الوالدين رعاية ما وهبه الله لهم من ذريةٍ وأبناء ، وحفظهم من كل ما يتسبب في ضررهم ، فإنهم الثروة الحقيقية لنا في الدنيا والآخرة ، وهم بابٌ من أبواب الجنة لمن عني بتربيتهم ورعايتهم وإصلاحهم ، فبرُّهم يعود علينا في قبورنا إن كانوا صالحين.

إن الولد قرةُ عينٍ لوالديه إذا كان مستقيمًا في سلوكه ، ناضجًا في تفكيره ، حليمًا في تصرفه، عفيفًا في أسلوبه ، متمسكًا بتعاليم دينه ، متأسيًّا بأخلاق نبيّه (صلى الله عليه وسلم) ، سالكًا درب الصالحين ، ذلك الأمر الذي يجعل تربية النشء واجبةً على الآباء والأمهات ، ومسؤوليَّةً كبرى يشترك فيها المجتمع بأسره ؛ لنصل إلى النموذج الأمثل الذي أراده الإسلام لأبنائنا.

يقول الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ (رَحِمَهُ اللَّهُ) : "اعْلَمْ أَنَّ الصَّبِيَّ أَمَانَةٌ عِنْدَ وَالِدَيْهِ وَقَلْبَهُ الطَّاهِرَ جَوْهَرَةٌ نَفِيسَةٌ سَاذَجَةٌ خَالِيَةٌ عَنْ كُلِّ نَقْشٍ وَصُورَة ، وَهُوَ قَابِلٌ لِكُلِّ نَقْشٍ وَقَابِلٌ لِكُلِّ مَا يُمَالُ بِهِ إِلَيْهِ فَإِنْ عُوِّدَ الْخَيْرَ وَعُلِّمَهُ نَشَأَ عَلَيْهِ وَسَعِدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يُشَارِكُهُ فِي ثَوَابِهِ أَبَوَاهُ وَكُلُّ مُعَلِّمٍ لَهُ وَمُؤَدِّبٍ وَإِنْ عُوِّدَ الشَّرَّ وَأُهْمِلَ إِهْمَالَ الْبَهَائِمِ شَقِيَ وَهَلَكَ ، وَكَانَ الْوِزْرُ فِي رَقَبَةِ الْقَيِّمِ بِهِ وَالْوَلِيِّ عَلَيْهِ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: { قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا }وَمَهْمَا كَانَ الْأَبُ يَصُونُهُ مِنْ نَارِ الدُّنْيَا فَيَنْبَغِي أَنْ يَصُونَهُ مِنْ نَارِ الْآخِرَةِ، وَهُوَ أَوْلَى وَصِيَانَتُهُ بِأَنْ يُؤَدِّبَهُ وَيُهَذِّبَهُ وَيُعَلِّمَهُ مَحَاسِنَ الْأَخْلَاقِ وَيَحْفَظَهُ مِنْ الْقُرَنَاءِ السُّوءِ وَلَا يُعَوِّدَهُ التَّنَعُّمَ وَلَا يُحَبِّبَ إِلَيْهِ الزِّينَةَ وَأَسْبَابَ الرَّفَاهِيَةِ فَيُضَيِّعَ عُمُرَهُ فِي طَلَبِهَا إِذَا كَبُرَ وَيَهْلِكَ هَلَاكَ الْأَبَدِ".(المدخل لابن الحاج) .

فالطفل إذن صحيفةٌ بيضاءُ نقية في أيدي أبويه ومن يُربّيه ، فإن أحسنوا تربيته نشأ صالحًا، وإن أساءوا نشأ على السوء والفساد ، ومن ثم فإن

على الآباء والمربين أن يدركوا أن الأطفال أمانةٌ في أعناقهم ، يُسْأَلُون عنها أمام الله (عز ّوجلّ) ، فعَن ابْنِ عُمَرَ(رضي الله عنه) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: " كُلُّكُمْ رَاعٍ ومسئول عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالإِمَامُ رَاعٍ ومسئول عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ ومسئول عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ ومسئولة عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ ومسئولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" ، قَالَ فَسَمِعْتُ هَؤُلاَءِ مِنَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ :" وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ ومسئولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مسئولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ".(متفق عليه).

ومن هنا فإن الإهمال في تربية الأطفال إهمالٌ للمسؤولية المنوطة بالآباء والمجتمع كله ، ويترتب عليها عواقبُ وخيمة ، بل ومشاكل مؤجّلة تنتظرها الأمة فيما بعد ، فماذا ننتظر من هذا الجيل المهزوم الذي نراه الآن وهو يقضي الساعات الطويلة من يومه أو يومه كلِّه في الشّارع بلا روابط أسريةٍ أو بروابط أسريةٍ ضعيفةٍ ، والذين يُطلق عليهم أطفال الشوارع ، وما ينتج عن ذلك من قضايا الأحداث المحمّلة بجرائم متنوعة ؟

إنّ هؤلاء إنّما هم نتيجة إهمالٍ أو تربية سيئة لآباء لا يعرفون شيئاً عن الإسلام والقيم الإنسانية ، إنّ هذا الجيل من الأطفال لا زالوا في عمر الزهور نجدهم في مواقف السيارات وفي إشارات المرور ، وعند أبواب المحلات والمتاجر ، يرمقون المارة بنظراتهم البائسة وبثيابهم الرَّثَّة ، أهكذا يكون الأطفال الذين هم ذُخْرٌ للأمة والمجتمع ؟!، أهكذا يُنْسَوْن ؟ إنها ظاهرة تستوجب الدراسة والبحث ، والانتباه إلى خطر محدق يبعث على القلق والاضطراب ، ويهدد الأمن والسّلام الاجتماعي . تُرى ما السبب في هذه الظاهرة ، وانتشارها يومًا بعد يوم ؟ لا شك أنها ناتجة عن عدة أسباب ، جلُّها تشير إلى خللٍ كبير في المجتمع.

إن من أسباب هذه الظاهرة تخلي الأبوين عن تربية أولادهما ، إما بسبب الفقر الذي يخيم على بعض بيوت المجتمع ، فلا يجد الطفل ما يكفيه من كساءٍ ودواءٍ وغذاء ، ولا يجد من يعطيه ما يستعين به على سدِّ رمقه ومتطلبات حياته ، فإنه يخرج من البيت باحثًا عن مصدرٍ للعيش فإمّا أن يضطر

للعمل في مهنةٍ شَاقَّةٍ أو تتلقفه أيدي السوء والجريمة، فينشأ في المجتمع مجرمًا ، ويصبح خطرًا على النفس والمال والعِرض.

ومن أسبابها أيضًا النِّزاع والشقاق بين الأبوين مِمّا يجعل الطفل يهرب من محيط الأسرة الموبوءة ؛ ليبحث عن أصدقاء يقضى معهم جُلَّ وقته ، فإن كانوا قرناء سوءٍ ورفقاء شرٍ قادوه إلى سوء الأخلاق وأقبح العادات ، وأصبح أداة خطرٍ على المجتمع بأسره ، يضر ولا ينفع ، ويفسد ولا يصلح ، فعَنْ أَبِي مُوسَى (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : " إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ : إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْه ُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الْكِيرِ : إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً " (متفق عليه).

ومن هذه الأسباب التي أنتجت أطفال الشّوارع كثرة حالات الطّلاق وما يصحبها من تشرد وضياع ، وما يعقب ذلك من تشتت وفراق ، ومن المعلوم يقينًا أنّ الطفل إذا فتح عينيه على الدنيا ولم يجد أُمًّا تحنو عليه ، وأبا يُشفِق عليه ويرعاه فإنه سيتربى على الفساد والانحراف ، ويندفع نحو الجريمة والرذيلة ، ومن هنا ندرك بعضًا من حكمة الله تعالى في جعل الطّلاق أبغضَ الحلال ، وندرك أخطاره وآثاره على الفرد والمجتمع .

وكذلك من وسائل الإهمال في تربية النشء فعل المنكرات أمامهم ؛ مما يجعل من الوالدين والمربين قدوةً سيئةً فيقلّد الأبناء آباءهم ، ويسيرون على نهجهم .

لقد بيّن لنا الشّرع الحنيف أن تربية النشء يجب أن تكون خاليةً من الكذب ؛ لينشأ الأطفال وقد تعوّدوا على الصدق ، والصّراحة ، والجرأة في القول والعمل، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنْ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُ قَالَ : " مَنْ قَالَ لِصَبِيٍّ: تَعَالَ هَاكَ ، ثُمَّ لَمْ يُعْطِهِ فَهِيَ كَذْبَةٌ"(مسند أحمد) ، بهذا الهدي النبوي ينبغي أن نربّي أولادنا وننشّئهم النشأة الإسلامية الصحيحة ، تلك التربية الإيمانية التي يتنزّهون فيها عن الكذب ، ويحققون الاستقامة ، وتكتمل شخصياتهم بالخُلُق القَويم ، والسلوك الأمثل .

وكذلك من أهم أسباب هذه الظاهرة : اللقطاء ومجهولوا النسب ، فحين تحمل المرأة سفاحًا ولا تستطيع أن تتخلص من حملها ،فإنها بعد الولادة قد تتخلص منه بتركه أمام مسجدٍ أو ملجأٍ ، أو قارعة طريق ليلقى مصيره المحتوم ، وكم من أطفال يعيشون في الشوارع لا يعرفون لهم أبًا ولا أمًّا، وهَؤلاء خَطرهم أكبر من غيرهم ، لأنهم ينقمون على المجتمع كله بسبب جهالة نسَبهم، ونظرة المجتمع إليهم .

ولاشك أنّ وقوع الإنسان في الزنا سببه الجهل بخطورته ، وبالعقوبة التي تنزل بالزاني، فلقد حَذّر الإسلام من القرب من الزنا ، فقال تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} [الإسراء:٣٢] والواجب على المجتمع كله أن يتعاون على نشر الفضيلة، ومحاربة الرذيلة، وذلك بتيسير أمور الزّواج، وتوفير مساكن للشباب ، والعمل على قضاء ظاهرة العنوسة .

ومن أسباب انتشار أطفال الشوارع : اليتم، فكل طفل فَقَدَ أبويه، أو أحدهما فلم يجد مَن يكْفلُه ويقوم على شئونه ، وهؤلاء الأطفال لم يتركهم الإسلام بتوجيهاته الرشيدة ، فيأمر الأوصياء وكل من له صلة قرابة بيتيم أن يحسنوا معاملته ، ويقوموا على شئونه ،ويشرفوا على تأديبه حتى يتربى على الخير، وينشأ على المكارم الخلقية ، والفضائل النفسية ، وقد ساق الإسلام العديد من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي ترغّب في كفالة اليتيم ورعايته والقيام على شئونه، والسعي في مصالحه ، وتنمية ماله إن كان له مال ، وإن لم يكن له مال أنفق عليه وكساه ابتغاء وجه الله (تعالى)، قال تعالى : {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }
[البقرة:٢٢٠]

وليس بالضرورة أن يكون اليتيم غريبًا لِتَكْفلَه ، وإنما ذلك للقريب والغريب ، فالإصلاح أمر جامع لما يحتاج إليه اليتيم ، فقد يحتاج إلى المال فيكون الإصلاح برًا وعطاءً ماديًا ،وقد يحتاج إلى من يتاجر له في ماله أو من يقوم على زراعته، أو صناعته، فيكون الإصلاح هو القيام بذلك ، وقد لا يحتاج اليتيم إلى المال ،إنما يحتاج إلي التقويم والتربية ، فيكون الإصلاح هنا رعايةً

وتربيةً، وقد لا ينقصه هذا ولا ذاك،إنما تكون حاجته أشدّ ما تكون إلى العطف والحنو والإحساس بالأبوة ، فيكون الإصلاح إشباع ذلك عنده .

وقد يكون الإصلاح في تقويم زيغه أو اعوجاجه ، فقد جاء أحد الناس يسأل النبي (صلى الله عليه وسلم) : ممّ أضرب يتيمي ؟ فقال (صلى الله عليه وسلم) : ممّ كنت ضاربا منه ولدك " فالنبي(صلى الله عليه وسلم) يطلب من السائل أن يعامل اليتيم معاملة ولده ، فينظر إلي ما يصلحه ويقومه ويشد عضده وجاءت امرأة بطفلتين لها إلى أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) تسألها الصدقة ، فلم تجد عائشة عندها شيئًا تتصدق به إلا تمرة ، فأعطتها التمرة ، فأخذت المرأة التمرة وشقّتها نصفين ، نصف لهذه الطفلة ونصف لهذه الطفلة ، فتعجبت عائشة من فعلها ، فأخبرت النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال : " إنّ الله قد أوجب لها الجنة ".(ابن حبان والطبراني) .

وقد قال داوود (رضي الله عنه) في مناجاته لربه : إلهي ما جزاء من أسند اليتيم والأرملة ابتغاء وجهك ؟ قال : جزاؤه أن أظله في ظلي يوم لاظل إلا ظلي ، معناه ظل عرشي يوم القيامة. (السيوطي في الدر المنثور).

إنّ هناك دورًا هامًّا على المؤسسات المعنيّة تجاه هذه الظاهرة ، فهذه الظاهرة تحتاج إلى الكثير من الرعاية التي توفر ما يحتاج إليه هؤلاء الأطفال من أشكال الرعاية اللازمة ، إلا أنه قد تعجز عنه الحكومات خاصة في حالة تفشي الظاهرة وانتشارها بشكل كبير وعلى نطاقٍ واسع .

ومن هنا فلا يقتصر الأمر على عمل الحكومة فقط ، بل الواجب على كل أفراد المجتمع وبخاصةٍ رجال الأعمال ومؤسسات المجتمع المدني التعاون من أجل إيجاد الحل الناجح والسريع لتلك الظاهرة السيئة ، ويقع الدور الأكبر على الأغنياء ورجال الأعمال فإنّ مواجهة مثل تلك من خلال عمل المشاريع اللازمة لذلك .

وهذا الدور الذي يؤديه الأغنياء من باب قول الله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى). وهو أيضا يقوم على فهمٍ دقيقٍ لنظرة الإسلام إلى المجتمع على أنّه كسفينة واحدة إن غرقت غرقت بالجميع ، وإن نجت نجا جميع من فيها، كما قال سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال:"مَثَلُ

الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا". (صحيح البخاري).

إنّ أغنياء المجتمع ليسوا بمعزل عن الآثار السلبية التي تنتج عن تفشي تلك الظاهرة في المجتمع، بل هم أول الناس تضررًا منها ، ولهذا فالتعاون في علاج تلك الظاهرة أمر ضروري يفرضه الإسلام، ويدعو إليه الواقع الأليم الذي يعيش فيه هؤلاء الأطفال الذين هم ضحايا آبائهم وأمهاتهم، ضحايا الإهمال وعدم التعاون .

إنّ ظاهرة أطْفال الشّوارع – وما ينتج عنها من قضايا الأحداث المحمّلة بأنواعٍ من الجرائم – هي ظاهرة عامة ، تحتاج إلى تكاتفٍ وتعاونٍ بين جميع المؤسسات المدنية والحكومية على كافة مستوياتها ، وجميع تخصصاتها لحل هذه الظاهرة ، ومواجهتها على أسس وقواعد علمية، تتفق مع القيم الإنسانية ، وتعاليم الإسلام السمحة ، ممتثلين توجيه النبي (صلى الله عليه وسلم) حين قال : " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى ".

(صحيح مسلم)

مبدأ الحق مقابل الواجب وسيلة لإصلاح المجتمع

أولاً : **العناصر** :

١-الحق والواجب مبدأ إسلامي يقيم التوازن في حياة المسلم.

٢-التقدم والرقي الحضاري مرهون بأداء الواجبات ومعرفة الحقوق.

٣-الحق مقابل الواجب في الحياة الاجتماعية.

٤-الحق مقابل الواجب بين المواطن والدولة.

٥-الحق مقابل الواجب في العمل العام و الخاص.

٦- حق الطريق.

ثانياً : **الأدلة** :

الأدلة من القرآن :

١- قال تعالى: {... وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ } [البقرة: ٤٠].

٢- وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد: ٧].

٣- وقال تعالى: {...وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة: ٢٢٨].

٤- وقال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[النحل: ٩٧].

٥- وقال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }[النور: ٥٥].

٦- وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الأنفال: ٢٩].

٧- وقال تعالى :{...فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}

[البقرة: ١٥]

الأدلة من السنة:

١- عَن ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَوْمًا فَقَالَ: "يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ..."(سنن الترمذي).

٢- وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِى أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا ". قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: " تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِى عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ"(متفق عليه).

٣- وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (رضي الله عنه) قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلاَّ مُؤْخِرَةُ الرَّحْلِ فَقَالَ: "يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ". قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: "يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ". قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. ثُمَّ سَارَ سَاعَةَ ثُمَّ قَالَ: "يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ". قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: "هَلْ تَدْرِى مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ". قَالَ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا". ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: "يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ". قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: "هَلْ تَدْرِى مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ". قَالَ: قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ".(متفق عليه).

٤- وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ" قِيلَ مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ"(متفق عليه).

٥- وعَنْ عَمْرِو بْنِ الأَحْوَصِ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "أَلاَ إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلاَ

يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، أَلاَ وَإِنَّ حَقَّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ"(سنن الترمذي).

الآثار:

١- وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أن أبا بكر (رضي الله عنه) لما بويع بالخلافة صعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه ثم قال : أَمَّا بَعْدُ أَيّهَا النّاسُ فَإِنّي قَدْ وُلّيت عَلَيْكُمْ وَلَسْت بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ أَحْسَنْت فَأَعِينُونِي ، وَإِنْ أَسَأْت فَقَوّمُونِي، الصّدْقُ أَمَانَةٌ وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ، وَالضّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيّ عِنْدِي حَتّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقّهُ -إنْ شَاءَ اللّهُ-، وَالْقَوِيّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتّى آخُذَ الْحَقّ مِنْهُ -إنْ شَاءَ اللّهُ-، لَا يَدَعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللّهِ إلّا ضَرَبَهُمْ اللّهُ بِالذّلّ، وَلَا تَشِيعُ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطّ إلّا عَمّهُمْ اللّهُ بِالْبَلَاءِ، أَطِيعُونِي مَا أَطَعْت اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِذَا عَصَيْت اللّهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ. قُومُوا إلَى صَلَاتِكُمْ يَرْحَمْكُمْ اللّهُ (السيرة النبوية لابن هشام).

٢- وقال سيدنا علي (رضي الله عنه) في خطبة له خطبها بصفين: أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ جَعَلَ اَللَّهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً بِوِلاَيَةِ أَمْرِكُمْ، وَ لَكُمْ عَلَيَّ مِنَ اَلْحَقِّ مِثْلُ اَلَّذِي لِي عَلَيْكُمْ، وَاَلْحَقُّ أَوْسَعُ اَلْأَشْيَاءِ فِي اَلتَّوَاصُفِ وَ أَضْيَقُهَا فِي اَلتَّنَاصُفِ، لاَ يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلاَّ جَرَى عَلَيْهِ وَ لاَ يَجْرِي عَلَيْهِ إِلاَّ جَرَى لَهُ، وَ لَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَ لاَ يَجْرِيَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصاً لِلَّهِ سُبْحَانَهُ (نهج البلاغة).

ثالثاً : **الموضوع** :

الإنسان مدني بفطرته ، لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن غيره، ولايقضي حاجته وحده، وإقامة الحياة وإنشاء الحضارة والعمران يتطلب التعايش بين الناس، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣] ، وهذا التعايش لن يتم ولا يكون سلميًّا متوازنًا إلا إذا قام على مبدأ معرفة الحق مقابل الواجب، وهو مبدأ إسلامي أصيل وتوجيه رباني عظيم يتربى عليه المؤمن من خلال معرفته بدينه، فأنت تقرأ قول الله

تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥] ، فالعبادة حق الله تعالى على خلقه وواجبهم نحوه، والإعانة من الله تعالى لخلقه منحته وعطاؤه، فحق الله على عباده مقدم على طلب الإعانة، فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ(رضي الله عنه) قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلاَّ مُؤْخِرَةُ الرَّحْلِ فَقَالَ: "يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ". قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: "يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ". قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: "يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ". قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: "هَلْ تَدْرِى مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ». قَالَ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا". ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: "يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ". قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: "هَلْ تَدْرِى مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ". قَالَ: قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ"، وكذلك وضح لنا النبي (صلى الله عليه وسلم) هذا المبدأ وبينه في قوله : "احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ".

وعلى هذا المبدأ – الحق مقابل الواجب – تُبنى الحضارات وتعمر البلاد ويعم الصلاح ويأتي الإصلاح، ويتحقق التمكين في الأرض، كما قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: ٥٥] وقال سبحانه وتعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: ٩٧].

إن معرفة الإنسان حقوقَه وواجباتِه تجعله إنسانًا إيجابيًا في مجتمعه نافعًا لوطنه لا يصطدم مع الآخرين من حوله فهو لا يعتدي على حقوق الآخرين فلا يأخذ ما ليس له ولا يُنزَعُ منه ما هو له فحين إذٍ لا نجد حقدًا ولاحسدًا ولا أنانيةً، وتعم المحبة والمودة.

أما جهل الإنسان بحقوقه وواجباته نحو عمله وأسرته ووطنه وعمله وجيرانه وأقرانه فيجعل المجتمع يعاني الكثير من المشكلات والآفات، لأن

في ذلك اختلالاً للتوازن، وإذا اعتمدت الأمة مبدأ السهولة والمطالبة بالحقوق وأغفلت مبدأ القيام بالواجب فإنها أسرع إلى الزوال، فحرصُ الإنسانِ على حقه وتركُه واجبَه هو الأثرة والأنانية، وقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِى أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا". قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: "تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِى عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِى لَكُمْ"، والأثرة والأنانية تحيل المجتمع إلى ساحة من الصراع، وهذا لا يتفق مع مراد الإسلام وهدفه من إقرار مبدأ الحق مقابل الواجب.

إن الحق ليس هدية تعطى ولا غنيمة تغتصب، وإنما هو نتيجة حتمية للقيام بالواجب ولكل سعيٍ أثرُه ومنفعته وإن قَلّ.

إن معرفة الحقوق والواجبات سبيل النهوض بالبلاد والرقي بالأمة، وهي حقوق متبادلة بين الأفراد يعم نفعها على الجميع ولا تأتي في صالح فرد دون الآخر، فهناك مثلاً حقوق للآباء والأمهات في أعناق الأبناء يجب أداؤها ومراعاتها، وفي مقابلها حقوق للأبناء في أعناق الآباء والأمهات، فحق التربية والتهذيب والتعليم وغيره واجب على الآباء، يقابله حق البر من الأبناء لهم، فلابد للآباء أن يؤدوا واجباتهم ليساعدوا الأبناء على الحق الذي لهم، فرحم الله والدًا أعان ولده على بره، وهذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوجه الآباء إلى ما تطيب به نفوس بنيهم ويساعدهم على البر، فعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (رضي الله عنهما) قَالَ انْطَلَقَ بِي أَبِى يَحْمِلُنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْهَدْ أَنِّى قَدْ نَحَلْتُ النُّعْمَانَ كَذَا وَكَذَا مِنْ مَالِي. فَقَالَ "أَكُلَّ بَنِيكَ قَدْ نَحَلْتَ مِثْلَ مَا نَحَلْتَ النُّعْمَانَ". قَالَ لاَ. قَالَ "فَأَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي – ثُمَّ قَالَ :" أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً". قَالَ بَلَى. قَالَ: "فَلاَ إِذًا"(صحيح مسلم).

وحقوق الأبناء والآباء تأتي في مراحلها وحسب تدرج المراحل العمرية للإنسان، فإذا كنت اليوم ابنًا فأنت غدًا أبٌ ، وهكذا تتغير الحقوق والواجبات في كل مرحلة عن غيرها. لكن الحق مقابل الواجب بين الآباء والأبناء قد يكون الوفاء به من قِبل الله تعالى، فهذا خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام) يَبَرُّ أباه ويسلك كل السبل في هدايته وإرشاده، ثم يلقى منه

الصدود والإعراض، يقول الله تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا} [مريم: ٤١ – ٤٧].

فهذا رفق الابن المؤمن، وهذا ردُّ الأب الكافر، فكان الجزاء من الله تعالى في ولده إسماعيل (عليه السلام) الذي أطاعه فيما لا يُطاع فيه أحد من الخلق: {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} [الصافات: ١٠١، ١٠٢].

وهناك الحقوق والواجبات المتبادلة بين أفراد الأسرة الواحدة، فللزوج حقوق على الزوجة وللزوجة حقوق على الزوج، والله تعالى يقول: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة: ٢٢٨]، وقد بيَّن النبي (صلى الله عليه وسلم) ذلك بقوله:"أَلاَ إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلاَ يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، أَلاَ وَإِنَّ حَقَّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ".

كما فرض الإسلام حقوقًا بين المسلم وأخيه المسلم بيَّنها النبي (صلى الله عليه وسلم) في أحاديث عديدة منها قوله: "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ" قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ"، فكل حق من هذه الحقوق هو حق لك على أخيك المسلم، وواجب له عليك.

وكذا حقوق الجار التي جعلها النبي (صلى الله عليه وسلم) شرطًا للإيمان فقَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ"(متفق عليه)،

فكل حق من حقوق الجيرة ككف الأذى وحسن المعاملة، ومساعدته حين يحتاج المساعدة، وعيادته إذا مرض، وتهنئته في فرحه، وتعزيته في مصيبته، وغير ذلك هي لك حقوق على جارك، وفي نفس الوقت هي عليك واجبات له.

وهناك حقوق وواجبات متبادلة بين المعلم والتلميذ، فحق الأستاذ على التلميذ من الأدب والتوقير والطاعة يقابله حق التلميذ على أستاذه من حيث تقديم العلم النافع وحسن الأداء والرعاية للتلاميذ.

إن الأخذ بمبدأ مقابلةِ الحق بالواجب ضرورة شرعية ومجتمعية لضمان العدل بين الناس والتعايش في سلام وأمان، فإذا نظرنا إلى هذا المبدأ بين صاحب العمل والعامل وجدنا أن الإسلام قد بين حقوق وواجبات الطرفين، فالعامل يجب عليه أن يلتزم بأخلاقيات العمل التي دعا إليها الإسلام من الصدق والوفاء بالعقود، وأداء الأمانة في العمل وغيره على الوجه المطلوب والشكل المرغوب، فعَنْ عَدِيِّ بْنِ عَمِيرَةَ الْكِنْدِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: "مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فَكَتَمَنَا مِخْيَطًا فَمَا فَوْقَهُ كَانَ غُلُولاً يَأْتِى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ أَسْوَدُ مِنَ الأَنْصَارِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اقْبَلْ عَنِّى عَمَلَكَ، قَالَ: "وَمَا لَكَ" قَالَ سَمِعْتُكَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا. قَالَ: "وَأَنَا أَقُولُهُ الآنَ: مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فَلْيَجِئْ بِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ فَمَا أُوتِىَ مِنْهُ أَخَذَ وَمَا نُهِىَ عَنْهُ انْتَهَى"(صحيح مسلم) .

يقول الإمام المناوي (رحمه الله تعالى) : وهذا مسوق لتحريض العمال على الأمانة وتحذيرهم من الخيانة ولو في تافهٍ"، وقد جاء واضحًا صريحًا في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ} [المائدة: ١]، وقوله: { وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ} [النحل ٩١]، وفى مثل قول النبي (صلى الله عليه وسلم): "الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ إِلاَّ شَرْطًا حَرَّمَ حَلاَلاً، أَوْ شَرْطًا أَحَلَّ حَرَامًا"(السنن الكبرى للبيهقي)، كما بيَّن في المقابل حقوق العامل، وقد كفلتها له الدعوة الإسلامية كاملة غير منقوصة، وألزمت صاحب العمل بأداء هذه الحقوق، فمن ذلك أن الإسلام وضع أجر العامل في مرتبة

من القداسة عالية، وتوعد من يأكل حقه بأشد العذاب، وفى هذا يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) فيما يرويه عن ربه سبحانه : " قَالَ اللَّهُ: ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ"(صحيح البخاري)، وهذا لما يترتب على أكله من فساد كبير، بل أمر (صلى الله عليه وسلم) بإعطائه حقه بعد العمل مباشرة قبل أن يهدأ بدنه من قوة العمل، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ):"أَعْطُوا الأَجِيرَ أَجْرَهُ، قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ"(سنن ابن ماجه).

والمواطنون لهم حقوق على الدولة منها: حمايتهم وحماية ممتلكاتهم وتوفير الأمن والاستقرار، وضمان المسكن الملائم والتملك والعمل، وحرية التنقل وحرية الرأي، وضمان التعليم والصحة، وإقامة المرافق العامة كالنقل والمواصلات، والمياه النظيفة، وضمان حرية العبادة، وتحقيق العدل بين الناس، وهذا أبو بكر (رضي الله عنه) في كلماته الأولى للأمة بعد أن بويع بالخلافة يوضح جليًا دور الحاكم في إقامة العدل بين المحكومين وحمايتهم فيقول: أَمّا بَعْدُ أَيّهَا النّاسُ فَإِنّي قَدْ وُلّيت عَلَيْكُمْ وَلَسْت بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ أَحْسَنْت فَأَعِينُونِي ، وَإِنْ أَسَأْت فَقَوّمُونِي، الصّدْقُ أَمَانَةٌ وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ، وَالضّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيّ عِنْدِي حَتّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقّهُ -إنْ شَاءَ اللّهُ-، وَالْقَوِيّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتّى آخُذَ الْحَقّ مِنْهُ -إنْ شَاءَ اللّهُ-، لَا يَدَعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللّهِ إلّا ضَرَبَهُمْ اللّهُ بِالذّلّ، وَلَا تَشِيعُ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطّ إلّا عَمّهُمْ اللّهُ بِالْبَلَاءِ، أَطِيعُونِي مَا أَطَعْت اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِذَا عَصَيْت اللّهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ. قُومُوا إلَى صَلَاتِكُمْ يَرْحَمْكُمْ اللّهُ.

أمّا الواجبات التي على المواطن تجاه وطنه – وتُعدُّ من الأمانات التي يجب عليه أن يقوم بها قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} [النساء: ٥٨] لأنه سيُسأل عنها يوم القيامة قال تعالى: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [البقرة: ٢٨١] – نقول هذه الواجبات هي : المحافظة على المال العام كالمرافق العامة والطرق، وحافلات النقل، ومؤسسات العمل، والحدائق العامة ، والمدارس والجامعات

والمستشفيات، واحترام القوانين المنظمة للأعمال، ونشر ثقافة التراحم والتسامح والمحبة بين أبناء الوطن جميعًا، فرسالة الإسلام قد لخّصها القرآن الكريم عندما حدد أهدافَ مهمةِ النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) ، رسول الرحمة والإنسانية فقال: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}[الأنبياء: ١٠٧].

ومن أهم الحقوق حق الطريق والمحافظة على آدابه ، واحترام القوانين والإرشادات الخاصة بالسير فيه للأفراد والمركبات حفاظا على أمن المجتمع وسلامته.

ومن حق الوطن على أبنائه كذلك المشاركة في تنميته زراعيًا، واقتصاديًا، وسياسيًا، وعلميًا، ودعم المنتجات الوطنية، والإسهام في توظيف الشباب في مؤسسات وشركات رجال الأعمال وأصحاب المصانع، واحترام الآخر مع اختلاف انتمائه الديني أو الثقافي، أو السياسي وعدم اللجوء إلى العنف والإرهاب ، أو إشاعة الفوضى والتخريب وحمل السلاح في وجه المواطنين المسالمين الآمنين ، أو حراس الوطن وحماته من الجيش والشرطة، والخروج عن إطار القانون والإفساد والفساد الاجتماعي، وغير ذلك من الواجبات اللازمة على المواطن تجاه وطنه .

إن الله عز وجل هو الكريم عظيم الجود، خزائنه لا تنفد، وعطاؤه لاينقطع، ومع هذا يريد من العبد أن يقدم بين يديه شيئًا حتى يثيبه، يقول الله تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} [البقرة: ١٥٢]، ويربط الله (عز وجل) بين ما يقدمه العبد وما يمنحه الله إياه ، كأنه يشترط عليه أن يقدم أولاً حتى يعطيه، فيقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد: ٧] كل هذا مع غناه عن خلقه؛ لكنه سبحانه يريد أن يبث في عباده مبدأً مهمًا وهو أن من يريدُ عليه أن يقدم أولاً.

لكننا هنا لابد أن نشير إلى مبدأ لا ينبغي أن يخفى على أحد وهو أن هذه الحقوق والواجبات في الأصل عبادة يتوجه بها العباد إلى الله تعالى قبل كل شيء، فمثلًا صلة الرحم وبر الآباء عبادة يتقرب بها الإنسان إلى الله تعالى، فالجزاء عليها من الله تعالى لا من العبد، ولهذا حين جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) قائلًا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ

وَيَقْطَعُونِى وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَىَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَىَّ. فَقَالَ: "لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ"(صحيح مسلم) ولم يرخص له النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يقاطعهم كما قاطعوه، وهذا الأمر عام في كل الحقوق والواجبات، فعلى كل واحد فينا أن يعطي الذي عليه حتى وإن لم يأخذ الذي له، فلو نظرنا إلى العمل مثلًا لوجدنا الله تعالى يحب إتقان العمل ،كما أخبر بذلك النبي (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ"(الطبراني)، فهذا يعني أن إتقان العمل عبادة قبل أن يكون وفاءً بحق صاحب العمل، وهكذا يجب أن تكون نظرتنا للأمور، أن نعامل الله تعالى في أعمالنا وعلاقاتنا قبل أن نعامل العباد.

وهكذا إن لم يؤدَّ إليك ما هو لك فليس هذا مسوغًا أن تهمل وتترك ما هو واجب عليك، بل أدِّ ما عليك وقم بواجبك قاصدًا وجه الله تعالى، فهو المكافئ والمجازي والمحاسب، فإن الإنسان إذا أدى ما عليه فالله مثيبه ومكرمه ولا يضيع أجره، قال تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } [يوسف: ٩٠]، وقال: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا} [الكهف: ٣٠].

ولنعلم أنه ما ضاعت أمة ولا هلك مجتمع إلا حينما تغافل الناس وتركوا مبدأ الحق مقابل الواجب، فالبعد عن هذا المبدأ بُعْدٌ عن تحقيق العدالة الاجتماعية، وطريق لنشر الفوضى والأنانية والكثير من العلل الباطنة والظاهرة، وهذا يؤدي إلى تقويض بنيان المجتمع، وهذا ما يأباه العاقل لوطنه، فما بالكم بالمؤمن المخلص؟! إنه يتمنى الرفعة والعلو لمجتمعه ووطنه، ومن ثَمَّ فهو حريص على هذا المبدأ والقيام به لما فيه من نشر الخير والأمن والأمان والحب والوئام.

من أوجه العظمة في الحضارة الإسلامية

أولاً : **العناصر**:

١- عظمة الحضارة الإسلامية وجوانبها الأخلاقية.

٢- من أوجه عظمة الحضارة الإسلامية:

أ- العدل .

ب- الرحمة.

جـ- احترام آدمية الإنسان.

د- القدرة على العيش المشترك مع الآخرين.

هـ- مراعاتها لحاجات الروح والجسد معًا.

ثانياً : **الأدلة**:

الأدلة من القرآن:

١- يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة: ٨].

٢- ويقول تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } [الحجرات: ١٣].

٣- ويقول تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} [الحديد: ٢٥].

٤- ويقول تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: ١٤٣].

٥- ويقول تعالى:{وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ} [هود: ١١٧].

٦- ويقول تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الحجرات: ١٠].

٧- ويقول تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [آل عمران: ١٠٣].

٨- ويقول تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[الحشر: ٩].

الأدلة من السنة والآثار:

١- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ (يعني النبي صلى الله عليه وسلم) فَزَعَمْتَ أَنَّهُ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ قَالَ وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ.(صحيح البخاري).

٢- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي"(صحيح البخاري).

٣- وعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ : قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) فَقَالُوا : أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، فَقَالُوا : لَكِنَّا وَاللَّهِ مَا نُقَبِّلُ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ): "وَأَمْلِكُ أَنْ كَانَ اللَّهُ قَدْ نَزَعَ مِنْكُمُ الرَّحْمَةَ "؟ (سنن ابن ماجه).

٤-وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: " كَانَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تُلُقِّيَ بِصِبْيَانِ أَهْلِ بَيْتِهِ، قَالَ: وَإِنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَسُبِقَ بِي إِلَيْهِ، فَحَمَلَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ جِيءَ بِأَحَدِ ابْنَيْ فَاطِمَةَ، فَأَرْدَفَهُ خَلْفَهُ، قَالَ: فَأُدْخِلْنَا الْمَدِينَةَ، ثَلَاثَةً عَلَى دَابَّةٍ "[صحيح مسلم].

٥-وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ

يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ"(سنن الترمذي).

٦- وعن جابر الجعفي عن الشعبي قال: وجد عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) درعه عند رجل نصراني، فأقبل به إلى شريح القاضي يخاصمه، قال: فجاء عليٌّ فقال: هذا الدرع درعي ولم أبع ولم أهب، فقال شريح للنصراني: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين ؟ فقال النصراني: ما الدرع إلا درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب، فالتفت شريح إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين هل من بينة ؟ فضحك علي وقال: أصاب شريح، مالي بينة، فقضى بها شريح للنصراني، قال فأخذه النصراني ومشى خُطىً ثم رجع فقال: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين يدنيني إلى قاضيه يقضي عليه، أشهد إن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين، اتبعت الجيش وأنت منطلق إلى صفين فخرجت من بعيرك الأورق، فقال: أما إذ أسلمت فهي لك، وحمله على فرس. [البداية والنهاية لابن كثير].

٧- وذكر ابن عساكر أن الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور كتب رسالة إلى سوار بن عبد الله قاضي البصرة قائلاً له: انظر الأرض التي يخاصم فيها فلان القائد فلانًا التاجر فادفعها إلى فلانٍ القائد. فكتب إليه سوار: إن البينة قد قامت عندي أنها لفلانٍ التاجر، فلست أُخرجها من يديه إلا ببينة، فكتب إليه أبو جعفر المنصور: والله الذي لا إله إلا هو لتَدفعنَّها إلى فلان القائد! فكتب إليه سوار: والله الذي لا إله إلا هو لا أخرجتها من يد فلانٍ التاجر إلا بحق! فلما جاءه الكتاب قال أبو جعفر: ملأتُها والله عدلاً، صار قضاتي يردونني إلى الحق.(تاريخ دمشق لابن عساكر).

ثالثا ً: الموضوع:

إن الحضارة الإسلامية عظيمة وعريقة، وتراث المسلمين مليء بالكنوز والجواهر الثمينة التي اندثرت عبر تاريخ طويل، ولا ينبغي أبدًا أن تكون حالة الضعف والتردّي الحضاري التي يعانيها المسلمون اليوم محبطة ومثبطة لعزائمنا، فهي مرحلة مؤقتة لا تساوي في عمر الزمن شيئًا.

لقد بنى المسلمون حضارتهم على دعائم قوية وقيم أخلاقية راسخة كالعدل والرحمة والحق والموازنة بين متطلبات الروح والجسد، والموائمة بين كل طبقات المجتمع.

والعدل من أهم أسس الحضارة الإسلامية، ومن ملامحها التي تدل على عظمتها، إنه من أهم مُقَوِّمَاتِ الحياة الفردية والأسرية والاجتماعية والسياسية في المجتمع المسلم، وقد جعل القرآن الكريم هدف إرسال الرسل هو إقامة العدل، فقال تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} [الحديد: ٢٥]، فعظمة النظام الإسلامي تتجلى في أنه يقود أتباعه إلى العدل مع العدو كالصديق، يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة: ٨]، يعني لا يحْمِلَنَّكم بغض قوم على ظلمهم.

إن العدل في تراث المسلمين وثقافتهم ودولتهم شمل الراعي والرعية، شمل كل طبقات المجتمع دون تمييز أو انحياز بين عظيم وحقير، فهذا الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور يكتب رسالة إلى سوار بن عبد الله قاضي البصرة قائلاً له: انظر الأرض التي يخاصم فيها فلان القائد فلانًا التاجر فادفعها إلى فلانٍ القائد. فكتب إليه سوار: إن البينة قد قامت عندي أنها لفلانٍ التاجر، فلست أخرجها من يديه إلا ببينة، فكتب إليه أبو جعفر المنصور: والله الذي لا إله إلا هو لتَدفعنَّها إلى فلان القائد! فكتب إليه سوار: والله الذي لا إله إلا هو لا أخرجتها من يد فلانٍ التاجر إلا بحق! فلما جاءه الكتاب قال أبو جعفر: ملأتُها والله عدلاً، صار قضاتي يردوني إلى الحق.[تاريخ دمشق لابن عساكر]، إنه العدل الذي هو أساس الملك ودعامة من أهم دعائم نهضة الأمم، ولهذا قيل: ((إنّ اللهَ ينصرُ الدولةَ العادلةَ ولو كانتْ كافرةً، ويخذُلُ الدولةَ الظالمةَ ولو كانتْ مسلمةً)(كتاب الحسبة لابن تيمية).

وهذا الأصل الحضاري الإسلامي العظيم - العدل - لم يقف عند حدود المسلمين بل أنصف غير المسلمين في الدولة الإسلامية لدرجة جعلت أحد قضاة المسلمين يحكم لصالح نصراني يخاصم الخليفة، فعن جابر الجعفي

عن الشعبي قال: وجد عليٌّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) درعه عند رجل نصراني، فأقبل به إلى شُريح القاضي يخاصمه، قال: فجاء عليٌّ فقال: هذا الدرع درعي ولم أبع ولم أهب، فقال شريح للنصراني: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين ؟ فقال النصراني: ما الدرع إلا درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب، فالتفت شُريح إلى عليّ فقال: يا أمير المؤمنين هل من بينة ؟ فضحك علي وقال: أصاب شريح، مالي بينة، فقضى بها شريح للنصراني، قال فأخذه النصراني ومشى خُطىً ثم رجع فقال: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين يدنيني إلى قاضيه يقضي عليه، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين، اتبعت الجيش وأنت منطلق إلى صفين فخرجت من بعيرك الأورق [أي سقطت الدرع] فقال: أما إذ أسلمت فهي لك، وحمله على فرس. (البداية والنهاية لابن كثير).

فما أعظمه نظامًا، وما أعرقها حضارة تلك التي يظلل العدل فيها كل أطياف المجتمع، لقد سادت في حضارة الإسلام ودولته على مر تاريخها وعبر مراحلها المختلفة مفاهيم تهدف إلى القضاء على كل نظم التعسف والاستبداد والإذعان المذل، وعلى كل ما فيه اضطهاد وتنكيل ونيل من كرامة الإنسان وكل ذلك لإعادة كرامة الإنسان إليه ورفعه إلى مستوى الإنسانية اللائق به بغض النظر عن لونه أو جنسه انطلاقًا من قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣].

وإذا كان الناس قبل الإسلام قد انقسموا إلى سادة وعبيد فقد سوى الإسلام بين بني الإنسان، ويكفي هنا أن نذكر قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : "مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ"(سنن النسائي)، وبذلك رفع قدر الرقيق إلى الدرجة التي جعلت ذكوان – وكان بصحبة الحسين (رضي الله عنه) يقول لابن الزبير (رضي الله عنهما) وهو من سادات العرب وفي مجلس معاوية (رضي الله عنه) خليفة المسلمين: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ"، وأنا مولى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأنت ابن الزبير بن العوام بن خويلد، فنحن أكرم ولاءً وأحسن فعلًا.

ومن أهم الدعائم التي قامت عليها الحضارة الإسلامية الرحمة، وتبدو عناية الإسلام ببثّ خلق الرحمة في قلوب أتباعه من أول وهلة في القرآن الكريم، فقد افتتحت سور القرآن الكريم كلها - عدا سورة التوبة - بالبسملة التي تشتمل على اسمين من أسماء الله عز وجل - الرحمن الرحيم - دون غيرهما، ففي ذلك دلالة على تقديم الرحمة في الإسلام، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي"(صحيح البخاري)، وقد بعث الله نبيه (صلى الله عليه وسلم) رحمة لجميع خلقه، يقول تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧]، ومن رحمته (صلى الله عليه وسلم) أنه كان يعطف على الأطفال ويرقّ لهم، ويقبّلهم ويضمّهم ويداعبهم، وجاءه ناس من الأعراب فرأوه يُقبّل الحسن بن علي (رضي الله عنهما) فتعجّبوا وقالوا: تُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ. فَقَالُوا: لَكِنَّا وَاللَّهِ مَا نُقَبِّلُ. فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "وَأَمْلِكُ أَنْ كَانَ اللَّهُ قَدْ نَزَعَ مِنْكُمْ الرَّحْمَةَ"، ولم تكن مواقف عنايته ورحمته بالأطفال بالمواقف العابرة، بل كانت سمته (صلى الله عليه وسلم) لدرجة أن الأطفال لتعلقهم به كانوا يستقبلونه إذا جاء من سفر ليداعبهم، وكأنه ليس أمامه من الهموم والمشاغل غيرهم! يقول عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنهما): كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تُلُقِّيَ بِصِبْيَانِ أَهْلِ بَيْتِهِ قَالَ: وَإِنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَسُبِقَ بِي إِلَيْهِ فَحَمَلَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ جِيءَ بِأَحَدِ ابْنَيْ فَاطِمَةَ فَأَرْدَفَهُ خَلْفَهُ قَالَ: فَأُدْخِلْنَا الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةً عَلَى دَابَّةٍ"[صحيح مسلم]، لقد شملت رحمته (صلى الله عليه وسلم) البهائم التي لا تعقل ، فكان يحثّ الناس على الرفق بها حتى عند الذبح، فقد روى الإمام مسلم أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ"، كما حثَّ على عدم تحميلها ما لا تطيق، فقد دَخَلَ (صلى الله عليه وسلم) حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَإِذَا جَمَلٌ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حَنَّ إِلَيْهِ ، وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَمَسَحَ ذِفْرَتَهُ فَسَكَنَ فَقَالَ : "مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ"؟

لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ ؟ قَالَ: فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ : هُوَ لِي يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ :" أَلاَ تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا"؟! فَإِنَّهُ شَكَا لِي أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ"(المستدرك للحاكم).

إنها الرحمة التي حث عليها النبي (صلى الله عليه وسلم) وأخبرنا أنه لن يرحم الله تعالى إلا أصحابها، فعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه و سلم): "الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ"(سنن الترمذي)، ولذا لا تعجب حين ترى أن الله تعالى أدخل امرأة النار بسبب حبس قطة وذلك لقساوة قلبها ، وأنه تعالى أدخل رجلا الجنة بسبب رحمته بكلب يلهث من شدة العطش فيرقُّ له ويرحمه ويسقيه.

على هذا النحو سار المجتمع المسلم فصار متراحمًا يرحم فيه القوي الضعيف، لا يهان فيه يتيم، ولا يذل فيه محتاج، يقوم كل راعٍ فيه بواجبه نحو رعيته، فهذا عمر بن عبد العزيز حاكم الدولة الإسلامية الواسعة يشغله حال امرأة سوداء في مصر، فلقد أرسلت المرأة رسالة إلى الخليفة – وكان بريد عمر (رضي الله عنه) يحمل إليه أي رسالة وإن كانت من آحاد الناس، فخرج بريد من مصر فدفعت إليه فرتونة السوداء مولاة ذي أصبح كتابا تذكر فيه أن لها حائطا قصيرا وأنه يُقتحم عليها منه فيُسرق دجاجها، فكتب: "بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى فرتونة السوداء مولاة ذي أصبح، بلغني كتابك وما ذكرت من قِصَر حائطك وأنه يُدخل عليك منه فيُسرق دجاجك، فقد كتبت لك كتابًا إلى أيوب بن شرحبيل – وكان أيوب عامله على مصر – آمره أن يبني لكِ ذلك حتى يحصنه لك مما تخافين إن شاء الله والسلام"، وكتب إلى أيوب بن شرحبيل: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى ابن شرحبيل أما بعد: فإن فرتونة مولاة ذي أصبح كتبت إليّ تذكر قِصَر حائطها وأنه يُسرق منه دجاجها وتسأل تحصينه لها، فإذا جاءك كتابي هذا فاركب أنت بنفسك إليه حتى تحصنه لها، فلما جاء الكتاب إلى أيوب ركب ببدنه حتى أتى الجيزة يسأل عن فرتونة حتى وقع عليها وإذا هي

سوداء مسكينة فأعلمها بما كتب به أمير المؤمنين فيها وحصنه لها (سيرة عمر لابن عبد الحكم).

ومن أعظم السمات التي تميزت بها الحضارة الإسلامية أن كونت مجتمعًا مترابطًا تجمع الأخوةُ جميعَ أعضائه، فلم تهتم الحضارة الإسلامية فقط بالفرد كفرد، وإنما اهتمت به باعتباره وحدة لبناء المجتمع، هذه الأخوة فرضها الله تعالى علينا وربط بها بين جميع المؤمنين، يقول تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الحجرات: ١٠]، والآية التي بدأت بإثبات الأخوة بين المسلمين ختمت بقوله "وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" أي: اتقوا الله فيما ذكر في هذه الآية من الأخوة لعلكم ترحمون، فتأمل كيف علق الله تعالى الرجاء في رحمته على مراعاة الأخوة!! وكأن الله تعالى يقول لنا: لن أرحمكم حتى يرحم بعضكم بعضًا.

إن من أجلّ النعم التي امتنّ الله تعالى بها على نبيه (صلى الله عليه وسلم) وعلى الصحابة معه الاعتصام بحبل الله تعالى والتأليف بين قلوبهم، يقول تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }[آل عمران: ١٠٣]، إن هذه الجماعية والاتحاد والتكاتف بين جميع المسلمين من أهم سمات هذا الدين العظيم، وإنك لتستشعر ذلك كل صلاة وأنت تقرأ الفاتحة حين تصل إلى قول الله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة: ٥، ٦]

فأنت وحدك تصلي وتناجي ربك، فلماذا لم تكن الآية الكريمة:" إياك أعبد وإياك أستعين" بصيغة المفرد؟ ولماذا لم تكن " اهدني الصراط المستقيم"؟ ذلك لأن الله تعالى يريدك أن تتحدث بلسان الأمة كلها، يريد الأمة كلها جسدًا واحدًا وكيانًا واحدًا، وفي صلاة الجماعة غاية العبرة، لقد جعل الله تعالى فضلها على صلاة المنفرد سبعًا وعشرين درجة، فلماذا؟ مع أن قائلاً قد يقول: أنا في بيتي وحدي أقرب إلى الخشوع وأبعد عن رؤية ما

يصرفني عن خشوعي، ولا يكون ثمة مجال لأن يراني الناس فيدخل في نفسي شيء من الرياء! نقول: لا ، إن الله تعالى لا يريدك وحدك ولكن يريدك وسط الصف مع إخوتك المسلمين، مع الكيان الكامل للأمة.

هذا المنهج الإسلامي الذي قامت عليه أعظم حضارة هو المنهج الذي تربى عليه قوم غلبهم حب إخوانهم فآثروهم على أنفسهم مع شدة حاجتهم، {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩]، ولهذا لم يرَ التاريخ البشري على امتداده مثل هذه الصور التي حدثت من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) يوم الهجرة، يتكافلون ويتكاتفون، عَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا ، وَمَا الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ بِأَحَقَّ بِدِينَارِهِ وَلَا دِرْهَمِهِ مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ (مصنف ابن أبي شيبة)، هذه الأخوة حين جمعت قلوب المسلمين صارت الأمة كيانًا متماسكًا قويًا، أما حين خفتَ ضوؤها وتغلبت الأثرة والأنانية على الكثيرين حل الضعف في المجتمع وضعُفَ كيان الأمة.

ولقد كانت الحضارة الإسلامية في جوهرها التزامًا أخلاقيًا قبل أن تكون حضارة إنتاج واستهلاك فالجانب الأخلاقي – والذي غاب عن حضارات الدنيا قديمًا وحديثًا – أهم مرتكزات الحضارة الإسلامية، ومع هذا الالتزام الأخلاقي ومع هذا المنهج القويم برع المسلمون في النواحي العلمية وقدموا إسهامات غيرت وجه التاريخ، وما من علم من العلوم الحديثة إلا وفيه أصول إسلامية عربية تبدو لمن يبحث في تاريخ هذه العلوم، وما ذلك إلا لأن الإسلام حرر عقل المسلم ليتيح أمامه الإفادة من علوم الدنيا كلها فهضمتها العقلية الإسلامية وأضافت إليها من إبداعات المسلمين ما جعلها حضارة لا تماثلها حضارة، حضارة متكاملة تجمع بين الجانب الأخلاقي والجانب المادي، فالحضارة الإسلامية تتسم بالشمول والتكامل، فهي تنظيمٌ كامل لعلاقة الإنسان بالكون والحياة وعلاقته بربه سبحانه وتعالى، ثم هي تنظم علاقته مع بني جنسه، إنها حضارة الاعتدال والوسطية، وسطية ليس فيها غلو في جانب الروح ولا طغيان في جانب المادة، وسطية توائم بين حقوق الفرد

ومتطلبات المجتمع، وسطية تُعنى بعمارة الدنيا لكن هدفها الأسمى هو الآخرة، وصدق الله العظيم إذ يقول: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: ١٤٣]، فما أحوجنا إلى أن نعود إلى هذه المبادئ والقيم الأخلاقية والدعائم الحضارية التي تميزت بها حضارتنا عبر التاريخ والتي فيها مساعدتنا في المستقبل .

أخلاق الإسلام في التعامل مع الضعفاء وذوى الاحتياجات الخاصة

أولاً : العناصر:

١. الإسلام دين الرفق والرحمة.
٢. مكانة الضعفاء عند الله تعالى.
٣. مراعاة الإسلام لذوى الاحتياجات الخاصة وحقوقهم.
٤. مراعاة الإسلام لحقوق اليتامى والمساكين.
٥. حفظ الإسلام لحقوق المرأة المادية والأدبية.

ثانياً : الأدلة :

الأدلة من القرآن الكريم:

١. قال تعالى: {...وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ } [الأعراف: ١٥٦].
٢. وقال تعالى: {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }

[التوبة: ٩١ – ٩٣].
٣. وقال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة: ٢٢٠].
٤. وقال تعالى: {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} [النساء:١٠,٩].

٥. وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} [النساء: ١٩].

٦. وقال تعالى: {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا} [النساء: ١٢٧].

الأدلة من السنة :

١. عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: رَأَى سَعْدٌ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ" (صحيح البخاري).

٢. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ(رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ" (صحيح البخاري).

٣. وعَنْ أَنَسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَانَ فِي غَزَاةٍ، فَقَالَ: "إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا، مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلاَ وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ" (صحيح البخاري).

٤. وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ الرَّحِمُ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ" (رواه الحاكم فى المستدرك).

٥. وعَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم): "تُطْعِمُهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ وَلَا تُقَبِّحْهُ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ" (مسند أحمد- السنن الكبرى للنسائى).

٦. وعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): « مَنْ عَالَ ابْنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ بَنَاتٍ، أَوْ أُخْتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ أَخَوَاتٍ، حَتَّى يَبِنَّ أَوْ يَمُوتَ عَنْهُنَّ، كُنْتُ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ» وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى " (رواه أحمد).

٧. وعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَغُلَامٌ أَسْوَدُ يُقَالُ لَهُ: أَنْجَشَةُ يَحْدُو، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «يَا أَنْجَشَةُ رُوَيْدَكَ سَوْقًا بِالْقَوَارِيرِ» (رواه مسلم).

٨. وعن يَحْيَى بْنِ عُقَيْلٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى (رضي الله عنه) يَقُولُ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُكْثِرُ الذِّكْرَ، وَيُقِلُّ اللَّغْوَ، وَيُطِيلُ الصَّلَاةَ، وَيُقَصِّرُ الْخُطْبَةَ، وَلَا يَأْنَفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ، وَالْمِسْكِينِ فَيَقْضِيَ لَهُ الْحَاجَةَ" (سنن النسائي).

ثالثًا - الموضوع:

الإسلام دين الرفق والرحمة والمحبة والمودة، يجعل لجميع الفئات والطوائف فى المجتمع حقها فى العيش الكريم والحياة السعيدة، ويراعى فيه الضعيف قبل القوى والصغير قبل الكبير، والمريض قبل الصحيح، بل إن شئت فقل يراعى حق الحيوان، فذاك ما يتضح من توجيهاته وتعاليمه، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لاَ هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلاَسَقَتْهَا، إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلاَ هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ" (صحيح البخاري) ذلك لأنّ رحمة الله عزَّ وجلَّ وسعت كلّ شيء، قال تعالى:{...وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ } [الأعراف: ١٥٦].

وتتجلى الرحمة فى تشريعات الإسلام التى من أهمها مراعاة الفئات الضعيفة التى لا تقوى على قضاء حوائجها، أو السعى فى مصالحها ، وهى

فئات مهمة في المجتمع لا يمكن أن يغفلها، لأنّ الإسلام لا يعرف ما يسمى بالفئات المهمشة ، فالجميع فيه سواء الرّجل والمرأة، الصغير والكبير، الغني والفقير ، إنه دين يُحدث التكامل ويقيم التوازن بين أفراد المجتمع، فينعكس أثر ذلك على المجتمع بأسره حبًا وحنانًا ومودة وسعادة.

وحين يعطي الإسلام الضعفاء مزيدًا من الرعاية والعناية، فإن ذلك في مصلحة الأقوياء والأصحاء والأغنياء إذ يزول الحقد والحسد والمرض النفسي، وتعمُّ روح الوئام والسلام، ويظهر المجتمع بصورة ترضى الله (عزوجل) وتستوجب رحمته، فالخير والبركة لا تحلُّ إلا بسبب مراعاة هؤلاء الضعفاء والقيام على قضاء حوائجهم، فعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: رَأَى سَعْدٌ بن أبي وقاص (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ»، وهذه حقيقة يؤكدها النبي (صلى الله عليه وسلم) مبينًا فضل هؤلاء الضعفاء أطفالًا كانوا أو مرضى أو شيوخًا أو فقراء أو نساءً، فلقد جعلهم الله تعالى محل نظره وسبب رحمته، فمن أرضاهم رضي عنه، ومن أغضبهم أو انتقصهم حقوقهم وقدرهم غضب عليه .

وقد وصف الله عز وجل حالهم وبين قدرهم، فهم مع ضعفهم يتمنّى أحدهم لو يجد ما يُسهم به في خدمة دينه ووطنه، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قول الله تعالى : {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ}

[التوبة: ٩١ – ٩٢]

فإذا كان هذا حالهم وحال الخالق معهم، وإذا كانت هذه مكانتهم عند الله (عزَّ وجلَّ) فكيف بنا معهم ؟ لننظر كيف كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يتعامل مع هؤلاء الضعفاء، لا سيما وقد عاتبه الله (عز وجل) في القرآن الكريم في أحدهم وهو : عبد الله بن أم مكتوم – كان كفيف البصر – أتى رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل

والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة، يناجيهم ويدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم، فقال: يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى، وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم، فكره رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت الآيات من قول الله تعالى :{عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى} [عبس: ١: ١٠]. فكان رسول الله (صلّى الله عليه وسلم)، يكرمه ويقول إذا رآه: "مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي» ويقول: «هل لك من حاجة".

(تفسير ابن كثير- تفسير روح المعاني)

لقد كان صلوات الله وسلامه عليه يسعى في قضاء حوائج هؤلاء الضعفاء، ويزور مريضهم ويخفف من آلامهم، ويطعم جائعهم ، ويقضى عن غارمهم ، ويهش ويبش لهم ويرحمهم، فمن أحسن إلى الضعفاء زاد قربًا من رحمة الله (عز وجل)، قال تعالى : {إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف: ٥٦]، والنبي (صلى الله عليه وسلم) يفعل هذا معهم والسعادة تَغْمُر قلبه والرحمة تملأ حنايا صدْره، فعن يَحْيَى بْنِ عُقَيْلٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى يَقُولُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُكْثِرُ الذِّكْرَ، وَيُقِلُّ اللَّغْوَ، وَيُطِيلُ الصَّلَاةَ، وَيُقَصِّرُ الْخُطْبَةَ، وَلَا يَأْنَفُ (يستكبر) أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ، وَالْمِسْكِينِ فَيَقْضِيَ لَهُ الْحَاجَةَ»(سنن النسائي) ويبين ثواب من سعى فى خدمة هؤلاء الضعفاء وذوى الاحتياجات الخاصة، فَعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ" فيا له من ثواب جزيل وفضل عظيم لمن فَعَل فِعْل المصطفى واقتفى أثر المُجتبى (صلى الله عليه وسلم).

ولننظر كيف يحافظ الإسلام على حقوق هؤلاء الضعفاء الذين كرمهم الله (عز وجل) ورفع قدرهم؟ إن الإسلام ينظر إلى هذا العجز أو المرض على اختلاف أنواعه ومقداره على أنه ابتلاء من الله (عز وجل)،لابد أن نتلقاه ونتقبله بالرضا والصبر والدعاء فهو منحة من الله يرفع بها المؤمن ويكفِّر بها من

خطاياه ، قال تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [الحديد: ٢٢، ٢٣] وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ" (صحيح البخاري) ومن ثمَّ فمن ابتلى فى ولده أو أهله أو نفسه بشيء من ذلك فليوقن تمام اليقين أن هذا من الله رحمةً به ومنحةً إليه، وليصبر وليتعلم كيف يتعامل مع الابتلاء وكيف يحافظ على حقوق الضعفاء.

والحذر كل الحذر من السخرية والاستهزاء بمن كان هذا حاله فقد قال الله (عز وجل): {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الحجرات: ١١] فيحرم التعرض لهم بنظرة تحمل ازدراءً، أو بقول ينال من حالتهم، أو بعمل ينتقص من حقهم ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : "لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ" (صحيح مسلم)

إنّ المسلم صاحب أدبٍ وخلقٍ جمّ يحسن فى معاملة الناس جميعًا ويتأدب فى تعامله مع أحبابه من ذوى الاحتياجات الخاصة أو الضعفاء، ولقد علمنا الإسلام ماذا نقول إذا رأينا من ابتلى ببلاء، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " مَنْ رَأَى مُبْتَلًى، فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ البَلَاءُ " (سنن الترمذي) وإنّ هذا من شكر الله تعالى على نعمه

ولنعلم أن الصحيح قد يمرض وأن الغنى قد يفتقر وأن الحيّ سيموت ، وكل شيء عند الله بقدر.

ومن حقوق الضعفاء التي كفلها لهم الإسلام توفير الحياة الكريمة في المأكل والمشرب والمسكن، وتوفير دور الرعاية الصحية والاجتماعية لهم ، ومن المعلوم أن نسبة العجز تختلف بين هؤلاء فلننمي فيهم الطاقات الكامنة ولنوظفها في محلها، فمنهم من يقدر على عمل إبداعي فكرى، ومنهم من يقدر على عمل رياضي بدني ، فهو إذا شارك الناس فيما يقدر عليه ووجد لمسة حانية ممن حوله، خفّ عنه الألم النفسي، وأحسّ بأنه جزء من مجتمع يحبه ويحافظ عليه.

ومن حقوق الضعفاء الحفاظ على أموالهم إن كانوا يتامى قد فقدوا الآباء، فقد أمر الإسلام الأوصياء، وكل من له صلة قرابة بيتيم أن يحسن إليه ويقوم على شئونه والقيام باحتياجاته ورعاية أمواله إن كان من ذوى الأموال كما قال تعالى عن هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى أو يهملونها أو يستغلّونها فى مصالحهم الشخصية، وخاصة فى معاملة اليتيمات:{وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا} [النساء: ١٢٧] والقسط هو العدل، وهو يقتضى ممن قام على مصالح اليتيم أن يتقى الله فيها ويرعاها كما يرعى ماله،وقال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[البقرة: ٢٢٠] فهذا توجيه من الله (عز وجل) برعاية اليتيم وإصلاح ماله وحاله سواء كان هذا اليتيم قريبًا أو غريبًا، ولو تأملنا الآية ونظرنا على وجه التحديد فى موقع كلمة (إصلاح) ثم فكرنا في بدائلها اللغوية وما يرادفها وحاولنا أن نضع لها أي بديل لغوي- رأسيًا أو أفقيًا- في موضعها لوجدنا أن العربية فى عمقها واتساعها عاجزة عن أن توافينا بكلمة تقوم مقام كلمة (إصلاح) فى هذا الموضع ، فالإصلاح أمر جامع لما يحتاج إليه اليتيم ، فقد يحتاج إلى المال فيكون الإصلاح برًا وعطاءً ماديًا ،وقد

يحتاج إلى من يتاجر له في ماله أو من يقوم على زراعته ، أو صناعته ، فيكون الإصلاح هو القيام بذلك كما قال عمر بن الخطَّاب (رضي الله عنه): "ابتغوا بأموال اليتامى، لا تأكلها الصَّدقة " (السنن الكبرى للبيهقى) ، وقد لا يحتاج اليتيم إلى المال ، وإنما يحتاج إلى التقويم والتربية فيكون الإصلاح هنا رعايةً وتربيةً ، وقد لا ينقصه هذا ولا ذاك ، وإنما تكون حاجته إلى العطف والحنو والإحساس بالأبوة، فيكون الإصلاح إشباع ذلك عنده،

ولأجل هذا كان ترغيب النبي (صلى الله عليه وسلم) في كفالة اليتيم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ، أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ" وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى (صحيح مسلم) وكان التحذير الأكيد والوعيد الشديد فى قول الله تعالى: {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} [النساء: ٩، ١٠].

وبهذا لا يترك الإسلام اليتامى نهبًا للأوصياء أو الطامعين أو مستغلي حالِ ضعفهم، وإنما يشدّد على حفظهم وتعهدهم بالرعاية والعناية ، لئلا تضيع حقوقهم وتُهْمَل تربيتهم، فنجد المجتمع يعانى من ظواهر سلبية كأطفال الشوارع والعاطلين والمتسوّلين.

كما يراعي الإسلام حقوق المرأة فى كل مراحل عمرها ويؤكد عليها فهي إن كانت طفلةً صغيرةً يصونها ويحافظ على حقها في الحياة والتربية والرّعاية مثل الذّكَر سواءً بسواء، حتى فى الفرحة بمجيئها إلى الحياة ، بعد أن كانوا فى الجاهلية يحرمونها حق الحياة قال تعالى: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [النحل: ٥٨، ٥٩] بل يجعل الإحسان فى تربيتها طريقًا إلى مرضاة الرحمن وصلتها صلة لله رب العالمين ، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ الرَّحِمُ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ" (رواه الحاكم فى المستدرك) .

والمرأة إن كانت زوجة فحقها على زوجها العشرة بالمعروف والإحسان إليها فإن كرهها فلا يظلمها، ولا يبخسها حقها، وقدرها فلا يدري أين يكون الخير، كما قال القرآن: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} [النساء: ١٩] والعشرة بالمعروف من القوامة الصحيحة التي أسندها القرآن إلى الرجال في قول الله تعالى:{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ}[النساء: ٣٤] وهى الرعاية والنفقة والحفاظ عليهن، وليس ذلك تفضيلًا للرجل على المرأة فى شيء وإنما الفضل بالتقوى، ومن ثمّ كان توجيه النبي (صلى الله عليه وسلم) لرعايتها والقيام على شأنها، فعَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قَالَ (صلى الله عليه وسلم): "تُطْعِمُهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ ، وَلَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ وَلَا تُقَبِّحْهُ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ".

وهى إن كانت أمًّا فبرها واجب وحسن صحبتها أوجب، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: "أُمُّكَ" قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "ثُمَّ أُمُّكَ" قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "ثُمَّ أُمُّكَ" قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "ثُمَّ أَبُوكَ" (صحيح البخاري)، وكرر الأم ثلاث مرات لأنها أضعف بدنًا وأقوى عاطفة، وقد يأتي عليها وقت تكون أشد احتياجًا إلى الرعاية والعناية .

وهكذا يراعي الإسلام الضعفاء على اختلاف أنواعهم وتباين أسباب ضعفهم، ما بين مريض أو فقير أو يتيم أو امرأة صغيرة أو مسنّة، أو أحد من ذوي الاحتياجات الخاصة، ويعلمنا الإسلام كيف نتعامل معهم ونراعي شعورهم، ولنعلم أنهم جميعًا يتمنون السعي في الخير وتقديم ما به حفظ الدين والأوطان، غير أن العذر حال دون فعل ما يقوم به الأصحاء، ولنوقن تمام اليقين أن مساعدتنا لهم ماديًا ومعنويًا يعود خيرها علينا وعلى المجتمع بأسره، حيث تعم المحبة والسلام.

الإدمان وأثره المدمّر على الفرد والمجتمع

أولاً - العناصر:

١- الخمر أم الخبائث .

٢- من مقاصد الشريعة الحفاظ على النفس والعقل .

٣ – العبرة بالإسكار وتغييب العقل وليس بالأسماء أو المسميات .

٤- موقف الإسلام من المخدرات بأنواعها.

٥- خطورة الإدمان على الفرد والمجتمع.

٦- تضافر الجهود ودور مؤسسات الدولة للقضاء على الإدمان .

٧- ضرورة تشديد العقوبة على تجار المخدرات والضرب على أيديهم بقوة

ثانياً - الأدلة:

الأدلة من القرآن:

١-قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ}

[المائدة:٩٠- ٩٢].

٢- وقال تعالى: {.. وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} [النساء٢٩-٣٠].

٣- وقال تعالى:{وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة ١٩٥].

٤- وقال تعالى: { قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [المائدة : ١٠٠] .

٥- وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ }[التحريم :٦] .

الأدلة من السنة :

١ - عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ" (متفق عليه)، وفي رواية لابن ماجة من حديث ابن عمر (رضي الله عنهما) : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) "كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وَمَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ ، فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ".

٢ - وعَنْ دَيْلَمٍ الْحِمْيَرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ : قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) مَعَ أَصْحَابِي مِنَ الْيَمَنِ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّ لَنَا شَرَابًا نَتَّخِذُهُ نَتَقَوَّى بِهِ عَلَى أَعْمَالِنَا وَعَلَى بَرْدِ بِلادِنَا ، وَنَحْنُ نُعَالِجُ أَعْمالا شَدِيدَةً فَنُقَوَّى بِهِ وَيَتَقَوَّوْنَ بِهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): " هَلْ يُسْكِرُ ؟ " قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : " فَاجْتَنِبُوهُ " (أخرجه أبو داوود).

٣ - وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ: (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفَتِّرٍ) (أخرجه أبو داوود).

٤ - وعن ابْنَ عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): " لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ وَشَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا وَمُبْتَاعَهَا وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ" (رواه أبو داود).

٥ - وعن وَائِلٍ الْحَضْرَمِيِّ أَنَّ طَارِقَ بْنَ سُوَيْدٍ الْجُعْفِيَّ سَأَلَ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) عَنِ الْخَمْرِ، فَنَهَى أَوْ كَرِهَ أَنْ يَصْنَعَهَا، فَقَالَ:إِنَّمَا أَصْنَعُهَا لِلدَّوَاءِ فَقَالَ: "إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ وَلَكِنَّهُ دَاءٌ" (صحيح مسلم) وقال عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه): إِنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءَكُمْ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ) (السنن الكبرى للبيهقي).

٦ - وعن أنس (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال:" قال الله عز وجل: مَنْ تركَ الخمرَ وهو يقْدِرُ عليهِ لَأَسْقِيَنَّهُ منه في حَظِيرَةِ القُدسِ، ومَنْ تركَ الحَرِيرَ وهو يقدرُ عليه لأَكْسُوَنَّهُ إياه في حظيرةِ القدسِ" (أخرجه البزار).

٧ - وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): "لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ" (أخرجه ابن ماجة وغيره).

الآثار :

١- عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث عن أبيه قال سمعت عثمان (رضي الله عنه) يقول: " اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ ، إِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ خَلاَ قَبْلَكُمْ يَتَعَبَّدُ فَعَلِقَتْهُ امْرَأَةٌ غَوِيَّةٌ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ جَارِيَتَهَا فَقَالَتْ لَهُ : أَنَا أَدْعُوكَ لِلشَّهَادَةِ فَانْطَلَقَ مَعَ جَارِيَتِهَا ، فَطَفِقَتْ كُلَّمَا دَخَلَ بَابًا أَغْلَقَتْهُ دُونَهُ حَتَّى أَفْضَى إِلَى امْرَأَةٍ وَضِيئَةٍ عِنْدَهَا غُلاَمٌ وَبَاطِيَةُ خَمْرٍ ، فَقَالَتْ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا دَعَوْتُكَ لِلشَّهَادَةِ ، وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِتَقَعَ عَلَيَّ أَوْ تَشْرَبَ مِنْ هَذِهِ الْخَمْرِ كَأْسًا أَوْ تَقْتُلَ هَذَا الْغُلاَمَ ، قَالَ : فَاسْقِينِي مِنْ هَذَا الْخَمْرِ كَأْسًا ، فَسَقَتْهُ كَأْسًا ، فَقَالَ : زِيدُونِي فَلَمْ يَرِمْ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا وَقَتَلَ النَّفْسَ ، فَاجْتَنِبُوا الْخَمْرَ ؛ فَإِنَّهَا وَاللَّهِ لاَ يَجْتَمِعُ الإِيمَانُ وَإِدْمَانُ الْخَمْرِ إِلاَّ أَوْشَكَ أَنْ يُخْرِجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ.

(السنن الكبرى للنسائي).

٢- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ : " لَمَّا حُرِّمَتِ الْخَمْرُ مَشَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَقَالُوا : حُرِّمَتِ الْخَمْرُ وَجُعِلَتْ عَدْلاً لِلشِّرْكِ "

(ذكره المنذري في الترغيب والترهيب وقال: رواه الطبراني).

٣- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: كُنْتُ أَسْقِي أَبَا عُبَيْدَةَ وَأَبَا طَلْحَةَ وَأُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ مِنْ فَضِيخِ زَهْوٍ وَتَمْرٍ ، فَجَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ : إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ (رضي الله عنه): (قُمْ يَا أَنَسُ فَأَهْرِقْهَا فَأَهْرَقْتُهَا) (البخاري ومسلم) .

٤- ورُفِعَ إلى عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) قومٌ يشربون الخمر فأمر بضربهم فقيل له : إن فيهم صائمًا، فقال: ابدؤوا به، ثم قال : أما سمعت قوله (عز وجل) : " وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا..) (النساء : ١٤٠).

ثالثاً : الموضوع:

لقد جاء الإسلام برسالة إلى البشر أحلّ لهم فيها الطيبات ، وحرَّم عليهم فيها الخبائث قال تعالى {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [الأعراف : ١٥٧] وتعاطي الخمور والمخدرات والمسكرات من هذه الخبائث ، وذلك لأنه يتسبب في ضرر النفس وهلاكها، يقول تعالى:{ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[البقرة ١٩٥]، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): "لاَ ضَرَرَ وَلاَ إِضْرَارَ".

ولما كانت الشريعة الإسلامية هدفها الرئيس الحفاظ على مصالح العباد من المفاسد والأضرار التي تلحق بهم حرّمت كلَّ ما يذهبُ العقل أو يشوِّشُ عليه ، أو يخرجه عن وعيه وإدراكه ، فحُرِّمت الخمر والمخدرات بأنواعهما ، قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنْتَهُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [المائدة:٩٠- ٩٢] ، فعندما سمعَ أصحابُ النبي (صلى الله عليه وسلم) هذه الآيات كانتِ الوقفةُ الأخيرةُ مع الشهوةِ التي مالت إليها النفوسُ ، وامتثلوا (رضي الله عنهم وأرضاهم) لأمر الله(عز وجل) في الحال، فأريقتِ الخمورُ حتى جرت في سككِ المدينةِ ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ:(كُنْتُ أَسْقِي أَبَا عُبَيْدَةَ وَأَبَا طَلْحَةَ وَأُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ مِنْ فَضِيخِ زَهْوٍ وَتَمْرٍ، فَجَاءَهُمْ آتٍ ، فَقَالَ : إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ(رضي الله عنه): (قُمْ يَا أَنَسُ فَأَهْرِقْهَا فَأَهْرَقْتُهَا) (البخاري ومسلم) ، وهذا الموقف يدل على سرعة الانقياد والامتثال لأمر الله تعالى .

ولقد أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) عن هذا الزمان الذي تكثر فيه أنواع المسكرات تحت مسميات مختلفة، لدرجة تجعل بعض شاربي الخمر يدعي أنه لا يشرب الخمر التي حرّمها الله (عز وجل)، عن أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ (رضي الله عنه) أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: "لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِى الْخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا"، لهذا وضع الإسلام وصفًا عامًا للخمر ينطبق على أي نوعٍ من الأنواع المعروفة أو التي تُستحدث من المسكرات، فعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) أن رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: "كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ"، وعند مسلم أيضًا من حديث ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وَمَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِى الدُّنْيَا فَمَاتَ وَهُوَ يُدْمِنُهَا لَمْ يَتُبْ لَمْ يَشْرَبْهَا فِى الآخِرَةِ "، كما أخرج أبو داود والترمذي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنه) قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : "مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ"، فمن هنا نعلم أن اسم الخمر شامل لكل ما يُسكر جنسه مهما أحدث الناس له من أسماء، وسواءً أكان مائعًا أم جامدًا، طالما توافر فيه المعنى المحرم وهو الإسكار، وإنما اعتبر إسكار الجنس دون القدر،لأن الأمر لا يتعلق بقدر معين ولا بشارب معين، بل ما أسكر جنسه أيَّ شاربٍ فهو حرام كما دلت الأحاديث الشريفة المذكورة وغيرها.

فالخمر حرمها الله (عز وجل) فهي حرام إلى يوم القيامة ، بل إن اللعنة تصل إلى كل من امتدت يده لها من قريب أو بعيد، فعن ابْنَ عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ وَشَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا وَمُبْتَاعَهَا وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ"(أخرجه أبو داود)، ولِمَ لا ؟! ولحظة تعاطي الخمر والمخدرات هي لحظة سقوط الإيمان من قلب المؤمن، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "لاَ يَزْنِى الزَّانِى حِينَ يَزْنِى وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ" (متفق عليه)، فكيف به إن مات وهو على هذا الحال؟! أهُناك خاتمةٌ أسوأ من ذلك والعياذ بالله؟!

ويلتحق بتحريم الخمر المخدرات بجميع أنواعها ومسمياتها، وكل مايؤثر على النشاط الذهني والحالة النفسية لمتعاطيها، وكل ما يتداوله المتعاطون ممّا يغيب العقل أو يفتّر الجسم فهو حرامٌ، يستوي في ذلك كل ما يدخل الجسم بأي طريقة كانت: بشربٍ أو شَمّ أو حَقْنٍ، فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ: (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفَتِّرٍ)، فالمخدرات داء عضال يفتك بشباب مجتمعنا فيجعلهم جثثًا هامدةً، وعقولاً خاوية، وقلوبًا فارغةً في الوقت الذي نحتاج فيه إلى رجال يلبون نداء الوطن دفاعًا عن الأرض والعرض، ويكونون لبنة أساسية في تنمية الوطن.

ولما كان للخمر والمخدرات تأثير على عقل الإنسان نهى الله شاربها عن القرب من العبادة وخاصة الصلاة ، فقال (عز وجل): { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ} [النساء:٤٣].

جدير بالذكر أنه قد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك خطر الخمر والمخدرات وأضرارهما الصحية والنفسية والاجتماعية على الفرد والمجتمع، فهما مفتاح كل شر ، كما ورد في وصية النبي (صلى الله عليه وسلم) لأبي الدَّرْدَاءِ (رضي الله عنه) حيث قَالَ:"... وَلَا تَشْرَبَنَّ الْخَمْرَ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ..." (رواه البخاري في الأدب المفرد).

وعن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث عن أبيه قال سمعت عثمان(رضي الله عنه) يقول: " اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ ، إِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ خَلاَ قَبْلَكُمْ يَتَعَبَّدُ فَعَلِقَتْهُ امْرَأَةٌ غَوِيَّةٌ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ جَارِيَتَهَا فَقَالَتْ لَهُ : أَنَا أَدْعُوكَ لِلشَّهَادَةِ فَانْطَلَقَ مَعَ جَارِيَتِهَا ، فَطَفِقَتْ كُلَّمَا دَخَلَ بَابًا أَغْلَقَتْهُ دُونَهُ حَتَّى أَفْضَى إِلَى امْرَأَةٍ وَضِيئَةٍ عِنْدَهَا غُلاَمٌ وَبَاطِيَةُ خَمْرٍ ، فَقَالَتْ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا دَعَوْتُكَ لِلشَّهَادَةِ ، وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِتَقَعَ عَلَيَّ أَوْ تَشْرَبَ مِنْ هَذِهِ الْخَمْرِ كَأْسًا أَوْ تَقْتُلَ هَذَا الْغُلاَمَ ، قَالَ : فَاسْقِينِي مِنْ هَذَا الْخَمْرِ كَأْسًا ، فَسَقَتْهُ كَأْسًا ، فَقَالَ : زِيدُونِي فَلَمْ يَرِمْ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا وَقَتَلَ النَّفْسَ ، فَاجْتَنِبُوا الْخَمْرَ؛ فَإِنَّهَا وَاللَّهِ لاَيَجْتَمِعُ الإِيمَانُ وَإِدْمَانُ الْخَمْرِ إِلاَّ أَوْشَكَ أَنْ يُخْرِجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ "، فالمدمن – نظرًا لغياب عقله- قد يرتكب آثامًا خطيرة، كالقتل، أوالسرقة،

أوالتخريب، أوالتدمير، ولذا سعى أعداؤنا لإفساد شبابنا عن طريق الإدمان والمخدرات، وتيسير الحصول عليهما بأثمان بخسة.

فالإدمان لا يقف أثره عند الفرد وحده، بل يتعدى هذا الوباء إلى المجتمع، فتتفشى الجريمة، ويقل الأمن والأمان، وتكثر حالات الطلاق، ويكثر الفساد، وتغيب المودة والمحبة بين الناس، وتتدنى الأخلاق ، وتتحطم القيم، ويضيع الشرف فيؤدي ذلك حتمًا إلى تفكك الأسر وخراب البيوت وانهيار المجتمعات ، كل ذلك بسبب الخمر والمسكرات .

والناظر إلى المجتمعات التي يكثر فيها الإدمان يشاهد ذلك بوضوح، فلابد من تكاتف الجهود للقضاء على هذه الظاهرة الخطيرة المدمرة ، ومكافحتها عن طريق التربية الحسنة في البيوت، وعن طريق المدارس ووسائل الإعلام، وعن طريق العلماء والأدباء والمفكرين بتوعية الناس بالأضرار الجسمية والنفسية والاجتماعية الناتجة عن الإدمان قال تعالى : {..وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[المائدة :٢] ، ذلك أنَّ الإدمان بلاءٌ عظيم وفساد ذريع، وسلاحٌ بأيدي أعداء الإسلام لتدمير كيان الأمة وإضعاف أخلاقها ، والقضاءِ على معنويّاتها وإذلالِها، وإخضاعِها وانكسارها ، ومن ثمّ فإنه يجب على المجتمع ضرورة التوعية الإسلامية المقنعة بأضرار الخمر والمخدرات والتدخين بحيث تشمل كل فئات المجتمع، وتوضح الأضرار التي تصيب الفرد والأسرة من جراء انتشار هذه الآفات وتبين أن الإسلام لم يحرم هذه الخبائث إلا لما تحمله من ضرر محض، فعن وَائِلٍ الْحَضْرَمِيِّ أَنَّ طَارِقَ بْنَ سُوَيْدٍ الْجُعْفِيَّ (رضي الله عنه)سَأَلَ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) عَنِ الْخَمْرِ، فَنَهَا أَوْ كَرِهَ أَنْ يَصْنَعَهَا، فَقَالَ: إِنَّمَا أَصْنَعُهَا لِلدَّوَاءِ فَقَالَ: "إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ وَلَكِنَّهُ دَاءٌ"، وقال عبد الله بن مسعود(رضي الله عنه): (إِنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءَكُمْ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ).

إن واجب الأسرة أن تحافظ على عقول أبنائها من خطر الخمر والمخدرات والسموم البيضاء، حتى نعالج المجتمع من الإدمان وينتشر الأمان، ويسود السلام، ويكون الوئام يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا

أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ }[التحريم :٦].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: " كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهْوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُمْ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهْوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهْيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهْوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"(أخرجه البخاري)، فينبغي تضافر الجهود فتقوم الدول الحكومات بكل ما من شأنه أن يجنب شبابنا مخاطر الإدمان والمخدرات.

ويجب على المجتمع بأسره أن يقف في وجوه تجار المخدرات والمهربين والمروجين والمتاجرين بالمسكرات، ويساعد الحكومات في القضاء على هذه الظاهرة التي تهدد مجتمعنا في أعز ما يملك – وهم شبابنا وأبناؤنا – وأن تشدد العقوبة الرادعة على من يعبثون بعقول شبابنا، حتى يستقر المجتمع وينعم بالأمن والصحة، فقد رُفِعَ إلى عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) قومٌ يشربون الخمر فأمر بضربهم فقيل له : إن فيهم صائمًا فقال ابدؤوا به ثم قال : أما سمعت قوله تعالى: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِها ..}الآية [النساء : ١٤٠]. (فتاوى ابن تيمية).

فالمسلم الذي يسير على الإيمان والهدى، ويتجنب كل ما يذهب العقل من خمر أو مسكر امتثالاً لأمر الله (عز وجل) ينفع نفسه وينفع مجتمعه ، وينال الثواب ، فعن أنس (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال:" قال الله (عز وجل) : (مَنْ تركَ الخمرَ وهو يقْدِرُ عليهِ لَأَسْقِيَنَّهُ منه في حَظِيرَةِ القُدسِ، ومَنْ تركَ الحَرِيرَ وهو يقدرُ عليه لأَكْسُوَنَّهُ إياه في حظيرةِ القدسِ).

إن ترك الخمر والمخدرات لو لم يكن واجبًا شرعيًا لاعتبره العقلاء من مكارم الأخلاق، فهو يتماشى مع الفطرة السليمة، ولهذا نجد سيدنا أبا بكر (رضي الله عنه) ينأى بنفسه عن ذلك كله، حتى في الجاهلية قبل أن يعرف الإسلام، فعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ: " سُئِلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ (رضي الله عنه) فِي مَجْمَعٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): هَلْ شَرِبْتَ خَمْرًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ، قَالُوا: وَلِمَ ذَاكَ ؟ فَقَالَ: كُنْتُ أَصُونُ عِرْضِي وَأَحْفَظُ مُرُوءَتِي، لِأَنَّهُ مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ كَانَ لِعِرْضِهِ وَمُرُوءَتِهِ مُضَيِّعًا "

(معرفة الصحابة لأبي نعيم)

دروس من الهجرة النبوية الشريفة

أولاً: العناصر :

١- بين يدي عام هجري جديد.

٢- من الدروس المستفادة :

أ- الثبات على المبدأ.

ب- درس الأخذ بالأسباب .

ج- معية الله عز وجل.

د- التضحية والبذل والفداء.

٣- دور الأمة في ذكرى الهجرة .

ثانياً : الأدلة :

الأدلة من القرآن :

١- قال تعالى: {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ}[الأنعام: ٣٤].

٢- وقال تعالى: { إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ}[غافر:٥١].

٣- وقال تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ }[الأنفال: ٣٠].

٤- وقال تعالى:{وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ}[يس:٩] .

٥- وقال تعالى: { إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }[التوبة :٤٠].

٦- وقال تعالى: {وَمِنَ النَّاس مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ}[البقرة: ٢٠٧].

٧- وقال تعالى: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [الحشر: ٨، ٩].

الأدلة من السنة :

١- موقف الرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما أتى إليه عمه أبو طالب يساومه فيما أنك لو أردت لأعطيناك، لزوجناك، لملكناك، ثم يقول (صلى الله عليه وسلم) هذه العبارة والجملة الخالدة على مدى التاريخ : "والله يا عم ! لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر - وهو الدين - ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه".(السيرة النبوية لابن هشام).

٢- وعن أبي بكرٍ الصِّديق (رضي الله عنه) قَالَ : نَظَرتُ إِلَى أَقْدَامِ المُشْرِكينَ وَنَحنُ في الغَارِ وَهُمْ عَلَى رُؤُوسِنا ، فقلتُ : يَا رسولَ الله ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيهِ لأَبْصَرَنَا . فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم): " مَا ظَنُّكَ يَا أَبا بَكرٍ باثنَيْنِ الله ثَالِثُهُمَا" (مُتَّفَقٌ عَلَيهِ) .

٣- **نماذج من تضحية الصحابة رضوان الله تعالى عليهم :**

أ- نموذج تضحية أبى بكر الصديق (رضى الله عنه) بالمال وبالنفس من أجل طاعة الله والهجرة مع رسول الله واحتمالات تعرضه لكل أنواع الأذى والمخاطر فى نفسه وفى أهله وفى أولاده.

ب- التضحية بالنفس: وأبرز مثال عليه سيدنا على بن أبى طالب (رضى الله عنه) حيث نام فى فراش رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يفديه بنفسه.

ت- نموذج تضحية الأنصار بمالهم لنصرة إخوانهم المجاهدين فى سبيل الله وفيهم نزل قول الله تبارك وتعالى:{ لِلْفُقَرَاءِ المُهَاجِرِينَ الَّذِينَ

أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ }[الحشر: ٨].

ث- التضحية بالمال : فعَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، أَنَّ صُهَيْبًا حِينَ أَرَادَ الْهِجْرَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، قَالَ لَهُ كُفَّارُ قُرَيْش: أَتَيْتَنَا صُعْلُوكًا، فَكَثُرَ مَالُكَ عِنْدَنَا، وَبَلَغْتَ مَا بَلَغْتَ ثُمَّ تُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ بِنَفْسِكَ وَمَالِكَ، وَاللَّهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُمْ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَعْطَيْتُكُمْ مَالِي أَتُخَلُّونَ سَبِيلِي؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَهُمْ مَالِي، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "رَبِحَ صُهَيْبٌ، رَبِحَ صُهَيْبٌ" وفيه نزل قوله تعالى :{وَمِنَ النَّاس مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ}. (صحيح ابن حبان).

وعَنْ ابْن عَبَّاس (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْح وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا"

(صحيح البخاري).

ثالثًا : الموضوع :

الحمـد لله رب العـالمين ، الملـك القـدوس السـلام ، مجـري الليـالي والأيام ، ومجدد الشهور والأعوام، سبحانه" جعل الليل والنهار خلفة لمـن أراد أن يذكر أو أراد شكورا "، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شريك لـه ، خصنا بخير كتاب أنزل ، وأكرمنا بخير نبي أرسل ، وأتم علينا النعمة بخير ديـن شـرع، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصـح الأمـة وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آلـه الأطهار وأصحابه الأخيار والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد :::

فمنـذ أيـام قلائـل ودعـت أمتنـا الإسـلامية عامـاً هجريـاً ، مضـى بخـيره وشره ، مضى بآلامه وجراحه ، بأفراحه وأتراحه ، واستقبلت عاماً هجريًّا جديـداً نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العام خيرًا من سلفه ، وأن يجعل خلفه خيرًا منه كما ندعوه جـل وعـلا أن يجعلـه عـام نصـر وعـزة للإسـلام والمسـلمين، وصـلاحًا

لأحوالهم في كل مكان وحين.

ولقد كان من عادة سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يذكر أتباعه بمرور الأيام وبكرّ الأعوام وكان (صلى الله عليه وسلم) كثيرا ما يخاطب أتباعه بقوله " أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم ، إن المؤمن بين مخافتين: أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه وأجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الهرم، ومن الحياة قبل الموت ".

والأمة العاقلة هي التي تأخذ من ماضيها لحاضرها ، وتستفيد من الدروس والعبر ، وإن المتدبر لمعاني الهجرة الشريفة يستنبط منها دروساً عظيمة، ويستخلص منها فوائد جمة، ويلحظ فيها حكماً باهرة يستفيد منها الأفراد والأمة بعامة في شتى مجالات الحياة، ومن تلك الدروس والفوائد والحكم ما يلي:

(أ) الثبات على المبدأ :

فهو من أهم دروس الهجرة التي يجب أن يستفيد منه المسلمون ، فحين صدع الرسول (صلى الله عليه وسلم) بدعوته وعمل على نشر رسالته وقف المشركون في طريق دعوته مستخدمين كل أساليب القمع والبطش والتنكيل والتعذيب ليثنوه عنها ، ويمنعوه من أدائها ، حتى وصل بهم الجنون إلى العمل على قتله والخلاص منه : { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ } [الأنفال:٣٠].

ولقد واجه الرسول (صلى الله عليه وسلم) الشدائد بعزيمة الرجال وصبر الأقوياء ويقين المتوكلين وإيمان الموحدين : " والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه ".

إن على الأمة أن توقن بأن من كان في معية الخالق لن يضره أذى ، وإن حقيقة التوكل على الله هي الحصن الحصين.

ب – درس الأخذ بالأسباب :

ومن أهم الدروس التي يجب على الأمة الاستفادة منها: درس الأخذ بالأسباب وعدم التواكل. فإن الإسلام دين لا يعرف التواكل ، بل يحاربه وينبذه ، ولا يعرف التواني والكسل والخمول ، وإنما هو دين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله ، قال تعالى:{ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[النحل:٩٧]. وفي الحديث عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): " لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا ". تغدو: تذهب أول النهار، وتروح: ترجع آخر النهار. (رواه الترمذي) .

لهذا رأينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يضع خطة الهجرة بمنتهى الدقة والحكمة مستخدماً الفكر والعقل فقبل أن يهاجر إلى المدينة تعاهد مع أهلها على نصرته وحماية دعوته ، فكانت بيعتي العقبة الأولى والثانية.

إن الإسلام دين الإعداد والتخطيط الجيد ، فقد أعد الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) لكل أمر عدته بالرغم من عصمة الله له ، وذلك باختياره الوقت المناسب والرفيق المناسب وأساليب التعمية والتمويه على القوم ، ويتجلى ذلك حين أمر"عليا" أن ينام في فراشه ، وحين اتجه ناحية الجنوب مع أنه كان يقصد المدينة المنورة شمالا ، وحين ظل بالغار ثلاثة أيام، واختياره لمن يهديه الطريق ، وتدبير أمر الطعام والشراب ، واختياره لمن يأتي له بأخبار العدو.

ويوم أن ودعت أمة الإسلام التخطيط الجيد، ونسيت قضية الأخذ بالأسباب صارت في مؤخرة الركب وفقدت عزتها وتركت مكانتها الريادية. وقد أمرنا الله بالإعداد في القرآن الكريم في قوله تعالى:{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} [الأنفال:٦٠].

إن الموقف يتطلب من المسلمين تفعيل هذا المبدأ الإسلامي الهام وهو الأخذ بالأسباب وتضافر الجهود في سبيل العمل على نهضة الأمة الإسلامية ورفعة شأنها.

ج – معية الله عز وجل :

إن معية الله لأنبيائه وأوليائه المؤمنين ونصرته لهم هي سلاح الأمن والأمان، ومن صور ذلك : لما أذن الله لرسوله بالهجرة ، خرج بصحبة أبي بكر الصديق فأقاما في غار ثور ثلاث ليال، وقريش تطلب النبي وصاحبه، وتجعل لمن يأتي بهما مائة من الإبل، وتبحث عنهما في ربوع الصحراء، حتى أحدق الخطر وعظم الخطب ، لما بلغ المشركون باب الغار، قال أبو بكر (رضي الله عنه) للرسول (صلى الله عليه وسلم): " يَا رسولَ الله ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيهِ لأَبْصَرَنَا . فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم) قولة المؤمن الواثق من معية الله له: "يا أبا بكر، (مَا ظَنُّكَ باثنَيْنِ الله ثَالِثُهُمَا)، وصدق الله تعالى حيث قال : { إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[التوبة:٤٠].

وكذلك الأمر لما تبعهما سراقة بن مالك حتى لحق بهما، وهو على فرس له، فالتفت أبو بكر، فقال: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): "لا تحزن إن الله معنا". فكان كذلك ، إذ صد الله سراقة، وعاد أدراجه بعد أن أعطى الأمان لرسول الله ، وعرض عليه الزاد والمتاع، بل وعاد يصد ويرد كل من يلقاه في طريقه يطلب محمدا وصاحبه.

وينبغي للإنسان أن يعلم أن معية الله هذه التي نستفيدها من حدث الهجرة النبوية ليست خاصة بالرسول (صلى الله عليه وسلم) ، بل إنها لكل مؤمن تقي محسن، قال تعالى : {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون} [النحل: ١٢٨].

د– التضحية والبذل والفداء.

إن الهجرة النبوية تعلم الإنسان كيف تكون التضحية من أجل إعلاء كلمة الله تعالى، فقد اتضحت في هذه الهجرة معالم الإيمان الصادق، حيث ضحى المهاجرون رضوان الله عليهم بأموالهم وتجارتهم ومساكنهم في مكة وتركوها في سبيل الله، وصدق فيهم قول الله تعالى: {ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله}[البقرة:٢٠٧].

وهذه نماذج من تضحية صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذين ضحوا بأنفسهم وأموالهم.

نموذج تضحية أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) بالمال وبالنفس من أجل طاعة الله والهجرة مع رسول الله واحتمالات تعرضه لكل أنواع الأذى في نفسه وفي أهله وفي أولاده.

التضحية بالنفس: وأبرز مثال عليه سيدنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) حيث نام في فراش رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يفديه بنفسه.

نموذج تضحية الأنصار بمالهم لنصرة إخوانهم المجاهدين في سبيل الله وفيهم نزل قول الله تبارك وتعالى :{ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } [الحشر: ٨].

التضحية بالمال : فعَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، أَنَّ صُهَيْبًا حِينَ أَرَادَ الْهِجْرَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، قَالَ لَهُ كُفَّارُ قُرَيْشٍ: أَتَيْتَنَا صُعْلُوكًا، فَكَثُرَ مَالُكَ عِنْدَنَا، وَبَلَغْتَ مَا بَلَغْتَ ثُمَّ تُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ بِنَفْسِكَ وَمَالِكَ، وَاللَّهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُمْ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَعْطَيْتُكُمْ مَالِي أَتُخَلُّونَ سَبِيلِي؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَهُمْ مَالِي، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «رَبِحَ صُهَيْبٌ، رَبِحَ صُهَيْبٌ» وفيه نزل قوله تعالى:{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ}. (صحيح ابن حبان).

٣- دور الأمة في ذكرى الهجرة.

إن الأمة التي تريد أن تخرج من تيهها، وتنهض من كبوتها؛ لا بُدّ أن تأخذ بأسباب النجاة، وعُدَد النهوض، ثم تنطوي قلوبها على سراج من التوكل على الله ، وأن تمتثل للمنهج الذي رسمه لها ربها ، وطبقه رسولها (صلى الله عليه وسلم) ، وأن تهجر السوء والعصيان ، ويتجلَّى ذلك في هجْر المعاصي والذنوب التي أوهَنت الأمة، وبدَّدت قواها، وهزَّت كِيانها؛ لقول النبي (صلى الله عليه وسلم): " ألا أُخبركم مَن المسلم؟ مَن سلِم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن: مَن أَمِنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر: مَن هجَر الخطايا والذنوب، والمجاهد: مَن جاهَد نفسه في طاعة الله" (عز وجل) (مسند أحمد)،

وقوله (صلى الله عليه وسلم) : قَالَ: "الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ". (صحيح البخاري).

إن مفهوم الهجرة يعنى أن نهجر السوء بكل أشكاله وأن نودع الكسل بكل ألوانه ، وأن نهاجر إلى الله بأرواحنا وأجسادنا قاصدين مرضاته ، وأن لانسئ إلى الإسلام بتصرفاتنا الخاطئة ، فالهجرة معناها أن نغزو الصحراء لنعمرها ، وأن نستثمر كنوز الأرض وأن نقتحم العقبات والمصاعب وأن نحافظ على أمن الوطن وسلامة أبنائه ، وأن نحب الوطن ونضحي من أجله بأرواحنا وأبنائنا وأموالنا ، وأن نعيد إليه أمجاده مستلهمين القدوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الولاء والحب للوطن فقد نظر إلى " مكة " مسقط رأسه حين هاجر مخاطباً إياها: "والله إنك لخير أرض الله و أحب أرض الله إلي ولولا أني أخرجت منك ما خرجت".

فضل يوم الجمعة وآدابه

أولاً : **العناصر**:

١- يوم الجمعة عيد للمسلمين.

٢- التحذير من ترك صلاة الجمعة .

٣- من آداب يوم الجمعة.

٤- ما يستحب فعله يوم الجمعة.

ثانياً : **الأدلة** .

الأدلة من القرآن

١- يقول الله تعالى: (يأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَى ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) [الجمعة:٩].

٢- ويقول تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } [الأعراف: ٣١].

٣- وقال تعالى: {لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} [ق: ٣٥] .

الأدلة من السنة:

١- عَنْ أبي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) :خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا ، وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ.(أخرجه أحمد ومسلم).

٢- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: " مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَا غرَبَتْ عَلَى يَوْمٍ خَيْرٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، هَدَانَا اللهُ لَهُ وَأَضَلَّ النَّاسَ عَنْهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ، هُوَ لَنَا، وَلِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَلِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ) (رواه الإمام أحمد في المسند)

٣- و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَقَالَ : "فِيهِ سَاعَةٌ لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي ، يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا ، إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ" ، وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ (صلىالله عليه وسلم) بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا. أخرجه البُخاري ومسلم.

٤- وعن أم المؤمنين عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) قَالَتْ : بَيْنَمَا أَنَا قَاعِدَةٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم)جَاءَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ فَاسْتَأْذَنَ أَحَدُهُمْ. وَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : " تَدْرِينَ عَلَى مَا حَسَدُونَا ". قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ :" فَإِنَّهُمْ حَسَدُونَا عَلَى الْقِبْلَةِ الَّتِى هُدِينَا لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا ، وَعَلَى الْجُمُعَةِ الَّتِى هُدِينَا لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا ، وَعَلَى قَوْلِنَا خَلْفَ الإِمَامِ آمِينَ "

(السنن الكبرى للبيهقي)

٥- عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : " مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِى السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِى السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ ، وَمَنْ رَاحَ فِى السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِى السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً ، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ "(رواه مسلم).

٦- وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو (رضى الله عنه) ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، إِلاَّ وَقَاهُ الله فِتْنَةَ الْقَبْرِ".(أخرجه أحمد والترمذي).

٧- وعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ (رضى الله عنه) ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) "مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَغَسَّلَ ، وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ ، وَدَنَا وَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا أَجْرُ سَنَةٍ صِيَامُهَا وَقِيَامُهَا". (رواه الترمذي).

٨- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، قَالَ: "الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ ، كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُمَا ، مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ ".(أخرجه أحمد ومسلم).

٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنهما) قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ تَرْكِهِمُ الْجُمُعَاتِ أَوْ لَيُخْتَمَنَّ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ"(صحيح ابن خزيمة).

ثالثاً : الموضوع:

الحمد لله والصلاة ، والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أما بعد:

فمما لاشك فيه أن يوم الجمعة هو خير الأيام وسيدها ، ويكفيه شرفاً وفخراً أن الله تبارك وتعالى اختصه بالذكر والثناء في كتابه الكريم فقال عز من قائل :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}[سورة الجمعة : ٩].

وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) :"خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ".

(أخرجه أحمد ومسلم)

ويوم الجمعة هو منحة الله تعالى وهبته لهذه الأمة ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَعَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ ، قَالاَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) :" أَضَلَّ اللَّهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا ، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الأَحَدِ ، فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا ، فَهَدَانَا اللَّهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ ، وَالسَّبْتَ ، والأَحَدَ ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، نَحْنُ الآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلاَئِقِ". (أخرجه مُسْلم) .

وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) في قوله عز وجل: {لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} [ق: ٣٥] " قال : يتجلى لهم في كل جمعة.

ومن هنا فقد شدد النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)على من يتهاون في ترك صلاة الجمعة دونما سبب أو عذر مشروع ، فعن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنهما) قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ تَرْكِهِمُ الْجُمُعَاتِ، أَوْ لَيُخْتَمَنَّ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ"(صحيح ابن خزيمة).

وليوم الجمعة فضائل كثيرة منها:

* أنه أفضل الأيام عندنا أهل الإسلام، فهو عيد لنا، وهو اليوم الذي خلق الله فيه آدم، وفيه أدخله الله الجنة، وفيه أخرجه الله منها، وفيه تقوم الساعة.

هذا يوم الجمعة الذي هدانا الله إليه – نحن أمة الإسلام وأضل عنه الأمم من قبلنا ، يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : "مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتْ عَلَى يَوْمٍ خَيْرٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، هَدَانَا اللهُ لَهُ وَأَضَلَّ النَّاسَ عَنْهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ، هُوَ لَنَا، وَلِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَلِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ "

(رواه الإمام أحمد في المسند)

* ومنها : أن فيه ساعة تفتح فيها أبواب السماء فيستجاب الدعاء ويقبل الرجاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَقَالَ : "فِيهِ سَاعَةٌ لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي ، يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا ، إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ "، وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا.

(أخرجه البُخاري ومسلم)

فالناسُ لنا فيه تبع، اليهود غداً والنصارى بعد غد ، كما صح عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ولا شك في أن يوم الجمعة هو العيد الأسبوعي للمسلمين، قال ابن القيم: وهو يوم المزيد لهم إذا دخلوا الجنة، وهو يوم عيد لهم في الدنيا.

وعن أم المؤمنين عَائِشَةَ (رضي اللَّهُ عَنْهَا) قَالَتْ : بَيْنَمَا أَنَا قَاعِدَةٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) جَاءَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ فَاسْتَأْذَنَ أَحَدُهُمْ. وَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ :" تَدْرِينَ عَلَى مَا حَسَدُونَا ". قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ :" فَإِنَّهُمْ حَسَدُونَا عَلَى الْقِبْلَةِ الَّتِى هُدِينَا لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا ، وَعَلَى الْجُمُعَةِ الَّتِى هُدِينَا لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا ، وَعَلَى قَوْلِنَا خَلْفَ الإِمَامِ آمِينَ " (السنن الكبرى للبيهقي).

* ومنها : أن يوم الجمعة سبب في تكفير السيئات ورفع الدرجات ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) ، قَالَ: "الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ ، كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُمَا ، مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ". (أخرجه أحمد ومسلم).

قال العلماء معنى المغفرة له ما بين الجمعتين وثلاثة أيام أن الحسنة بعشر أمثالها وصار يوم الجمعة الذي فعل فيه هذه الأفعال الجميلة في معنى الحسنة التي تجعل بعشر أمثالها .ولما سئل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الكفارات قال :" الْمَشْيُ عَلَى الأَقْدَامِ إِلَى الْجُمُعَاتِ ، وَالْجُلُوسُ فِي الْمَسْجِدِ خِلاَفَ الصَّلَوَاتِ ، وَإِبْلاَغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكَارِهِ ، قَالَ : مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّه". (المسند الجامع)، وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، إِلاَّ وَقَاهُ الله فِتْنَةَ الْقَبْرِ".(أخرجه أحمد والترمِذي).

* ولقد شرع الله لنا يوم الجمعة نحن المسلمين ليكون عيدًا أسبوعيًّا، ومؤتمرًا دوريًّا ربانيًّا، يلتقي فيه الناس على طاعة الله، على كلمة التقوى، على ذكر الله عزَّ وجلَّ، كُره فيه الصيام، فلا ينبغي الصيام في يوم العيد، فهو أشبه بالعيد السنوي، ولهذا كان الصيام في يوم العيد حرامًا، وفي يوم الجمعة مكروهًا. ومعنى الصيام هنا صيام التطوُّع، مَن أراد أن يتطوَّع بالصيام في يوم الجمعة فذلك مكروه، ولكن إذا أراد أن يقضي ما فات عليه، أو صادف يومًا من الأيام التي يُسنُّ فيها الصيام، كأن صادف يوم عرفة، أو يوم عاشوراء، أو صام يومًا قبله ويومًا بعده، فلا حرج عليه.

*ولهذا جمَّله الله بهذه الصلاة الأسبوعية، صلاة الجمعة التي فرضها الله في هذا اليوم، وجعلها بدل صلاة الظهر، فإذا نُودي إليها لم يَسَع مسلمًا أن يتخلَّف عنها، فرضها على الرجال دون النساء، وعلى المقيمين دون المسافرين، وعلى الأصحَّاء دون المرضى، ولكن إذا صلَّى المسافر الجمعة، أو صلَّت المرأة الجمعة، فلا حرج عليها، وقد كان النساء يذهبن إلى مسجد النبيِّ (صلى الله عليه وسلم) في صلاة الجمعة، وفي الصلوات الخمس ، يقول تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ} [الجمعة:٩].

* فينبغي أن تتعطَّل أعمال الدنيا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة، يَدَع البائع بيعه ، ويَدَع المشتري شرائه، ويَدَع المستأجر إجارته، ويَدَع

العامل عمله، يَدَعُون هؤلاء أعمالهم، ويذهبون إلى صلاة الجمعة، إلى ذكر الله عزَّ وجلَّ، إلى هذه الجماعة التي أوجبها الله تعالى في كلِّ أسبوع.

*وإذا كان الإسلام دين الجماعة، وليس دينًا فرديًّا، لا يحب للمسلم أن يعيش وحده، " إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية " (المستدرك للحاكم)، "المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضه بعضًا" (صحيح البخاري) و "يد الله على الجماعة " (المستدرك للحاكم) ، فإنه حثَّ على صلاة الجماعة كلَّ يوم خمس مرات، فصلاة الجماعة سنَّة مؤكَّدة، بل واجبة في مذهب الإمام أحمد. فهو يرى أن صلاة الجماعة واجبة على الرجال إلا من عذر، فمَن لاعذر له لا ينبغي أن يصلِّي وحده ، فإن النبيَّ (صلى الله عليه وسلم) همَّ أن يحرِّق على قوم بيوتهم؛ لأنهم يتخلَّفوا عن صلاة الجماعة (صحيح مسلم)

ولم يُجِز لرجلٍ أعمى شاسع الدَّار أن يصلي في بيته ما دام يسمع النداء، قال له" : لا أجد لك رخصة "(سنن أبي داود).

وذلك ليجتمع المسلمون كلَّ يوم على هذه الصلوات، فتقوى صلاتهم، وتتوثَّق رابطتهم، وتشتدُّ علائق أخوَّتهم، يسأل بعضهم عن بعض، فإذا غاب أحدهم عن الجماعة سألوا عنه، فإذا كان مريضًا عادوه، وإن كان مشغولاً أعانوه، وإن كان ناسيًا ذكَّروه، وهكذا كان المجتمع المسلم.

* ثم يأتي الشرع الإسلامي ليوجب صلاة الجمعة في كلِّ أسبوع، صلاة الجماعة في مسجد الحيِّ، وصلاة الجمعة في المسجد الجامع، وهو تجمُّع أكبر، وهو تجمُّع واجب، وتجمُّع مفروض، يخرج المسلم من بيته، أو من متجره، أو من أيِّ مكان هو فيه، إذا سمع النداء، ليجيب نداء الله، ويؤدِّي فرض الله، ويلتقي مع أخيه على طاعة الله، { إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} [الجمعة:٩].

إنه سعي إلى ذكر الله؛ لأنَّ صلاة الجمعة عبادة لله، وخطبة الجمعة خطبة لذكر الله، ليست لذكر فلان ولا علان، قد يخطب الخطيب في قضايا الناس، ويتحدَّث عن مشكلات الناس، ويجيب عن تساؤلات الناس، ولكن تظلُّ الخطبة لإقامة ذكر الله، يتخلَّلها ذكر الله، والتذكير بالله، وبأسماء الله، وبلقاء الله، وبحساب الله، وبدين الله، وبفرائض الله، وبحرمات الله. هي ذكر

لله؛ ولذلك تبدأ بالحمد الله، وبالشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وبالحث على تقوى الله.

* ومن حقوق وواجبات هذا اليوم العظيم علينا – يوم الجمعة – التبكير إلى الصلاة وإتيان المسجد قبل الأذان، وهذه سنة مهجورة، هجرها الكثير من الناس مع أنها من أجل القربات وأنفس الطاعات ، يقول (صلى الله عليه وسلم) كما في الصحيحين: "مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً ، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ"(متفق عليه) .

وفي الحديث الصحيح يقول (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَغَسَّلَ ، وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ ، وَدَنَا وَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا أَجْرُ سَنَةٍ صِيَامُهَا وَقِيَامُهَا". (رواه الترمذي).

حرمة المساجد والحفاظ على قدسيتها

أولاً : العناصر:

١- مكانة المسجد ومنزلته في الإسلام.

٢- فضل بناء المساجد وعمارتها.

٣- علاقة المسلم بالمسجد.

٤- الحفاظ على قدسية المساجد وحرمة الاعتداء عليها.

٥- من آداب المساجد كراهة رفع الأصوات فيها.

٦- الحفاظ على مكانة العلماء وتوقيرهم.

ثانياً : الأدلة:

الأدلة من القرآن:

١- قال تعالى: { وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا }[الجن:١٨].

٢- وقال تعالى: { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ } [التوبة:١٨].

٣- وقال تعالى: { فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ [النور:٣٦-٣٧].

٤- وقال تعالى: { يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ }[الأعراف:٣١].

٥- وقال تعالى: { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ }[البقرة:١١٤].

الأدلة من السنة :

١- عَنْ أَبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: " أَحَبُّ البِلادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا ، وَأَبْغَضُ البِلادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا" (رواه مسلم).

٢- وعَنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ (رضي الله عنه) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: " مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ مِثْلَهُ"(رواه مسلم).

٣- وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ (رضي الله عنه) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: "الْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ ، وَتَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ كَانَ الْمَسْجِدُ بَيْتَهُ بِالرَّوْحِ وَالرَّحْمَةِ وَالْجَوَازِ عَلَى الصِّرَاطِ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ إِلَى الْجَنَّةِ " (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ وَالْبَزَّارُ وَقَالَ: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ، قُلْتُ: وَرِجَالُ الْبَزَّارِ كُلُّهُمْ رِجَالُ الصَّحِيحِ) . (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد).

٤- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قال: " مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ في الْجَنَّةِ نُزُلاً كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ " (متفق عليه).

٦- وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: " إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَنْصِتْ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ فَقَدْ لَغَوْتَ "(متفق عليه).

٧- وعَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ (رضي الله عنه) قَالَ : (كُنْتُ قَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ فَحَصَبَنِي رَجُلٌ - أي رماني بالحصباء ، وهي الحصى الصغار- فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ : اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهَذَيْنِ، فَجِئْتُهُ بِهِمَا، قَالَ : مَنْ أَنْتُمَا أَوْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ قَالَا : مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ ، قَالَ: لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم). (رواه البخاري).

ثالثًا : **الموضوع**:

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وسلك طريقه إلى يوم الدين، وبعـــد:

فإن للمساجد مكانة عظيمة وأهمية بالغة عند المسلمين ، فهي بيوت الله عز وجل في أرضه، أمر الله تعالى برفعها وتشييدها وتعظيم قدرها ؛ لعبادته وذكره ، وتلاوة كتابه ، وأداء رسالة نبيه (صلى الله عليه وسلم) ، ونشر تعاليمه وتبليغ منهجه ، فقال تعالى: { فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لا تُلْهِيهِم تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ} [النور:٣٦-٣٧] ، ثم كرَّمها الله – سبحانه – بأن أضافها إلى نفسه إضافة تعظيم وتشريف ، فقال تعالى : { وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} [الجن:١٨] .

وفي الحديث القدسي عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال فيما يرويه عن ربه : (إن بيوتي في الأرض المساجد ، وإن زواري فيها عمارها، فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي ، وحق على المزور أن يكرم زائره) (رواه أبو نعيم).

فزائر المسجد هو ضيف الله ، والضيف إذا نزل بساحة الكرماء، ومنازل العظماء نال من جودهم وفضلهم، فكيف بضيف نزل بأكرم الأكرمين، وحلَّ ببيت رب العالمين ؟ فحق على المزور أن يكرم زائره ، ما أن يدخل بيته حتى يوكل به ملك يقول: اللهم اغفر له.. اللهم ارحمه ما دام في مجلسه الذي صلى فيه حتى يخرج من المسجد، كما روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : "صَلَاةُ الْجَمِيعِ – الْجَمَاعَةِ – تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وَأَتَى الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْهُ خَطِيئَةً حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ وَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتْ تَحْبِسُهُ وَتُصَلِّي عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ".

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قال: " مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلاً كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ " (متفق عليه) فأيّ رفعة أعظم من هذه الرفعة؟ وأي قدر أرفع من هذا القدر؟

وكذلك كرَّمها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فأخبر بأنها أفضل البقاع في الأرض ، وأحب البقاع إلى الله سبحانه ، ففي صحيح مسلم من حديث عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : " أَحَبُّ الْبِلادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا ، وَأَبْغَضُ الْبِلاَدِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا" ، وذلك لأنها تؤدي دوراً من أهم الأدوار، وهو الاتصال بين الأرض والسماء ، بين العبد وربه ، فهي البقعة الطاهرة التي تهفو إليها النفوس ، وتسكن إليها القلوب ، يخلو فيها المسلم مع خالقه ، فيبكي على خطيئته ، ويجدد توبته ، يأوي إليها منقطعاً عن صخب الحياة المادية، متحرراً من قيود الهموم الدنيوية، فيجد فيها مَرَاتِعَ من رياض الجنة ، ويتعرض لنفحات الله (عزَّ وجل) ، وأما كون الأسواق أبغض البقاع فلِأَنَّهَا مظنة الْغِشّ وَالْخِدَاع وَالْأَيْمَان الْكَاذِبَة وَإِخْلَاف الْوَعْد وَالْإِعْرَاض عَنْ ذِكْر اللَّه ، وَغَيْر ذَلِكَ مما في معناه .

ومما يدل على مكانة المساجد وعظم منزلتها عند الله ، أنه – سبحانه وتعالى– هو الذي رغَّب في بنائها وعمارتها، فقال تعالى: { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ}[التوبة:١٨]، فبناء المساجد من أعظم القُرَب لمن أخلص لله عز وجل ؛ وكذلك رغَّب النبي (صلى الله عليه وسلم) في بنائها وحثَّ على عمارتها، وأَمَرَ بتطهيرِها وتنظيفها ، وتنزيهِهَا وتطييبها ، ففي الصحيحين عَنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ (رضي الله عنه) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ : " مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ مِثْلَهُ" .

وعن عائشةَ رضي الله عنها قالت: أَمَرَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ببناء المساجِدِ في الدور– يعني: في القبائل– وأن تُنَظَّف وتُطَيَّب. (أخرجه أحمد وأبو داود)

ولأهمية ومكانة وقدسية المساجد في الإسلام كان أول عمل لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالمدينة المنورة هو بناء المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم ، فكان المسجد هو الركيزة الأولى واللبنة الأساسية في تكوين المجتمع المسلم ، فهو المدرسة التربوية الكبرى التي تتربى فيها الأمة، كبيرها وصغيرها.

وما دام رب العالمين قد رفع شأن المساجد وأعلى ذكرها ، وكذلك رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم) فلا بد لنا أن نحترمها، ونرفع قدرها ، وأن نتحلى بآدابها ، ورعاية حرمتها، والحفاظ على قدسيتها ؛ لنكون عباداً خاضعين خاشعين لربّ العالمين، عاملين بسنة خير المرسلين (صلى الله عليه وسلم) ، فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ (رضي الله عنه) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ:" الْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ ، وَتَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ كَانَ الْمَسْجِدُ بَيْتَهُ بِالرَّوْحِ وَالرَّحْمَةِ وَالْجَوَازِ عَلَى الصِّرَاطِ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ إِلَى الْجَنَّةِ "(رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ).

إن علاقة المسلم بالمسجد علاقة تعظيم وتوقير وإجلال، وعلاقة عبادة وخشوع ، ويظهر ذلك التوقير في سلوكه ، وملبسه ، ومراعاته قدسية المكان ، يتجلى ذلك في قوله تعالى : {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف:٣١].

فالمساجد إنما جعلت للذكر والطاعة ، وقد ثبت أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال في شأنها : "... إِنَّمَا هي لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلاَةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ"(رواه مسلم).

ففيها تؤدى الصلوات جماعة وفرادى، وفيها يدعو المسلم ربه وحده ، ويقرأ القرآن بتدبر وخشوع ، والاجتماع لحفظه ومدارسته ، وإضافتها إلى الله تعالى تقتضي شرفها وتميزها عن بقية البقاع ، وذلك ما يوجب احترامها.

ولهذه الأهمية العظيمة أُمِرْنا بمراعاة حرمتها ، والمحافظة عليها من كل مالا يتناسب مع ما بُنيت له ، قال تعالى:{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا

إِلَّـا خَـائِفِينَ لَهُـمْ فِـي الـدُّنْيَا خِـزْيٌ وَلَهُـمْ فِـي الْـآخِرَةِ عَـذَابٌ عَظِيمٌ}[البقرة:١١٤].. لذلك نهى النبي (صلى الله عليه وسلم) عن البيع والشراء في المسجد ، أو إنشاد الضالة ، أو عن إيذاء المصلين والملائكة برائحة كريهة كأكل ثوم أو بصل أو كراث أو نحوها ، أو أن يستهان بالمسجد أو يُعبث فيه ، وغير ذلك من الآداب التي يجب مراعاتها.

ومن الأمور التي ينبغي مراعاتها : عدم رفع الصوت حتى بالقراءة والذكر، لأن المصلي يحتاج إلى التدبر والخشوع، والقارئ يشغله برفع صوته؛ لهذا نهى الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن رفع الصوت فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ (رضي الله عنه) قَالَ : اعْتَكَفَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) في الْمَسْجِدِ فَسَمِعَهُمْ يَجْهَرُونَ بِالْقِرَاءَةِ فَكَشَفَ السِّتْرَ، وَقَالَ : " أَلاَ إِنَّ كُلَّكُمْ مُنَاجٍ رَبَّهُ فَلاَ يُؤْذِيَنَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَلاَ يَرْفَعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ في الْقِرَاءَةِ " أَوْ قَالَ:" في الصَّلاَةِ" (أخرجه أبو داوود).

وعَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ (رضي الله عنه) قَالَ : (كُنْتُ قَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ فَحَصَبَنِي رَجُلٌ - أي رماني بالحصباء ، وهي الحصى الصغار- فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ : اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهَذَيْنِ، فَجِئْتُهُ بِهِمَا، قَالَ : مَنْ أَنْتُمَا أَوْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ قَالَا : مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ ، قَالَ : لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) .(رواه البخاري).

ومن ثم فإنه يجب عدم رفع الصوت في المساجد ، والإنصات للخطبة يوم الجمعة؛ لحديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : " إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَنْصِتْ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ فَقَدْ لَغَوْتَ "(متفق عليه).

لكن ما نراه اليوم من مخالفة كثير من الناس لهذه الأهداف العالية والتي من أجلها بنيت المساجد لأمر يحزن القلوب، حيث نرى ونسمع ارتفاع الأصوات والتشويش على المصلين ، وهذا مخالف لتعاليم الإسلام، لا عذر لفاعله أمام الله عز وجل ، لأنه بذلك يعطل أداء شعائر الله، فيكون من الظالمين الذين توعدهم الله (عز وجل) بالعقاب الأليم ، فقال تعالى:

{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ }[البقرة:١١٤].

فعلى المسلمين أن يراعوا حرمة بيوت الله عز وجل ، وعدم رفع الصوت فيها، وتجنيب المساجد الصراعات الحزبية والسياسية التي تؤدي إلى التفرقة.

ولا يجوز شرعاً امتهان وتشويه وازدراء علماء الإسلام ، وعدم احترامهم وتوقيرهم ، فهم ورثة الأنبياء ، وهم هداة هذه الأمة الذين ينيرون لها الطريق ، ويعلمون الناس الخير .

تطوير العشوائيات ورعاية الفقراء مصلحة للفقير والغنى معاً

أولاً : العناصر:

١- الإسلام دين التراحم والتكافل .

٢- الحث على الإنفاق في سبيل الله .

٣- رعاية الفقراء مادياً وصحياً وتعليمياً .

٤- خطورة العشوائيات على المجتمع .

٥- حل مشكلة الفقر ضرورة لاستقرار المجتمع .

أ – بتوفير فرص العمل .

ب _ بالتكافل والتعاون .

ج _ يحرص الفقراء على العمل والإنتاج .

ثانياً : الأدلة:

الأدلة من القرآن :

٢- قال تعالى : { مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }[البقرة :٢٦١].

٣- وقال تعالى: { وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ . وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } [المنافقون : ١٠ ، ١١].

٤- وقال تعالى: { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [التوبة:٦٠].

٥- وقال تعالى : {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }

[التوبة: ١٠٣]

٦- وقال تعالى: { هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ

وَأَنْـتُمُ الْفُقَـرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّـوْا يَسْـتَبْدِلْ قَوْمًـا غَيْـرَكُمْ ثُـمَّ لَـا يَكُونُـوا أَمْثَالَكُمْ }[محمد : ٣٨].

الأدلة من السنة :

١- عَـنْ النُّعْمَانِ بْـنِ بَشِيرٍ (رضـي الله عنه) قَـالَ : قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ (صلى الله عليـه وسلم) : "مَثَـلُ الْمُـؤْمِنِينَ فِـي تَـوَادِّهِمْ وَتَـرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى" (صحيح مسلم).

٢- وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ في سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ قَالَ فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالاً فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) :" مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ ، قَالَ : فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لاَ حَقَّ لأَحَدٍ مِنَّا في فَضْلٍ"
(رواه مسلم) .

٣- وعن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "يا عَمْرُو نِعْمَ المال الصالح مع الرجل الصالح" (أخرجه الإمام أحمد وأبن حبان).

٤- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ): " إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ : عِلْمًا نَشَرَهُ ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ ، أَوْ بَيْتًا لاِبْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ ، تَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ" .(أخرجه ابن ماجة)

٥- وعَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فِي صَدْرِ النَّهَارِ قَالَ فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِى النِّمَارِ أَوِ الْعَبَاءِ مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِلاَلاً فَأَذَّنَ وَأَقَامَ فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ :{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ

اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} إِلَى آخِرِ الآيَةِ { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } وَالآيَةَ الَّتِى فِى الْحَشْرِ {اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ} تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ ثَوْبِهِ مِنْ صَاعِ بُرِّهِ مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ – حَتَّى قَالَ – وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ". قَالَ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا بَلْ قَدْ عَجَزَتْ – قَالَ – ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): " مَنْ سَنَّ فِى الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَىْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِى الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَىْءٌ".(رواه مسلم)

الآثــار :

١- عن أبي جعفر عن محمد بن علي أنه سمع علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال : "إن الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم فإن جاعوا أو عروا وجهدوا فبمنع الأغنياء وحق على الله أن يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم عليه" .(رواه البيهقي).

٢- وعن أَيُّوبُ بْنُ وَائِلٍ الرَّاسِبِيُّ، قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَأَخْبَرَنِي رَجُلٌ – جَارٌ لِابْنِ عُمَرَ – أَنَّهُ أَتَى ابْنَ عُمَرَ أَرْبَعَةُ آلَافٍ مِنْ قِبَلِ مُعَاوِيَةَ، وَأَرْبَعَةُ آلَافٍ مِنْ قِبَلِ إِنْسَانٍ آخَرَ، وَأَلْفَانِ مِنْ قِبَلِ آخَرَ، وَقَطِيفَةٌ فَجَاءَ إِلَى السُّوقِ يُرِيدُ عَلَفًا لِرَاحِلَتِهِ بِدِرْهَمٍ نَسِيئَةً، فَقَدْ عَرَفْتُ الَّذِي جَاءَهُ، فَأَتَيْتُ سُرِّيَّتَهُ، فَقُلْتُ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكِ عَنْ شَيْءٍ وَأُحِبُّ أَنْ تَصْدُقِينِي؟ قُلْتُ: أَلَيْسَ قَدْ أَتَتْ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ مِنْ قِبَلِ مُعَاوِيَةَ، وَأَرْبَعَةُ آلَافٍ مِنْ قِبَلِ إِنْسَانٍ آخَرَ، وَأَلْفَانِ مِنْ قِبَلِ آخَرَ، وَقَطِيفَةٌ؟ قَالَتْ: بَلَى، قُلْتُ: فَإِنِّي رَأَيْتُهُ يَطْلُبُ عَلَفًا بِدِرْهَمٍ نَسِيئَةً، قَالَتْ: مَا بَاتَ حَتَّى فَرَّقَهَا، فَأَخَذَ الْقَطِيفَةَ فَأَلْقَاهَا عَلَى ظَهْرِهِ ثُمَّ ذَهَبَ فَوَجَّهَهَا ثُمَّ جَاءَ، فَقُلْتُ: يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ مَا تَصْنَعُونَ بِالدُّنْيَا، وَابْنُ عُمَرَ

أَتَتْهُ الْبَارِحَةَ عَشَرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ وَضَحٍ، فَأَصْبَحَ الْيَوْمَ يَطْلُبُ لِرَاحِلَتِهِ عَلَفًا بِدِرْهَمٍ نَسِيئَةً. (حلية الأولياء).

٣- قال عبد الله بن عروة(رضى الله عنه) : قال عمر عام الرمادة : لقد هممت أن أنزل على أهل كل بيت مثل عددهم ، فإن الرجل لا يهلك على نصف بطنه. (شرح السنة للبغوي) .

ثالثاً: **الموضوع**:

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سَيِّدَنَا مُحَمَّد وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، ومن تبعهم بِإِحْسَان إِلَى يَوْم الدِّيْن. وبعد ...

فإن لكل إنسان ضروراته واحتياجاته التى لايمكن أن يحيا أو يعيش بدونها وهى : المطعم والمشرب والمسكن والملبس ، فلا يوجد بشر يستغنى عن واحدة من تلك الضرورات وهذا ماوفره الله (عز وجل) لآدم (عليه السلام) فى الجنة التى أسكنه إياها ، فقال تعالى : { إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى }[طه: ١١٨ - ١١٩].

لقد جاء الإسلام ليحقق للناس السعادة فى الدنيا والفوز فى الآخرة بما يوفر لهم ضروراتهم واحتياجاتهم ، وهذا لايتأتى إلا إذا تعامل الناس بالتكافل والتراحم فى أسمى معانيه وحققوا ذلك تطبيقا عمليا واقعيا ، وإلا اتسعت الفجوة بين الناس ، وأصبح المجتمع طبقيا تسوده الأحقاد لا المودة ولا التراحم .

ولهذا قال النبي (صلى الله عليه وسلم) في الحديث الذي رواه النعمان بن بشير (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : { مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى }. (صحيح مسلم).

بل إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد نفى الإيمان عمن يرى المحتاج ولا يسد حاجته أو يرى الجائع ولا يرد جوعته ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاس (رضي الله عنهما) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : "مَا يُؤْمِنُ مَنْ

بَاتَ شَبْعَانَ وَجَارُهُ طاوٍ إِلَى جَنْبِهِ". وفي رواية : " وهو يعلم به"
(أخرجه الطبراني).

ولأجل أن يقوى المجتمع ويتآلف وينصهر في بوتقة واحدة كالجسد الواحد كانت تعاليم الإسلام وتوجيهاته برعاية الفقير صحيا واقتصاديا واجتماعيا بما يتلاءم وآدميته ، فاعتبر الإسلام رعاية الفقير فريضة على كل مسلم في حدود طاقاته يلتزم بأدائها من باب فروض الكفايات ، ومن هذه التوجيهات الرشيدة : ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: بينما نحن في سفر مع النبي (صلى الله عليه وسلم) إذ جاء رجل على راحلة له ، قال: فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ ". قَالَ فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لاَ حَقَّ لأَحَدٍ مِنَّا فِى فَضْلٍ.

وكان (صلى الله عليه وسلم) لا يطيق أن يرى عريانا ولا جائعاً ولا صاحب حاجة لا يجد ما يسد حاجته إلا سارع إلى سد حاجته ودعوة أصحابه بالوقوف إلى جواره ورفع معاناته، فعَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فِى صَدْرِ النَّهَارِ قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِى النِّمَارِ أَوِ الْعَبَاءِ مُتَقَلِّدِى السُّيُوفِ عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِلاَلاً فَأَذَّنَ وَأَقَامَ فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ :{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} إِلَى آخِرِ الآيَةِ {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [النساء:١] وَالآيَةَ الَّتِى فِى الْحَشْرِ {اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ}[الحشر ١٨] تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ ثَوْبِهِ مِنْ صَاعِ بُرِّهِ مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ". قَالَ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا بَلْ قَدْ عَجَزَتْ - قَالَ - ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ سَنَّ فِى الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ

أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ". (رواه مسلم)

وقد رغب الإسلام في الإنفاق في سبيل الله ، وضاعف ثوابه عند الله (عز وجل) قال تعالى: { مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }[البقرة ٢٦١].

وقد جعل الله تعالى ما ينفقه المؤمن من ماله في سبيل الله تطهيراً وتزكيةً للنفس والمال معا، فقال تعالى : {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }

[التوبة : ١٠٣]

ولطالما حذر النبي (صلى الله عليه وسلم) من خطورة انتشار الفقر وآثاره المدمرة على الفرد والمجتمع من هذا قوله : " إن الرجل إذا غرم (أي: استدان) حدث فكذب ووعد فأخلف" (رواه البخاري) ، وكان كثيرا ما يستعيذ (صلى الله عليه وسلم) من الفقر ويقول: " اللهم إني أعوذ بك من الفقر " ، ويقول " اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة ، وأعوذ بك من أن أظلم أو أظلم " (رواه أبو داود).

ولذا وجب علينا العمل على القضاء على الفقر حتى لايكون عبئا ثقيلا على الفقير من جهة وعلى المجتمع من جهة أخرى ٠

أما مشكلة العشوائيات التي يعاني منها المجتمع فتتطلب تضافر الجهود بين جميع الجهات المعنية لتحقيق التطوير الكامل لهذه المناطق ، ليس فقط عمرانيا ولكن أيضا اجتماعيا وإنسانيا ؛ لأن هذا يعتبر بمثابة إنقاذ جيل جديد يقطن تلك العشوائيات من مختلف الأمراض الاجتماعية ٠

إن الإسلام بتشريعاته العظيمة في المجال الاجتماعي ينزع الغل من الصدور ويشعر الجميع أنهم متساوون في الحقوق والواجبات فيحترم الفقير الغني ويعطف الغني على الفقير وهذا يصب في مصلحة الاثنين على السواء ، فيجني الغني ثمرة صدقته على الفقير حبا وكرامة وتقديراً منه ومرضاة لله (عز وجل) ، وتحقيقا للأمن الاجتماعي للجميع ، كما يشعر الفقير بآدميته وإنسانيته ورعاية

المجتمع له ، فيزداد ولاءً لوطنه وحبًّا له ، وعملاً على رقيه وحرصاً على أمنه واستقراره ٠

وهذا ما كان يحرص عليه سلفنا الصالح (رضى الله عنهم) يؤثرون لايستأثرون ، يعملون لآخرتهم قبل دنياهم ، فعن أيوب بن وائل الداسى قال: قدمت المدينة فأخبرنى رجل- جار لابن عمر - أنه أتى ابن عمر أربعة ألاف من قبل معاوية ، وأربعة ألاف من قبل إنسان أخر ، وألفان من قبل آخر وقطيفة ، فجاء إلى السوق يريد علفا لراحلته بدرهم نسيئة ، فقد عرفت الذي جاءه فأتيت سريته فقلت : إنى أريد أن أسألك عن شيء وأحب أن تصدقنى: قلت : أليس قد أتت أبا عبد الرحمن أربعة ألاف من قبل معاوية وأربعة آلاف من قبل إنسان آخر وألفان من قبل آخر وقطيفة : قالت : بلى قلت : فإنى رأيته يطلب علفا بدرهم نسيئة قالت : ما بات حتى فرقها فأخذ القطيفة فألقاها على ظهره ثم ذهب فوجهها ثم جاء فقلت : يا معشر التجار ما تصنعون بالدنيا وابن عمر أتته البارحة عشرة آلاف درهم وضح ، فأصبح اليوم يطلب لراحلته علفا بدرهم نسيئة (حلية الأولياء) .

فلا بد إذا من تضافر الجهود للقضاء على تلك المشكلة وتطوير العشوائيات رحمة بسكانها الذين أمرنا بأن نهتم بأمورهم ونسهر عليها وكذلك لابد من العمل على سد جوعة كل جائع وستر عورة كل عار ومداواة كل مريض وإغاثة كل ملهوف وإعانة كل محتاج ، فمن لا يرحم لا يرحم ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم فعن عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِم لاَ يَظْلِمُهُ ، وَلاَيُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِم كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْم الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".(متفق عليه)٠

نعمة الأمن والاستقرار

أولاً : العناصر:

1. الحفاظ على النفس والمال والعرض في الإسلام.
2. الأمن الاجتماعي.
3. الأمن النفسي.
4. دورنا في الحفاظ على أمن الفرد والمجتمع.

ثانياً : الأدلة :

الأدلة من القرآن :

١- قال تعالى:{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}[النحل:١٨].

٢- وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [المائدة: ١١].

٣- وقال تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}

[البقرة: ١٢٦]

٤- وقال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام: ٨٢].

٥- وقال تعالى: { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [النحل: ١١٢].

٦- وقال تعالى: {أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [القصص: ٥٧].

٧- وقال تعالى: {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ}[سبأ: ١٨].

٨- وقال تعالى: { فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} [قريش: ٣، ٤] .

الأدلة من السنة :

١- عن ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما): أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كَانَ إِذَا رَأَى الْهِلَالَ قَالَ" اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ ، وَالتَّوْفِيقِ لِمَا تُحِبُّ وترضى، رَبُّنَا وَرَبُّكَ اللَّهُ".
(رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه)

٢- وعن عَبْد اللَّهِ بْن عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، وَيَقُولُ: "مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ، مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ! وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكِ، مَالِهِ وَدَمِهِ، وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا" (سنن ابن ماجه).

٣- وعن أبي حرة الرقاشي عن عمه ، أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطِيبِ نَفْسٍ مِنْه"
(مجمع الزوائد).

٤- وعَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِحْصَنٍ الْخَطْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): " مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً في سربِهِ ، مُعَافَىً في جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا "
(رواه الترمذي)

٥- وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: مَا خَطَبَنَا النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلَّا قَالَ: "لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ"
(رواه الإمام أحمد)

ثالثا : **الموضوع** :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، أحمدُهُ سبحانَهُ حمدًا يليقُ بِجلالِ وجهِهِ وعظيمِ سلطانِهِ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وأَشْهَدُ أَنَّ سيدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ

وَرَسُولُهُ، سيد الأنبياء والمرسلين، صَلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ وعلَى مَنْ تبعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

أما بعد : فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق بقدرته ، ورباهم بحكمته ، وأنعم عليهم بنعم كثيرة وعظيمة لا تعد ولا تحصى ، فقال تعالى :{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}[النحل:١٨].

وقد أمر الله تعالى عباده جميعاً أن يذكروا نِعمَهُ عليهم ، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [المائدة: ١١] ، وقال تعالى:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} [فاطر: ٣] .

ومن أعظم نعمِ الله تعالى التي يجب أن نذكُرَها ونُذكِّرَ بها : نعمةَ الأمن والاستقرار، فهي من أجلِّ نعم الله تعالى على الإنسان ؛ فبدونها لا يهدأ بال ، ولا تطمئن نفسٌ ، ولا يهنأ إنسان بالحياة حتى لو أوتي الدنيا بحذافيرها. فالأمن للإنسان أهم من طعامه وشرابه، فقد يجوع ويعطش فيصبر، ولكنه يخاف فلا يكاد يهنأ براحة بال ولا يهدأ له حال .

ومن ثمَّ فإن الأمن نعمةٌ عظيمة ، لا يعرف قدرها إلا من فقدها ، وهو مطلب الناس أجمعين، تلك النعمة طلبها إبراهيمُ عليه السلام لأهلِهِ وقومِهِ، قالَ اللهُ تعالَى حكايةً عنْهُ: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ}[البقرة: ١٢٦].

فإبراهيمُ عليه السلام سأل الله -عز وجل- أن يمُنَّ على مكة بالأمن والرزق ، وقدّم الأمن على الرزق، لأن الرزق لا يكون له طعم ولا يستطيع المرء البحث عنه إذا فُقد الأمن ، فبالأمن يهنأ الإنسان ويشعر بلذة الطعام والشراب ، فاستجاب الله لدعاء نبيه وخليله، وجعل من مكة مستقراً وبلداً آمناً بإرادته ومشيئته، وجعلها وطناً للإسلام بعد اختياره للمصطفى (صلى الله عليه وسلم) نبياً عربياً، وذلك ببركة دعاء إبراهيم عليه السلام.

وموسى عليه السلام لما ألقى العصا – كما أمرَه ربُه جل وعلا – ورأى أنها قد انقلبتْ إلى حيةٍ تسعى، ولَّى مدبراً ولم يلتفتْ من شدة الخوف، فهو أحوج

ما يكون في مثل هذه الحالة إلى الأمن، فأعلمه ربه أنه من الآمنين ليهدأ رَوْعه ، وتسكن نفسه ، ناداه ربُه قائلاً:{وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ }

[القصص:٣١]

كمَا امتَنَّ اللهُ جلَّ جلالُهُ علَى أهْلِ قُريشٍ، فحبَاهُمْ برَغَدِ العيشِ فِي الحياةِ، والأمْنِ فِي الأوطانِ، قالَ تعالَى عنْهُمْ:{ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} [قريش: ٣، ٤] .

ومما يدل على أهمية هذه النعمة ما رواه الترمذي وغيره من حديث ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كَانَ إِذَا رَأَى الْهِلَالَ قَالَ :"اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ ، وَالتَّوْفِيقِ لِمَا تُحِبُّ وترضى، رَبُّنَا وَرَبُّكَ اللَّهُ". (رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه).

فالأمن نعمةٌ، واختلاله شرٌ ونقمة، بل إن اختلاله يؤثر حتى في العبادات - وهي الهدف الأول من خلق الإنسان - ولهذا كانت صلاة الخوف مختلفة عن صلاة الأمن في صفتها وهيئتها، والحج كذلك يشترط في وجوبه على الإنسان أمن الطريق؛ فإذا كان الطريق غير آمن فلا يجب عليه الحج، فالعبادات لا يتأتى الإتيان بها على أكمل صورها إلا بنعمة الأمن والاستقرار. ولا يُغيِّر الله على قومٍ أمنَهم ورخاءَهم إلا حين يكفُرون بنعم الله،{ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}[النحل: ١١٢].

والمتأمل في جوهر الشريعة الإسلامية ليلحظ بوضوح أنها قد جاءت لتحقيق مصالح العباد بالأمن والاستقرار، فحفظت للناس- كافة - حقوقهم في دينهم ، وأنفسهم ، وعقولهم، وأموالهم ، وأعراضهم ، وجعلت الحفاظ على هذه الضروريات من أهم مقاصدها التي لا تستقيم الحياة إلا بها، لأن الإنسان يحتاج في حياته إلى الأمن على نفسه ودينه وعرضه وماله.

ومن ثمَّ فقد حرم الإسلام الاعتداء على الكليات الخمس ، واعتبر مرتكبها فاسقاً ما لم يحدث توبة ، ومنها: حرمة النفس: فقد نهى الشارع الحكيم عن قتل النفس لما لها من حرمة عند الله عز وجل ، فقال تعالى: { وَلَا تَقْتُلُوا

النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} [الإسراء:٣٣] ، ثم جعل عز وجل قتل نفس واحدة بمثابة قتل للناس جميعاً ، فقال تعالى : { مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا } [المائدة :٣٢].

والأمر لا يقف – هنا– عند حد القتل المادي فقط، بل يشمل أيضًا القتل المعنوي في شتَّى صوره وأشكاله، سواء كان ذلك بالإذلال أو القهر أو التعذيب أو سلب الحرية ، أو بغير ذلك من الصور، فحرمة النفس المؤمنة أعظم عند الله من حرمة الكعبة؛ كما جاء في قول النَّبِي – صلى الله عليه وسلم– مخاطبًا الكعبة: "مَا أَطْيَبَكِ! وَأَطْيَبَ رِيحَكِ! مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ! وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكِ مَالِهِ وَدَمِهِ وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلا خَيْرًا" (رواه ابن ماجة).

كذلك نهى الشارع عن أكل أموال الناس بالباطل لحرمتها ، فقد أمَّنَ الإسلام مال المسلم، فمنع المسلم من أكل الحرام، ومنعه من المكاسب الخبيثة المحرمة التي لا تتفق مع الشرع ، وأمَّنَهُ من التعدي عليه فأوجب قطع يد السارق؛ حفاظًا على المال من الضياع ، وحذر الأمة من أن يأكل بعضهم مال بعض، قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ}[النساء:٢٩] وحرم التعدي عليه ظلمًا وعدونًا، قال (صلى الله عليه وسلم): "لا يَحِلُّ مَالُ امرئ مُسْلِمٍ إلا بِطِيب نَفْسٍ مِنْه"(مجمع الزوائد).

وكذلك حفظ الشارع للعرض حرمته فأوجب صيانته ، وتوعد المخالف باللعنة ، فقال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [سورة النور:٢٣]، كذلك نهى الشارع عن الاقتراب من الفاحشة فقال تعالى : { وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا } [الإسراء :٣٢] ، وعلى ذلك فإن وقعت هذه الجريمة النكراء كان الحدّ وكانت العقوبة كما يصورها قوله تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [النور:٢].

وبعد أن أمر الإسلام بحفظ الحرمات من النفس والمال والعرض أكد كذلك على الأمن الاجتماعي ، فأمَّنَ الإسلام المجتمع من الفوضى والاضطرابات والنزاعات والشقاق ، فأوجب طاعة ولاة الأمور في طاعة الله فقال وهو أصدق القائلين: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ} [النساء٥٩] ، فبالولاة يقيم الله العدل في الأرض، وبالولاة ينتصف للمظلوم من ظالمه، وبالولاة تحقن الدماء، وتُصان الأعراض ويُقام شرع الله.

وأمَّنَ الأعراض فحَرَّمَ على المسلم أن يغتاب أخاه أو يسعى بالنميمة أو يسخر من أخيه أو يستهزئ به أو يلمزه، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الحجرات١١].

وأمَّنَ المجتمع من إشاعة الفاحشة، فقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ} [النور:١٩] وقال تعالى:{لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا} [الأحزاب٦٠].

وقد شرع الله تعالى القصاص والحدود والعقوبات الشرعية زواجر ليُؤَمِّنَ الناسَ على دمائهم وأعرضهم وأموالهم ، وإلا سُلبت نعمة الأمن – والعياذُ بالله– وفشا الجهل، وشاع الظلم، وسُلبت الممتلكات، وأكل القوي الضعيف، وعمت الفوضى ، وتعطلت المصالح ، وكثر الهرج .

إن الأمن لا يتحقق في حياة الناس بمجرد أمنهم على دمائهم وأموالهم فهذا أمن ناقص ، بل إن ذلك لن يتحقق إلا بشعور الإنسان بالأمن الداخلي في نفسه، وقلبه وتفكيره، وإحساسه بالطمأنينة والسكينة، وبعده عن أسباب الخوف والقلق والانزعاج. وهذا لا يتأتى إلا إذا أمن العبد على دينه فلم يفتن

فيه، وأمن على نفسه من الظلم والاعتداء، وأمن على عرضه وعقله وماله، وكل هذا لا يطمح في الحصول عليه إلا في ظل الدين الذي أكمله الله عز وجل للأمة، ورضيه لها ديناً ، ألا وهو دين الإسلام العظيم، الذي شرع الله عز وجل فيه من العقائد والأحكام ما إذا أخذ العبد بها، فإنه يحصل على الأمن والأمان، والسكينة والاطمئنان.

فمِنْ أهمِّ عواملِ الأمن والاستقرارِ الإيمانُ باللهِ تعالَى واجتنابُ نواهيهِ، كما قالَ سبحانَهُ: { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}[الأنعام:٨٢] ، فمَنْ حقَّقَ الإيمانَ، واجتنَبَ العِصيانَ، وهبَهُ اللهُ تعالَى الأمنَ ورزقَهُ الأمانَ ، بل إن سعادة الدنيا ونعيمها في تحقيق الأمن ، قال (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً في سربِهِ ، مُعَافَىً في جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا " (رواه الترمذي).

إن الأمن والاستقرار ليس مسئولية الحاكم وحده ، ولا مسئولية العالِم وحده، بل مسئولية الجميع، فعلى كل إنسان القيامُ بمسؤوليَّته وواجبه في المحافظة على هذه النِّعمة ؛ فالأمنُ نعمةٌ للجميع، تاجرًا، ومُعلِّمًا، ومُفكِّرًا، وإعلاميًّا، وغيرهم من جميع أطياف الوطن.

وحري بالمسلم أن يحافظ على هذه النعمة ، ويشكر الله تعالى عليها ؛ لأن الحياة لا تُطاق بدونها ، فالنعم تثبت بالشكر وتذهب بالجحود ، قال تعالى في ذلك: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ }[إبراهيم: ٧].

فإذا شاع الأمن في أمة ، واطمأن كل فرد فيها على نفسه وماله وعرضه نَعِمَ المجتمع بحياة هادئة مستقرة ، لا رعب فيها ، ولا اضطراب ، ولا قلق ، ونَعِمَ المجتمع كذلك بالتقدم والازدهار حيث إنه لا تروج تجارة ، ولا تنتج صناعة ، ولا تربو زراعة إلا في مثل هذا الجو الآمن الصافي ، بل ونَعِمَ المجتمع بعلاقات طيبة مع جيرانه من الدول الأخرى إذ لا اعتداء ، ولا خيانة ولا نقض لعهد.

هذا هو دين الإسلام الداعي لكل أمن وأمان واستقرار ، النابذ لكل عدوان وإرهاب ، ففي الحديث الشريف يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له "

(رواه الإمام أحمد)

فالإيمان مصدر الأمان ، وصدق الشاعر حين قال :

إذا الإيمـــان ضـــاع فلا أمـــان ... ولا دنيـــا لمـــن لم يحي دينـــا

ومن رضي الحيـــاة بغـــير دين ... فقــد جـعــل الفنــاء لها قــرينــا

العلم والعقل

أولاً : العناصر:

١- منزلة العلم والعلماء في الإسلام.

٢- دعـوة الإسـلام إلى التفكُّـرِ وإعمـال العقـل والإبـداع والابتكار.

٣- العلم والأخلاق.

٤- أدب طالب العلم .

٥- طلاب العلم يبنون ولا يهدمون.

٦- خطورة الفتوى بدون علم .

٧- العلم الذي نريده.

ثانياً : الأدلة:

الأدلة من القرآن :

١- قال تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران: ١٨].

٢- وقال تعالى : {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [المجادلة: ١١].

٣- وقال تعالى: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } [آل عمران ١٩٠ - ١٩١].

٤- وقال تعالى : {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [البقرة: ١٦٤].

٥- وقال تعالى: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ

سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ } [فاطر: ٢٧-٢٨].

٦- وقال تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ } [الروم: ٢٢].

٧- وقال تعالى :{ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}

[العلق ١ – ٥].

٨- وقال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ } [البقرة: ١٧٠].

٩- وقال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ}

[المائدة: ١٠٤]

١٠- قصة موسى (عليه السلام) مع العبد الصالح في شأن طلب العلم ، قال تعالى: { قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا}

[الكهف:٦٦]

الأدلة من السنة :

١- عن أبي الدَّرْدَاءِ (رضي الله عنه) قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: " مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ"(سنن أبي داود).

٢- وعَنْ أَبِي ذَرٍّ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم):" يَا أَبَا ذَرٍّ لَأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ، وَلَأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ عُمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ" (سنن ابن ماجه).

٣- وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "فَضْلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ، وَخَيْرُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ " (رواه الحاكم في المستدرك)

٤- وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): " فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ"، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ"(سنن الترمذي).

٥- وعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ (رضي الله عنهما) قَالَ قَالَتْ لِي عَائِشَةُ (رضي الله عنها): يَا ابْنَ أُخْتِي بَلَغَنِي أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو مَارٌّ بِنَا إِلَى الْحَجِّ فَالْقَهُ فَسَائِلْهُ فَإِنَّهُ قَدْ حَمَلَ عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) عِلْمًا كَثِيرًا – قَالَ – فَلَقِيتُهُ فَسَاءَلْتُهُ عَنْ أَشْيَاءَ يَذْكُرُهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم)قَالَ عُرْوَةُ : فَكَانَ فِيمَا ذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ "إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْتَزِعُ الْعِلْمَ مِنَ النَّاسِ انْتِزَاعًا وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعُلَمَاءَ فَيَرْفَعُ الْعِلْمَ مَعَهُمْ وَيُبْقِي فِي النَّاسِ رُءُوسًا جُهَّالاً يُفْتُونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَيَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ " [صحيح مسلم]

٦- وعن أَبي كَبْشَةَ الأَنْمَارِيِّ (رضي الله عنه) أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: " إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالاً وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلاَنٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالاً وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لاَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَلاَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالاً وَلاَ عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ" (سنن الترمذي).

ثالثاً: الموضوع :

مما لا شك فيه أن العلم له مكانة عالية في الإسلام ؛ لأنه حياة القلوب ونور الأبصار، به يبلغ الإنسان منازل الأبرار ، وبه يطاع الله (عز وجل)، وبه يعبد ، وبه يوحد ، وبه يُمَجَّد وبه توصل الأرحام ، وبه ترفع الأمم أعلى الدرجات ، فالإسلام دين العلم ، لا يُعرَفُ دينٌ مثلُه أشاد بالعلم وحثَّ عليه ، ورغب في طلبه ، ونوَّه بمكانة أهله ، وأعلى من قدرهم ، وبين فضل العلم وأثره في الدنيا والآخرة ، وحضَّ على التعلم والتعليم ، وحسبنا أن أول آيات نزلت من الوحي على قلب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أشارت إلى فضل العلم ، حيث أمرت بالقراءة وهي مفتاح العلم ، ونوهت بالقلم وهو أداة نقل العلم ، وذلك في قوله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَق * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَم * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق:١– ٥]

فهذه أول صيحة تسمو بقدر القلم، وتنوّه بقيمة العلم، وتعلن الحرب على الأُمِّيّة الغافلة، وتجعل اللبنة الأولى في بناء كل إنسان عظيم أن يقرأ وأن يتعلَّم ، فهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن مكانة العلم في الإسلام لا تدانيها مكانة ، كما قال ربنا في كتابه : {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمر:٩].

ولقد عنى الإسلام أعظم العناية بالعلم، وحث أتباعه على طلبه، والبحث والتفكير في كل ميدان من ميادين المعرفة، وكل مجال من مجالات الحياة ، والقرآن الكريم كتاب العلماء الذين أوتوا العلم، وفي هذا يقول العليم الحكيم :{ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُور الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ} [العنكبوت:٤٩].

ولقد أوضح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مكانة العلم وفضيلة طلبه في حديث يدفع كل من قرأه بتدبر إلى المسارعة في طلب العلم ، وإفناء العمر في سبيل تحصيله ، فقال:" مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُق الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْم، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ

الْمَـاءِ، وَإِنَّ فَضْـلَ الْعَـالِمِ عَلَـى الْعَابِـدِ، كَفَضْـلِ الْقَمَـرِ لَيْلَـةَ الْبَـدْرِ عَلَـى سَـائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَـاءَ لَـمْ يُوَرِّثُـوا دِينَـارًا وَلَـا دِرْهَمًـا، وَرَّثُـوا الْعِلْـمَ، فَمَـنْ أَخَـذَهُ أَخَـذَ بِحَـظٍّ وَافِـرٍ"(سنن أبى داود)، وعَـنْ أَبِـي ذَرٍّ (رضى الله عنه) قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم):"يَا أَبَا ذَرٍّ لَأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ، وَلَأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ عُمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ"
(سنن ابن ماجه).

إن التعلُّم والتعليم رُوح الإسلام، لا بقاء لجوهره ولا كفالة لمستقبله إلاَّ بهما، فعن أبى أمامة (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):" الْعَـالِمُ وَالْمُـتَعَلِّمُ شَـرِيكَانِ فِـي الأَجْـرِ" (رواه ابـن ماجـه) . فطبيعة الإسلام تفرض على الأمة المسلمة أن تكون أمة متعلمة ترتفع فيها نسبة المثقفين، وتهبط أو تنعدم نسبة الجاهلين ، فإن قيمة العلم فى الإسلام كقيمة الحياة بالنسبة للإنسان.

وكذلك أعلى القرآن الكريم من شأن العلم، فعبَّر عنه بالسلطان ، فقال تعالى: {الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا }[غافر:٣٥]، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ }[غافر:٥٦].

ورحم الله سيدنا عليًّا (رضى الله عنه)حين قال:(العلم خيرٌ من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم حاكم والمال محكوم ، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق).

فالعلم ضرورة مُلِحَّة، وحاجة ماسَّة ، عليها تتوقف سعادة الإنسان فى الدنيا والآخرة. ومن هنا كان طلب العلم فريضةً ، كما روى ابن ماجة عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضى الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ".

إن الإسلام قد رفع منازل العلماء وقدَّر جهودَهم ، وسما بدرجاتهم حتى قرَنَهم الحق سبحانه بنفسه وملائكته فى الشهادة بوحدانيته والإقرار بعدالته، قال تعالى:{ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا

بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[آل عمران:١٨]. كما أشاد الله عز وجل بمكانة العلماء ورفع من شأنهم ، وبين أنهم أكثر الناس خشية لله بما أدركوا من آثار قُدرته وعظمته، فقال تعالى بعد أن لفَت الأنظار إلى نِعمه وآياته: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ } [فاطر: ٢٧–٢٨].

وقال تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل:١٠،١١].

وللعلماء مكانة عظيمة حفظها لهم الشرع لعظم قدرهم في الأمة ، فهم ورثة الأنبياء وهم المفضلون بعد الأنبياء على سائر البشر ، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُول اللهِ (صلى الله عليه وسلم) رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): "فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ" ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): "ِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ"سنن الترمذي).

ومن هذين الحديثين الشريفين وغيرهما تتضح مكانة العلماء ومنزلتهم ، وصدق الله العظيم حيث قال:{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [المجادلة:١١].

وإذا كان الإسلام دين العلم فهو أيضًا دين العقل والفكر، يدعو إلى التفكر وإعمال العقل والإبداع والابتكار، فالعقل سر التكريم والتشريف الإلهي للإنسان ، فقد ميَّزه الله به ، وبه شرفه وفضله على غيره من الكائنات ، وعلى أساسه كان التكليف لبني البشر بعبادة الله تعالى وحده ، والإيمان بما أنزل من كتب وما أرسل من رسل.

جدير بالذكر أن حفظ العقل يعد أحد مقاصد الشريعة الإسلامية ، وذلك باعتباره واحدًا من الكليات الخمس التي اتفقت كافة الشرائع والأديان

على حفظها والمحافظة عليها ، ومن ثمَّ فإن الإسلام حافظ على العقل ، وحرم الاعتداء عليه بشئ يعطله عن إدراك منافعه ، ومن ذلك – على سبيل المثال – أنه حرم شرب المسكرات وكل ما يفسد العقل ، قال تعالى :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }[المائدة :٩٠] ولا غرابة فى اهتمام القرآن الكريم بالعقل والعناية به ، لأنه هبة من الله عز وجل.

والمتأمل فى القرآن الكريم يجد أنه يحث على التفكير فى ملكوت السموات والأرض بأساليب مختلفة ، ليؤكد على مكانة العقل والعلم ، إذ العقل آلة التفكير، والعلم ثمرته، فبالعلم يَقف الإنسان على الحقائق، وتَزول عنه غِشاوة الجهل، ويُحرَّر من رقِّ الأوهام والخُرافات ، وبذلك كان الإسلام دينَ الفكر، ودينَ العقل، ودينَ العلم.

وقد دعانا ربنا – سبحانه وتعالى– إلى استخدام نعمة العقل فى التفكر والتأمل فى ظواهر الكون للوقوف على عظمته سبحانه وتعالى ووحدانيته ، قال تعالى: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}[البقرة:١٦٤]. وقال تعالى:{ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ } [الروم: ٢٢].

والمتتبع للبيان القرآنى يلاحظ باستمرار الحض على التعقل والتفكر بصيغ متعددة فى صور مترادفة ، نحو {لعلكم تعقلون} أو{ أفلا تعقلون} أو {لقوم يعقلون } أو{ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} أو{لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ} وغير ذلك فى السياق القرآنى ، لتؤكد النهج القرآنى الفريد فى الدعوة إلى الإيمان وقيامه على احترام العقل ، والدعوة إلى الإبداع والابتكار.

ولقد مدح الله سبحانه وتعالى الذين يستخدمون عقولهم فى التفكير وذمَّ غيرهم حيث قال سبحانه وتعالى: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ}[الأنفال:٢٢]. فمن تكريم الإسلام للعقل: نعيُه على

المقلدين الذين لا يُعمِلون أذهانهم ، وتحذيره من التقليد الأعمى والتعصب الأصم ، فقال تعالى : {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ} [البقرة:١٧٠] ، وقال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ} [المائدة: ١٠٤]

كما رفض الرسول (صلى الله عليه وسلم) للمسلم أن يكون إِمَّعة – يعنى تابعًا فى الخير والشر ، أو فيما ينفع أو يضر – فعَنْ حُذَيْفَةَ (رضى الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا" (سنن الترمذى)

كما أمرنا عز وجل باستخدام العقل وتقويته بالعلم النافع الذي يُذهِب عن صاحبه الجهل وينير له الطريق ، فالجهل داء خطير ومرض عضال، إذا أصاب العبد كان صاحبه على خطر عظيم، وعلى شفير هاوية، وإن لم يتدارك نفسه ويُنَوِّرْ عقله بالعلم النافع كان صاحبه في عداد الهلكى والموتى الأحياء، فالجاهل طريقه مظلم ومستقبله غامض ، ولا يرجى من ورائه أمل، وقد يقرأ ويكتب ويفهم الخطاب، وربما يحسن اللغات الأجنبية الأخرى، لكنه جاهل في سلوكياته بما لا يتفق مع أخلاق الإسلام وأدب النبي (صلى الله عليه وسلم)، وهذا هو الجهل الذي ذمه الله تعالى في القرآن ، فقال تعالى: { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف:١٩٩] ؛ لذلك نجده منبوذًا في المجتمع الصالح ، عن أَبِي كَبْشَةَ الأَنْمَارِيِّ (رضي الله عنه) أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: "إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالاً وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِى فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِى مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلاَنٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالاً وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا فَهُوَ يَخْبِطُ فِى مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لاَ يَتَّقِى فِيهِ رَبَّهُ وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَلاَ يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالاً وَلاَ عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ"(سنن الترمذى)

من هنا يتضح لنا قيمة العلم النافع المبني على خلق قويم ، فالعلم سر نهضة الأمم ، والأخلاق مقياس تطورها وتقدمها ورفعة شأنها، والعلم وحده لا يصنع الإنسان الكامل السعيد ، إن لم يرافقه أخلاق وقيم ، وصدق الشاعر حين قال :

لا تَحْسَبنَّ العِلمَ يَنفعُ وَحدَهُ ما لَمْ يُتَوَّجْ ربُّهُ بِخَلاق

ومن ثم فالعلم وحده لا يصنع السعادة للبشرية ، إن لم يرافقه أخلاق وقيم، ولن تقوم نهضة لأمتنا إلا بهما معًا، لتقدم كل الخير للبشرية، التي خُلقت لتعبد ربها سعد وتهنأ، وتعيش في طمأنينة.

فعندما ربطت الأمة بين العلم والأخلاق ، عاشت في عزة ورفعة بين الأمم ، وحيث كان الخلق والعلم توأمين، كان الرقي ، وكان الازدهار، ولم يعرف في التاريخ مثل حضارة أمتنا العظيمة، التي كان أساسها العلم والأخلاق الفاضلة المستقاة من الإسلام ، وصدق النبي الكريم(صلى الله عليه وسلم) حيث قال: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ" (رواه الحاكم في المستدرك)

جدير بالذكر أن العلم النافع هو العلم الذي يقود صاحبه إلى الفضائل ، ويحمله على التحلي بالأخلاق العالية ، ويوجهها ويرشّدها ويحافظ عليها ، فمن ثمرات العلم النافع أنه يساعد على البناء والتعمير ، وليس الهدم والتخريب ، يساعد في الإصلاح لا الإفساد ، فعلى كل طالب علم أن يتخلق بأخلاق الإسلام ، وأن يتأدب بآداب العلماء ، وأن يسخر العلم الذي تعلمه لخدمة البشرية وبناء القيم في النفوس ، حتى لا تنتشر الفوضى ويعم الفساد، فهِمَّةُ طالب العلم الابتكار والإبداع والتفوق، لا الهدم والتخريب والإفساد، فالعلم يدفع صاحبه إلى البناء لا الهدم، وإلى استخدام العقل لا إلى إهماله ولا إلى تعطيله.

ولابد لطالب العلم من آداب يجب أن يتحلى بها ، نتعلمها مما فعله سيدنا موسى كليم الله (عليه السلام) – وهو نبي مرسل من أولي العزم من الرسل – مع عبدٍ من عباد الله يتعلم منه، كما حكي القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى : { قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا } [الكهف٦٦ – ٦٩].

ولقد كان في الأمة الإسلامية نماذج من العلماء الذين أثْرُوا الحياة بعلمهم وأخلاقهم ، وإعمال فكرهم ، منهم على سبيل المثال: عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) حبر الأمة وترجمان القرآن، عُرِفَ بشيخ المفسرين ، وعبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) من السبعة المكثرين لرواية الحديث، ومعاذ بن جبل حامل لواء العلماء يوم القيامة ، وأتى من بعدهم أئمة أعلام ملؤوا الأرض علمًا منهم : ابن النفيس الدمشقي الذي نبغ في الطب وأول من اكتشف الدورة الدموية ، وأبو بكر الرازي ، وابن سينا، وغيرهم كثير ممن أفادوا البشرية بعلمهم وكانوا مثلًا يحتذى بهم ، فالواجب على شباب الأمة أن يحذوا حذوهم وأن ينهلوا من العلم حتى ينهضوا بالأمة، على أن من الخطورة بمكان أن يتصدى الإنسان للفتوى بدون علم، فيضل الناس، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْتَزِعُ الْعِلْمَ مِنَ النَّاسِ انْتِزَاعًا وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعُلَمَاءَ فَيَرْفَعُ الْعِلْمَ مَعَهُمْ وَيُبْقِي فِي النَّاسِ رُءُوسًا جُهَّالاً يُفْتُونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَيَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ »[صحيح مسلم].

ومن هذا يتضح أن الإسلام يدعو إلى العلم ويُحرر العقل ، ويحثّ على النظر في الكون، ويُنشِئ العقلية العلمية التي تبدع وتبتكر، ويرفض العقلية الجاهلة المستسلمة لكل ما يتوارثه الناس، دون مناقشة له ، فالأمة الإسلامية لا يمكن لها أن تنهض إلا بالعلم ، ولا يمكن لها أن تتبوأ مكان الصدارة إلا بالعلم ، ولا يمكن لها أن تقضي على التخلف والأمراض والفقر إلا بالعلم ، ولا يمكن لها أن تقود غيرها إلا بالعلم ، فالعلم هو الأساس لوحدتها ، هو الأساس لفلاحها أفرادًا وجماعات ، فالعلم مأمور به قبل العمل ، لأنه أساس له قال الله تعالى : {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} [محمد: ١٩].

على أن العلم الذي نريده هو العلم الذي يبني ولا يهدم ، وليس العلم الشرعي فحسب ، إنما هو العلم الذي يأخذ بأيدينا إلى التقدم في جميع

مجالات الحياة ، من الطب والهندسة ، والصيدلة ، وفي مجال النقل ، والتسليح ، والزراعة ، والصناعة ، وغير ذلك من المجالات التي تتقدم بها الأمة والمجتمع ، لذا قال نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (من سلك طريقًا يطلُب فيه علمًا سلك الله به طريقًا من طُرُقِ الجنَّةِ) واستخدام كلمة (علمًا) نكرة لتفيد العموم والشمول لكل أنواع العلم النافع.

الحفاظ على البيئة ودوره في التنمية

أولاً – العناصر:

١- النظافة سلوك إسلامي وإنساني.

٢- النظافة أحد أهم سبل الوقاية من الأمراض.

٣- الإسلام سبق كل المنظمات الدولية في الدعوة إلى الحفاظ على البيئة.

٤- حماية البيئة مسئولية الفرد والمجتمع والدولة.

٥- خطورة التلوث على حياة البشر.

٦- النهي عن قطع الشجر أو حرق الزرع حتى مع الأعداء .

٧- خطورة تجريف الأراضي الزراعية والاعتداء عليها.

٨- خطورة التعدي على المياه وتلويثها.

ثانياً – الأدلة :

الأدلة من القرآن :

١- قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ} [المدثر ١ – ٦]

٢- وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }[المائدة ٦].

٣- وقال تعالى : {كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ } [البقرة: ٦٠].

٤- وقال تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف ٥٦].

٥- وقال تعالى : { ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [الروم ٤١].

٦- وقال تعالى : { ...وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } [البقرة١٩٠، وكذا المائدة ٨٧].

٧- وقال تعالى: { وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ}[البقرة ٢٠٥].

الأدلة من السنة :

١- عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ(صلى الله عليه وسلم) : " الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ – أَوْ تَمْلأُ – مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالصَّلاَةُ، نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا" (صحيح مسلم).

٢- وعَنْ سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ طِيبٌ يُحِبُّ الطِّيبَ ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ ، فَنَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ ، وَلاَ تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ الَّتِي تَجْمَعُ الأَكْنَافَ فِي دُورِهَا".(سنن الترمذي).

٣- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ " لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ – وَفِي حَدِيثِ زُهَيْرٍ عَلَى أُمَّتِي– لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ " (متفق عليه).

٤- وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنه) قَالَ : أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَرَأَى رَجُلاً شَعِثًا قَدْ تَفَرَّقَ شَعْرُهُ فَقَالَ " أَمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ ". وَرَأَى رَجُلاً آخَرَ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ فَقَالَ "أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ "(سنن أبي داود)

٥- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ :" الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ

إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَـةُ الأَذَى عَـنِ الطَّرِيـقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِـنَ الإِيمَانِ"(صحيح مسلم)

٦- وعن ابْنِ عُمَرَ(رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ فَحَدِّثُونِى مَا هِىَ ". فَوَقَعَ النَّاسُ فِى شَجَرِ الْبَوَادِى. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَوَقَعَ فِى نَفْسِى أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ ثُمَّ قَالُوا حَدِّثْنَا مَا هِىَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَقَالَ " هِىَ النَّخْلَةُ ". قَالَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعُمَرَ قَالَ لأَنْ تَكُونَ قُلْتَ هِىَ النَّخْلَةُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا.(متفق عليه)

٧- وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِىِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: " إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِى الطُّرُقَاتِ". قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): " فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ ". قَالُوا وَمَا حَقُّهُ قَالَ " غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الأَذَى وَرَدُّ السَّلاَمِ وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْىُ عَنِ الْمُنْكَرِ "(متفق عليه)

٨- وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (رضي الله عنه) قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ(صلى الله عليه وسلم): " اتَّقُوا الْمَلاَعِنَ الثَّلاَثَ الْبَرَازَ فِى الْمَوَارِدِ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ وَالظِّلِّ "(سنن أبي داود)

٩- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): "لاَ يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ"(سنن ابن ماجة).

١٠- وعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: قُلْتُ يَا نَبِىَّ اللَّهِ عَلِّمْنِى شَيْئًا أَنْتَفِعُ بِهِ قَالَ " اعْزِلِ الأَذَى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ " (صحيح مسلم)، وفي رواية أوردها الإمام البخاري في الأدب المفرد: " أَمِطِ الأَذَى عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ"

١١- وعَنْ حُذَيْفَةَ بن أُسَيْدٍ (رضي الله عنه)أَنّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ :"مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طُرُقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ " (المعجم الكبير للطبراني)

فإن الدين الإسلامى قد جاء لبناء مجتمع إنسانى مثالى متكامل فى جميع النواحى الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وأيضًا الصحية صيانة لحياة المسلمين والإنسانية جمعاء.

لقد اهتم الإسلام بصحة الإنسان اهتمامًا عظيمًا فحثَّهُ على النظافة ، وأمره بها، لأنها من أسباب صحة الأبدان ، فأخبرنا (سبحانه وتعالى) أنه أنزل من السماء ماءً طهورًا، قال تعالى:{ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا }[الفرقان: ٤٨]. هذا الماء الطهور هو نظافةٌ للأبدان وسلامةٌ لها ، كما أخبرنا تبارك وتعالى أنه يحب التوابين ويحب المتطهرين، فقال :{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}، وعَنْ سعد بن أبى وقاص (رضى الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (إِنَّ اللَّهَ طِيبٌ يُحِبُّ الطِّيبَ ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ ، فَنَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ ، وَلاَ تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ الَّتِى تَجْمَعُ الأَكْنَافَ فِى دُورِهَا).[رواه الترمذي].

ولما كانت النظافة ضرورية فى حياة الإنسان ، لازمة له ، جعلها الإسلام نصف الإيمان ، فعَنْ أَبِى مَالِكٍ الأَشْعَرِىِّ (رضى الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ – أَوْ تَمْلأُ – مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْض وَالصَّلاَةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاس يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا)(صحيح مسلم).

واهتمام الإسلام بالنظافة لا يدانيه اهتمام فى الشرائع الأخرى، فلم يعد ينظر إليها على أنها مجرد سلوك إنسانى مرغوب فيه أو متعارف عليه اجتماعيًا يحظى صاحبه بالقبول الاجتماعى فقط ، بل جعلها الإسلام قضيةً إيمانيةً تتصل بالعقيدة ، يُثاب فاعلها ويأثم تاركها.

ومن ثَمَّ فإن الإسلام يأخذ بيد أتباعه إلى العيش فى بيئة طاهرة نقية ، ويدعوهم إلى الحفاظ على البيئة التى يعيش فيها الإنسان ، إيمانًا منه بما للبيئة من أثر خطير على صحة الإنسان ومعاشه وأخلاقه ، وهو بذلك قد سبق

كـل المنظمـات العالميـة فى الـدعوة إلى الاهتمـام بالبيئـة والحفـاظ عليهـا ، فأرسى مجموعة من المبادئ التى تعتبر من أهم الإجراءات الوقائية للحفاظ علـى البيئـة البشـرية ، ويتمثـل ذلـك فى عنايتـه بطهـارة الإنسـان ونظافتـه مـن خلال الدعوة إلى تنظيف الجسد والثياب، فشرع الوضوء للصلوات الخمس فى اليوم والليلة ، وأوجب الغسل مـن الجنابـة ، فقال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[المائدة:٦] ، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ }

[المدثر:١– ٤]

وعـن جـابر بـن عبـدِ الله (رضـى الله عنهمـا) قـال: أتانـا رسـولُ الله (صلى الله عليه وسلم) فرأى رجُلاً شعِثًا قد تفرَّقَ شَعرُهُ، فقال:(أما كـان هـذا يَجدُ ما يُسَكِّنُ به شَعْرَهَ؟)، ورأى رجُلاً آخر عليه ثيابٌ وسِخَة فقال: (أَما كـان هذا يجدُ ما يَغسِلُ به ثوبَهُ؟) (رواه أبو داود).

وقد حثَّ النبى (صلى الله عليه وسلم) على استخدام السواك وتطهير الفم من بقايا الطعام، فعن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال:(لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي– أَوْ عَلَى النَّاس– لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلاَةٍ) (رواه البخاري).

والذي لاشك فيه أن كثيراً من الأوبئة إنما تنتقل نتيجة عدم العناية بالنظافة ، وأن إجراءات وزارة الصحة الوقائية لأكثر الأمراض تدعو إلى غسل اليدين قبل الأكل وبعده ، وإلى التهوية الجيدة للمكان ، وإلى غسل الفاكهة والخضر غسلاً جيداً ، وإلى حسن الطهى ونظافة أدواته، وكل هذا ينبثق من روح الإسلام وحثه على النظافة.

جدير بالذكر أن حماية البيئة لا تقتصر على شخص دون آخر ، إنما هى مسئولية مشتركة بين الجميع أفراداً ، وجماعاتٍ ، وحكوماتٍ ، فالمجتمع

الراقي هو الذي يحافظ على بيئته، ويحميها من أي تلوث أو أذى، لأنه جزء منها ، ولأنها مقر سكناه وفيها مأواه، ولأنها عنوان هويته، ودليل سلوكه وحضارته.

وجاءت التوجيهات الدينية حاملة بين طياتها الدعوة المؤكدة للحفاظ على البيئة ، برًا وبحرًا وجوًا، وإنسانًا، وحيوانًا، ونباتًا، إلى غير ذلك من مفردات البيئة، لأنها جميعًا منظومة واحدة لكيان واحد، فدعا الإسلام إلى الحفاظ على نظافتها وطهارتها وجمالها وقوتها وسلامتها، وتنحية الأذى عنها، ففي الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) :(الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَإِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَن الطَّرِيق ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَان) (صحيح مسلم). وكلمة الأذى تشتمل على كل ما يضر ويؤذي مثل الشوك والحجر في الطريق والنجاسة وغير ذلك من كل ما هو مؤذ أو مضر بالإنسان.

ومن توجيهات القرآن الكريم لحماية البيئة والمحافظة عليها : نهيه عن الفساد والإفساد في الأرض بأي صورة من صور الفساد المعنوي أو المادي ، فقال تعالى: {كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْق اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْض مُفْسِدِينَ}[البقرة:٦٠] ، وقال سبحانه: { وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْض لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ} [البقرة:٢٠٥] ، وقال الله تعالى:{وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْض بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف:٥٦].

وقد نهى الإسلام المسلمين عن أن يحرقوا زرعًا، أو يقطعوا شجرًا، حتى مع الأعداء، فعَنْ سُلَيْمَانَ بْن بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْش أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ: " اغْزُوا بِاسْم اللَّهِ فِي سَبِيل اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا وَلاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا وَلاَ تُمَثِّلُوا لاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا" (صحيح مسلم)

وهذا أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) يوصي قادة جيوشه قائلًا :

(لَا تَقْتُلُوا كَبِيرًا هَرَمًا، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا وَلِيدًا، وَلَا تُخْرِبُوا عُمْرَانًا، وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرَةً إِلَّا لِنَفْعٍ، وَلَا تَعْقِرُنَّ بَهِيمَةً إِلَّا لِنَفْعٍ، وَلَا تَحْرِقُنَّ نَخْلًا، وَلَا تُغَرِّقُنَّهُ، وَلَا تَغْدِرْ، وَلَا تُمَثِّلْ، وَلَا تَجْبُنْ، وَلَا تَغْلُلْ")(السنن الكبرى للبيهقي)

ومِنَ العنايةِ بالكون والبيئةِ الحثُّ علَى الزراعةِ، وجعْلُهَا مِنْ أبوابِ الصدقاتِ، كما حثنا النبى (صلى الله عليه وسلم) على عمارة الأرض ونشر الخير فى جنباتها وبذل ثمراتها للإنسان والطير والحيوان: ففى الحديث عَنْ جَابِر بن عبد الله (رضى الله عنهما) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلاَّ كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ وَمَا أَكَلَتِ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ وَلاَ يَرْزَؤُهُ (أي : لا ينقصه ويأخذ منه) أَحَدٌ إِلاَّ كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ)(صحيح مسلم). وفى الصحيحين من حديث أنس (رضى الله عنه) أن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال : (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ).

ومِنْ ذلكَ المحافظةُ علَى الثروةِ الزراعيةِ، قالَ (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَلَهُ فِيهَا أَجْرٌ وَمَا أَكَلَتِ الْعَافِيَةُ مِنْهَا فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ)

(رواه أحمد فى مسنده)

والْعَافِيَةُ : هِيَ كلُّ مَنْ يطلبُ الرزقَ مِنْ إنسان أَوْ بَهيمةٍ أَوْ طائر.

أما ما يحدث الآن من اعتداء على الأرض الزراعية وتجريفها فهو إهدار للثروة الزراعية، وتضييع لمورد من أهم موارد الإنتاج، وإهلاك لأقوات العباد، ذلك لأنه يؤدي إلى إضعاف الرقعة الزراعية، مما يضطرنا لاستيراد السلع الأساسية كالقمح مثلا، وكذلك يؤدي الاعتداء على الرقعة الزراعية إلى الإسهام بنصيب كبير فى تلوث البيئة ، فمن المعلوم أن المساحاتِ الخضراءَ لها دور مهم فى عملية تنقية الهواء من غاز ثانى أكسيد الكربون، والذي قد يتسبب فى العديد من الأمراض، ومن ثَمَّ فإن أي اعتداء بأي صورة من الصور على المساحات المزروعة والحدائق المنتشرة يؤدي بنا إلى أمرين خطيرين يهددان أمن وسلامة المجتمع صحيًا ألا وهما: قلة الغذاء وتلوث الهواء.

فالأرض نعمة من نعم الله (عز وجل) جعل الله فيها أقوات العباد، فوجب علينا أن نشكره عليها وأن نحسن استعمالها فيما خلقت له، يقول تعالى:

{ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ}[يس٣٣- ٣٥]

وحرصًا من الإسلام على وقاية البيئة وسلامتها فقد حذرنا من إفساد البيئة بما نقترفه فى حقها من ممارسات غير سليمة فى قوله تعالى: { ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم:٤١].

ففى الوقت الذي نجد فيه من ينظف ويجمل الشوارع والمجتمع، نجد من يتعمد أن يلقى بالقمامة وبمخلفات الحفر والبناء فى الطرقات العامة ، دون حرمة أو مراعاة لحقوق الطريق، فيجب الحفاظ على الطريق العام الذي يمر الناس فيه، وعلى نظافته وألّا يلقى الناس فيه أذي بل عليهم أن يمنعوا الأذى ، ففى الحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضى الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ:" إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا فَقَالَ:(إِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ ، قَالُوا وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الأَذَى وَرَدُّ السَّلاَمِ وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ ، عَنِ الْمُنْكَرِ"

(صحيح البخاري).

ولابد أن يكون الإنسان على وعى تام بقضايا البيئة وأهمية الحفاظ عليها وخطورة تلوثها التى تعود بالضرر عليه وعلى الآخرين، ولابد أن نُعَلِّمَ ذلك أولادنا فى المدارس والنوادي وجميع صروح التعليم منذ نعومة أظفارهم نظافة أماكنهم وتجميلها حتى يتعودوا على ذلك ، فالحفاظ على البيئة أمر مكتسب نتعلمه ونتربى عليه ، ولابد أن يكون الكبار قدوة حسنة للصغار، فماذا ننتظر من طفل يرى والديه أو أحدهما يرمى بالقمامة من شرفة المنزل فى طريق الناس أو على سطح جاره ، وماذا نتوقع من طفل يرى الكبار يبصقون فى الطريق ، أو يكتبون على الجدران أو غير ذلك من جرائم التلوث السمعى والبصري واللفظى التى نراها يوميًا ! لاشك أنه سينشأ على هذا السلوك، فالولد صنعة أبيه كما يقولون، لذا لابد من إعادة البناء ، ولهذا

فإن شريعة الإسلام ترفض مثل هذا السلوك وهذه الممارسات لمجافاتها لأخلاق المسلمين .

ولما كان الماء عصب الحياة ولا يمكن أن تقوم حياة بدونه، كما أخبرنا ربنا في قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ}

[الأنبياء: ٣٠]

حرص الإسلام على وقاية مصادره من التلوث حماية لصحة الإنسان، وهذه وقاية للمجتمع عامة؛ إذ حماية مصدر المياه وينابيعه هي حماية للمجتمع كافة، كما نهى عن التعدي عليه وتلويثه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): " لاَ يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ" (سنن ابن ماجة)، ذلك لأن البول في الماء الراكد الذي لا يتحرك يُلوِّثُ الماء ويفسده ويصبح مصدر عدوى ومرض وأذى لمن يستعمل هذا الماء الذي ألقى بالأذى فيه ، فقد أكد الأطباء أن البول والغائط من أخطر مسببات التلوث ونقل الأمراض الفتاكة، بل ليس النهي مقصورًا على الماء الراكد فقط ، بل كان النهي أيضًا عن البول في الماء الجاري ، فقد نهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يبال في الماء الجاري ؛ لأن فيه تلويثًا للماء وإفسادًا له ، وهذا ما نراه ونلحظه في عصرنا الراهن من بعض السلوكيات الخاطئة التي ترتكب في حق نهر النيل العظيم- شريان الحياة ومتنفسها- من اعتداء عليه بالرَّدم، والاستخدام الجائر، وتلويث مياهه بإلقاء النجاسات والملوثات ، وصرف مخلفات المصانع ، التي تسبب في نقل كثير من الأمراض والأوبئة الضارة بصحة الفرد والمجتمع.

ولو نطق النيل لشكا حاله من التعديات والمخالفات التي وقعت عليه من بني الإنسان ظلمًا وعدوانًا، فلقد تعرض نهر النيل والمجاري المائية لمخالفات على مستوى مصر، بلغت ١٣٢ ألفًا و ٤٣٨ مخالفة ما بين أعمال ردم ومبان وأسوار وزراعة، [حسب إحصائية وزارة الري كما ذكرت صحيفة الجمهورية في عددها الصادر في ١٥ فبراير ٢٠١٤م] .

ومن ثم فإن إفساد المياه أو تعريض الأماكن التي يرتادها الناس بإلقاء الفضلات فيها فساد للبيئة التي أمرنا الشرع الحنيف بالمحافظة عليها، فينبغي

العناية بالبيئة والبعد عن كل ما يلوثها ويفسد الفطرة التى فطر الله الكون عليها.

ومن أهم وسائل الحفاظ على المياه : التعاون فى منع الاعتداء عليها أو إهدارها، فإن الماء نعمة ينبغى أن نحافظ عليها وأن نرشد استخدامها ، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ(رضى الله عنه) عَن النَّبِىِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ... (وذكر منهم): رَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِى كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ.

(صحيح البخاري)

فضل الشهادة وكرامة الشهيد

أولاً : العناصر :

١- فضل الشهادة ومنزلة الشهداء ٠

٢- كرامة الشهيد عند الله ٠

٣- شفاعة الشهيد لأهله يوم القيامة ٠

٤- من هو الشهيد ؟.

ثانياً : الأدلة:

الأدلة من القرآن:

١- قال تعالى: {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ } [آل عمران: ١٤٠]

٢- وقال تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا } [النساء: ٦٩].

٣- وقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ} [التوبة: ٣٨].

٤- وقال تعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ} [البقرة: ١٥٤].

٥- وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ } [التوبة: ١١١].

٦- وقال تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران: ١٦٩].

٧- وقال تعالى: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [التوبة: ٥١].

٨- وقال تعالى: {وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ } [الحديد: ١٩]

الأدلة من السنة:

١- عن سَهْلَ بْنَ أَبِى أُمَامَةَ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِىَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : " مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ ".(رواه مسلم).

٢- أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ الْبَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ ، أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ ، أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ – أي لا يعرف له رام– فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبَرْتُ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ ، قَالَ :" يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى" (رواه البخاري)

٣- وعن أبي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عن النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: " انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ أَوْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَلَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ "(رواه البخاري).

٤- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ – وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ– إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ". (رواه البخاري).

٥- وعَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ، اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ " (رواه الترمذي).

٦- وعن أبي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ : "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنَّ رِجَالاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

لاتَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي ، وَلاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ" (رواه البخاري).

٧- عَنْ أَبِي مُوسَى (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللهِ ؟ قَالَ: " مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ " (رواه البخاري).

٨- وعن أَنَس بْن مَالِكٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : " مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنَّ لَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرُ الشَّهِيدِ فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ "(رواه مسلم).

٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: " فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ" قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي ؟ قَالَ : "قَاتِلْهُ " قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ : "فَأَنْتَ شَهِيدٌ " قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ ؟ قَالَ : "هُوَ فِي النَّارِ" (رواه مسلم).

١٠-وعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : " مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ أَوْ دُونَ دَمِهِ أَوْ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ " (رواه أبو داود).

١١-وعَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا" قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: "أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، تُنْتَزَعُ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ" قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: "حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ"

(رواه أحمد)

ثالثاً : الموضــوع:

الحمد لله رب العالمين ، الذي أرسل رسله مبشرين ومنذرين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله واحد بر كريم ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبد الله ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين٠

أما بعد ، فيا أيها المسلمون :

إن بلوغَ الأهداف الكبرى ونيلَ الغايات العظمى فى هذه الحياة يستلزم تضحيات جِساماً مكافِئة لها ، ولا ريب أن سمو الأهداف وشرف المقاصد ونبل الغايات يقتضى سمو التضحيات وشرفها، ورقى منازلها ، ويأتى فى الذروة منها التضحية بالنفس ، وبذل الروح – التى هى أعز مايملك – رخيصة فى سبيل الله نصرة لدينه ، ورغبة فى عزة البلاد وكرامة العباد٠

ولا مراء فى أن الشهيد أرفع الناس درجة بعد الأنبياء والصديقين ؛ فالشهادة اصطفاء من الله واجتباء ، وهى منحة يمنحها الله لأحب خلقه إليه بعد الأنبياء والصديقين واقرءوا فى ذلك قول الله تعالى : {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ } [آل عمران: ١٤٠] ، وقول الله تعالى : {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا } [النساء: ٦٩] .وكيف لا ؟ وقد استعلى الشهيد على شهواته ، وانتصر على رغباته ، واسترخص الحياة فى نيل شرف الشهادة فى سبيل الله؟

ونحن إذ نحيى يوم الشهيد إنما نعنى شهيد الدارين الدنيا والآخرة ، ونذكر أنفسنا والجميع بهؤلاء الذين ارتقوا بأرواحهم إلى الله عز وجل وفازوا برضوانه ، ونستنهض همما تثاقلت إلى الأرض ، ورضيت بالحياة الدنيا من الآخرة : {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ} [التوبة: ٣٨] . ونغبط أقواما على ماأكرمهم الله به من نعيم أيقنوا بصدق وعد الله لهم به فنالوه ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ} [البقرة: ١٥٤]،

ونُرَجِّي أنفسنا بشهادة في سبيله ، وبجزاء كريم أكرمهم الله به، ولم لا ، وقد قال النبي (صلى الله عليه وسلم): " مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْق بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ " (صحيح مسلم).

إن الخوف من ألم القتل وحب الحياة ، والخشية من الموت هي أكثر مايقعد الناس عن خوض غمار المعارك فداء للدين وللوطن ، ومن أجل ذلك أكرم الله الشهيد بأعظم الكرامات ومنها:

أولا : أن صفقته مع الله مضمونة الربح بمجرد الوفاء منه ببذل النفس ، والوعد الحق من الله (عز وجل) جزاء ذلك هو الجنة ، يقول سبحانه : {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ } [التوبة: ١١١]. إذا الله المشتري ، والثمن الجنة ، لا بل إنها جنان في الجنة ، فقد روي أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ الْبَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْن سُرَاقَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَتْ : يَا نَبِيَّ اللهِ ، أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ ، أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ – أي لا يعرف له رام- فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبَرْتُ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ ، قَالَ :" يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى" (رواه البخاري).

ثانيا : ماأخبر الله تعالى به من أن الشهداء أحياءٌ وليسوا أمواتا ، يقول تعالى : {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ }[آل عمران: ١٦٩].

نعم إنهم أحياء وليسوا أمواتا ، ومن ثم فهم فرحون بما أعطاهم الله (عز وجل) حيث جنة الخلد التي فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ، ويستبشرون بإخوانهم القادمين عليهم ، وذلك لحبهم إنزالهم هذه المنزلة التي أنزلهم الله إياها فلا حزن ولا غم ولا هم ؛ بل استبشار وفضل ونعيم ، والله إنها للحياة بحق وإنه للرزق بحق.

ثالثا : تخفيف الله للألم الذي يجده الشهيد عند القتل إلى الحد الذي قال عنه (صلى الله عليه وسلم) :" مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ إِلاَّ كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ الْقَرْصَةِ " (الترمذي)، فلِمَ الخَوْفُ إذا؟.

رابعا : ضمان الله للشهيد إحدى الحسنيين : النصر والغنيمة أو الشهادة والجنة ، يقول (صلى الله عليه وسلم): " انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ أَوْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ "(رواه البخاري). إنهم أصحاب الأجر الوفير ، والنور التام المنير يقول تعالى : {وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ } [الحديد: ١٩].

خامسا : تميزهم يوم يقوم الناس لرب العالمين بهيئة خاصة وبريح طيبة تنبعث من أجسادهم تتطاول لها الأعناق وتنحنى لهل الهامات إجلالا واحتراما يقول (صلى الله عليه وسلم) : "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ – وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ– إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ". (رواه البخاري).

سادسا : النجاة من فتنة القبر (أي من سؤال الملكين) فقد روي أن رجلا قال: يارسول الله مابال المؤمنين يفتنون فى قبورهم إلا الشهيد قال : "كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة" .

سابعا : يُشَرف الله الشهداء يوم الحساب بأن يكونوا أول من يقضى بينهم مع النبيين يقول تعالى : {وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } [الزمر: ٦٩].

ثامنا : إكرام الله للشهيد بمنح عظيمة وبشفاعة مخصوصة له فى أهل بيته ، يقول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مبشراً الشهيد : " لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ، اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ " (رواه الترمذي).

لأجل هذه الكرامة الربانية للشهداء ، ولعظم ما أعد الله لهم من الجزاء رأينا مايلى :

– رأينا النبى (صلى الله عليه وسلم) يتمنى أن لا يتخلف عن سرية تغزو فى سبيل الله ، وما منعه من الخروج فى كل سرية إلا خشية أن يشق على أصحابه ،وكان (صلى الله عليه وسلم) يتمنى أن يقتل شهيدا في سبيل الله

مرات متعددة ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنَّ رِجَالاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لاَ تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي ، وَلاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيل اللهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيل اللهِ ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ"

(رواه البخاري)

– رأينا الشهيد وحده من أهل الجنة هو من يتمنى أن يرجع إلى الدنيا لينال شرف وكرامة القتل في سبيل الله عدة مرات ، يقول : (صلى الله عليه وسلم) :" مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنَّ لَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرُ الشَّهِيدِ فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ "(رواه مسلم).

ولكن من هو الشهيد ؟ لقد بين النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) أن الشهيد هو :

١– من اعتنق الحق وأخلص له وضحى في سبيله وبذل دمه ليروي شجرة الحق به ، وفي شأنه قال (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيل اللهِ " (رواه البخاري).

٢ – الذي يأبى الدنية ويرفض المذلة والهوان ، ويقاوم من يحاول أن يستولي على ماله أو متاعه ، وقد جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُول اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: " فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ" قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي ؟ قَالَ : "قَاتِلْهُ " قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: "فَأَنْتَ شَهِيدٌ " قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ ؟ قَالَ : "هُوَ فِي النَّار" (رواه مسلم).

٣ – الذي يذود عن أرضه وعرضه ووطنه ، فليس الوطن والعرض أقل خطراً ومكانة عند المسلم من نفسه ودينه وماله ومتاعه ، وقد قال (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ أَوْ دُونَ دَمِهِ أَوْ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ "(رواه أبو داود).

ونؤكد أنه ماطمع فينا طامع ولا تجرأ علينا متجرئ ولا تطاول علينا متطاول إلا لأننا تشبثنا بالدنيا الفانية وأخلدنا إلى الهوى الذي يعمي ويصم، وتقاتلنا على الحطام الفاني ، وتنافسنا فيما لا وزن له عند الله ، وآثرنا الفانية

على الباقية ، وقد حذرنا النبى الكريم (صلى الله عليه وسلم) من ذلك حين قال : "يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُق كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا" قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: "أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، تُنْتَزَعُ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ" . قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: "حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ"(رواه أحمد) ، فلنكن أوفياء لدماء من سبقنا على درب الشهادة ، ولنضع نصب أعيينا دائما قول الحق سبحانه : {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّل الْمُؤْمِنُونَ} [التوبة: ٥١].

كما نؤكد أن قتل الأبرياء غدرًا وخيانة حتى لو كانوا مخالفين فى الدين أو العقيدة أمر لا يقره دين ولا عقل سليم ولا إنسانية سوية، وأن الإسلام يرفض كل مظاهر الفساد والإفساد والتخريب والتدمير ، ونؤكد أن العمليات الانتحارية والتفجيرية محض إفساد لا علاقة له بالشهادة فى سبيل الله من قريب أو بعيد ، وأن المفجر لنفسه منتحر يعجل بنفسه إلى نار جهنم، وأن مصر هى الدرع الحصين للعروبة والقلب النابض للإسلام ، وأن الذود عن حماها واجب شرعى ووطنى ، وأن محاولة النيل منها هى محاولة لضرب الأمة الإسلامية كلها فى قلبها النابض لصالح عدوها الصهيونى، وكل من يعنيه إضعاف أمتنا للاستيلاء على خيراتها ومقدراتها، فلنقف صفا واحدا فى سبيل الذود عن ديننا ووطننا ابتغاء مرضاة الله تعالى ووفاء لحق هذا الوطن الذي منحنا الكثير ، وقد آن أوان رد الجميل.

الأمانة في القول والعمل

أولاً : العناصر :

١- الأمانة ومنزلتها في الإسلام.

٢- أثر تضييع الأمانة على الفرد المجتمع.

٣- خطورة الكلمة ومسئولية قائلها .

٤- النموذج البشري الأمثل للأمانة.

٥- جزاء تضييع الأمانة في الدنيا والآخرة .

٦- ضياع الأمانة من علامات الساعة.

ثانياً : الأدلة :

الأدلة من القرآن الكريم:

١- قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}[النساء : ٥٨].

٢- وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا * إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}
[الأحزاب: ٧٠ – ٧٢]

٣- وقال تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[المؤمنون : ٩ – ١١].

٤- وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}[الأنفال : ٢٧ ، ٢٨].

٥- وقال تعالى: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ} [الأنفال: ٥٨].

٦- وقال تعالى: {...فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٨٣].

٧- وقال تعالى: {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}[آل عمران:٧٥ ، ٧٦].

٨- وقال تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } [الأنعام: ١٥٢].

٩- وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ...} [المائدة: ١].

الأدلة من السنة :

١- عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا) قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ (يعني رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم): «فَزَعَمْتَ أَنَّهُ أَمَرَكُمْ (يَأْمُرُ) بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ»

(صحيح البخاري)

٢- وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): «أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ »

(متفق عليه)

٣- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ"(أخرجه البخاري).

٤- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: مَا خَطَبَنَا نَبِيُّ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلَّا قَالَ: "لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ "(أخرجه أحمد والبزار).

٥- وعن أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) "الْخَازِنُ الأَمِينُ الَّذِي يُؤَدِّي مَا أُمِرَ بِهِ طَيِّبَةً نَفْسُهُ أَحَدُ الْمُتَصَدِّقَيْنِ"(أخرجه البخاري).

٦- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قَالَ : كُنْتُ أَرْعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَمَرَّ بِي النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وأبو بكر وَأَنَا غُلَامٌ فَقَالَ لِي : "يَا غُلَامُ هَلْ مِنْ لَبَنٍ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ، وَلَكِنِّي مُؤْتَمَنٌ، قَالَ: فَهَلْ مِنْ شَاةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ ؟ فَأَتَيْتُهُ بِشَاةٍ، فَمَسَحَ ضَرْعَهَا، فَنَزَلَ لَبَنٌ فَحَلَبَهُ فِي إِنَاءٍ، فَشَرِبَ وَسَقَى أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: انْقَلِص فَقَلَصَ، قال ثم أتيته بعد هذا فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ ،قال: فَمَسَحَ رَأْسِي وَقَالَ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ إِنَّكَ غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ "
(أخرجه أحمد)

٧- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ"[أخرجه أبو داوود].

٨- وعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ فَقِيلَ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ"(متفق عليه).

٩- وعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الأَمَانَةِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا"(أخرجه مسلم).

١٠-وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : "إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ قَالَ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ إِذَا أُسْنِدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ"
(صحيح البخاري)

ثالثا : **الموضوع** :

إن من أبرز ملامح الدين الإسلامي وأهم أخلاقياته خلق الأمانة، التي يقوم عليها بناء المدنية، والتي يكون بها حفظ العمران، وإصلاح حال الأمة، والتي لا بقاء لدولة بدونها، لأن عليها مدار الثقة في جميع المعاملات ، ومن ثَمَّ أمرنا الله (عز وجل) بها فقال سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}[النساء : ٥٨]،

يقول المفسرون:" الأمانة على أنواع:

١-أمانة العبد مع ربه: وهي ما عُهد إليه حفظه من الائتمار بما أمره به والانتهاء عما نهاه عنه، واستعمال مشاعره وجوارحه فيما ينفعه ويقربه من ربه، لأن المعاصيَ كلَّها خيانة لله عز وجل.

٢-أمانة العبد مع الناس، ومن ذلك: رد الودائع إلى أربابها، وعدم الغش وحفظ السر ونحو ذلك مما يجب للأهل والأقربين وعامة الناس والحكام، ويدخل في ذلك: عدل الأمراء مع الرعية ، وعدل العلماء مع العوام بأن يرشدوهم إلى الاعتقادات السليمة، والأعمال التي تنفعهم في دنياهم وأخراهم من أمور التربية الحسنة وكسب الحلال، ومن المواعظ والأحكام التي تقوي إيمانهم وتنقذهم من الشرور والآثام وترغبهم في الخير والإحسان، وعدل الرجل مع زوجه بألا يفشي أحد الزوجين سرًا للآخر، ولا سيما السر الذي يختص بهما ولا يطلع عليه عادةً سواهما، فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): " إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا" (صحيح مسلم)

٣-أمانة الإنسان مع نفسه بألا يختار لنفسه إلا ما هو الأصلح والأنفع له في الدين والدنيا، وألا يَقْدُمَ على عمل يضره في آخرته أو دنياه.

ولما كان الأنبياء والرسل (عليهم السلام) قدوتنا وأسوتنا وجدنا أن أهم خلق اتصفوا به هذا الخلق، فهم أمناءُ الله (عز وجل) على وَحيه

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}[المائدة : ٦٧]، وقال(صلى الله عليه وسلم): "ألا تُأَمِّنُوني وأنا أمينُ مَنْ في السماء، يأتيني خبرُ السماء صباحًا ومساءً"(متفق عليه).

فخلق الأمانة مما يجب في حق الأنبياء والرسل، لذلك هم يأمرون به، ويحثون عليه، ويؤكد ذلك سؤال هرقل عظيم الروم أبا سفيان عن دين الإسلام وعن صفةِ نبيه (صلى الله عليه وسلم) أخبره أنه يأمر بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ فقَالَ له هرقل : هَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ فأبوسفيان في هذا الموضع يذكر ما رآه أهم ما يميز الإسلام.

ولقد تَمَثَّلَ خلق الأمانة في أعلى صوره وأكمل معانيه في شخص سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) حتى إن أعداءه وخصومه كانوا يلقبونه بالصادق الأمين، وحين هاجر (صلى الله عليه وسلم) أمر عليًّا بن أبي طالب (رضي الله عنه) أن ينام في فراشه وأن ينتظر ليرد الأماناتِ المودعةَ عنده إلى أهلها، وهم قوم كفار ناصبوه العداء، وأخرجوه وآذوه وآذوا أصحابَه وأخذوا كل ما يملكون، ذلك لأن المؤمن لا تحل له الخيانة حتى مع أعدائه، والله تعالى يقول: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَايُحِبُّ الْخَائِنِينَ} [الأنفال: ٥٨]، فالمؤمن لا يعرف الخيانة حتى مع الخائنين، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ".

إن خيانة الأمانة صفة من صفات النفاق، جعلها النبي (صلى الله عليه وسلم) علامة يعرف بها المنافقون، فقال (صلى الله عليه وسلم): " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ"، بل إن النبي (صلى الله عليه وسلم) نفى الإيمان عن خائن الأمانة ومضيعها فقال: "لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ "، وذلك لما يترتب على خيانة الأمانة من قطيعةٍ بين أفراد المجتمع وتباغضٍ يفضي إلى النزاع والشقاق وفساد المعاملات بين الناس، وتكدُّس المحاكم بالعديد من القضايا التي يعدُّ سببها الأول خيانة الأمانة.

إن الأمانة مسئولية كبرى عهد الله بها إلى الإنسان لأنه المخلوق المكلف من قبل الله (عز وجل)، وقد أعطاه الله (عز وجل) من النعم التي تعينه على أداء مسئوليته والقيام بأمانته، قال تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}[الأحزاب ٧٢] والأمانة هنا كما قال جمهور المفسرين: كل شيء يؤتمن الإنسان عليه من أمرٍ ونهي وشأنِ دينٍ ودنيا ، فالشرع كله أمانة.

ومن جملة هذه الأمانات : أمانة القول والعمل، فالكلمة أمانة، يجب على قائلها أن يتقي الله (عز وجل) فيها، لما لها من خطورة وما يترتب عليها من خير كبير أو شر مستطير، فقد ترفع صاحبها إلى مراتب الصديقين، وقد تهوي به في دركات الهالكين، فعن بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِيِّ (رضي الله عنه) يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: "إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَابَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ"(سنن الترمذي).

إن كلمةً قد تخرج من فم الإنسان بلا تفكير ولا روية فتسبب بلاءً كبيرًا لا يمكن تداركه، لذلك وجب على الإنسان ألا ينطق إلا بالقول الرشيد الذي يصلح ولا يضر ، يبني ولا يهدم، يعمر ولا يخرب ، يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}[الأحزاب: ٧٠ – ٧١] ، ولذلك كان توجيه الإسلام إلى التثبت والتحقق من كل ما يقال أو يشاع ، إذ ليس كل ما يُقال يُصدق ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}

[الحجرات: ٦]

كما أن الأمانة في القول تتطلب الصدق وعدم التحدث بدون علم، ومن ذلك الإفتاء في دين الله (عز وجل) بغير علم، فالتحدث باسم الدين أمانة ومسئولية تحتاج إلى علم، ذلك لأن من يفتي يُبَلِّغُ ويُوقع عن الله (عزوجل)، وكونه يتكلم في دين الله بدون علم خيانة لله ورسوله، يقول الله

تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف: ٣٣]، وقال سبحانه: {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ} [النحل: ١١٦].

أما الأمانة في العمل فتتطلب أن يراقب الإنسان ربه (سبحانه وتعالى) سواءً أكان صاحب العمل حاضرًا أم غائبًا، وسواءً أكان عملاً عامًا أم خاصًا، وقد قال أحد الحكماء: من الصعب بل ربما كان من المستبعد أو المستحيل أن نجعل لكل إنسان جنديًا أو شرطيًا يحرسه، فالحارس قد يحتاج إلى من يحرسه، والمراقب قد يحتاج إلى من يراقبه، ولكن من السهل أن نربي في كل إنسان ضميرًا حيًا ينبض بالحق ويدفع إليه راقبناه أو لم نراقبه، لأنه يراقبه من لا تأخذه سنة ولا نوم، فعن عبد الله بن دينار، قال: خرجت مع ابن عمر إلى مكة، فعرسنا، فانحدر علينا راعٍ من جبلٍ، فقال له ابن عمر: أراعٍ ؟ قال: نعم، قال: بعني شاةً من الغنم، قال: إني مملوك، قال: قل لسيدك: أكلها الذئب ، قال: فأين الله عز وجل ؟ قال ابن عمر: فأين الله!! ثم بكى، ثم اشتراه بعدُ فأعتقه(سير أعلام النبلاء).

ما أعظم هدي ديننا وهو يأمرنا بالحفاظ على الأمانة في كل شيء، لأن من علامات قيام الساعة ضياع الأمانة والتّفريط فيها والتّهاوُن في أدائها، وتغليب المصالح الخاصّة على المصالح العامّة فتقطع الأرحام ويُساء الجوار فعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: " إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُخَوَّنَ الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ، حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالتَّفَحُّشُ، وَقَطِيعَةُ الْأَرْحَامِ، وَسُوءُ الْجِوَارِ"[أخرجه أحمد]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عن النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قال: "إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ" قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: "إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ "(أخرجه الإمام البخاري)، وكل إنسان لا يؤدي ما يجب عليه من أمانة أو يراقب الناس ولا يراقب الله (عز وجل) فهو خائن، والله لا يحب الخائنين،

قال تعالى: {... إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا}[النساء: ١٠٧، ١٠٨]، وقد نهانا الله (عز وجل) عن الخيانة، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [الأنفال: ٢٧].

وبيَّن النبي (صلى الله عليه وسلم) أن خائن الأمانة سيعذب بسببها في النار، وسوف تكون عليه خزيًا وندامة يوم القيامة، فعن ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): " إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ فَقِيلَ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلاَنِ بْنِ فُلاَن" (أخرجه مسلم)، فيا لها من فضيحة وسط الخلائق!! تجعل المسلم حريصًا على الأمانة حافظًا لها، ويكفي في خائن الأمانة قولاً أو عملاً أن النبي (صلى الله عليه وسلم) خصيمه يوم القيامة فعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصَمْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ ، وَلَمْ يُوفِهِ أَجْرَهُ"

(أخرجه ابن ماجه)

ألا فليحذر الجميع من العقوبة التي تنتظر مضيع الأمانة، وعلى المجتمع بكل أطيافه أن يرجع إلى كتاب ربه، وسنة نبيه(صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فتصفو القلوب ، وتتوحد المشاعر، وتتكامل الأدوار لرفعة هذا الوطن ، ويتحقق معنى الخلافة في هذه الأمة ، وتنطق بخيريتها جميع الأمم ونكون مثالًا ونموذجًا مشرّفًا لهذا الدين العظيم.

رسالة المسجد

أولاً : العناصر:

١- مكانة المسجد وأهميته.

٢- فضل عمارة المساجد.

٣- دور المسجد ورسالته في الإسلام.

أ- دور المسجد في الدعوة إلى الله تعالى.

ب- دور المسجد في نشر العلم.

ج- رسالة المسجد ودوره في تقويم الأخلاق والحماية من الانحراف.

د - دور المسجد في توحيد الأمة.

هـ - دور المسجد في قضاء حوائج الناس.

٤- رسالة المسجد الاجتماعية.

٥- المسجد الجامع وأثره في المجتمع.

ثانياً : الأدلة:

الأدلة من القرآن:

١-يقول الله تعالى: { فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ* لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [النور:٣٦-٣٨].

٢- ويقول تعالى: { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} [التوبة:١٨].

٣- ويقول تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[البقرة:١١٤].

٤- ويقول تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ}[الأعراف:٣١]

٥-ويقول تعالى: {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ} [الأعراف:٢٩].

٦- ويقول تعالى: { لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ} [التوبة: ١٠٨]

الأدلة من السنة :

١- عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قال: "مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ تَعَالَى" - قَالَ بُكَيْرٌ حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ " يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ"(صحيح مسلم).

٢- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "أَحَبُّ الْبِلاَدِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا"(صحيح مسلم).

٣- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم)قال: "مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلاً كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ"(متفق عليه).

٤- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَجُلاً أَسْوَدَ - أَوِ امْرَأَةً سَوْدَاءَ - كَانَ يَقُمُّ الْمَسْجِدَ أي يجمع القمامة وهي الكناسة فَمَاتَ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) عَنْهُ، فَقَالُوا: مَاتَ. قَالَ: "أَفَلاَ كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي [أي أعلمتموني] بِهِ دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ" أَوْ قَالَ قَبْرِهَا - فَأَتَى قَبْرَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ (صحيح البخاري).

٥- وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ (رضي الله عنه): سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: "الْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ، وَتكفل الله لمن كان الْمَسجِدُ بيتَهُ بالرَّوْحِ، وَالرَّحْمَةِ، وَالْجَوَازِ عَلَى الصِّرَاطِ إلى رضوان الله إلى الجنة"(المعجم الأوسط للطبراني).

٦- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُنَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ جِيرَانِي؟ أَيْنَ

جِيرَانِي؟ فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: رَبَّنَا، وَمَنْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُجَاوِرَكَ؟ فَيَقُولُ: أَيْنَ عُمَّارُ الْمَسَاجِدِ؟"(أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده).

٧- و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ:"إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ فِي المَسْجِدِ، فَقُولُوا: لَا أَرْبَحَ اللَّهُ تِجَارَتَكَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَنْشُدُ فِيهِ ضَالَّةً [أي في المسجد] فَقُولُوا: لَا رَدَّ اللَّهُ عَلَيْكَ"(سنن الترمذي).

ثالثًا : الموضوع:

إن للمساجد أهمية عظمى، ودورًا أسمى في المجتمع المسلم، فهي بيوت الله تعالى، أمر برفعها وذكر اسمه فيها، يقول (عز وجل) : { فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ* لِيَجْزِيَهُمْ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [النور:٣٦-٣٨].

والمساجد أطهر الأماكن في الأرض، وأحب البقاع إلى الله عز وجل كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم): "أَحَبُّ الْبِلاَدِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا"، لذا شرفها الله بنسبتها إليه، ولقد أشار سبحانه وتعالى إلى هذا المعنى في كتابه العزيز، فقال: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} [الجن:١٨]، إنه بيت الأتقياء، ومأوى الصالحين،قلوبهم معلقة به، ونفوسهم تتوق دومًا إليه، ففي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ذكر منهم: "... وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ.."(متفق عليه)، وكذا في الحديث الآخر يقول (صلى الله عليه وسلم): "الْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ، وَتكفل الله لمن كان الْمَسجِدُ بيتَهُ بالرَّوْحِ، وَالرَّحْمَةِ، وَالْجَوَازِ عَلَى الصِّرَاطِ إلى رضوان الله إلى الجنة ".

ولأن موقع المسجد هو موقع القلب من أي بلد إسلامي فقد كان أول ما قام به الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالمدينة بناء المسجد، وذلك لتظهر فيه شعائر الإسلام، ولتقام فيه الصلوات التي تربط المرء برب العالمين، وتنقي القلب من أدران الأرض، وأدناس الحياة الدنيا، فبنى (صلى الله عليه وسلم)

مسجد قباء، وهو الذي أُسِّسَ على التقوى من أول يوم، يقول ابن كثير (رحمه الله): حثه على الصلاة في مسجد قُباء الذي أسس من أول يومِ بنائه على التقوى، وهي طاعة الله، وطاعة رسوله، وجمعًا لكلمة المؤمنين ومَعقِلا وموئلا للإسلام وأهله.

وبناء المساجد ابتغاء وجه الله تعالى وتهيئتها للمتعبدين عبادةٌ عظيمةُ الأجر جليلة القدر، فقد قال النبي (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ تَعَالَى – قَالَ بُكَيْرٌ حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ – يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ – بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ"، فهكذا حضَّنا الإسلام على بناء المساجد وعمارتها، وجعل عمارتها والعناية بها دليلًا على صدق الإيمان، يقول الله تعالى: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} [التوبة:١٨]، وتكون عمارة المساجد ببنائها وتنظيفها وفرشها وإنارتها، كما تكون عمارتها بالصلاة فيها وكثرة التردد عليها لحضور الجماعات وتعلم وتعليم العلوم النافعة.

فالمسجد مكان للخشوع والسجود لله رب العالمين، وهو كذلك مكان للتربية وبناء الإنسان، وهو مكان لبناء صرح الأخلاق الإسلامية الشامخ، ففي المسجد تقام الخطب والمحاضرات التي تُوَجِّهُ الناس لكل خير وصلاح للدين والدنيا.

ولهذه الأهمية العظيمة للمساجد أُمِرْنا بالمحافظة عليها من كل مالا يتناسب مع ما بُنيت له ، لذلك نهى النبي(صلى الله عليه وسلم) عن البيع والشراء في المسجد أو إنشاد الضالة أو أن يأكل الإنسان ثومًا أو بصلاً ويدخل المسجد، أو أن يُستهانَ بالمسجد أو يُعبثَ فيه.

ومن ثم فإنه ينبغي على كل من يذهب إلى المسجد أن يراعي حرمته ويتأدب بآدابه التي بينتها لنا السنة النبوية المطهرة ، فمثلاً يدخل برجله اليمنى قائلاً: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، ويخرج باليسرى قائلاً: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ، وعلى الداخل للمسجد أو الخارج منه أن يمشي بالسكينة والوقار، فعن أبي قَتَادَةَ (رضي الله عنه) عن النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم)قال: "إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا

فَأَتِكُمْ فَأَتِمُّوا" (صحيح البخاري)، ومنها عدم رفع الصوت في المسجد، فعَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ فَحَصَبَنِي رَجُلٌ فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ : اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهَذَيْنِ . فَجِئْتُهُ بِهِمَا قَالَ : مَنْ أَنْتُمَا أَوْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا ؟ قَالَا : مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ . قَالَ : لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا، تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (صحيح البخاري).وقوله: فحصبني، أي: رماني بالحصباء، وهي الحصى الصغار.

ومنها عدم إنشاد الضالة في المساجد ، لنهي النبي (صلى الله عليه وسلم) عن ذلك، فعن أَبي هريرة (رضي الله عنه): أَنَّه سمعَ رسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) يقولُ: " مَنْ سَمِعَ رَجُلاً يَنْشُدُ ضَالَّةً في المَسْجِدِ فَلْيَقُلْ: لاَ رَدَّها اللهُ عَلَيْكَ ، فإنَّ المَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهذا"(صحيح مسلم)، إلى غير ذلك من الآداب التي تحافظ على هيبة ونظافة المسجد، وتحقق جملة من رسالته الجليلة.

لقد كان المسجد هو الجامعةَ الأولى التي ربى فيها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أصحابه على يديه خير تربية، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يختلفون إلى هذه المدرسة فيصيبون فيها علمًا وهدى وفضائل وأدبًا وأحكامًا ما اتسعت لذلك أوقاتهم، في حياته (صلى الله عليه وسلم) وبعد مماته، وليس أدلَّ على ذلك مما رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) حين مر يومًا في السوق على المشتغلين بتجاراتهم، فقال أنتم ههنا وميراث رسول الله (صلى الله عليه و سلم) في المسجد؟! فقاموا سراعًا فلم يجدوا فيه إلا القرآن أو الذكر أو مجالس العلم، فقالوا: أين ما قلت يا أبا هريرة؟ فقال: هذا ميراث محمد (صلى الله عليه و سلم) يُقَسَّمُ بين ورثته و ليس مواريثه دنياكم (المعجم الأوسط للطبراني).

فالمسجد مدرسة للعلم والتعليم، ومنبت التربية والتثقيف، فيه يتخرج العلماء والأبطال والقادة والمفكرون، وفيه يلتقي المسلمون على مائدة القرآن والسنة، بل إن المسجد يُعدّ مدرسة لتعليم المسلمين كل أمور حياتهم، من صنع الحياة وبناء الحضارات، ونشر الثقافات، وتنمية المهارات، وتلاحم الأمم،

وتواصل المجتمعات، فالمسجد هو المدرسة التي تتربى فيها النفوس تربية روحية باتصالها بخالقها أثناء تأدية الصلاة والتعبد فيه، والمسجد هو المدرسة التي يتعلم فيها أمور الدين كل المسلمين: الرجال والنساء، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: " لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ"(صحيح البخاري)، ففي المسجد يتعلم الرجل والمرأة – الكبير والصغير أمور الدين، ومكارم الأخلاق.

ولقد بدأ المسجد دوره الحيوي منذ عصر النبوة ، ولم تقتصر وظيفة المسجد في أول الأمر على الصلاة فقط ، بل كان المسجد أيضًا مركز الحكم والإدارة، والدعوة والإرشاد، وتوعية المسلمين، كان دارًا لمجلس الشورى، تناقش فيه أمور الأمة على ضوء الكتاب والسنة، كما كان محل القضاء والإفتاء والعلم والإعلام، وغير ذلك من أمور الدين والدولة، ومن ثم علت منزلة المسجد عند المسلمين.

وكان المسجد في عصر النبوة مقرًا لحركة الإسلام سلمًا وحربًا، جامعًا وجامعة، وفي عصر التابعين وما تلاه صارت المساجد في كل مكان وفي كل قطر من الأقطار الإسلامية مراكز إشعاع للعلم، يجتمع فيها طلاب العلم ويجلسون لعلماء الأمة كالإمام أبي حنيفة ، والإمام مالك ، والإمام الشافعي ، والإمام أحمد ، وكبار تلامذتهم ، وعلماء الأمصار كالثوري والأوزاعي ، وابن عيينة ، وغيرهم .

فكان للمساجد دور كبير في نشأة وتطور المذاهب الفقهية الأربعة الكبرى، كما كانت تلك المساجد نواة للتعليم الجامعي في مجال العلوم الشرعية من فقه وأصول وتفسير وحديث وعقائد، وأكبر مثال على ذلك الجامع الأزهر بمصر، والجامع الأموي بدمشق، وجامع الزيتونة بتونس، فهي التي رَبَّتْ الأجيال وجندتهم لخدمة مصالح الأمة ، وخرجت أجيالاً حملت رسالة الإسلام عبر التاريخ ، فالمسجد مؤسسة اجتماعية ، وتربوية ، واقتصادية وسياسية ، وعسكرية وله دور فعال في جميع هذه المناحي.

ولهذا الدور العظيم للمساجد في بناء النفوس، وتهذيب الأخلاق، وتربية الأجيال، وتطهير المجتمع المسلم من كل ما يعلق به مما يخالف هدي

الإسلام؛ حثّنا ديننا على كثرة الذهاب إلى المساجد والتزوّد منها بالزّاد الطيب، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قال: "مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلاً كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ"، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُنَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ جِيرَانِي؟ أَيْنَ جِيرَانِي؟ فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: رَبَّنَا، وَمَنْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُجَاوِرَكَ؟ فَيَقُولُ: أَيْنَ عُمَّارُ الْمَسَاجِدِ؟" وهذا من عظيم فضل الله تعالى على عباده أن يُشَرِّعَ لهم ما يصلح أحوالهم ثم يثيبهم عليه.

وفي المسجد يلتقي المسلمون في هذا الجو الإيماني الذي يبث روح التآلف بينهم، فيعمل كل فرد على تعميق معاني الأخوة وتصفية النفوس من الشحناء وتفريج الكربات ، والحثّ على البذل والإنفاق وتفقد المحتاجين، وسد حاجتهم، والنظر في أحوال المرضى ، ومد يد العون لمن يعانون من الفقر والضيق، وسد حاجات اليتامى والمساكين وانتشالهم من مذلَّة السؤال، فالتكافل الاجتماعي في ظل المساجد تبرز آثاره التربوية النافعة في معالجة النفوس وإصلاح القلوب وتهذيب السلوك والشعور الأخوي بين أفراد المجتمع.

إن للمسجد دورًا عظيمًا في تقوية أواصر الأخوة الإيمانية بين المسلمين وما يستتبعها من المحبة، والتزاور والتواصل وعيادة المريض، وإجابة الدعوة، وإعانة المحتاج والضعيف وإفشاء السلام، وطلاقة الوجه وطيب الكلمة، والتواضع وقبول الحق، والعفو والسماحة ودفع السيئة بالتي هي أحسن، والإيثار وحسن الظن، ونصرة المظلوم، وستر المسلم إذا وجدت منه هفوة، وتعليم الجاهل، والإحسان إلى الجار، وإكرام الضيف، وأداء الحقوق إلى أهلها، والنصح لكل مسلم، وهذا كله منطلقه بيت الله، وفي المساجد أيضًا تتجلى وحدة المسلمين حين يقفون صفوفًا متساوية في الصلاة، وكم هو عظيم هذا المشهد حين يقف المسلمون صفًا واحدًا في الصلاة وقد ذابت وانصهرت جميع الفوارق محققين قول الله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[الحجرات: ١٠]، ولعل سائلًا يسأل: لماذا

لا أصلي في بيتي حتى أكون أقرب للخشوع فلا يكون ثَمَّة مجال للرياء، ولا أرى ما يصرفني عن خشوعي؟!! لكنَّ الله سبحانه وتعالى يريدك مع غيرك من المسلمين، يريدك مع إخوتك لا يريدك وحدك، ولهذا فإنك تقرأ في سورة الفاتحة: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } [الفاتحة: ٥، ٦] فلماذا لم تكن الآية : "إياك أعبد وإياك أستعين.. اهدني الصراط..." على أساس أنك أنت وحدك الذي تناجي ربك؟!! إن الله تبارك وتعالى يريد منك أن تعبر بلسان الجميع تحقيقًا للوحدة ولفتًا للأخوة التي ربط الله بها بين الموحدين، ولأجل هذا كله جعل الله فضل صلاة الجماعة عظيمًا كما جاء عن ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : "صَلاَةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاَةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً"(متفق عليه)، إنه المسجد الذي يجمع ولا يفرق، يوحد قلوب المسلمين قبل أن يوحد أجسامهم.

فالمسجد يحافظ على الألفة بين المسلمين، وينمّي المحبة بين العباد، ومن استخدم المسجد في غير ما أراده الله عز وجل لبيوته فقد ارتكب ظلمًا عظيمًا، واحتمل إثمًا مبينًا، مصداقًا لقول الله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[البقرة:١١٤] فالمساجد لا تستخدم في الترويج لسلعة، أو للبحث عن لُقطة، أو للإعلان عن أي عمل من شأنه أن يشق صف المسلمين، أو يمزق وحدة المجتمع، أو يدعو إلى فتنة، كل هذا ظلم عظيم، يحتمل فاعله عقابًا أليمًا في الدنيا والآخرة والعياذ بالله.

ليتنا نُحيي دور المسجد الجامع، الذي يجمع قلوب المسلمين قبل أن يجمع أجسادهم، إننا بحاجة إلى أن يوجد في كل بلد من بلادنا مسجد جامع، يقدم للمجتمع العديد من الخدمات التربوية والأخلاقية فضلاً عن الخدمات الاجتماعية والصحية وغيرها، مما يعيد للمسجد دوره ومكانته في المجتمع، كما كان على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) وسلفنا الصالح.

خلق الحياء والحفاظ على الأعراض

أولاً: العناصر:

١- منزلة الحياء في الإسلام.

٢- الحياء من صفات الأنبياء والصّالحين.

٣- مظاهر الحياء وأقسامه.

٤- ثمرات الحياء.

٥- أثر ضعف الحياء في سلوكيات الناس.

٦- أثر الحياء في الحفاظ على الأعراض.

٧- الحياء من أهم سبل الوقاية من التحرش الجنسي.

ثانياً : الأدلة:

الأدلة من القرآن الكريم:

١- يقول الله تعالى: {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [القصص: ٢٥].

٢- ويقول تعالى : { قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ* وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [النور: ٣٠، ٣١].

٣- ويقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا

طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا } [الأحزاب: ٥٣].

٤- ويقول الله تعالى: { أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى} [العلق:١٤].

الأدلة من السنة:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ- شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ" (متفق عليه).

٢- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) قَالَ لِلأَشَجِّ الْعَصَرِيِّ : "إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ : الْحِلْمَ ، وَالْحَيَاءَ"(سنن ابن ماجة).

٣- وعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) : "إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الإِسْلاَمِ الْحَيَاءُ"[سنن ابن ماجة].

٤- وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : "إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأولى إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ"(صحيح البخاري).

٥- وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ (متفق عليه).

٦- وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "الْحَيَاءُ وَالْعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنَ الإِيمَانِ وَالْبَذَاءُ وَالْبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ"(سنن الترمذي).

٧- وعن عِمْرَان بْنِ حُصَيْنٍ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُ قَالَ: "الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ. فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ أَنَّ مِنْهُ وَقَارًا وَمِنْهُ سَكِينَةً". فَقَالَ عِمْرَانُ أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وَتُحَدِّثُنِي عَنْ صُحُفِكَ

(متفق عليه).

٨- وعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): :مَا كَانَ الفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ، وَمَا كَانَ الحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ" (سنن الترمذي).

٩- وعن سلمان (رضي الله عنه) قال: قال رسولُ الله (صلَّى الله عليه وسلم): " إنَّ ربكُم حَييٌ كريمٌ يستحيي مِنْ عبدِه إذا رَفعَ يَدَيهِ إليه أن يَرُدهما صِفْراَ " (سنن أبي داود).

١٠- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ" قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَنَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: "لَيْسَ ذَاكَ وَلَكِنَّ الاِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَتَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَتَتَذَكَّرَ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ"

(سنن الترمذي).

١١- وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِى بَكْرٍ (رضي الله عنهما) قَالَتْ: تَزَوَّجَنِى الزُّبَيْرُ وَمَا لَهُ فِى الأَرْضِ مِنْ مَالٍ وَلاَ مَمْلُوكٍ وَلاَ شَىْءٍ غَيْرَ فَرَسِهِ - قَالَتْ - فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ وَأَكْفِيهِ مَئُونَتَهُ وَأَسُوسُهُ وَأَدُقُّ النَّوَى لِنَاضِحِهِ وَأَعْلِفُهُ وَأَسْتَقِى الْمَاءَ وَأَخْرِزُ غَرْبَهُ وَأَعْجِنُ وَلَمْ أَكُنْ أُحْسِنُ أَخْبِزُ وَكَانَ يَخْبِزُ لِى جَارَاتٌ مِنَ الأَنْصَارِ وَكُنَّ نِسْوَةَ صِدْقٍ - قَالَتْ - وَكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِى أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَلَى رَأْسِى وَهْىَ عَلَى ثُلُثَىْ فَرْسَخٍ - قَالَتْ - فَجِئْتُ يَوْمًا وَالنَّوَى عَلَى رَأْسِى فَلَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَدَعَانِى ثُمَّ قَالَ «إِخْ إِخْ». لِيَحْمِلَنِى خَلْفَهُ - قَالَتْ - فَاسْتَحْيَيْتُ وَعَرَفْتُ غَيْرَتَكَ فَقَالَ وَاللَّهِ لَحَمْلُكِ النَّوَى عَلَى رَأْسِكِ

أَشَدُّ مِنْ رُكُوبِكَ مَعَهُ. قَالَتْ حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَادِمٍ فَكَفَتْنِي سِيَاسَةَ الْفَرَسِ فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَتْنِي.(متفق عليه).

الآثار:

١- عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ (رضي الله عنه) وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَظَلُّ حِينَ أَذْهَبُ إِلَى الْغَائِطِ فِي الْفَضَاءِ مُتَقَنِّعًا بِثَوْبِي اسْتِحْيَاءً مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ (شعب الإيمان للبيهقي).

٢- وعَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ): مَنْ كَثُرَ ضَحِكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ، وَمَنْ كَثُرَ مِزَاحُهُ اسْتُخِفَّ بِهِ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ، وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ (شعب الإيمان).

٣- وعن إِيَاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَذُكِرَ عِنْدَهُ الْحَيَاءُ، فَقَالَ: الْحَيَاءُ مِنَ الدِّينِ، فَقَالَ عُمَرُ: بَلْ هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ (حلية الأولياء).

٤- وعَن وَهبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: الْإِيمَانُ عُرْيَانٌ ، وَلِبَاسُهُ التَّقْوَى، وَمَالُهُ الْفِقْهُ ، وَزِينَتُهُ الْحَيَاءُ مصنف ابن أبي شيبة .

٥- وَقَالَ الْحَسَنُ: أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ كَامِلا، وَمَنْ تَعَلَّقَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ كَانَ مِنْ صَالِحِي قَوْمِهِ دِينٌ يُرْشِدُهُ ، وَعَقْلٌ يُسَدِّدُهُ ، وَحَسَبٌ يَصُونُهُ ، وَحَيَاءٌ يَقُودُهُ (الآداب الشرعية لابن مفلح).

٦- وقَالَ الْأَصْمَعِيُّ (رحمه الله) سَمِعْت أَعْرَابِيًّا يَقُولُ: مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ لَمْ يَرَ النَّاسُ عَيْبَهُ"(الآداب الشرعية لابن مفلح).

٧- وعن عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قالت: مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ عَشَرَةٌ يَقْسِمُهَا اللَّهُ لِمَنْ أَحَبَّ: صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَصِدْقُ التَّأَسِّي فِي طَاعَةِ اللهِ، وَإِعْطَاءُ السَّائِلِ، وَمُكَافَأَةُ الصَّنِيعِ، وَحِفْظُ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ، وَتذَمُّمٌ لِلصَّاحِبِ، وَإِقْرَاءُ الضَّيْفِ، وَالْحَيَاءُ رَأْسُهَا (مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا).

٨- وعن سَلْمَان الفَارسِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ هَلَاكَ عَبْدٍ نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ، فَإِذَا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا مَقِيتاً مُمْقَتاً (الاستذكار لابن عبد البر).

ثالثاً : الموضوع:

خلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا؛ بل هو أهم لوازم الإنسانية، فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم، إنه معيار الأخلاق الحسنة وعلامتها؛ بل هو رأس مكارم الأخلاق، كما ورد عن أم المؤمنين عَائِشَة (رضي الله عنها) قالت: "مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ عَشَرَةٌ يَقْسِمُهَا اللَّهُ لِمَنْ أَحَبَّ: صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَصِدْقُ التَأَسِّي فِي طَاعَةِ اللهِ، وَإِعْطَاءُ السَّائِلِ، وَمُكَافَأَةُ الصَّنِيعِ، وَحِفْظُ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ، وَتذَمُّمٌ لِلصَّاحِبِ [و هو أن يَحْفظ ذِمَامَه ويَطْرح عن نَفْسه ذَمَّ النَّاس له إن لم يَحْفَظه]، وإِقْرَاءُ الضَّيْفِ، وَالْحَيَاءُ رَأْسُهَا".

وخلق الحياء سمة بارزة تميز هذا الدين العظيم، فالنبى (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) يقول: "إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الإِسْلَامِ الْحَيَاءُ"، فالحياء ليس من نوافل الأخلاق فى الإسلام بل هو من صميم الدين وجزء منه وشعبة من شعبه، كما جاء فى الحديث: "الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ – أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ– شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ"، إنه خلق يحبه الله عز وجل ويرضاه لعباده الصالحين، فعَنِ ابْنِ عَبَّاس (رضى الله عنهما) أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) قَالَ لِلأَشَجِّ الْعَصَرِيِّ: "إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمَ، وَالْحَيَاءَ"، بل إن الحياء يرتبط بالإيمان، فإذا غاب الحياء غاب الإيمان، ففى الحديث عن عبد الله بن عمر(رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وسلم): "الْحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ قُرِنَا جَمِيعًا ، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ"
(المستدرك على الصحيحين للحاكم).

والحياء جامع لكل خصال الخير، يدفع الإنسان إلى فعل المحاسن ويبعده عن القبائح، ما اتصف به مسلمٌ إلا حاز الخير الكثير، وابتعد به عن الشر المستطير، ونال به الثواب العظيم، فعن عِمْرَان بْن حُصَيْن (رضى الله عنه) عَن النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُ قَالَ: "الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ". فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ أَنَّ مِنْهُ وَقَارًا وَمِنْهُ سَكِينَةً.

والحَيِيُّ من صفات الله عز وجل ففي الحديث: "إنَّ ربكُم حَيِيٌّ كريمٌ يستحيي مِنْ عبدِهِ إذا رَفعَ يَدَيهِ إليه أن يَرُدَّهما صِفْرًا"، وعن معنى اتصاف الله تعالى بذلك يقول الفيروزآبادي: وأَمّا حياءُ الربّ - تبارك وتعالى - من عبده فنوع آخر لا تدركه الأَوهام ولا تكيّفه العقول، فإِنَّه حياءُ كرمٍ وبرٍّ وجُودٍ، فإِنَّه خير كريم يَستحى من عبْده إِذا رَفَعَ إِليه يديه أَن يردَّهما صِفراً، ويستحيي أَن يعذّب ذا شَيْبة شابت فى الإِسلام. وكان يحيى بن معاذ يقول: سبحان من يذنب عبْدُه ويستحى هو (بصائر ذوي التمييز).

وخلق الحياء من أعظم الأخلاق التى تحلَّى بها الأنبياء والصالحون، فعَنْ أَبِى مَسْعُودٍ (رضى الله عنه) قَالَ النَّبِىُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ"، فهذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بلغ من الحياء غايته كما يقول أبو سعيد الخدري (رضى الله عنه) : كَانَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ ، فكان النبى (صلى الله عليه وسلم) حييًّا أعظم ما يكون الحياء، لا يجابه أحداً بما يكره، وإن غضَّ ذلك من راحته هو، حتى غار عليه ربه وأنزل قرآنًا يعلم فيه الناس كيف يتعاملون مع حبيبه (صلى الله عليه وسلم)، قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا}[الأحزاب: ٥٣].

و الحياءُ الممدوح في كلام النَّبيِّ (صلى الله عليه وسلم) إنَّما يُريد به الخُلُقَ الذي يَحُثُّ على فعل الجميل ، وتركِ القبيح ، فأمَّا الضعف والعجزُ الذي يوجب التقصيرَ في شيء من حقوق الله أو حقوق عباده ، فليس هو من الحياء ، إنَّما هو ضعفٌ وخَوَرٌ ، وعجزٌ ومهانة ، والله أعلم "
(جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي).

والحياء يكون من الله تعالى ومن النفس ومن الناس، أما الحياء من الله تعالى فهو أعلى درجات الحياء، فيستحي العبد من ربه أن يجده حيث نهاه، وهذا الحياء الذي بين العبد وربه قد بينه الحديث: "اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ" قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَنَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: "لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَتَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَتَتَذَكَّرَ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ"، ولِمَ لا نستحيي من الله تعالى ونحن نتقلب في نعمه وإحسانه ولا نستغني عنه طرفة عين، ونحن تحت سمعه وبصره، وهو الذي خلقنا ويرزقنا فَنُطْعَمُ من خيره، ونتنفس في جوه، ونعيش على أرضه، فكيف لا نستحي منه؟! ولهذا أمرنا النبي (صلى الله عليه وسلم) مثلاً بالتَّسَتُّر ولو كنا في خلوة حياءً من الله تعالى، فعن بَهْز بْن حَكِيم عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ عَوْرَاتُنَا، مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ؟ قَالَ: "احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلاَّ مِنْ زَوْجَتِكَ، أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ"، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْض؟ قَالَ:" إن اسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ تُرِيَهَا أَحَدًا، فَلاَ تُرِيَنَّهَا"، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فَإِنْ كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا ؟ قَالَ:" فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنَ النَّاس"(سنن أبي داود)، فإذا كان هذا حال المؤمن حتى في خلواته فما بال هؤلاء المتكشفين المتبجحين بكشف العورات وإظهار القبائح أمام الخلائق!!! فالعبد إذا علم أن الله ناظر إليه؛ أورثه هذا حياء منه تعالى، وإذا تيقن العبد أن الله مطلع عليه وسيسأله يوم القيامة عن كل ما اقترفت يداه، فإنه سيخجل فيقبل على الفضيلة ويترك الرذيلة، لما احتضر الأسود بن يزيد (رحمه الله) بكى، فقيل له : ما هذا الجزع ؟ قا: ما لي لا أجزع ومن أحق بذلك مني؟! والله لو أتيت بالمغفرة من الله –(عز وجل)

- لأهمّني الحياء منه مما قد صنعت، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه ولا يزال مستحييا منه.

وأما الحياء من الناس فهو مطلوب وهو من مكارم الأخلاق كذلك، وهو يكون بكف الأذى وترك المجاهرة بالقبيح، رُوِيَ أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَان (رضى الله عنه) أَتَى الْجُمُعَةَ مُتَأَخرًا َفوَجَدَ النَّاسَ قَدْ انْصَرَفُوا فَتَنكَبَّ الطَّرِيقَ عَنْ النَّاس، وَقَالَ : لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَسْتَحِي مِنْ النَّاس.

(أدب الدين والدنيا للماوردي).

وأما حياء المرء من نفسه : فهو حياء النفوس الشريفة العزيزة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص وقناعتها بالدون فيجد نفسه مستحييًا من نفسه حتى كأن له نفْسين يستحيي بإحداهما من الأخرى، وهذا أكمل ما يكون من الحياء، فإن العبد إذا استحيى من نفسه فهو بأن يستحيى من غيره أجدر.(مدارج السالكين)

ومن مظاهر الحياء: أنْ يُطهِّر المسلم لسانه من الفحش والرذيلة فـ(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) (صحيح البخارى). فالحياء مستحبٌ فى كل ما يصدر عن الإنسان من قول أو عمل.

كذلك من مظاهر الحياء: أن يتوقى الإنسان ويتحاشى كلّ ما يجلب له السوء من موارد الشبه ومواطن الشائعات، فمن الحياء أن يحرص المسلم على سمعته فلا يقول أو يفعل ما يلوث سمعته، ويعرضه للسخرية والأقاويل المغرضة. قال الْأَصْمَعِيُّ (رحمه الله): سَمِعْت أَعْرَابِيًّا يَقُولُ: مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ لَمْ يَرَ النَّاسُ عَيْبَهُ"

ومن الحياء التعفف عن قول ما لا يليق، ولنا عبرة فيما كان يصنعه النبى (صلى الله عليه وسلم) حين يقول: "ما بال أقوام يقولون كذا وكذا" (شرح مشكل الآثار للطحاوى)، وكان يكنى عن أشياء كثيرة، فلْنتأسَ به (صلى الله عليه وسلم) ولنتخلق بأخلاق الإسلام حتى نعالج هذا الحال المأساوي الذي صرنا إليه، فلقد صرنا نسمع كل قبيح من القول فى الطرقات وفى المواصلات وفي الأماكن الخاصة والعامة، صرنا نرى من يجاهر بالمعاصي

ويتظاهر بالقبائح في وضح النهار وأمام الناس دونما وازع من إيمان أو رادع من حياء.

ومن مظاهر الحياء أيضًا: محافظة المرأة المسلمة على كرامتها وحشمتها، ومراقبة ربها، وحفظها حقَ زوجها، والبعد عن مسالك الريبة ومواطن الرذيلة ، فحياء المرأة هو سياجها وحصنها وحماها الذي تحمى به شرفها، وتصون به عرضها، وتحفظ به سمعتها، لذا دعا الإسلام إلى رعايته وتنميته، وجعله من أَجَلِّ النعم التي يَنعم بها المؤمنون المقربون، وتتحلى به عَقيلات الأسر، وعريقات الأصول، يلتزمنه ويتخذنه سننًا وطريقًا يمشين عليه ، قال تعالى: {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[القصص:٢٥].

إن أجمل ثياب تتزين به المرأة المسلمة ثياب الحياء، ومن حياء المرأة غض البصر وحفظ الفرج وعدم إبداء الزينة، وهذا ما أمر به القرآن الكريم حيث قال: { وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور:٣١].

إن الحياء يدفع صاحبه إلى المحافظة على أعراض الناس، ويصرف صاحبه عن التلذذ بالنظر المحرم، ولذلك يقول تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}[النور:٣٠]، أما انعدام الحياء فيؤدي إلى عدم المبالاة بانتهاك أعراض الناس، ولا يدري من يفعل ذلك أنه يأثم بكل كلمة يقولها، وبكل نظرة محرمة يطلقها ، عن أبي هريرة (رضى الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه و سلم) قال : " عَلَى كُلِّ نَفْسٍ مِنِ ابْنِ آدَمَ كُتِبَ حَظٌّ مِنَ الزِّنَا أَدْرَكَ ذَلِكَ لاَ مَحَالَةَ ،

فَالْعَيْنُ زِنَاهَا النَّظَرُ ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْمَشْيُ ، وَالأُذُنُ زِنَاهَا السَّمَاعُ ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلامُ ، وَالْقَلْبُ يَتَمَنَّى وَيَشْتَهِي وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ الْفَرْجُ"(المستدرك للحاكم)، وهو بنحوه في (صحيح مسلم)وغيره.

إن من أخطر مظاهر قلة الحياء ما نراه من بعض الحالات الشاذة كالتحرش الجنسي، ولو علم هذا الشاب الذي يظن أنه خلا بإحدى الفتيات ليتحرش بها أو يخدش حياءها أن الله تعالى مطلع عليه ناظر إليه لانزجر عن هذه القبائح، واستحيا من الله سبحانه، فمن استحيا من الله تعالى عرف كيف يحافظ على أعراض الناس التي حرمها الله تعالى كحرمة بيته الحرام، كما جاء في الحديث النبوي الشريف، وكما قال النبي (صلى الله عليه وسلم): "كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ" (صحيح مسلم)، وإن على الإنسان أن ينظر إلى ما يجب أن تُعامل به زوجه أو أخته أو ابنته، وهذا ما عامل به النبي (صلى الله عليه وسلم) أحد الشباب عندما عمل النبي (صلى الله عليه وسلم) على صرفه عن فاحشة الزنا، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ مَهْ. فَقَالَ : ادْنُهْ ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ : فَجَلَسَ قَالَ :" أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ" ؟ قَالَ : لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : "وَلاَالنَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ . قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ" ؟ قَالَ : لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ : "وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ . قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ "؟ قَالَ : لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ :" وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ . قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ "؟ قَالَ: لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ :" وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ . قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ" ؟ قَالَ : لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : وَلاَالنَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ" . قَالَ : فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ :" اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ"

(مسند أحمد).

إن الله (عز وجل) شرع لنا كل ما من شأنه أن يحفظ الأعراض ويصونها، ومن أجل ذلك شرع حد القذف، يقول تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ

الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ *إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [النور: ٤، ٥].

إن من أثر انعدام الحياء فساد الحياة كلها، فالحياء – كما قال بعضهم – مشتق من الحياة، فذهابه فساد للحياة كلها، فإذا بنا لا نجد ابنًا يعبأ بأبٍ، ولاصغيرًا يوقر كبيرًا، ولا تلميذًا يحترم أستاذًا، وقليل الحياء لا يعبأ بدُنُوِّ همته، ولا يبالى بالحفاظ على قدره، ولا يجد ما يحثه على الفضائل فينطلق فى اجتلاب شهواته غير مبال بحق الله تعالى ولا حق الناس، وصدق المعصوم (صلى الله عليه وسلم) حين قال: "إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ" فكما يقول ابن رجب (رحمه الله): من لم يستح صنع ما شاء، فإنَّ المانعَ من فعل القبائح هو الحياء، فمن لم يكن له حياءٌ انهمك فى كُلِّ فحشاء ومنكر، وما يمتنع مِن مثله مَن له حياء (جامع العلوم والحكم)، فكن حَيِيًّا ولا تكن مُتَكَشِّفًا غير مبال بشىء، فالحياء يعنى التَّسَتُّرَ وخوف إظهار العيب والقبيح، والحياء بذلك هو الذي يفرق بين الإنسان والحيوان، فالحيوان هو الذي لا يبالى بما استتر منه وما ظهر، إن عدم مبالاة الإنسان بإظهار القول البذيء والفعل القبيح معناه انعدام الحياء عنده، وانعدام الحياء يعنى انعدام الإيمان كما سبق، وكما جاء فى حديث النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم): "الْحَيَاءُ وَالْعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنَ الإِيمَانِ وَالْبَذَاءُ وَالْبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ"، والعى معناه فى الأصل الْعَجْزُ فِي الْكَلَامِ، وَالْمُرَادُ بِهِ فِي هَذَا الْمَقَامِ هُوَ السُّكُوتُ عَمَّا فِيهِ إِثْمٌ لَا مَا يَكُونُ لِلْخَلَلِ فِي اللِّسَانِ، وأما البَيان فإنما أراد منه بالذم التَّعمُّق فى النُّطق والتَّفاصُح وإظهار التَّقدُّم فيه على الناس وكأنه نَوع من العُجْب والكِبْر، وقال الإمام أبو حاتم- رحمه الله-: إن المرء إذا اشتد حياؤه صان عرضه، ودفن مساويه، ونشر محاسنه. ومن ذهب حياؤه ذهب سروره، ومن ذهب سروره هان على الناس ومُقت، ومن مُقت أوذي، ومن أوذي حزن، ومن حزن فَقَدَ عقله، ومن أصيب في عقله كان أكثر قوله عليه لا له. ولا دواء لمن لا حياء له.

دروس من الإسراء والمعراج

أولاً : **العناصر**:

١- معجزة الإسراء والمعراج تكريم للنبي (صلى الله عليه وسلم) وأمته.

٢- من الدروس المستفادة من الإسراء والمعراج:

أ- الإسلام دين الفطرة.

ب ـ من بين الشدائد والمحن يولد الأمل.

جـ ـ بيان فضل ومكانة نبينا (صلى الله عليه وسلم).

د ـ قوة الإيمان وأثرها في حياة المؤمن – أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)نموذجًا – .

هـ ـ فضل الصلاة ومنزلتها.

و- مكانة المسجد الأقصى في الإسلام وواجبنا نحوه.

ز- من مشاهد الرحلة المباركة ودلالاتها.

ثانياً : **الأدلة**:

الأدلة من القرآن:

١- يقول الله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَالسَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء: ١].

٢- ويقول تعالى: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} [النجم: ١ – ١٨].

الأدلة من السنة :

١- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ – وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ – قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ – قَالَ – فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِى يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ – قَالَ – ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِى جِبْرِيلُ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ. قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِى وَدَعَا لِى بِخَيْرٍ..." ثم ذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) من لقيهم في السماوات حيث لقي في السماء الثانية ابني الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ (عليهما السلام) وفي الثَّالِثَةِ لقي يُوسُفَ (عليه السلام) وفي الرَّابِعَةِ لقي إِدْرِيسَ (عليه السلام) وفي الْخَامِسَةِ لقي هَارُونَ (عليه السلام) وفي السَّادِسَةِ لقي مُوسَى(عليه السلام)، حتى وصل إلى السماء السابعة يقول: "...ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ (صلى الله عليه وسلم) قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لاَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِى إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلاَلِ – قَالَ – فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَىَّ مَا أَوْحَى فَفَرَضَ عَلَىَّ خَمْسِينَ صَلاَةً فِى كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى –صلى الله عليه وسلم– فَقَالَ مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ قُلْتُ خَمْسِينَ صَلاَةً. قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّى قَدْ بَلَوْتُ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ. قَالَ فَرَجَعْتُ

إِلَى رَبِّى فَقُلْتُ يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي. فَحَطَّ عَنِّى خَمْسًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ حَطَّ عَنِّى خَمْسًا. قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. - قَالَ - فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّى تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - حَتَّى قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلاَةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلاَةً. وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً - قَالَ - فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى (صلى الله عليه وسلم) فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّى حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ "(صحيح مسلم).

٢- و عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : "لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِيَ بِي وَأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ ، فَظِعْتُ بِأَمْرِي [أي اشْتَدَّ عليَّ وهِبْتُه]، وَعَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكَذِّبِيَّ فَقَعَدَ مُعْتَزِلاً حَزِينًا، قَالَ: فَمَرَّ بِهِ عَدُوُّ اللهِ أَبُو جَهْلٍ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ كَالْمُسْتَهْزِئِ : هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَعَمْ قَالَ : مَا هُوَ؟ قَالَ : إِنَّهُ أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ قَالَ: إِلَى أَيْنَ ؟ قَالَ : إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ؟ قَالَ : ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا ؟ قَالَ : نَعَمْ قَالَ : فَلَمْ يُرِ أَنَّهُ يُكَذِّبُهُ ، مَخَافَةَ أَنْ يَجْحَدَهُ الْحَدِيثَ إِنْ دَعَا قَوْمَهُ إِلَيْهِ، قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ تُحَدِّثُهُمْ مَا حَدَّثْتَنِي ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : نَعَمْ. فَقَالَ: هَيَّا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ حَتَّى قَالَ : فَانْتَفَضَتْ إِلَيْهِ الْمَجَالِسُ ، وَجَاؤُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَيْهِمَا، قَالَ : حَدِّثْ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ، قَالُوا : إِلَى أَيْنَ ؟ قَالَ : إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، قَالُوا : ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَمِنْ بَيْنِ مُصَفِّقٍ، وَمِنْ بَيْنِ وَاضِعٍ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ ، مُتَعَجِّبًا لِلكَذِبِ زَعَمَ قَالُوا : وَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْعَتَ لَنَا الْمَسْجِدَ ؟ وَفِي الْقَوْمِ مَنْ قَدْ سَافَرَ إِلَى

ذَلِكَ الْبَلَدِ ، وَرَأَى الْمَسْجِدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : فَذَهَبْتُ أَنْعَتُ ، فَمَا زِلْتُ أَنْعَتُ حَتَّى الْتَبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ ، قَالَ : فَجِيءَ بِالْمَسْجِدِ وَأَنَا أَنْظُرُ حَتَّى وُضِعَ دُونَ دَارِ عِقَالٍ أَوْ عُقَيْلٍ فَنَعَتُّهُ ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، قَالَ : وَكَانَ مَعَ هَذَا نَعْتٌ لَمْ أَحْفَظْهُ قَالَ : فَقَالَ الْقَوْمُ: أَمَّا النَّعْتُ فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَ" (مسند أحمد).

٣- و عَنْ أَبِي ذَرٍّ (رضي الله عنه) قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ: "الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ". قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ "الْمَسْجِدُ الأَقْصَى". قُلْتُ كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ "أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ"(متفق عليه).

٤- وعَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) قَالَتْ: لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانَ آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَسَعَوا بِذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ: أَوَ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَئِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَوَ تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ (المستدرك على الصحيحين للحاكم).

٥- و عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ مَنْ هَؤُلاَءِ يَا جِبْرِيلُ قَالَ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ"(سنن أبي داود).

٦- وعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ : هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ ، قَالَ : فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ"(صحيح البخاري).

ثالثاً : الموضوع:

من الألم يأتي الأمل، فبعد العام الذي عُرف في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) بعام الحزن، حيث فقد النبي (صلى الله عليه وسلم) زوجه الحنون خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) وعمه أبا طالب، ولاقى من الخلق ما لاقى فكان التكريم من الله تعالى له ولأمته حيث رفعه إلى مكان لم يصل إليه علم الخلائق، وهذه الرحلة المباركة ستظل مصدرًا يستلهم منه المسلمون الدروس والعبر، وتذكرهم دائمًا بدورهم تجاه خالقهم وأمتهم، و تمنحهم من التكريم ما يجعلهم خير أمة أخرجت للناس.

هذه المعجزة التي وقف أمامها العقل البشري عاجزًا، ليأتي القرآن الكريم معلنًا أن الأمر يتعلق بقدرة الله تعالى الذي أسرى بعبده، فيقول الله عز وجل: {سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}[الإسراء:١].

ومع دلالة هذه الرحلة العظيمة على التكريم للنبي (صلى الله عليه وسلم) وأمته فقد كانت الدروس المستفادة منها جليلة القدر وعظيمة النفع:

ومن هذه الدروس العظيمة والمعاني الجليلة الإيمان بطلاقة القدرة الإلهية، التي لاتحدها حدود، و التي أسرت برسول الله (صلى الله عليه وسلم) من مكة المكرمة إلى بيت المقدس، ثم عرجت به إلى سدرة المنتهى مخترقًا الحجب ، عبر السماوات السبع.

لم تستوعب عقول المشركين طلاقة القدرة الإلهية، إنهم يكذِّبون النبي (صلى الله عليه وسلم) منكرين أنه استطاع أن يذهب إلى بيت المقدس، ثم يعود ليصبح بين ظهرانيهم، ولم يلتفتوا إلى أنه (صلى الله عليه وسلم) لم يقل لهم: سَرَيْتُ، وإنما قال: أُسْرِيَ بي، فنسبوا الفعل إلى قدرة البشر فأنكروه، ولو ردوه إلى قدرة الله تعالى لوجدوا الأمر يسيرًا، وإذا كان الإنسان اليوم قد استطاع أن يرتاد الفضاء، وأن

يصل إلى القمر في جزء يسير من الزمن، وأن يعبر المحيطات، ويصنع المركبات الفضائية، أفيعجز مَن خَلق الإنسان أن يُجري هذا الحدث العظيم لأكرم مخلوق (صلى الله عليه وسلم)؟!! فعلى قدرة الفاعل يكون الفعل، كما أن جودة الصنعة تتوقف على قدرة الصانع، وفاعل المعجزة هو الله القادر على كل شيء.

إننا نتعلم من معجزة الإسراء والمعراج اللجوء إلى الله تعالى كل وقت، لا سيما وقت الشدة، وفي اللجوء إلى الله تعالى يجد العبد نفسه قد تعلق بأسباب القوة والعظمة فيرتقي ويرتفع ويسمو فوق كل شدة وكل محنة، فيخرج من نطاق قدرة البشر ليجد نفسه معانًا بقدرة رب البشر جل وعلا.

ومن الدروس المستفادة أيضًا من هذه المعجزة العظيمة أن الإسلام دين الفطرة، يقول الشيخ محمد الغزالي (رحمه الله): " وفى ليلة الإسراء والمعراج تأكدت الصفة الأولى لهذا الدين وهى أنه دين الفطرة. ففي الحديث: "...ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ... " إن سلامة الفطرة لب الإسلام، ويستحيل أن تُفتح أبواب السماء لرجل فاسد السريرة عليل القلب، إن الفطرة الرديئة كالعين الحمئة لاتسيل إلا قذرًا وسوادًا، وربما أُخفى هذا السواد الكريه وراء ألوان زاهية، ومظاهر مزوقة، ويوم تكون العبادات نفسها ستارًا لفطرة فاسدة فإن هذه العبادات الخبيثة، تعتبر أنزل رتبة من المعاصى الفاجرة..". فالإسلام هو الدين الذى يلبي نوازع الفطرة في توازن بين الروح والجسد والمصالح و المفاسد، و الدنيا و الآخرة، كما كان هذا من أهم أسرار سرعة انتشار الإسلام و إقبال الناس عليه على الرغم مما يوضع أمامه من عوائق وعقبات، قال تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}[الروم :٣٠]، ومن أهم معالم هذه الفترة سماحة الإسلام والبعد عن كل مظاهر العنف و التشدد،

يقول الحق سبحانه وتعالى: {...يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ...} [البقرة: ١٨٥]، ويقول الحق سبحانه: {...وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ...} [الحج: ٧٨]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): " إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِى شَىْءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَىْءٍ إِلاَّ شَانَهُ "(صحيح مسلم).

ومن أهم الدروس المستفادة من هذه المعجزة العظيمة والرحلة الجليلة هو أنَّ المحن تتبعها المنح، وأنَّ وقت اشتداد المحن هو بداية الفرج، فهذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعاني من أهل مكة ما يعانيه من الصدِّ والإعراض والإيذاء والتنكيل، ويخرج لأهل الطائف فيرجع مُطَارَدًا داميَ القدمين، ثم يدخل مكة مرة أخرى في جوار كافر، ثم من بين هذه الشدائد والمحن يولد الأمل، فيستضيفه الله عز وجل في الملأ الأعلى ليسمو النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الأرض وما فيها، ألا فلْنتعلم كيف نرتقي فوق كل المحن متعلقين فقط بالرجاء في الله العظيم الكريم.

ففي وسط المحن واشتداد الكروب واتساع الخطوب ينبثق فجر الأمل ويحيي نور الحياة أمام كل مبتلٍ صبر على بلائه وتحمل هذه المحن مستعينًا بالله عز وجل، فهو سبحانه كاشف الضر ومفرج الكروب، يقول تعالى: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} [النمل: ٦٢].

ومن دروس الإسراء والمعراج بيان فضل نبينا (صلى الله عليه وسلم) الذي يتجلى في هذا المؤتمر الأُمَميّ العظيم الذي مَثَّلَ فيه كلُ نبي أمتَه، إنه مؤتمر الأقصى الذي جمع الله تعالى فيه الأنبياء جميعًا، والعجب العجاب حين تأتي الصلاة فيتدافع الأنبياء أيَّهم يصلي إمامًا، فيأخذ جبريل (عليه السلام) بيد النبي (صلى الله عليه وسلم) فيقدمه معلنًا إمامة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) لا لأمته فقط وإنما للأنبياء والمرسلين أجمعين، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "...فَحَانَتِ الصَّلاَةُ

فَأَمَمْتُهُمْ فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلاَةِ قَالَ قَائِلٌ يَا مُحَمَّدُ هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِى بِالسَّلاَمِ..."(صحيح مسلم)، وكأن الله عز وجل بذلك يريد أن يرسل بلاغًا إلى عباده جميعًا أن دين الأنبياء واحد، فلقد جاء جميع الأنبياء بالتوحيد الخالص، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٢٥]، فالأنبياء إخوة لعلات، دينهم واحد كما في الحديث: " الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلاَّتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ"[صحيح البخاري].

وفي إمامته (صلى الله عليه وسلم) للأنبياء إشارة إلى أنَّ أمر النبوة قد ختم، وأنَّ هذا النبي الكريم هو خاتمهم، كما جاء في الحديث: "إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ : هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ، قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ"(صحيح البخارى)، ولأنَّ هذا حدث في المسجد الأقصى مهبط الرسالات ومبعث الأنبياء، ففي ذلك إشارة من الله عز وجل أنه وضع حماية المقدسات في الأرض في يد هذا النبي الكريم وأمته.

ومن الدروس المستفادة من هذه الرحلة العظيمة كذلك بركة النصح للمسلمين، فبسبب نصح سيدنا موسى (عليه السلام) لسيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) خفف الله تعالى عنه وعن أمته الصلاة المفروضة إلى خمس صلوات، يقول (صلى الله عليه وسلم): "...فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً فِى كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ خَمْسِينَ صَلاَةً. قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّى قَدْ بَلَوْتُ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ..."، ألا فلندرك قيمة النصيحة وبركتها، ولقد لخص لنا النبي (صلى الله عليه وسلم) الدين كله في النصيحة حيث يقول: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ" قُلْنَا لِمَنْ ؟ قَالَ" لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ" (متفق عليه).

ومن أهم ما أثمرته هذه الليلة المباركة تلك الهدية التي رجع بها النبي (صلى الله عليه وسلم) وهي الصلاة غرة الطاعات، ورأس القربات، وعماد الدين، وعصام اليقين، لقد أراد الله تعالى أن تُفرض الصلاة مباشرة دون وساطة جبريل (عليه السلام) أو غيره لتكون الصلةَ الدائمة بين المسلم وبين ربه، لقد رجع النبي (صلى الله عليه وسلم) بهذه الوسيلة التي يرتقي بها المسلم إلى مقابلة الله عز وجل، ولأجل أن الصلاة هي الصلة المباشرة بين العبد وربه جعلها الله تعالى عماد الدين، يقول حجة الإسلام الغزالي (رحمه الله): ... وما أرى أن هذه العظمة كلها للصلاة من حيث أعمالها الظاهرة إلا أن يضاف إليها مقصود المناجاة، فإن ذلك يتقدم على الصوم والزكاة والحج وغيره... (إحياء علوم الدين)، وفي فرض الصلاة في هذه الليلة دلالة على عظيم فضل الله تعالى على عباده، فقد انتهى الأمر بكونها خمسًا في العمل وخمسين في الثواب، فهل هناك فضل ويسر أعظم من ذلك!! إن الله عز وجل يقول لنبيه (صلى الله عليه وسلم) في نفس السورة – سورة الإسراء–: {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا } [الإسراء: ٧٨، ٧٩]

ومن أهم ما يجب أن نتعلمه من هذه الحادثة أيضًا الإيمان المطلق بالغيوب التي أخبر عنها القرآن الكريم أو الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) ومنها الإيمان بالله وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء ، وجنة ونار ، وميزان وصراط ، وغير ذلك، فأبو بكر الصديق (رضي الله عنه) إنما اكتسب لقب (الصِّدِّيق) من هذا اليوم الذي بدت فيه قوة إيمانه ويقينه بصدق النبي (صلى الله عليه وسلم)، لقد هرع إليه المشركون وليس عندهم أدنى ريب أن هذا اليوم هو الذي سيشهد نهاية العلاقة بين النبي (صلى الله عليه وسلم) وأبي بكر حين يبلغه الخبر، لكنهم وجدوا ما لم يتوقعوه، فعَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) قَالَتْ: لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ

(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانَ آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَسَعَوا بِذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ: أَوَ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَئِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَوَ تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ ، إن الإيمان بالغيب دليل على قوة التصديق وقوة اليقين، فما في الإيمان بالمُشَاهد فرق بين مصدق وجاحد، فالإيمان بالغيب هو الذي يفرق بين المؤمن والكافر الجاحد، الكافر لا يؤمن إلا بما يراه أو يدركه بحواسه منتحيًا إلى المادية البحتة، أما المؤمن فهو يصدق بكل غيب أخبر به القرآن الكريم وما ثبت في السنة النبوية الشريفة وما ذلك إلا لقوة يقينه بصدق النبي (صلى الله عليه وسلم).

و من أهم نتائج رحلة الإسراء والمعراج معرفة مكانة المسجد الأقصى في كيان هذه الأمة، إذ إنه مَسرى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومعراجه إلى السماوات العلى، وكان القبلة الأولى التي صلى إليها المسلمون في الفترة المكية، ولا تشد الرِّحال بعد المسجدين إلا إليه، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: " لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ (صلى الله عليه وسلم) وَمَسْجِدِ الأَقْصَى"(متفق عليه)، وفي ذلك توجيه للمسلمين بأن يعرفوا منزلته، ويستشعروا مسئوليتهم نحوه.

إن هذا الربط بين المسجدين- المسجد الحرام والمسجد الأقصى- ليشعر الإنسان المسلم أن لكلا المسجدين قدسيته، فهذا ابتدأ الإسراء منه وهذا انتهى الإسراء إليه، وكأن هذا يوحي أن من فرَّط في المسجد الأقصى يوشك أن يفرِّط في المسجد الحرام، إنّ مُعْجزةَ الإسراءِ والمعراجِ بنبيِّنا (صلى الله عليه وسلم) تجعلُ المسجدَ

الأَقْصَى أمانَةً في أَعْناقِ عُمومِ المسلمينَ، لا يَحِلُّ للجميعِ التهاوُنُ في حِمايَتِهِ ورِعايَتِهِ وَدفع الأخْطارِ عَنْه.

أما الهدف الأسمى من هذه الرحلة العظيمة فقد أفصحت عنه آيات القرآن الكريم، فالله تعالى يقول: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء: ١]، فالهدف (..لنريه من آياتنا..) وفي حديث القرآن عن المعراج يقول الله تعالى: {لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} [النجم: ١٨]، فالله عز وجل أراد أن يتيح لرسوله فرصة الاطلاع على المظاهر الكبرى لقدرته، حتى يملأ قلبه ثقة فيه واستنادًا إليه، ليزداد قوة في مواجهة العقبات التي تحول دون تبليغ رسالة الإسلام، لقد شاء الله تبارك وتعالى أن يُرِيَ نبيه (صلى الله عليه وسلم) صورًا لثواب الصالحين وعقاب العاصين في صور تنبئ عما أعدّه الله تعالى للفريقين، ومنها هذه الصورة التي تُنبئ عن قبح الغيبة وحرمتها وعاقبة أهلها: فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ"، يا له من منظر فظيع ينبغي أن يستوعبه قوم لاعمل لهم إلا الوقوع في أعراض الناس وانتقاصهم وتشويههم لأغراض دنيوية دنيئة، متناسين أن الله تعالى حرّم الخوض في الأعراض وجعل حرمتها كحرمة الكعبة، وأنَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) أمرنا بالإعراض عن الطعن في الأعراض.

ومن المشاهد التي شاهدها النبي (صلى الله عليه وسلم) ما رآه من حال مَنْ يقولون مالا يفعلون، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رِجَالا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، قُلْتُ : مَنْ هَؤُلاءِ يَا جِبْرِيلُ ؟

قَالَ : هَؤُلاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ، وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا يَعْقِلُونَ"(مسند الإمام أحمد).

ومسك الختام بهذه الرسالة التي أرسلها خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام) لهذه الأمة، فعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِىَ بِى فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّى السَّلاَمَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ وَأَنَّهَا قِيعَانٌ وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ"(سنن الترمذي).

أثر الزكاة في التكافل الاجتماعي

أولاً : العناصر:

١- فضل الإنفاق في سبيل الله .

٢- منزلة الزكاة في الإسلام .

٣- الحكمة من مشروعية الزكاة.

٤- من الأصناف التي تجب فيها الزكاة (الزروع والثمار).

٥- المصارف الشرعية لفريضة الزكاة .

٦- آداب يجب مراعاتها عند إخراج الزكاة.

٧- عقوبة مانع الزكاة .

ثانياً : الأدلة:

الأدلة من القرآن:

١- يقول الله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}

[البقرة: ١١٠].

٢- ويقول تعالى: { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }

[التوبة:١٠٣].

٣- ويقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}

[البقرة: ٢٦٧].

٤- ويقول تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأنعام: ١٤١].

٥- ويقول تعالى: { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}[التوبة: ٦٠].

٦- ويقول تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: ٢٧٤].

٧- ويقول تعالى: {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}[المعارج: ٢٤، ٢٥].

٨- ويقول تعالى: { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} [فصلت: ٦، ٧].

٩- ويقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ} [التوبة: ٣٤، ٣٥].

الأدلة من السنة والآثار:

١- عَنِ ابْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) :" بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَحَجِّ الْبَيْتِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ"(متفق عليه).

٢- وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بعث معاذًا (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إلى اليمن فقال له: "إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ

فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِجَابٌ)(مسند أحمد).وعن أبي هريرةَ (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "ما مِن يومٍ يصبِح العبادُ فيه إلا ملَكان ينزلان، فيقول أحدُهما: اللّهمّ أعطِ منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللّهمّ أعطِ ممسكا تلفًا"(متفق عليه).

٣- وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِىِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِى سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِى حَرَّةٍ فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِى حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ فُلاَنٌ، لِلاِسْمِ الَّذِى سَمِعَ فِى السَّحَابَةِ، فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِى عَنِ اسْمِى؟ فَقَالَ: إِنِّى سَمِعْتُ صَوْتًا فِى السَّحَابِ الَّذِى هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ لاِسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا قَالَ: أَمَّا إِذَا قُلْتَ هَذَا فَإِنِّى أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِى ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ"(صحيح مسلم).

٤- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): قَالَ : "قَالَ اللَّهُ أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْك"

(صحيح البخاري).

٥- وعَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَنْ أَبِيهِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ:" فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَالْعُيُونُ أَوْ كَانَ عَثَرِيًّا الْعُشْرُ، وَمَا سُقِيَ بِالنَّضْحِ نِصْفُ الْعُشْرِ"(صحيح البخاري).

٦- وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : "لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ مِنَ التَّمْرِ صَدَقَةٌ وَلَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ أَوَاقٍ مِنَ الْوَرِقِ صَدَقَةٌ وَلَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ ذَوْدٍ مِنَ الإِبِلِ صَدَقَةٌ"(صحيح البخاري).

٧- وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قَالَ: " إِنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ فِي أَمْوَالِهِمْ بِقَدْرِ مَا يَكْفِي فُقَرَاءَهُمْ، فَإِنْ جَاعُوا وَعَرُوا أَوْ جَهَدُوا فَبِمَنْعِ الْأَغْنِيَاءِ، فَحَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ يُحَاسِبَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُعَذِّبَهُمْ عَلَيْهِ"(السنن الكبرى للبيهقي).

ثالثًا : **الموضوع**:

إن الإسلام دين يقوم على البذل والعطاء والإنفاق، ويكره الشح والبخل والإمساك، لذلك حبب إلى بنيه أن تكون نفوسهم سخية، وأكفهم معطاءة ندية، ووصاهم بالمسارعة إلى دواعي البر والإحسان ، وأن يجعلوا تقديم الخير للناس هو عملهم الدائم، لا ينفكون عنه صباح مساء، فإذا امتثلوا لذلك كانوا من الآمنين يوم القيامة، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، وفي ذلك يقول سبحانه: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: ٢٧٤].

هذا؛ وقد اقتضت إرادة الله – تعالى- أن يكون في الناس غني وفقير ليتعاونوا جميعًا على عمارة الأرض، لأنه – سبحانه وتعالى- لو خلقهم جميعًا أغنياء لبطلت مصالحهم ، ولم يكن للحياة معنىً ، ولو خلقهم كلهم فقراء لفسدت معيشتهم ، وهانت حياتهم ، ولكن شاء الحكيم الخبير أن يرزق بعض الناس من أيدي أناس آخرين ، وأن يهب الغِنَى لقومٍ ليعطوا قومًا آخرين ، فلمصلحة البشر فضل بعضهم على بعض في الرزق ، فقال سبحانه: {وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ} [النحل: ٧١] ، وقال سبحانه: {نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [الزخرف: ٣٢].

والله (عز وجل) ابتلى الغني بغناه لينظر أيعطي الحق وتجود نفسه بالإنفاق في سبيل الله أم يبخل، وكذا ابتلى الفقير بفقره لينظر أيستعفف ويصبر أم يلج باب الحرام؟ ولقد أنزل الله تعالى من الرزق ما يكفي الجميع، فجوع الفقير وحاجة المحتاج ناتجة عن بخل بعض الأغنياء، فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قَالَ: إِنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ فِي أَمْوَالِهِمْ بِقَدْرِ مَا يَكْفِي فُقَرَاءَهُمْ، فَإِنْ جَاعُوا وَعَرُوا جَهَدُوا فَبِمَنْعِ الْأَغْنِيَاءِ، فَحَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ يُحَاسِبَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُعَذِّبَهُمْ عَلَيْهِ.

ولما كان الإنسان بطبعه مجبولاً على حب المال، حريصًا على اقتنائه وجمعه، حتى إنه يفكر في نفسه أكثر مما يفكر في غيره، وحتى إنه لو أوتي ما في الأرض جميعًا، بل لو امتلك خزائن الرحمة العليا لما طوعت له نفسه أن ينفق منها بسعة، كما قال ربنا – سبحانه –: {قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا } [الإسراء: ١٠٠].

من أجل ذلك أمر الله عباده الأغنياء بالإنفاق والصدقة من أموالهم التي رزقهم إياها، واستخلفهم فيها ، فقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [البقرة: ٢٥٤] ، ثمَّ وعدهم بالزيادة والنماء ، ومضاعفة الأجر والثواب ، فقال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: ٢٦١، ٢٦٢]. وقال تعالى : {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ } [الحديد: ٧] وفي الحديث عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "ما مِن يومٍ يصبح العبادُ فيه إلا ملَكان ينزلان، فيقول أحدُهما: اللّهمّ أعطِ منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللّهمّ أعطِ ممسكا تلفًا" (رواه البخاريّ) ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – أيضاً – أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : " قَالَ اللَّهُ : أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْك" (صحيح البخاري).

ولما كان الإسلام دينًا يقوم على ركائز قوية ، وأسس ثابتة، تغرس في نفس المسلم حب العبادة لله تعالى، وتنمي فيه روح الألفة والمحبة لإخوته المسلمين ، كان من بين تلك الأسس التي يقوم عليها الإسلام فريضة الزكاة ، التي جعلها الله -تعالى - ركنًا أساسيًا من أركان الإسلام، ففي الحديث المتفق عليه يقول النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) :"بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَحَجِّ الْبَيْتِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ"، فهي الركن الثالث في الإسلام ، أوجبها الله – تعالى– على عباده ، تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم، فهي حق واجب للفقراء في مال الأغنياء ، كما قال ربنا – سبحانه –: {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} [المعارج: ٢٤، ٢٥]. وفي حديث معاذ بن جبل (رضي الله عنه) حين بعثه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إلى اليمن قال له: "إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِجَابٌ ". (مسند أحمد).

فالزكاة فريضة لازمة يكفر من جحدها ، ويفسق من منعها، ويقاتل من تحدى جماعة المسلمين بتركها ، يقول الله سبحانه: { فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } [التوبة:١١]، وحسبنا أن الخليفة الأول أبا بكر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) جهز جيشًا كبيرًا لقتال المرتدين الذين امتنعوا عن دفع الزكاة، وقال: (وَاللَّهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالاً كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ)
(صحيح البخاري).

ولأهمية الزكاة وعظم منزلتها جاء الأمر بها في القرآن الكريم مقرونًا بالصلاة في عشرات المواضع ، تعظيمًا لشأنها، وتنويهًا بذكرها، وترغيبًا في

أدائها، وترهيبًا من منعها، أو التساهل فيها، ومن ذلك قوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} [البقرة: ٤٣] ، وقوله سبحانه: { وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }[البقرة: ١١٠]. وقوله: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: ٢٧٧] ، وقوله : {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [النور: ٥٦] ، {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المزمل: ٢٠] ، إلى غير ذلك من الآيات.

والسرُّ في هذا الاقتران : أن الصلاة فيها تمكين لعلاقة المسلم بربه ومولاه ، والزكاة فيها تمكين لعلاقة المسلم بإخوته في هذه الحياة، فالصلاة حق لله تعالى ، والزكاة حق للعباد.

وقد تعدد ذكرها في القرآن الكريم تارةً بلفظ الزكاة – كما سبق ذكره في الآيات– ، وتارةً بلفظ الإنفاق ،كما في مطلع سورة البقرة ، حيث يصف الله المتقين الذين ينتفعون بهدي كتابه فيقول: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}]البقرة:٣] ، و ثالثةً بلفظ الصدقة ، كما في قوله سبحانه: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [التوبة: ١٠٣].

وقد شرع الله سبحانه وتعالى الزكاة لحكم عالية وأغراض سامية ، تعود على الأفراد والمجتمعات بالفضل العظيم، والخير العميم، ومن تلك الحكم :

أن الزكاة طهارة للنفس البشرية، ففي جانب الأغنياء فهي طهارة لنفس الغني من الشح والبخل ، يقول تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[التوبة:١٠٣] ويقول سبحانه: {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }[الحشر: ٩]. وفي الحديث : عَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):"ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ:

شُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوَى مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ"(شعب الإيمان). وفي الجانب الآخر طهارة لنفس الفقير من الحقد والحسد والضغينة.

* أن الزكاة طهارة للمال وتحصين له: فكما أن الزكاة تطهر النفس البشرية، فهي كذلك تطهير للمال، لأن تعلق حق الغير بالمال يجعله ملوثًا ، لا يطهر إلا بإخراجه منه، فعن جابر (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : "مَنْ أَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ فَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُ شَرُّهُ"(المعجم الأوسط للطبراني).

* كما أن الزكاة سبب لنماء المال وبركته ، وهذه حقيقة لا مرية فيها ، فقد أفصح عنها الكتاب العزيز، وأكدتها السنة المطهرة، يقول تعالى: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [سبأ: ٣٩]. وفي الحديث عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال :" مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عبداً بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ " (رواه مسلم في صحيحه)، وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِىِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِى سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِى حَرَّةٍ فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِى حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ فُلاَنٌ، لِلاِسْمِ الَّذِى سَمِعَ فِى السَّحَابَةِ، فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِى عَنِ اسْمِى؟ فَقَالَ: إِنِّى سَمِعْتُ صَوْتًا فِى السَّحَابِ الَّذِى هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ لاِسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا قَالَ: أَمَّا إِذَا قُلْتَ هَذَا فَإِنِّى أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِى ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ".

على أن الزكاة لها فضائل مهمة ، وآثار اجتماعية عظيمة تتمثل في سدّ حاجة الفقراء ورفع الفقر عنهم ، ونشر المحبة بين أفراد المجتمع المسلم، و تقوية أواصر المحبة والتراحم بينهم، فليست الزكاة محض مال يؤخذ من الجيوب، بل هي غرس للرأفة والرحمة في القلوب.

ومن ثمَّ رغَّب الله في أداء الزكاة ، وأثنى على المزكِّين والمتصدقين بالفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة ، فقال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ

لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ} [المؤمنون:١– ٤]، ثمَّ وَعَدَهُم وِراثة الفِرْدَوس الأَعْلَى ، فقال تعالى: {أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [المؤمنون: ١٠، ١١].

ومن الأصناف التي تجب فيها الزكاة: (الزروع والثمار):

فقد أوْجبَها الله سبحانه وتعالى بقوله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ }[البقرة:٢٦٧] ، وقوله : { وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ }[الأنعام: ١٤١].

فقد بين النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) النِّصاب الذي تجب فيه الزكاة ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : "لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ مِنَ التَّمْرِ صَدَقَةٌ ، وَلَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ أَوَاقٍ مِنَ الْوَرِقِ صَدَقَةٌ ، وَلَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ ذَوْدٍ مِنَ الإِبِلِ صَدَقَةٌ".

فالزكاة تجب في كل ما أنبتته الأرض وبلغ النصاب أو قيمته، اعتمادًا على عموم قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ...} [البقرة:٢٦٧]، يقول ابن جرير (رحمه الله): يعني بذلك جل ثناؤه: وأنفقوا أيضًا مما أخرجنا لكم من الأرض، فتصدقوا وزكوا من النخل والكرم والحنطة والشعير، وما أوجبت فيه الصدقة من نبات الأرض (تفسير الطبري)، وكذا عموم قول النبي (صلى الله عليه وسلم) السابق: " فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ..." الحديث، فتجب الزكاة فيما أخرجته الأرض وبلغ نصابًا – وهو ما يقدر بخمسة أوسق، وهي تساوي ٥٠ كيلة بالكيل المصري من الحبوب، أو قيمة ذلك من الخضار والفاكهة وجميع أنواع الزروع والثمار– فإذا بلغ الزرع هذه القيمة أو زاد وجبت فيه الزكاة، وإذا قل عن ذلك لم تجب فيه الزكاة إلا أن يتطوع صاحبه بصدقة تأخذ به إلى الجنة وتقيه حر نار جهنم.

أما عن القدر الواجب إخراجه منها فيختلف بحسب طريقة السقي ، فما سقي بلا كلفة ولا مؤونة، كما لو سقي بماء المطر ، أو العيون ، ففيه العشر ، وما سقي بكلفة ومؤونة كمياه الآبار التي تخرج بالآلات وغيرها ففيه نصف العشر ، فعَن سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، عَنْ أَبِيه (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : "فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَالْعُيُونُ، أَوْ كَانَ عَثَرِيًّا الْعُشْرُ ، وَمَا سُقِيَ بِالنَّضْحِ نِصْفُ الْعُشْرِ "(صحيح البخاري).

فليسارع كل مسلم بإخراج زكاة زرعه وثمره، حتى يؤدي شكر هذه النعمة التي أنعم الله عليه بها، فهو الذي خلقها وأوجدها وهو الذي نماها وأصلحها ، يقول تعالى: {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ} [الواقعة: ٦٣، ٦٤]. فالله تعالى هو الذي يحيى الأرض بالنبات بعد موتها، وهو القادر على إخراج النبات الأخضر المثمر من البذور والطين غضًّا طريًّا.

ولو أخرج الأغنياء زكاة أموالهم بطريقة صحيحة لما رأينا فقيرًا ولا مسكينًا ولا جائعًا ولا محرومًا، وهذا ما حدث في عصر الخليفة العادل الإمام الزاهد عمر بن عبد العزيز – رحمه الله –الذي أقام العدل في الناس وعرّف الأغنياء بحق الفقراء ، فلما جُمعت الزكاة في عهده وأرادوا توزيعها لم يجدوا فقيرًا واحدًا في أنحاء الأمة! وكان يحكم أمة تمتد حدودها من الصين شرقًا إلى باريس غربًا، ومن حدود سيبيريا شمالاً إلى المحيط الهندي جنوبًا، ومع ذلك لم يجدوا مسكينًا واحدًا يأخذ الزكاة ، وفاض المال في بيت مال المسلمين فأصدر – رحمه الله – أمرًا بأداء الديون ، وقال: اقضوا عن الغارمين، فقضى ديون الناس ومازال المال فائضًا، فأصدر أمرًا بإعتاق العبيد فأعتقهم ومازال المال فائضًا في خزينة الدولة الإسلامية، فأمر بتزويج الشباب فزوجهم وبقي المال.

ولم يهمل الإسلام بحكمة تشريعه أمر مصارف الزكاة ، فقد بينها الله تعالى بمقتضى علم وحكمة، وعدل ورحمة ، وحددها بثمانية أصناف ، فقال سبحانه: { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي

الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}[التوبة: ٦٠].

فلا تُصرفُ الزكاةُ لغيرِ هؤلاءِ، وينبغي على المزكي أن يتحرى المستحقين لزكاته حتَّى تَقَعَ في مَوْقِعِها ويُؤَدَّى الْمَقْصودُ مِنْها، فإنَّهُ ما اشْتَكَى فَقِيرٌ إلاَّ بقَدْرِ ما قَصَّرَ غَنِيٌّ، ولَوْ أدَّى الأَغنياءُ زَكاةَ أمْوالِهم في مَصارِفِها، لَما وَجَدْتَ فقيرًا أوْ مِسْكينًا أوْ مُعْدَمًا ، إلاَّ أن الواقع يُعطي شهادةً بالإدانة على الأغنياء لِصَالح الفُقَراء.

على أنه ينبغي على المزكي مراعاة عدة أمور عند إخراج الزكاة ، ومنها :

* أن يخرج زكاته من أطيب الأموال وأجودها وأحبها إليه ، مبتعدًا عن الرديء منها ، كما أمر الله – سبحانه – ؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا ، يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [البقرة:٢٦٧] ، ويقول تعالى : {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ }

[آل عمران: ٩٢]

* أَنْ يطلُبَ الْمُزَكِّي بِهَا وجْهَ اللهِ تعالَى ، وألّا يفسد زكاته بالمن والأذى ، فإن الله تعالى يقول : { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى}

[البقرة: ٢٦٤]

ويقول تعالى : {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ } [البقرة: ٢٦٢ – ٢٦٣].

* أن يخرج زكاته وقت وجوبها دون تأخير ؛ لقوله تعالى : {وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأنعام: ١٤١].

وقد حذَّرَ الشَّرع – وبَالَغَ في التَّحذير – من مَنْع الزَّكاة؛ بل وَصَف مانِعيها بالخُرُوج منَ الإسلام، وذلك بِنَصِّ القرآن الكريم، والسُّنَّة المُطَهَّرَة؛ قال الله – تعالى –: {وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} [فصلت: ٦، ٧]، فحَصَرَهم بين الشِّرْك والكُفر.

فليحذر المسلم من التهاون في أداء حق الفقراء من الزكاة ، فقد جاء الوعد الشديد والترهيب الأكيد، في حق تارك الزكاة، بأسلوب ترتعد منه الفرائص وتهتز له القلوب، وتذوب له الأفئدة، وتقشعرُّ منه الجلودُ والأبدانُ ، فيقول تعالى: { وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ } [التوبة:٣٤:٣٥]، فالذي يجمع المال ولا يؤدي زكاته لا يجمع في الحقيقة مالاً وإنما يجمع حطبًا سيشتعل فيه نارًا يوم القيامة والعياذ بالله.

وعن أبي هريرةَ (رضي الله عنه) أن النبيِّ (صلى الله عليه وسلم) قال : " مَنْ آتاهُ اللهُ مالاً فلم يُؤدِّ زكاتَه، مُثِّلَ له يومَ القيامةِ شُجاعاً أقْرَعَ له زَبيبتانِ، يُطوِّقهُ يومَ القيامةِ، ثُمَّ يأخذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ أيْ: شِدْقَيْهِ ثمَّ يقولُ: أنا مالُكَ، أنا كنزُكَ" ثمَّ تلا النبيُّ (صلى الله عليه وسلم): { وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ }

[آل عمران:١٨٠](رواه البخاري).

ولَمْ يَقِفِ الْحَدُّ عِنْدَ العُقوبَةِ الأُخْرَوِيَّةِ لمانع الزكاة ، بَلْ يَتَعدَّى ذلِكَ إلى العُقوبَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ، التي تعمُّ الفردَ والمجتمَع ، والتي تتمثل في الجوع والقحط، حيث تمنع السماء قطرها ، وتمنع الأرض نباتها وشجرها ، فعَنْ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ (رضِيَ اللهُ عنهما) قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم)، فَقَالَ: " يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ" – وذكر منها – " وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا..." (أخرجَه ابنُ ماجَه والبيهقيُّ).

ومِنْها ذَهابُ المالِ بأيِّ نوعٍ مِنَ الآفاتِ ، أوْ بَقاءُ عَيْنِهِ ومَحْقُ ما بهِ مِنْ بَركاتٍ فترَى المالَ الكثيرَ الذي لم تُؤَدَّ زَكاتُهُ ، لا يَفِي بغَرَضِ الشَّخْصِ وحاجَتِهِ ، وربُّما أثْقَلَ الدَّيْنُ كاهِلَهُ، وعَرَّضَ نَفْسَهُ للإفْلاسِ والمُساءَلَةِ، يقولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: { إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ *

فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ * أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ * فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ * أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ * وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ * عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْراً مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ * كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ }

[القلم : ١٧-٣٣]

تحويل القبلة دروس وعبر

أولاً : **العناصر**:

١- فضائل شهر شعبان.

٢- تحويل القبلة – والدروس المستفادة:

أ- مكانة النبي (صلى الله عليه وسلم).

ب-الدعوة إلى وحدة الأمة.

ج-وسطية الأمة .

د -وجوب اتباع النبي (صلى الله عليه وسلم)وطاعته.

هـ- اختبار المؤمنين .

و- الرباط الوثيق بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى.

ثانياً : **الأدلة**:

الأدلة من القرآن:

١- يقول الله تعالى: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ * قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ } [البقرة: ١٤٢ – ١٤٤]

٢- ويقول تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [آل عمران: ٣١].

٣- ويقول تعالى: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَاأَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} [النساء: ٨٠].

٤- ويقول تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}
[الأنبياء: ٩٢].

الأدلة من السنة :

١- عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ (رضيَ اللهُ عنْهُ) قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْراً مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ؟ قَالَ: "ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائم" (سنن النسائي).

٢- وعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أَنَّهَا قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ لَا يُفْطِرُ وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ لَا يَصُومُ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلَّا رَمَضَانَ ، وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْهُ صِيَامًا فِي شَعْبَانَ (صحيح مسلم).

٣- وعن البراء بن عازب (رضي الله عنه) أنَّ النبيَّ (صلى الله عليه وسلم) كانَ أولَ ما قَدِمَ المدينةَ نَزَلَ على أَجْدَادِهِ – أو قال أَخْوَالِهِ- من الأنصار ، وَأَنَّه صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ستَّة عَشَرَ شَهْراً، أَوْ سَبْعَة عَشَرَ شَهْراً، وكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلاةٍ صلاها صلاةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قومٌ، فَخَرَج رجُلٌ مِمَّن صَلَّى مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ فقالَ أَشْهَدُ بِاللهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) قِبَلَ مَكَّةَ فَدَارُوا- كَمَا هُم – قِبَلَ الْبَيْتِ، وَكَانَت اليَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُم إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدسِ، وأَهْلُ الْكِتَابِ، فَلمَّا وَلَّى وجْهَهُ قِبَل الْبيْتِ أَنْكَرُوا ذَلِكَ.
(رواه البخاري).

٤- و عَنْ أَبِي ذَرٍّ (رضي الله عنه) قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ : " الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ " ، قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : "الْمَسْجِدُ الأَقْصَى"، قُلْتُ : كَمْ بَيْنَهُمَا ؟ قَالَ: "أَرْبَعُونَ سَنَةً ، وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ" (صحيح مسلم).

٥- وعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "َثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"(صحيح مسلم).

ثالثاً : **الموضوع**:

لقد فضل الله تعالى بعض الشهور على بعض، وجعل لها من المزايا ما يحث المؤمن على الحرص على استغلالها بالأعمال الصالحة ، وإن من هذه الشهور : شهر شعبان المكرم، الذي يتشعب فيه الخير وترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين.

هذا الشهر العظيم له مكانة عظيمة ، ومنزلة رفيعة عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فكان يخصه بمزيد من العبادة ، ويكثر فيه من الصيام ، فكان أكثر ما يصوم في شعبان، فعن عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أَنَّهَا قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ لَا يُفْطِرُ ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ لَا يَصُومُ ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلَّا رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْهُ صِيَامًا فِي شَعْبَانَ.

وعندما سُئل عن ذلك أخبر (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أنه شهر تُرفع فيه الأعمال إلى الله تعالى، ففي الحديث الذي رواه الإمام النسائي ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ (رضيَ اللهُ عنْهُ) قَالَ : قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْراً مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ ، قَالَ : " ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ".

وفِي شهرِ شعبانَ استجابَ اللهُ تعالَى لرغبةِ نبيِّه (صلى الله عليه وسلم) فِي تَحويلِ القبلةِ مِنَ المسجدِ الأقصَى إلَى الكعبةِ المشرفة، قبلةِ الخليلِ إبراهيمَ (عليه السلام)، وفي هذا الحدث من الدروس والعبر الكثير والكثير، والأمة الإسلامية في هذا العصر في أشد الحاجة إلى أن تأخذ منه الدروس والعبر والحلول التي تعالج مشكلاتها وتدواي جراحها..

ومن هذه الدروس : مكانة النبي (صلى الله عليه وسلم) عند ربه عز وجل :

فلقد كان المصطفى(صلى الله عليه وسلم) يتجه وهو في مكة إلى بيت المقدس جاعلا الكعبة بينه وبين بيت المقدس ، أي كان يتجه ويصلي للقبلتين معًا، وبعد أن هاجر إلى المدينة وجاء التوجيه الإلهي له أن يتوجه إلى بيت المقدس تعذَّر عليه أن يجمع بين القبلتين، فمكث النبي(صلى الله عليه وسلم) يتوجه في صلاته بأمر ربه إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا وهو في المدينة المنورة، وكان(صلى الله عليه وسلم) يحب أن يتوجه في صلاته إلى المسجد الحرام، ومع هذا التوجه كان المصطفى (صلى الله عليه وسلم) يتلهف شوقًا إلى الاتجاه إلى المسجد الحرام، وكان يرجو الله بقلبه، ويدعو بلسان حاله، موقنًا بأن ربه سيحقق رجاءه، فاستجاب الله له، وأكرمه بتحقيق ما يأمله ويرجوه ، فأمره أن يتوجه إلى الكعبة المشرفة، ونزل قوله تعالى: { قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ}[البقرة: ١٤٤]، فتحولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة وتظل كذلك إلى يوم القيامة.

وكان في هذا التعبير القرآني {فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا} ما يشير إلى أنها توافق رضا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وهي دلالة على محبة الله لرسوله (صلى الله عليه وسلم) حيث وجهه إلى القبلة التي يرضاها ، قال صاحب المنار: " أَيْ : إِنَّنَا نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ وَتَرَدُّدَهُ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ فِي السَّمَاءِ مَصْدَرِ الْوَحْيِ وَقِبْلَةِ الدُّعَاءِ ؛ انْتِظَارًا لِمَا تَرْجُوهُ مِنْ نُزُولِ الْأَمْرِ بِتَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ، فَسَّرَ بَعْضُهُمْ تَقَلُّبَ الْوَجْهِ بِالدُّعَاءِ ، وَحَقِيقَةُ الدُّعَاءِ هِيَ شُعُورُ الْقَلْبِ بِالْحَاجَةِ إِلَى عِنَايَةِ اللهِ تَعَالَى فِيمَا يَطْلُبُ، وَصِدْقُ التَّوَجُّهِ إِلَيْهِ فِيمَا يَرْغَبُ ، وَلَا يَتَوَقَّفُ عَلَى تَحْرِيكِ اللِّسَانِ بِالْأَلْفَاظِ ، فَإِنَّ اللهَ يَنْظُرُ إِلَى الْقُلُوبِ وَمَا أَسَرَّتْ ، فَإِنْ وَافَقَتْهَا الْأَلْسِنَةُ فَهِيَ تَبَعٌ لَهَا ، وَإِلَّا كَانَ الدُّعَاءُ لَغْوًا يُبْغِضُهُ اللهُ تَعَالَى، فَالدُّعَاءُ الدِّينِيُّ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِإِحْسَاسِ الدَّاعِي بِالْحَاجَةِ إِلَى عِنَايَةِ اللهِ

تَعَالَى ، وَعَنْ هَذَا الْإِحْسَاسِ يُعَبِّرُ اللِّسَانُ بِالضَّرَاعَةِ وَالِابْتِهَالِ"(تفسير المنار)، فرضا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من رضا ربه ، وطاعة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من طاعة ربه ، ولذلك قال: { فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا}وقال في آية أخري: {ولسوف يعطيك ربك فترضي}.

ومن الدروس المستفادة أيضاً: أن تحويل القبلة أمرُ الله سبحانه وتعالى يجب التسليم له، وسرعة الاستجابة لأمر الله تعالى وأمر رسوله (صلى الله عليه وسلم): فكم كان هؤلاء الصحابة (رضي الله عنهم) في قمة التشريف لهذه الدعوة؟! عندما جاءهم خبر تحويل القبلة وهم في صلاتهم ، فعن البراء بن عازب (رضي الله عنه) أَنَّ النبيَّ (صلى الله عليه وسلم) كانَ أولَ ما قَدِمَ المدينةَ نَزَلَ على أَجْدَادِهِ - أو قال أَخْوَالِهِ- من الأنصار ، وَأَنَّه صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ستَّة عَشَرَ شَهْراً، أَوْ سَبْعَة عَشَرَ شَهْراً، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلاةٍ صلاها صلاةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قومٌ، فَخَرَج رجُلٌ مِمَّن صَلَّى مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدِ وَهُمْ رَاكِعُونَ فقالَ أَشْهَدُ بِاللهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) قِبَلَ مَكَّةَ فَدَارُوا- كَمَا هُم - قِبَلَ الْبَيْتِ.

وفي حديث ابن عمر (رضي الله عنهما) : (بينما الناس في صلاة الصبح بقُباء إذ جاءهم آتٍ فقال: إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد أُنزل عليه الليلة، وقد أُمِرَ أن يَستقبل الكعبة، فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة (متفق عليه).

فما أعظم استجابة الصحابة (رضوان الله عليهم) لأمر الله ، فلم ينتظروا حتى يُتموا صلاتهم!! وإنما تحولوا في الحال وهم في هيئة الركوع من قبلة بيت المقدس إلى اتجاه البيت الحرام، حيث أراد الله لهم، وهكذا شأن المسلم الصادق يدور مع أمر الله حيث دار، وحيثما اتجه فوِجْهَتُهُ نحو الله: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ١١٥].

لقد علّمونا (رضي الله عنهم) كيف نستقبل أوامر وتعاليم الإسلام بهذه السرعة استجابة لأمر الله تعالى وأمر رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، فلنتحول

كما تحول الصحابة في حادث تحويل القبلة، نتحول بكل قوة وثقة ورشاقة إلى منهج الإسلام بكلياته وجزئياته ، كما تحول الغرُّ الميامين وهم ركوع.

ومن أهم ما يجب أن نتعلمه من هذا الحدث أيضاً : أن الابتلاء والاختبار والامتحان من سنن الله في خلقه:

فقد كان تحويل القِبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة أمرًا شاقًا على النفوس، إلا على الذين هدى الله، وذلك بتسليم الأمر لله عز وجل، فإن الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وله الحكمة التامة والحجة البالغة ، يقول تعالى: { وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ }[البقرة: ١٤٣].

وعن البراء بن عازب (رضي الله عنه) قال: (وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجال قتلوا، لم ندرِ ما نقول فيهم، فأنزل الله عز وجل: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ} أي صلاتكم ، فبين عز وجل أنه من رحمته بعباده المؤمنين لا يضيع أعمالهم، فكيف يظن الناس أن صلاتهم إلى بيت المقدس باطلة.

قال بعض أهل العلم: كان في جعْل القبلة إلى بيت المقدس ثم تحويلها إلى الكعبة حكم عظيمة واختبار للمسلمين والمنافقين والمشركين.

فأما المسلمون فقالوا: سمعنا وأطعنا{ وقالوا آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا}[آل عمران: ٧] وهم الذين هدى الله ولم تكن كبيرة عليهم ، وأما المشركون فقالوا: كما رجع إلى قبلتنا يوشك أن يرجع إلى ديننا، وأما اليهود فقالوا: خالف قِبْلة الأنبياء.

وأما المنافقون فقالوا: ما يدري محمد أين يتوجه؟! إن كانت القبلة الأولى حقًا فقد تركها، وإن كانت الثانية هي الحق فقد كان على باطل ، وكثرت أقاويل السفهاء من الناس ، وكانت كما قال الله تعالى:{وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ} [البقرة:١٤٣] .

وكانت امتحانًا من الله لعباده، ليرى مَن يتَّبعُ الرسول منهم ممن يَنْقَلِبُ على عَقِبَيه، وكثرت أقاويلُ السفهاء مِن الناس ، وأخبر ربنا سبحانه

رسوله (صلى الله عليه وسلم) بما سيقولونه عند التحويل قبل أن يتم، وهذا من الإعجاز الغيبي للقرآن الكريم ،فقال: { سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنْ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا}[البقرة: ١٤٢] ثم أنزل الله جواب السفهاء في قوله تعالى: {قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [البقرة: ١٤٢] ، أي أنّ الحكم والتصرف والأمر كله لله فحيثما وَجَّهَنا تَوَجَّهْنا، ولو وَجَّهَنا كل يوم مرات إلى جهات عديدة فنحن عبيده وفي تصرفه وخدّامه.

كان هذا التحويل اختبارًا لأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومعرفة لمدى استجابتهم وتصديقهم لأوامر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . فالمؤمنون الصادقون في إيمانهم لا يشكون في أي شيء يأمر به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فهم على يقين جازم بأن كل ما جاء به رسول الله حق لا مرية فيه لأنه نبي مرسل .

كذلك من أهم الدروس المستفادة من تحويل القبلة : وسطية الأمة :

لقد أصّل ورسّخ هذا الحدث مبدأ وسطية هذه الأمة، فقد جمعت بين قبلتين عظيمتين ، قبلة إبراهيم (عليه السلام) وأتباعه ، وقبله موسى (عليه السلام) وغيره من أنبياء بني إسرائيل، فأمة الإسلام أمة وسط، ومن ثم قال الله تعالى معللاً ذلك الحدث: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً}[البقرة: ١٤٣].

فهي وسطية شاملة جامعة: وسطية في الاعتقاد والتصور، ووسطية في الشعائر والتعبد، ووسطية في الأخلاق والسلوك، ووسطية في النظم والتشريع، ووسطية في الأفكار والمشاعر ، مجانبة للغلو والتقصير ، فوسطية الأمة الإسلامية وسطية شاملة.

وحري بالمسلمين أن يعودوا إلى وسطيتهم التي شرفهم الله بها، وحري بمن كفّروا المسلمين وفسّقوا المصلحين أن ينهلوا من وسطية الإسلام.

ومن أهم ما أثمرته هذه الليلة المباركة : وحدة الأمة.

حيث كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومعه المسلمون يستقبلون بيت المقدس بأمر من الله ليؤكد للعالمين أن دعوة رسول الله (صلى الله

عليه وسلم) ليست بدعًا من الرسل، إنما جاءت تأييدًا وتأكيدًا وتتميمًا للرسالات السابقة.

وهكذا وحّد الله هذه الأمة، وحّدها في إلهها ورسولها ودينها وقبلتها، وحدها على اختلاف المواطن والأجناس والألوان واللغات، ولم يجعل وحدتها تقوم على شيء من ذلك، ولكن تقوم على عقيدتها وقبلتها، ولو تفرقت في مواطنها وأجناسها وألوانها ولغاتها، إنها الوحدة التي تليق ببني الإنسان، وصدق الله العظيم حيث قال: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٩٢].

كان تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام درسًا كبيرًا في الوحدة، فالله تعالى أمرنا أن نكون متحدين متحابين ، فربنا واحد، وكتابنا واحد، ورسولنا واحد، وقبلتنا واحدة، فلماذا لا نكون على قلب رجل واحد؟! فجدير بأمتنا الإسلامية التي لها رب واحد، ورسول واحد ، وكتاب واحد هو القرآن الكريم، وقبلة واحدة ، أن تكون على قلب رجل واحد ، وصدق الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث قال : "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"(صحيح مسلم). فيجب أن تكون وحدتنا في الله ولله تحت راية واحدة وهدف واحد ووسيلة واحدة ومنطلق واحد، ونظام واحد .

فالمسلمون مهما تباعدت أقطارهم ودولهم واختلفت أجناسهم وألوانهم يتجهون إلى قبلة واحدة، فتتوحد عواطفهم ومشاعرهم، ويستشعرون الانتماء الروحي والديني والعاطفي في اتجاههم إلى أقدس بقعة وأشرف مكان اختاره رب العزة سبحانه بيتًا له، وأمر بإقامته والطواف حوله والاتجاه إليه في كل صلاة.

إن الأمة الإسلامية أحوج ما تكون إلى وحدة الصف في ظل الظروف القاسية التي يمر بها العالم اليوم، حيث لا مكان فيه للضعفاء ولا للمتفرقين.

ومن أهم الدروس المستفادة من تحويل القبلة: الرباط الوثيق بين المسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد الأقصى بالقدس، وإظهار العلاقة القوية بينهما، حيث جعلهما الله سبحانه وتعالى شقيقين، فالمسجد الحرام هو

أول مسجد وضع لعبادة الله، والمسجد الأقصى هو ثاني المساجد، كما ورد في الحديث الشريف عن الصحابي الجليل أَبِى ذَرٍّ (رضي الله عنه) قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَىُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِى الأَرْضِ أَوَّلُ ؟ قَالَ : "الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ"، قُلْتُ : ثُمَّ أَىٌّ ؟ قَالَ :" الْمَسْجِدُ الأَقْصَى"، قُلْتُ : كَمْ بَيْنَهُمَا ؟ قَالَ: "أَرْبَعُونَ سَنَةً ، وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ".

إن من أهم ما ينبغي على المسلم معرفته: مكانة المسجد الأقصى في كيان هذه الأمة، إذ إنه مَسرى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومعراجه إلى السماوات العلى، وكان القبلة الأولى التي صلى إليها المسلمون، ولا تشد الرِّحال بعد المسجدين إلا إليه، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ (صلى الله عليه وسلم) وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَى"(متفق عليه)، وفي ذلك توجيه للمسلمين بأن يعرفوا منزلته، ويستشعروا مسئوليتهم نحوه.

لقد ربط الله تعالى بين المسجدين - المسجد الحرام والمسجد الأقصى- ليشعر المسلم أن لكلا المسجدين قدسيته، فهذا ابتدأ الإسراء منه وهذا انتهى الإسراء إليه، قال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}[الإسراء : ١].

وكأن هذا يوحي أن لا يفصل المسلم بين هذين المسجدين ، فمن فرَّط في المسجد الأقصى يوشك أن يفرِّط في المسجد الحرام ، ومن هنا فصيانة واحد منهما صيانة للآخر، والتفريط في واحد منهما تفريط في الآخر، كما أنه يجب حمايتهما معًا وصيانتهما معًا، فإذا كان الله قد ربط بين المسجدين، فمن باب أولى أن يكون الربط بين عمار هذين المسجدين.

ولن تستطيع الأمة أن تحافظ على مقدساتها إلا بالاعتماد على الله عز وجل وتقواه أولاً ثم بوحدة صفها، ثم بالعمل والإنتاج حتى تمتلك قوتها وغذاءها وكساءها ودواءها وسلاحها فتمتلك كلمتها وحريتها وإرادتها.

قيمة الوقت

أولاً : العناصر:

١- قيمة الوقت في الإسلام.

٢- أهمية الوقت في حياة المسلم.

٣- الحث على اغتنام الوقت واستثماره.

٤- أثر تنظيم الوقت في حياة الفرد والمجتمع.

ثانيا : الأدلة:

الأدلة من القرآن:

١- يقول تعالى: {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}

[العصر: ١ – ٣].

٢- ويقول تعالى: {وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ} [الفجر: ١ – ٥]، ويقول : {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى} [الليل: ١ – ٤]، ويقول: {وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}.[الضحى: ١ – ٣].

٣- ويقول الله تعالى : {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا}

[الإسراء: ١٢].

٤- ويقول تعالى: {وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [القصص: ٧٣].

٥- ويقول تعالى: {وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ *

لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [يس: ٣٧ – ٤٠].

٦- ويقول تعالى: {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا}

[الإسراء: ٧٨، ٧٩].

٧- و يقول تعالى: {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى}

[القيامة : ٣٦].

الأدلة من السنة والآثار:

١- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) : "نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ"

(صحيح البخاري).

٢- و عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): "لَا تَزُولُ قَدِمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَنْ عُمُرُهِ فِيمَا أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ عِلمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ"؟

(المعجم الكبير للطبراني).

٣- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ : "اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ : شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ"(المستدرك للحاكم).

٤- و عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِى بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَىُّ النَّاسِ خَيْرٌ ؟ قَالَ: "مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ ". قَالَ فَأَىُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قَالَ: "مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ"

(سنن الترمذي).

٥- وعَنْ صَخْرٍ الْغَامِدِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : "اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا"(سنن أبي داود).

٦- وعن الْحَسَن الْبَصْرِيّ (رحمه الله): طَلَبْتُ خُطَبَ النَّبِيِّ فِي الْجُمُعَةِ فَأَعْيَتْنِي فَلَزِمْتُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: كَانَ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ: " إِنَّ الْمُؤْمِنَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ بَيْنَ أَجَلٍ قَدْ مَضَى لَا يَدْرِي كَيْفَ صَنَعَ اللهُ فِيهِ، وَبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي كَيْفَ اللهُ بِصَانِعٍ فِيهِ، فَلْيَتَزَوَّدِ الْمَرْءُ لِنَفْسِهِ، وَمِنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ، وَمِنَ الشَّبَابِ قَبْلَ الْهَرَمِ، وَمِنَ الصِّحَّةِ قَبْلَ السَّقَمِ، فَإِنَّكُمْ خُلِقْتُمْ لِلْآخِرَةِ وَالدُّنْيَا خُلِقَتْ لَكُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ وَمَا بَعْدَ الدُّنْيَا دَارٌ إِلَّا الْجَنَّةُ وَالنَّارُ" (شعب الإيمان).

٧- ومن كلمات الحسن البصرى: ما من يوم ينشق فجره إلا نادى مناد من قبل الحق: يا ابن آدم ، أنا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد ، فتزود منى بعمل صالح فإني لا أعود إلى يوم القيامة)
(ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض).

ثالثاً : **الموضوع**:

إن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق بقدرته ، ورباهم بحكمته، وأنعم عليهم بنعم كثيرة وعظيمة لا تعد ولا تحصى، فقال تعالى:{ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}[النحل:١٨] ، ومن تلك النعم التي يتقلب فيها الإنسان صباح مساء: نعمة الوقت ، التي غفل عنها الكثيرون، يقول سبحانه وتعالى – مذكرًا بهذه النعمة- : {وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ }[إبراهيم: ٣٣-٣٤] ، ويقول تعالى في سورة أخرى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا}[الإسراء: ١٢].

فالوقت الذي يعيشه الإنسان مِنْ جُملةِ النِّعَمِ، بَلْ هُوَ مِنْ أَجَلِّهَا وأَشْرَفِهَا ، لأنه أغلى ما يملكه الإنسان في هذه الحياة ، فعلى العاقل أن يستقبل

أيامه استقبال الضنين للثروة الرائعة؟ لا يفرط فى قليلها ولا كثيرها، يقول الشاعر :

فَالوَقْتُ أَعْظَمُ مَا عُنِيتَ بِحِفْظِهِ   وَأَرَاهُ أَسْهَلَ مَا عَلَيْكَ يَضِيعُ

ويقول الإمام الحسن البصري رحمه الله : يا ابن آدم، إنما أنت أيام، كلما ذهب يومٌ ذهب بعضك.

ولقد عني الإسلام بالوقت عناية بالغة، وحرص على بيان عظمته وأهميته ، وحث على شغله بالطاعات والقربات، وحذر أشد التحذير من التفريط فيه، وأنذر المفرطين في أوقاتهم من الحسرة والندامة على ذلك التفريط يوم القيامة، حيث يقول قائلهم حينئذٍ: {يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} [الفجر: ٢٤] ، وحيث يقولون في حسرة وندامة أيضًا: { رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ}[إبراهيم: ٤٤].

ولعظيمِ شرَفِ الوقتِ وأهميتِهِ أقسَمَ اللهُ تعالَى بهِ ، فِي أكثرَ مِنْ موضعٍ فِي كتابِهِ الكريمِ، فيقسم بالفجر في قوله تعالَى: {وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ } [الفجر:١-٢]، ويقسِم بالليل والنهار في قوله تعالى: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى} [الليل: ١، ٢] ، ويقسم بالضحى في قوله تعالى: {وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى}[الضحى: ١، ٢] ، ويقسم بالعصر في قوله تعالى: { وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ }[العصر:١، ٢]... إلى غير ذلك من الآيات.

وإذا أقسم الله تعالى بشيء من خلقه فإنه بذلك يلفت أنظارنا إليه ، وينبهنا إلي جليل منفعته وعظيم آثاره ، و الحضِّ على الاستفادة منه، فالعظيم لا يقسم إلا بشيء عظيم ، وقَسَمُهُ سبحانه بأوقاتٍ كثيرةٍ، وأجزاء من الزمن كالفجرِ ، والصبحِ ، والضحَى ، والعصر ، والليلِ وغير ذلك، إنما كان لفتًا للأنظار نحوَها لعظيم دلالتها عليه، ولجليل ما اشتملت عليه من منافع وآثار.

فعلى المسلم أن يعي هذه الحقيقة ويسير على هداها، يقول تعالى: {إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ}[يونس:٦].

كذلك حظي الوقت بنصيبٍ وافرٍ من العناية في السنة النبوية المطهرة ، حيث بين النبي (صلى الله عليه وسلم) قيمة الوقت وأهميته، فيما

ورد في كثير من الأحاديث، مشيرًا إلى أن المؤمن بين مخافتين ، بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه، فعن الْحَسَن الْبَصْرِيّ ، قال: طَلَبْتُ خُطَبَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فِي الْجُمُعَةِ فَأَعْيَتْنِي فَلَزِمْتُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: كَانَ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ: " إِنَّ الْمُؤْمِنَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ بَيْنَ أَجَلٍ قَدْ مَضَى لَا يَدْرِي كَيْفَ صَنَعَ اللهُ فِيهِ، وَبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي كَيْفَ اللهُ بِصَانِعٍ فِيهِ، فَلْيَتَزَوَّدِ الْمَرْءُ لِنَفْسِهِ، وَمِنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ، وَمِنَ الشَّبَابِ قَبْلَ الْهَرَمِ، وَمِنَ الصِّحَّةِ قَبْلَ السَّقَمِ، فَإِنَّكُمْ خُلِقْتُمْ لِلْآخِرَةِ وَالدُّنْيَا خُلِقَتْ لَكُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ وَمَا بَعْدَ الدُّنْيَا دَارٌ إِلَّا الْجَنَّةُ وَالنَّارُ".

كما أن النبي (صلى الله عليه وسلم) جعل الوقت من النعم العظيمة التي أنعم الله بها على الإنسان، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أهميته، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): " نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ ".

ثم يؤكّد النَّبِيّ (صلى الله عليه وسلم) على أهمية الزمن و قيمته ، فيقرّر مسؤولية الإنسان عنه أمام الله تعالى يوم القيامة ، فعن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : " لَا تَزُولُ قَدمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ؟ "

(المعجم الكبير للطبراني).

وهكذا : يسأل الإنسان عن عمره عامّة، وعن شبابه خاصّة ، فالشباب جزء من العمر، لكن له قيمة متميّزة باعتباره سنّ الحيوية الدافقة، ومرحلة القوة بين ضعفين: ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة ، قال تعالى:{ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً }[الروم:٥٤].

كل ذلك يذكّر الإنسان بقيمة الوقت ، ويوقظ فيه الإحساس بأهمية الزمن ، فإن هذا الزمن إذا مضى لا يعود، وسرعان ما يمضي وينقضي ، وهذا

ما عبر عنه الحسن البصري – رحمه الله – بقوله البليغ: "ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي: يا ابن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزوّد مني بعمل صالح فإني لا أعود إلى يوم القيامة"، فإذا كان مرور يوم له هذه الأهمية فكيف بمرور عام؟!

ولو تدبر الإنسان لوجد أن عمره محدود جدًا ، كما بين النبي (صلى الله عليه وسلم) {أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ }(سنن ابن ماجه) ، وستون سنة – في الحقيقة– لا تكاد تعد شيئًا مذكورًا لو تأمل العبد وتفطن، وكثير من الناس لا يشعر بقيمة هذا الزمن ولا بأهميته وكأن أمرًا ما كان! ولو دقق وحسب لوجد أن العمر ضيق وقصير.

إن للوقت أهميةً عظيمة في حياة المسلم ، بل هو الحياةُ كلها ، هذا الوقت إما أن يكون الإنسان فيه خاسرًا ، وإمّا أن يكون فائزًا، وذلك بحسب استغلاله لعمره ، لأن العمر الذي يعيشه الإنسان هو المزرعة التي يجني ثمارها في الدار الآخرة ، فإن زرعه بخير وعملٍ صالح كان من الذين يُنادى عليهم في الدار الآخرة : {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ }
[الحاقة: ٢٤].

أما من زرعه بالمعاصي والمخالفات، وجهل قيمة الوقت وضيعّه في حياته، فسيأتي عليه يومٌ يعرف فيه قدره وقيمة العمل فيه، وساعتها يندم يوم لا ينفعه الندم.

وقد جعل الحق سبحانه التعمير وطول العمر موجبًا للتذكر والاستبصار، وجعل العمر الذي يحياه الإنسان حجة عليه. قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: أي أوَ ما عشتم في الدنيا أعماراً لو كنتم ممن ينتفع بالحق لانتفعتم به في مدة عمركم؟!

لذلك فإن من التوفيق والسعادةِ أن يدرك الإنسان قيمة وقته وعمره ، وأن يصرفَ هذا الوقت في العمل الصالح والدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتعلّم العلم النافع والذكر وقراءة القرآن ، وفي كل أمرٍ يعود عليه وعلى مجتمعه بالنفع، فمن فَعَلَ ذلك أدرك قيمةَ وجودهِ في الحياة.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: وقتُ الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو يمرُّ مَرَّ السحاب، فما كان من وقته لله وبالله فهو حياتُهُ وعُمُرُه، وغيُر ذلك ليس محسوبًا من حياته وإن عاش فيه عَيشَ البهائم.

فالزمن نعمة عظمى ومنحة كبرى، يجِبُ اغتنامُها فِي كُلِّ مراحلِ العُمرِ ، حتى لا يكونَ حُجةً على الإنسانِ إذَا ضَيَّعَهُ وتفلَّتَ مِنْ بيْنِ يدَيْهِ دونَ أَنْ يرتَقِيَ فيهِ إِلَى أحسَنِ حالٍ، لهذا كان واجبًا على كل مسلم تجاهَ وقتِهِ أنْ يحافظَ عليهِ محافظة شديدة ، وأنْ يحرصَ علَى اغتنامه والاستفادةِ منْهُ فيمَا ينفعُهُ فِي دنياه وأخراه ، كما حثنا على ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فعَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ (رضي الله عنه) أَنّ النَّبِيّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ : " اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ : شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ".

ومن محافظة الإسلام على الوقت حثه على التبكير ، ورغبته في أن يبدأ المسلم أعمال يومه نشيطًا طيب النفس، مكتمل العزم ، فإن الحرص على الانتفاع من أول اليوم يستتبع الرغبة القوية في ألا يضيع سائر اليوم سدى، ففي الحديث يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): " اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا"، ولو بدأت أمتنا يومها كما حث النبي (صلى الله عليه وسلم) لوجدت في ذلك البركة والخير الكثير وتوفير النفقات الباهظة في استهلاك الطاقة والكهرباء.

وَلقد ترَبَّى أصحابُ النبي (صلى الله عليه وسلم) علَى ذلكَ ، فاغتنَموا الوقتَ وأحسنُوا استثمارَهُ ، فكانُوا هداةً للبشريةِ ، أضاءُوا مشاعلَ النورِ فِي بِقاعِ الأرضِ بِمَا قدَّمُوهُ مِنْ عملٍ صالِحٍ ، وعلمٍ نافعٍ ، ولَمْ يُضيِّعُوا وقتًا فِيمَا لاَ ينفعُ ، لأنَّهُ مِنَ الغبْنِ الذِي حذَّرَهُمْ منْهُ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) بقولِهِ: "نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ ". أَيْ أَنَّ الصِّحَّةَ وَالْفَرَاغَ نِعْمَتَانِ يغفل عنهما كثير من الناس ويجهلون قدرهما، ولا يقومون بحق شكرهما ، فإذَا لَمْ يستعْمِلْهُمَا الإِنسانُ فِيمَا يُفيدُ فهَوُ خَاسِرٌ.

كانوا أحرص الناس على أوقاتهم لمعرفتهم بأهميتها، ولعلمهم بأنهم مسئولون عنها أمام الله عز وجل ، قالَ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ: (مَا نَدِمْتُ علَى شيْءٍ ندَمِي علَى يومٍ غربَتْ شَمْسُهُ؛ نقصَ فيهِ أجلِي، ولَمْ يَزِدْ فيهِ عمَلِي).

لقد بلغت عناية أسلافنا بالوقت أن ألفوا كتبًا فى عمل اليوم والليلة ليعرف المسلم كيف يقضي وقته وساعات حياته فيما ينفعه ويرضي ربه عز وجل، ومن نماذج سير سلفنا الصالح فى استثمار الوقت والحرص عليه الإمام القاضي أبو يوسف تلميذ الإمام أبي حنيفة، أخذ يبحث في مسألة فقهية، وهو في اللحظات الأخيرة من حياته، فيقول تلميذه القاضي إبراهيم بن الجراح: مرض أبو يوسف فأتيته أعوده فوجدته مغشيًا عليه، فلما أفاق قال لي: يا إبراهيم ما تقول في مسألة كذا؟ قلت في مثل هذه الحال؟! قال : لا بأس بذلك، ندرس لعله ينجو بها ناجٍ. و نجد أيضًا الإمام المحدث محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة أنه كان لا ينام الليل إلا قليلاً، و كان يزيل نومه بالماء من أجل القراءة والدراسة.

هكذا كان حرصهم الشديد على أوقاتهم، كانوا يعلمون أن هذا الوقت غنيمة وأنه فرصة يجب أن تستغل وأن تغتنم لعبادة الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ولهذا ما كان يفوت أحدهم شيئًا من وقته، وليس كما يفعل الكثيرون الآن من إضاعة للوقت والعمر في غير طاعة الله ، بل في أعمالٍ تُسخط الله ورسوله، وتُلحق الضرر بالمؤمنين، لا يبالون بإضاعة أوقاتهم سُدى، ولو سألتهم عن حالهم قالوا: نريد أن نقتل الوقت بشيء من التسلية، وما درى هؤلاء أن من قتل وقته فقد قتل في الحقيقة نفسه، ولكن الكثير في غفلة ، يؤكد ذلك الحكمة الغالية: "الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك "، فهل يدرك هذا كثير من الشباب الذين يقتلون أوقاتهم ويضيعونها أمام الشاشات مع مواقع التواصل على الشبكة الدولية؟! لقد أصبحت هذه المواقع في كثير من الأحيان مواقع تقاطع لا تواصل، فالمستخدمون لها قد يتواصلون مع الغرباء، وينقطعون عن التواصل مع الأقارب، والتواصل مع الأهل والأولاد، إذ إنهم يقضون معظم الوقت أمام الأجهزة الإلكترونية، فهو موجود بجسده مع أهله، ولكن عقله وتفكيره مع غيرهم، أيظن من يفعلون ذلك أن محياهم فى هذا الوجود

سدى؟! قال تعالى : {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى}[القيامة : ٣٦]، هل غاب عن هؤلاء أنهم مسئولون عن كل ساعة بل كل دقيقة تضيع من أعمارهم؟! إن قتل الوقت على هذا النحو إهلاك للفرد، وإضاعة للجماعة، فالعاقل هو الذي يدرك أن الزمن أنفاس تتردد ، وأن الدقائق التي تمرُّ عليه تنقص من حياته ، ورَحِمَ اللهُ شوقي إذ يقول:

دَقَّاتُ قَلْبِ الْمَرْءِ قائلةٌ لهُ إنَّ الحياةَ دقائقٌ وثوانِي

وقال آخر :

وَمَا الْمَرْءُ إِلاَّ رَاكِبٌ ظَهْرَ عُمرِه عَلَى سَفَرٍ يُفْنِيهِ بِاليَوْمِ وَالشَّهْرِ

يَبِيتُ وَيُضْحِي كَل يَومٍ وَلَيْلَةٍ بَعِيدًا عَنْ الدُّنْيَا قَرَيْبًا إِلَى القَبْرِ

ومن ثمَّ فإنه ينبغي على العاقل أن يغتنم وقته، وأن يحرص على الاستفادة الكاملة منه فيما ينفعه في دينه وفي دنياه ، وفيما يعود على الأمة بالخير والسعادة والنماء ، حتَّى تتحقَّقَ لهُ السعادةُ فِي الدُّنيا والفوزُ فِي الآخرةِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ (رضيَ اللهُ عنهُ) أَنَّ رَجُلاً قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ ؟ قال (صلى الله عليه وسلم):"مَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ ".

ويعمل جاهدًا على الانتفاع بوقته واستثماره الاستثمار الأمثل؛ فإن الوقت سريع الانقضاء، وما مضى منه فإنه لا يعود أبدًا. وما أحسن ما قاله الحسن البصري: أدركت أقواما كانوا على أوقاتهم أشدّ منكم حرصا على دراهمكم ودنانيركم.

ولما كان الوقت هو الحياة فتنظيم الوقت يعني تنظيم الحياة، ولهذا الأمر أهميته البالغة، لأن تنظيم الوقت من أهم الوسائل التي تمكن الإنسان من تحقيق أهدافه التي رسمها لنفسه، فيتقن عمله، ويسعى جاهدًا إلى إنجاز ه بأحسن صورة، فيندفع نحو التطوير والرقي بنفسه وبمجتمعه ، فما فاز فرد على غيره إلاّ بإدراكه لقيمة الوقت ومبادرته للاستفادة منه بكل ما يستطيع.

و من ثمَّ فإن عدم تنظيم الوقت أو إساءة استغلاله يخلق الكثير من المشكلات، مما يتسبب في تأخر المجتمعات، فإن تقدم الأمم وازدهار حضارتها ونهضتها لا يكون إلا بحسن استثمارها للوقت و إدارتها له.

وانطلاقًا من قول الله تعالى: {...وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ}[إبراهيم: ٥] فإن المناسبات السنوية - كهذا الشهر الكريم شهر شعبان - تأتي لتذكرنا بمرور الزمن، فيتذكر الإنسان أن عامًا قد مرّ من حياته ليقف مع نفسه وقفة حساب، ليُقَوِّمَ ما اعوجّ ويُصلح ما فسد ويستقيم على طريق الله عز وجل قبل فوات الأوان، فمنذ هذا الوقت من العام الماضي مر بك عام كامل من عمرك فلتحاسب نفسك هل كان هذا العام في كفة حسناتك أم كان شيئًا آخر؟! وهل تضمن بقاءك لتدرك عامًا آخر لتستدرك ما فاتك؟! عليك أن تتبصر الطريق وتتخذ من هذه الأيام الطيبة المباركة فرصة لتُقَوِّمَ مسارك نحو آخرتك، وتعتبر بمرور الأيام وتَقَلُّبِ الليل والنهار، يقول الله تعالى: {يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ} [النور: ٤٤]

كيف نستقبل شهر رمضان؟

أولاً : **العناصر**:

١- رمضان منحة ربانية للأمة الإسلامية.

٢- رمضان مدرسة للأمة.

٣- استعداد الصحابة والسلف الصالح لرمضان.

٤- التوبة النصوح.

٥- تطهير النفس من موانع الرحمة والمغفرة.

٦- رمضان شهر عمل لا كسل.

٧- منهج الإسلام في ترشيد الاستهلاك .

ثانياً : **الأدلة**:

الأدلة من القرآن الكريم:

١- يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: ١٨٣ – ١٨٦].

٢- ويقول تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: ١٣٣].

٣- ويقول تعالى: {...وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: ٣١].

٤- ويقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التحريم: ٨].

٥- و يقول تعالى: { وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } [الأعراف : ٣١] .

٦- ويقول الحق سبحانه وتعالى: { وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا }الإسراء[٢٦، ٢٧].

الأدلة من السنة والآثار:

١- عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ "إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ"(متفق عليه).

٢- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "الصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ إِلَى الصَّلَاةِ الَّتِي بَعْدَهَا، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا "، قَالَ: " وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَالشَّهْرُ إِلَى الشَّهْرِ" - يَعْنِي رَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ - "كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا " قَالَ: ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: " إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ" - قَالَ: فَعَرَفْتُ أَنَّ ذَلِكَ لِأَمْرٍ حَدَثَ -: "إِلَّا مِنَ الْإِشْرَاكِ بِاللهِ، وَنَكْثِ الصَّفْقَةِ، وَتَرْكِ السُّنَّةِ " قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمَّا الْإِشْرَاكُ بِاللهِ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا نَكْثُ الصَّفْقَةِ ؟ قَالَ: " فَأَنْ تُبَايِعَ رَجُلًا ثُمَّ تُخَالِفَ إِلَيْهِ تُقَاتِلَهُ بِسَيْفِكَ، وَأَمَّا تَرْكُ السُّنَّةِ فَالْخُرُوجُ مِنَ الْجَمَاعَةِ"(مسند أحمد).

٣- و عَنْ كَعْبِ بن عُجْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) خَرَجَ يَوْمًا إِلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ حِينَ ارْتَقَى دَرَجَةً: آمِينَ، ثُمَّ ارْتَقَى الأُخْرَى فَقَالَ: آمِينَ، ثُمَّ ارْتَقَى الثَّالِثَةَ فَقَالَ: آمِينَ، فَلَمَّا نَزَلَ عَنِ الْمِنْبَرِ وَفَرَغَ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ سَمِعْنَا مِنْكَ كَلامًا الْيَوْمَ مَا كُنَّا نَسْمَعُهُ قَبْلَ الْيَوْمِ؟ قَالَ:"وَسَمِعْتُمُوهُ؟" قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ:"إِنَّ جِبْرِيلَ

(عَلَيْهِ السَّلامَ) عَرَضَ لِي حِينَ ارْتَقَيْتُ دَرَجَةً، فَقَالَ: بَعُدَ، مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَوْ أَحَدَهُمَا لَمْ يُدْخِلاهُ الْجَنَّةَ، قَالَ: قُلْتُ: آمِينَ، وَقَالَ: بَعُدَ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، ثُمَّ قَالَ: بَعُدَ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ، فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَقُلْتُ: آمِينَ"

(المعجم الكبير للطبراني).

٤- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"[متفق عليه]، وعَنْه (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ :"مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"(متفق عليه).

٥- وعَنْ عبدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) عن النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ:"لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلاً وَبِهِ مَهْلَكَةٌ وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ حَتَّى اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ وَالْعَطَشُ، أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي، فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً ثمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ"

(صحيح البخاري).

٦- وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أنه قَالَ: "أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْب ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ قَالَ عَبْدُ الْأَعْلَى لَا أَدْرِي أَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ اعْمَلْ مَا شِئْتَ"(متفق عليه).

٧- وقال ابنُ رجب رحمه الله : ولقد كان السلفُ رحمهم الله يَدْعُون الله ستةَ أشهرٍ أنْ يُبلِّغهم شهرَ رمضان، ثم يَدْعُون الله ستةَ أشهرٍ أنْ يَتقبَّله منهم (لطائف المعارف).

ثالثاً : **الموضوع** :

يوشك أن يدخل علينا هذا الضيف العزيز الذي يزورنا كل عام مرة ألا وهو شهر رمضان المبارك، شهر تتطلع إليه قلوب المؤمنين، وتتشوف لبلوغه أفئدة المتقين، نهارُهُ مصونٌ بالصيام ، وليلُهُ معمورٌ بالقيام ، تهبُّ فيه رياحُ الأنس بالله، وتجود الأنفسُ بما عندها نحو الله عز وجل، إنه منحة ربانية لهذه الأمة، فهو شهرٌ عظَّمه اللهُ وكرَّمه ، وأَعْظمَ الثواب لصُوَّامه وقوَّامه، مَنَحَهُمْ من الأجورِ ما ليس لغيرِهِ من الشُّهُور، فجعل أجرَ صائميه لا الحسنة بعشرٍ ولا بسبعِمائة، بل أَوْكلَ الأمر إلى نفسه، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ وَأَبِى سَعِيدٍ (رضى الله عنهما) قَالاَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: إِنَّ الصَّوْمَ لِى وَأَنَا أَجْزِى بِهِ إِنَّ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَيْنِ إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِىَ اللَّهَ فَرِحَ. وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ"(صحيح مسلم).

وشهر رمضان بمثابة سوق يُتيحُه الله عز وجعل لعباده كل عام مرة ليتاجروا فيه مع ربهم التجارة الرابحة، تضاعف فيه الحسنات، وتزداد فيه أسباب المغفرة، والجنة تتزين وتتهيأ لاستقبال الصائمين القائمين، تُفتَّح أبوابها ، والنار تغلق أبوابها، وتُسلسل الشياطين، ويتسابق العباد إلى الخيرات.

إن بلوغ شهر رمضان وصيامه وقيامه نعمة عظيمة ومِنّة جليلة، فكان الصحابة والتابعون (رضي الله عنهم) يستعدون لرمضان، ويتهيأون لاغتنام الفرصة ،كما نقل ابنُ رجب(رحمه الله): كانوا يدعون الله تعالى ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم، وقال يحيى بن أبي كثير كان من دعائهم: اللهم سلمني إلى رمضان وسلم لي رمضان وتسلمه مني متقبلا، فكانوا طوال العام في رحاب رمضان، يستقبلونه بالدعاء والعبادة،ويودعونه بالقرآن وبالعبادة.

إن شهر رمضان مدرسة تتربى فيها الأمة الإسلامية، تتعلم الصبر وتتلقن دروسًا في تقوية الإرادة، فيجد المسلمون في نهاره ثمرة الصبر والانتصار على الشهوات، ويجدون في ليله لذة المناجاة والوقوف بين يدي ربهم، وتتجسد فيه ملامح التلاحم بين المسلمين عامتهم وخاصتهم، علمائهم وعامّتهم كبيرهم

وصغيرهم، ليكون الجميع يدًا واحدةً، وبناءً متكاملاً، لدفع تيارات الفتن، وأمواج المحن.

فكيف نستقبل هذا الضيف الكريم؟ وكيف نستعد لاغتنام هذه الفرصة العظيمة؟

إن الذي يريد أن يزرع أرضًا لابد أن يعدها ويجهزها للزراعة، أو كما يقول العلماء العاملون: التخلية قبل التحلية ،هكذا ينبغي على كل مسلم أن يعد نفسه ويجهزها ويؤهلها لاستقبال النفحات والرحمات والخيرات، وأول شئ نستقبل به الشهر الكريم : التوبة النصوح ،ألا فلنستقبل هذا الشهر الكريم بتوبة نصوح تغسل ذنوبنا، وتطهر قلوبنا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التحريم: ٨]، ولا يقبل الله إلا التوبة النصوح، فما هي ؟ إنها التوبة الخالصة الصادقة الجازمة التي تمحو ما قبلها من السيئات وتلم شعث التائب وتجمعه، وتكفه عما كان يتعاطاه من الدناءات، يقول ابن كثير : ولهذا قال العلماء: التوبة النصوح هي أن يُقلعَ عن الذنب في الحاضر، ويندمَ على ما سلف منه في الماضي، ويعزِم على ألا يفعل في المستقبل، ثم إن كان الحق لآدمي ردّه إليه .

كما أن الواجب على من يستقبل رمضان بتوبة نصوح أن يقلع عن الذنب : أما المستغفر وهو لا يزال يعصي الله تعالى فهو كالمستهزئ بالله والعياذ بالله، إذ التائب لابد أن يعيش حالة التوبة فيشعر بالندم لأن الندم على فعل المعصية أساس التوبة فيحترق القلب ندمًا على ما فعله وأغضب به ربه وبَعُدَ عنه بسببه ، أما أن يتوب وحلاوة المعصية في نفسه فهذه لا تقبل أبدًا فلابد من ندم القلب حتى تقبل التوبة.

أما عزيمته ألا يعود إلى المعصية فهنا أمر لابد أن نلتفت إليه : إن كثيرًا من الناس سمعوا الأحاديث التي ترغب في التوبة فاغتروا وهانت عليهم المعاصي ، كحديث :"وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ

بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ" (صحيح مسلم) ، كيف نجمع بين هذا الحديث الشريف وبين اشتراط أن يعاهد التائب ربه ألا يعود إلى المعصية؟ بل أكثر من هذا حديث الصحيحين: عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أنه قَالَ: "أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ قَالَ عَبْدُ الْأَعْلَى لَا أَدْرِي أَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ اعْمَلْ مَا شِئْتَ"، هل يعني هذا أن الله تعالى يفتح لنا أبواب المعاصي ؟ كلا كلا، إن التوبة المقبولة هي التي يقف صاحبها ساعة التوبة نادمًا عازمًا بصدق بينه وبين الله تعالى ألا يعصي الله تعالى أبداً – لابد من هذا وإلا لا تقبل التوبة؛ ثم ماذا يصنع العبد حين تضعف نفسه مرة أخرى وتغلبه على المعصية بعد أن عاهد الله ألا يفعلها ؟ هل ييأس من مغفرة الله تعالى له ؟ بل لابد أن يستأنف التوبة النصوح الصادقة التي يعاهد الله فيها مرة أخرى ألا يعصي ، ثم إن عاد إلى المعصية يعود إلى التوبة حتى يتغلب على الشيطان في هذه الحرب الدائرة بينه وبينه ، فالمطلوب أن يكون الإنسان ساعة التوبة عازمًا على ترك المعصية وعدم الرجوع إليها.

ولقد وصل الحال بالكثيرين أن يأمنوا عذاب الله تعالى لا يخافون من المعاصي ولا ينزجرون ؟ ما هكذا كان الصحابة والتابعون ومن بعدهم من الصالحين : قال عمرو بن العاص (رضي الله عنه) عند موته : اللهم أمرتنا فعصينا، و نهيتنا فركبنا، و لا يسعنا إلا عفوك، لا إله إلا الله، ثم رددها حتى مات، و قال عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) عند موته : أجلسوني، فأجلسوه فقال : أنا الذي أمرتني فقصرت و نهيتني فعصيت، و لكن لا إله إلا الله، ثم رفع رأسه فأحدّ النظر، فقالوا : إنك تنظر نظرًا شديدًا يا أمير المؤمنين، فقال : أتاني حضرة ما هم بإنس و لا جن، ثم قُبض (رحمه الله) وسمعوا تاليًا يتلو: {تِلْكَ

الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [القصص: ٨٣].

فلنتب إلى الله تعالى في هذه الأيام المباركة توبة خالصة صادقة نصوحًا تغسلنا من الذنوب، وتطهر قلوبنا وتؤهلنا لاستقبال كل خير من ربنا سبحانه وتعالى في أيام الطاعات والنفحات .

فأهم ما ينبغي أن يُعنى به المؤمن الآن في استقبال رمضان تأهيل نفسه وقلبه لاستقبال النفحات الربانية في هذه الأيام الطيبة المباركة، وأهم ما في ذلك أن يزيل كل واحد منا موانع الرحمة والمغفرة، فهناك موانع تحجب الرحمة والمغفرة والنفحات الربانية، فلابد من تطهير النفس من هذه الموانع الآن قبل فوات الأوان، ولقد كان أحد المشايخ مع أناس يقيمون ليلة السابع والعشرين من رمضان في مسجد من المساجد فذكر لهم ما نقله ابن رجب (رحمه الله): "..... و قد جاء في حديث ابن عباس مرفوعا : إن الله ينظر ليلة القدر إلى المؤمنين من أمة محمد (صلى الله عليه و سلم) فيعفو عنهم ويرحمهم إلا أربعة: مدمنَ خمر وعاقًا ومشاحنًا وقاطعَ رحم...."(لطائف المعارف)، فقال أحدهم للشيخ: بيني وبين أحد أقاربي شيء فهل أغادر المسجد الآن ونحن في جوف الليل وأصله وأفض ما بيني وبينه من القطيعة؟ فالتفت الجميع إلى أن الوقت قد فات وأن التهيؤ والاستعداد وإزالة هذه الموانع يحسن أن يكون قبل دخول رمضان.

إذن فموانع الرحمة والمغفرة والحجب التي تحجب النفحات والمنح الربانية في عموم الأيام وفي الأيام والليالي الفاضلة أيضًا: إدمان الخمر والمخدرات، وعقوق الوالدين، والمشاحنة، وقطيعة الرحم ، أما الخمر فيكفي أن شاربها ومن امتدت يده فيها ملعون مطرود من رحمة الله تعالى، فعن ابْنِ عُمَرَ(رضي الله عنهما) قَالَ : قال رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : "لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ وَشَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا وَمُبْتَاعَهَا وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ" (رواه أبو داود)، إنها فرصة عظيمة سنحت لكل من يريد أن يتوب لعل الله تعالى يشمله برحمته ويُبَغِّضُ إليه هذه السموم، ويقيمه على طريق طاعته، فينال خيري الدنيا والآخرة.

وأما عاقّ الوالدين فهو محروم من رحمة الله وعفوه إذ إن الله لا يقبل منه شيئًا، فعمله محبط مردود، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "ثَلاثَةٌ لا يَقْبَلُ اللَّهُ لَهُمْ صَرْفًا وَلاَ عَدْلا: عَاقٌّ، وَمَنَّانٌ، وَمُكَذِّبٌ بِالْقَدَرِ" (السنة لابن أبي عاصم)، فالعاق من أهل الحرمان حتى في الأيام التي يعم فيها الخير ويشمل الله عباده بالعفو، إنه بعقوقه محروم من دخول الجنة، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : "لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنَّانٌ ، وَلاَ عَاقٌّ ، وَلاَ مُدْمِنُ خَمْرٍ " (السنن الكبرى للنسائي)، فالوالدان طريقك إلى مرضاة الله تعالى أو سخطه والعياذ بالله، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " رِضَا اللهِ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُ اللهِ فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ "(شعب الإيمان للبيهقي).

وأما المشاحن – وهو الذي بينه وبين أخيه شحناء وقطيعة وعداوة بسبب نفسه الأمارة بالسوء- فإنه محجوب عن عفو الله ومغفرته ورحمته كل وقت، حتى في الأوقات التي يعم فيها عفو الله جميع العباد، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا"(صحيح مسلم)، فهل تُضَيِّعُ ثواب صيامك وقيامك وتفوت فرصة لا تدري أتدركها مرة أخرى أم لا من أجل بُغضك لفلان أو فلان؟! عامل الناس بأخلاقك أنت لا بأخلاقهم، فالأخلاق عندنا نحن المسلمين عبادة نتعبد بها لله عز وجل، فأحسِن إلى الناس تقربًا إلى الله تعالى، ولئن فعلتَ لَيُحَولنَّ الله لك قلوب العباد، يقول الله تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ }[فصلت: ٣٤]، إن صلاح ذات البين جليل القدر عظيم الثواب، فعَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : " أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ ".

قَالُوا بَلَى. قَالَ " صَلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ " (سنن الترمذي).

وأما قطيعة الرحم فإنها حجاب غليظ بين الإنسان وبين رحمة الله تعالى، وقاطع الرحم محكوم عليه بالحرمان من دخول الجنة، فعَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ(صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ"(صحيح مسلم)، فقاطع رحمه لن يجد في ولده بركة، ولن يجد في ماله بركة، ولن يجد نفسه موفقًا في أي شيء، ولن يهتدي إلى أي خير، وما ذلك إلا لأن بينه وبين الله تعالى قطيعة، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) " إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ قَالَتْ بَلَى. قَالَ فَذَاكِ لَكِ"(متفق عليه)، إن قاطع الرحم مطرود من رحمة الله تعالى ملعون بنص كتاب الله عز وجل، يقول الله تعالى: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ}[محمد: ٢٢، ٢٣].

لابد أن نزيل هذه الحجب التي تحجب عنا رحمة الله تعالى ونتخلص من هذه الموانع التي تمنع عنا فضل الله عز وجل ونحن مقبلون على هذا الشهر الكريم قبل أن نكون من أهل الحرمان في وقت يتقلب فيه العباد في فضل الله سبحانه، فالمحروم حقًا من يحرم فضل الله تعالى في هذا الشهر الكريم، فعَنْ كَعْبِ بن عُجْرَةَ (رضي الله عنه) أَنّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) خَرَجَ يَوْمًا إِلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ حِينَ ارْتَقَى دَرَجَةً: آمِين، ثُمَّ ارْتَقَى الأُخْرَى فَقَالَ: آمِينَ، ثُمَّ ارْتَقَى الثَّالِثَةَ فَقَالَ: آمِينَ، فَلَمَّا نَزَلَ عَنِ الْمِنْبَرِ وَفَرَغَ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ سَمِعْنَا مِنْكَ كَلامًا الْيَوْمَ مَا كُنَّا نَسْمَعُهُ قَبْلَ الْيَوْمِ؟ قَالَ:"وَسَمِعْتُمُوهُ؟" قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ:"إِنَّ جِبْرِيلَ (عَلَيْهِ السَّلام) عَرَضَ لِي حِينَ ارْتَقَيْتُ دَرَجَةً، فَقَالَ: بَعُدَ، مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَوْ أَحَدَهُمَا لَمْ يُدْخِلاهُ الْجَنَّةَ، قَالَ: قُلْتُ: آمِينَ، وَقَالَ: بَعُدَ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، ثُمَّ قَالَ: بَعُدَ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ، فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَقُلْتُ: آمِينَ" .

ونُذّكر -ونحن نستقبل هذا الشهر المبار ك- بأن أعظم ما يتقرب به الصائم أن يؤدي كلٌ منا عمله المنوط به على أكمل وجه متقنًا له كأحسن ما يكون الإتقان مراقبًا لله تعالى، ويتعامل مع من يتعامل معه بكل حب واحترام وتقدير ولا يتأفف ولا يتكاسل ولا يضجر بحجة أنه صائم.

ومن أهم ما يجب أن يُعنى به المؤمن وهو يستعد لاستقبال هذا الشهر الكريم تحسين النية وتوجيه القصد إلى الله تعالى وحده فإن الصيام المقبول الذي تُغفر به الذنوب وترفع به الدرجات هو ما كان إيمانًا واحتسابًا، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"، يقول ابن حجر رحمه الله: أي مؤمنًا محتسبًا، والمراد بالإيمان الاعتقاد بحق فرضية صومه، وبالاحتساب طلب الثواب من الله تعالى، وقال الخطابي: احتسابًا أي عزيمة، وهو أن يصومه على معنى الرغبة في ثوابه، طيبة نفسه بذلك غير مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه (فتح الباري)، فالصيام إيمانًا يعني أن يكون الباعث على الصيام وتحمل الجوع والعطش لا مجرد التعود ولا حياءً من الناس ولا تقليدًا لمن حوله بل أن يكون الباعث له على الصيام اعتقاده فرضية الصيام والتقرب به إلى الله تعالى.

والصائم المحتسب هو الذي يهون عنده الجوع والعطش في سبيل إرضاء الله تعالى ورجائه في عظيم ثوابه، فحاله وحال غير المحتسب كرجلين يعملان في عمل ما، رجع أحدهما آخر النهار متعبًا مُجهدًا لا يكاد يقيم صلبه من شدة التعب لكنه رجع بأجر وفير ومال كثير ، والثاني رجع مرتاحًا غير مجهود ولا متعب لكنه لم يرجع إلا بالقليل من المال الذي لا يكفي شيئًا ولا يسد حاجة، فالأول يكون مسرورًا بأجره طيب النفس على الرغم مما يشعر به من التعب والإرهاق والعناء، والثاني يكون حزينًا مكتئبًا لا تنفعه راحته بعد فوات الأجر.

وكذلك القائم المحتسب هو الذي يهون عليه السهر وطول القيام وقراءة القرآن ما دام هذا سبيلًا لمرضاة الله تعالى ومغفرة ما تقدم من ذنبه.

إن شهر رمضان شهر اجتهاد وجد وعمل، لا كسل وخمول، فما أكثر ما حققه المسلمون على مر تاريخهم الطويل وهم صُوَّم في هذا الشهر الكريم، ليتعلم المؤمنون في كل زمان أنه شهر بذل وعطاء ودفع لمسيرة الأمة نحو التقدم والإنتاج.

اللهم أعنا على صيام رمضان وقيامه إيمانًا واحتسابًا، واشملنا فيه يا مولانا بنفحة من فيض جودك لا نشقى بعدها أبدًا.

تستقبل الأمة العربية والإسلامية شهر رمضان المعظم وهي مفعمة بالأمل، سائلة الله تعالى أن يكون عام يمن وخير وبركة علينا جميعا، وأن يكون عام أمن وسلام للبشرية جمعاء.

وبما أن شهر رمضان شهر صيام وعبادة وتربية وقوة إرادة ، وهذه الإرادة المكتسبة ينبغي أن تتعدى إلى ضبط السلوك الاستهلاكي للفرد والأسرة بالتعقل والاتزان والحكمة والترشيد ، ومن ثم فلنتخذ من الصيام مجالا لإرادة حقيقية لمزيد من العمل والإنتاج من جهة وترشيد الاستهلاك من جهة أخرى ، حتى نرضي الله (عزّ وجلّ) بسلوكنا المنضبط بضوابط الشرع في شهر رمضان شهر الخير والبر والإحسان ، وليكن شعارنا التكافل والترشيد ، يقول سبحانه وتعالى: { وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف : ٣١] . ويقول الحق سبحانه وتعالى: { وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا } [الإسراء ٢٦-٢٧] .

عطاء الله لعباده في رمضان

أولاً : العناصر:

١- رمضان منحة ربانية.

٢- رمضان تجارة رابحة مع الله تعالى.

٣- تعدد أسباب المغفرة في رمضان.

٤- شفاعة الصيام والقرآن.

٥- دعاء الصائم مستجاب.

ثانياً : الأدلة:

الأدلة من القرآن الكريم:

١- يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٣].

٢- ويقول تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} [القدر: ١ – ٥].

٣- ويقول تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ} [الدخان: ٣].

٤- ويقول تعالى: {..إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: ١٠].

٥- ويقول تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: ١٨٦].

الأدلة من السنة النبوية:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ"(متفق عليه).

٢- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ "،

وعَنْه(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"، وعَنْه (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"(كل ذلك متفق عليه).

٣- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) كَانَ يَقُولُ: "الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ"(صحيح مسلم).

٤- وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يَدْخُلُ مَعَهُمْ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَدْخُلُونَ مِنْهُ، فَإِذَا دَخَلَ آخِرُهُمْ أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ"

(متفق عليه).

٥- وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "..والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا، إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لقي رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ"(متفق عليه).

٦- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) أَنَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "..عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً. أَوْ حَجَّةً معي"(متفق عليه).

٧- وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ" (المستدرك للحاكم).

٨- وعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا"(سنن الترمذي).

٩- و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالإِمَامُ العَادِلُ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ" (أخرجه الترمذي وقال:هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ).

ثالثًا : **الموضوع**:

شهر رمضان منحة ربانية، وعطية إلهية، تُضاعف فيه الحسنات ويعظم الثواب، ويغدق الله على عباده النفحات، ويفتح لهم أبوابًا من الخير ومن المغفرة والرحمة والعتق من النار، شهر تفتح فيه أبواب الجنة فلا يغلق منها باب، وتغلق فيه أبواب النار فلا يفتح منها باب، وتقيد الشياطين، وينادي منادٍ: يا باغي الخير أقبل – فهذا أوانك – ويا باغي الشر أقصر – فلا مكان لك في هذه الأيام الطيبة –، فيقبل المؤمنون على ربهم محققين الغاية الكبرى من الصيام وهي التقوى، يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٣].

فرمضان هو الشهر الذي اختصه الله تعالى بفريضة الصيام التي هي ركن من أركان الإسلام، وهو الشهر الذي أنزل فيه القرآن، يقول تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ..} [البقرة: ١٨٥]، وهكذا شهدت أيامه المباركة اتصال الأرض بالسماء، وتنزل الوحي بالنور والضياء، فأشرقت الأرض بنور ربها وانقشعت ظلمات الجاهلية الجهلاء، وهو الشهر الذي يضم بين لياليه ليلة القدر، التعبد فيها والقيام خيرًا من التعبد في ألف شهر،يقول تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} [القدر: ١ – ٥]، فهي ليلة بركة كلُّها، يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة.

ما أكثر العطايا والمنن الإلهية، والهبات التي اختص الله بها عباده في شهر رمضان، ومن هذه المنن والعطايا:

مضاعفة الثواب، ففي شهر رمضان فرصة عظيمة للتجارة الرابحة مع الله تعالى، يقول ابن رجب (رحمه الله): " و اعلم أن مضاعفة الأجر للأعمال تكون بأسباب منها شرف المكان المعمول فيه ذلك العمل كالحَرم ...و منها شرف الزمان كشهر رمضان.. وفي الصحيحين عن النبي (صلى الله عليه و سلم) قال " عمرة في رمضان تعدل بحجة"، أو قال : "حجة معي" وورد في حديث آخر : " أن عمل الصائم مضاعف " و ذكر أبو بكر بن أبي مريم عن أشياخه أنهم كانوا يقولون : إذا حضر شهر رمضان فانبسِطوا فيه بالنفقة فإن النفقة فيه مضاعفة كالنفقة في سبيل الله، و تسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة في غيره، قال النخعي : صوم يوم من رمضان أفضل من ألف يوم، و تسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة، وركعة فيه أفضل من ألف ركعة، فلما كان الصيام في نفسه مضاعفًا أجره بالنسبة إلى سائر الأعمال، كان صيام شهر رمضان مضاعفًا على سائر الصيام لشرف زمانه، و كونه هو الصوم الذي فرضه الله على عباده، وجعل صيامه أحد أركان الإسلام التي بني الإسلام عليها.."(لطائف المعارف)، ولشرف العمل في رمضان كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يجتهد فيه في العبادة مالا يجتهد في غيره، من ذلك مثلاً ما ورد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يكُونُ فِى شَهْرِ رَمَضَانَ، إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ كَانَ يَلْقَاهُ فِى كُلِّ سَنَةٍ فِى رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ(صلى الله عليه وسلم)أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ"(صحيح مسلم)، ومن ذلك أن العمرة في رمضان أعظم ثوابًا من العمرة في غيره، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) أَنَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "..عُمْرَةٌ في رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً. أَوْ حَجَّةً معي".

ومن المنح الربانية في هذا الشهر الكريم أن الله تعالى اختص الصائمين بباب خاص في الجنة لا يدخل منه غيرهم، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ في الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يَدْخُلُ مَعَهُمْ أَحَدٌ

غَيْرُهُمْ، يُقَالُ أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَدْخُلُونَ مِنْهُ، فَإِذَا دَخَلَ آخِرُهُمْ أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ".

ومن العطايا الإلهية في هذا الشهر الكريم أنه فرصة لزيادة الأجر عن طريق إفطار الصائمين، فعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا"، فالذي يفطر صائمًا كأنما يستأجر من يجلب له الحسنات، وإذا كان ثواب الصيام عظيمًا فإن من يفطره له نفس الثواب من غير أن ينقص من ثواب الصائم شيئًا، إنه فضل الله على هذه الأمة.

ومما يختص الله به عباده في حال الصيام أن طيَّبَ رائحتهم حتى جعلهم عنده أطيب ريحًا من المسك، فعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "..والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا، إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لقي رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ".

ومن الهبات التي يهبها الله تعالى لعباده في هذا الشهر الكريم تعدد أسباب المغفرة، فالصيام يُكَفِّرُ عن العبد خطاياه كلها حتى يرجع طاهرًا من ذنوبه أبيض القلب كأن لم يعلق به شيء، لكن مغفرة ما تقدم من الذنوب مرهون بأن يكون الصيام إيمانًا واحتسابًا، يَقول رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"، يقول ابن حجر (رحمه الله): والمراد بالإيمان الاعتقاد بحق فرضية صومه، وبالاحتساب طلب الثواب من الله تعالى. وقال الخطابي: احتسابا أي عزيمة، وهو أن يصومه على معنى الرغبة في ثوابه طيبة نفسه بذلك غير مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه، وكذا من أسباب المغفرة في هذا الشهر الكريم القيام إيمانًا واحتسابًا، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"، فليدركْ كل مسلم أن الركعات التي يصليها في ليل رمضان تصل به إلى نفس نتيجة الصيام وهي تكفير ما تقدم من الذنوب، فليقمْ كل منا مؤمنًا بأن القيام عبادة تقربه من الله تعالى، محتسبًا أجره على الله

تعالى فلا يستثقل القيام ولا يستطيل طول التهجد فإن الجزاء عظيم، فمن تلمَّس فجر َالأجر هان عليه ظلام التكليف .

ومن أسباب المغفرة أيضًا قيام ليلة القدر، يقول النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"، فيا لها من ليلة عظيمة يخرج منها المؤمن القائم المحتسب طاهرًا من ذنوبه كيوم ولدته أمه، ومن فضل الله عز وجل على عباده المؤمنين أن جعل في ليلة القدر عوضًا عن قصر أعمار هذه الأمة فجعل التعبد فيها خير من التعبد في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، فكل ساعة من ساعاتها، بل كل دقيقة، بل كل ثانية من ثوانيها لها ثمن، إن ليلة القدر هي العمر الحقيقي للإنسان، فلا تقل عشت كذا سنة، ولكن قل مرت بي كذا ليلة قدر – بعدد سنوات عمرك، فإنها الامتداد الحقيقي للعمر، فسَائِلْ نفسك يا عبد الله كم ليلة قدر مما مر بك قد استغللتها وتقربت فيها وأخلصت لله عز وجل؟ وكم ليلة قدر قصرت فيها؟ ثم هذه الفرصة التي واتتك هذه المرة هل تضمن إدراكها مرة أخرى؟! كم كان بيننا في العام الماضي من أناس صاروا الآن تحت الأرض في قبورهم يحاسبون! فلا تكن من المحرومين، فإن الحرمان في هذه الليلة هو الحرمان الحقيقي والعياذ بالله، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) "... لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ.."(السنن الكبرى للنسائي).

ومن العطايا الربانية في هذا الشهر المبارك أن الصيام يشفع للعبد كما يشفع القرآن، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ"، فطوبى لأهل القرآن وأهل الصيام حين يجدون من يدافع عنهم يوم لا نصير ولا مغيث.

ومما خص الله تعالى به المؤمنين الصائمين في هذا الشهر الكريم أن جعل دعاءهم فيه مستجابًا، والدعاء من المؤمن يستجاب في كل وقت ما دام قد استوفى ما به تكون الاستجابة، لكن شهر رمضان وحال الصيام عمومًا

يكون أرجى وأقرب إلى الاستجابة، ولهذا ذكر الله قربه من عباده وإجابته لدعائهم وسط آيات الصيام فقال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: ١٨٦]، يقول ابن كثير (رحمه الله): وفي ذكره تعالى هذه الآية الباعثة على الدعاء متخللة بين أحكام الصيام إرشاد إلى الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العِدّة، بل وعندَ كلّ فطر" (تفسير ابن كثير)، وقد ذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) أن دعوة الصائم مقبولة مستجابة لا ترد، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالإِمَامُ العَادِلُ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ".

إن للصيام ثوابًا عظيمًا لا يعلم قدره إلا الله تعالى، فهو رصيد للعبد عند الله لا ينفد، فعن أبي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: " قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصِّيَامَ، هُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِى بِهِ.."(متفق عليه)، فثواب الصيام لا الحسنة بعشر ولا بسبعمائة، وإنما هو ثواب لا يعلم مداه إلا الله عز وجل الذي نسب الصيام إلى نفسه وتكفل بتقدير ثوابه، وفي رواية لهذا الحديث الشريف في مسند الإمام أحمد (رحمه الله) عن أبي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ) : " قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُلُّ الْعَمَلِ كَفَّارَةٌ إِلاَّ الصَّوْمَ، وَالصَّوْمُ لِي ، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ"، أما نسبته تعالى الصيام إلى نفسه فقد نقل ابن حجر (رحمه الله) عن البيضاوي أنه قال: والسبب في اختصاص الصوم بهذه المزية أمران: أحدهما أن سائر العبادات مما يطلع العباد عليه، والصوم سر بين العبد وبين الله تعالى يفعله خالصًا ويعامله به طالبًا لرضاه، وإلى ذلك الإشارة بقوله: «فإنه لي». والآخر: أن سائر الحسنات راجعة إلى صرف المال أو استعمال البدن، والصوم يتضمن كسر النفس وتعريض البدن للنقصان، وفيه الصبر على مضض الجوع والعطش وترك الشهوات، وإلى ذلك أشار بقوله: «يدع شهوته من أجلي»(فتح الباري)، وفي توضيح المقصود برواية " كُلُّ

الْعَمَلِ كَفَّارَةُ إِلاَّ الصَّوْمَ" يقول ابن رجب (رحمه الله): " ...فالإستثناء يعود إلى التكفير بالأعمال، ومن أحسن ما قيل في ذلك ما قاله سفيان بن عيينة (رحمه الله) قال: هذا من أجود الأحاديث وأحكمها: إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده ويؤدي ما عليه من المظالم من سائر عمله حتى لا يبقى إلا الصوم فيتحمل الله عز و جل ما بقي عليه من المظالم، ويدخله بالصوم الجنة"(لطائف المعارف).

عوامل القوة والنصر وأسباب الهزيمة والضعف

أولاً : العناصر:

١- رمضان شهر الانتصارات .

٢- من عوامل القوة والنصر في القرآن الكريم:

أ- الإيمان الصادق والعمل الصالح.

ب- الصبر والثبات وتحمل المشاق.

ج - التوكل على الله عز وجل وحده، مع الأخذ بالأسباب.

د- الوحدة والتآلف.

هـ- الإعداد الجيد.

٣- من أسباب الهزيمة والضعف في القرآن الكريم:

أ- الشقاق والاختلاف.

ب- التنافس على الدنيا.

ج - اقتراف المعاصي.

د- الإعجاب بالكثرة .

٤- التأكيد على أن الإرهاب وترويع الآمنين لا علاقة له بالجهاد ولا بالإسلام أصلا .

ثانياً : الأدلة:

الأدلة من القرآن:

١- يقول الله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَايُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: ٥٥].

٢-ويقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأنفال: ٤٥].

٣-ويقول تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ } [الروم: ٤٧].

٤-ويقول تعالى: {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [آل عمران: ١٦٠].

٥-ويقول تعالى: { وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً }[الطلاق: ٣].

٦-ويقول تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}[محمد:٧].

٧- ويقول تعالى: { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} [الأنفال: ٦٠].

٨-ويقول تعالى: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً }[آل عمران١٠٣].

٩-ويقول تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: ٤٦].

١٠- ويقول تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [آل عمران: ١٠٥].

الأدلة من السنة :

١- عَنْ أَبِي مُوسَى (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ" (صحيح البخاري).

٢- وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (رضي الله عنهما) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ

مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"(متفق عليه).

٣- وعَنْ ثَوْبَانَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا". فَقَالَ قَائِلٌ : وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : "بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ". فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهَنُ ؟ قَالَ:"حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ"

(سنن أبي داود).

٤- وعن عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ الْأَنْصَارِيِّ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنْ الْبَحْرَيْنِ فَسَمِعَتْ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَوَافَتْ صَلَاةَ الصُّبْحِ مَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَلَمَّا صَلَّى بِهِمْ الْفَجْرَ انْصَرَفَ فَتَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حِينَ رَآهُمْ وَقَالَ أَظُنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ؟ قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ)(متفق عليه).

٥- وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب (رضي الله عنه) قال: سَمِعْتُ رَسُول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا"(سنن ابن ماجه).

ثالثاً : الموضوع:

إذا كان رمضان شَهْر التقوى والصيام، وشهر الصبر وتلاوة القرآن، وشهر النفقة والإحسان، فهو كذلك شهرُ الانتصارات ، وشهر الفتوحات، إذ منَّ الله

تعالى فيه على الأمة الإسلامية بالنصر على أعدائها في المعارك التي خاضتها قديمًا وحديثًا، منذ عصر النبوة إلى عصرنا الحاضر، فما من غزوة من الغزوات، ولا معركة من المعارك خاضها المسلمون في هذا الشهر العظيم إلا وتحقق لهم النصر على أعدائهم، وكُتب لهم الغلبة والتمكين، وفي ذلك دلالة على قيمة هذا الشهر الكريم ومنزلته العظيمة عند الله سبحانه وتعالى، وفيه دلالة أيضًا على أن رمضان ليس شهر تكاسل وتقاعس ؛ بل هو شهر جدٍ واجتهادٍ ونشاطٍ وإقبالٍ على كل ما يرضي الله تعالى.

في رمضان وقعت غزوة بدر الكبرى حيث خاض المسلمون فيها أول معركة، فَرَّق الله فيها بين الحق والباطل ، وذلك في يوم السابع عشر من شهر رمضان المبارك في السنة الثانية للهجرة ، مرورًا بفتح مكة والذي تم – أيضا– في هذا الشهر المبارك في العام الثامن للهجرة ، وهو الفتح العظيم الذي تحطمت فيه الأصنام وثبت به الحق والصواب ، وزهق الباطل.

والمتأمل في التاريخ الإسلامي يجد كثرة انتصار المسلمين أيضا في شهر رمضان المبارك ، ففي عام ٦٥٨هجرية كانت موقعة عين جالوت التي انتصر فيها المسلمون على التتار، وفي هذا الشهر المبارك أيضًا كانت معركة القادسية التي انتصر فيها المسلمون على الفرس، وفي تاريخنا المعاصر كان انتصار العاشر من شهر رمضان، سنة ١٣٩٣ هجرية، ذلك اليوم التاريخي الفذ الذي أعاد لمصر والوطن العربي والإسلامي مشاعر العزة والكرامة، فشهر رمضان هو شهر الفتوحات والبطولات والانتصارات.

وإذا كانت الأيام دولاً بين الناس بين نصرٍ وهزيمةٍ فإن للنصر أسبابه التي لا يتحقق إلا بها، وللهزيمة أسبابها التي لا يَحُول دون وقوعها إلا اجتنابُها، وقد جاء في القرآن الكريم وسنة النبي (صلى الله عليه وسلم) نصوص صريحة واضحة، تبين هذه الأسباب التي من أخذ بها فاز بحلاوة النصر ، ومن أهملها ذاق مرارة الهزيمة.

ومن عوامل القوة التي تساعد على النصر : الإيمان الصادق والعمل الصالح ، والصبر والثبات وتحمل المشاق ، والتوكل على الله عز وجل– وحده

مع صدق الأخذ بالأسباب ، والوحدة والتآلف، مع التنظيم الدقيق والإعداد الجيد ....إلى غير ذلك من عوامل القوة والنصر.

فأما الإيمان الصادق بالله سبحانه فيتمثل في : طاعة الله تعالى ، والامتثال لأوامره ونواهيه، وطاعة رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، ويتجلى ذلك في قوله سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: ٤٥-٤٦].

فإن المسلم الحق يدرك أن النصر لا يأتي إلا من عند الله على عباده المؤمنين ما داموا ينصرون الله -حقّاً - سرّاً وعلانية ، وما داموا يستقيمون على منهج الله، بطاعة أمره واتباع رسوله (صلى الله عليه وسلم)، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُم}[محمد: ٧].

ومن نصرَه اللهُ – عز وجل – فلا غالِبَ له من الناس، ولن يضُرَّه خُذلانُ الخاذِلين ، قال تعالى: { إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } [آل عمران: ١٦٠]. وقال – جلَّ ذكره -: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ المَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الغَالِبُونَ}[الصافات: ١٧١:١٧٣].

فاستكمال حقيقة الإيمان ومقتضاه من الأعمال الصالحة ، تحقَّق النصر والتمكين للمؤمنين ، قال تعالى: { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ } [غافر:٥١] ، وقال تعالى : {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: ٥٥].

ومن ثمَّ فإنه ينبغي علينا أن ننصر الله تعالى بأقوالنا وأعمالنا وقلوبنا، ونصرنا لله تعالى يكون بتعظيم دينه وامتثال أمره وإعلاء كلمته وتحكيم شرعه والجهاد في سبيله، وانتصار النفس على شهواتها وملذاتها ، ولا يتأتى ذلك إلا بعزائم صادقة وقلوب راسخة بالإيمان {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [المجادلة: ٢١].

فحينما يترسخ الإيمان في قلب المؤمن يكسبه ثقة فيما عند الله- سبحانه وتعالى- فيركن إليه، ويتوكل عليه، ويطلب منه المدد والتوفيق، والنصرة والتمكين قال تعالى: {وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} [آل عمران: ١٢٦]. فإذن لابد من إيمان صادق وعمل صالح.

كذلك من عوامل القوة وأسباب النصر : الصبر والثبات وتحمل المشاق ، فرمضان شهر الصبر وتقوية الإرادة وتكامل بناء الشخصية الإسلامية بشقيها الروحي والبدني، مع تحقيق التقوى والرقابة الدائمة لله عز وجل، وكل هذا يمنح المسلم من القوة ما يجعله يقف أمام أعدائه ثابت الجأش، قوي الإرادة ، يصبر ويصابر ويرابط إلى أن يحقق الله له النصر ، قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: ٢٠٠].

فالصبر الذي هو ثمرة الصيام ، هو أيضاً من أسباب النصر ، وقد قيل: "الصبر مع النصر "، والمسلم لا يتوقف صبره على مواجهة العدو في ساحة المعركة، بل إنه يشمل جميع نواحي حياته في طريق دعوته ودفاعه عن هذا الدين. فالصبر والثبات، والإكثار من ذكر الله، من أكبر الأسباب للنصر.

ومن عوامل القوة والنصر -أيضاً- : التوكل على الله عز وجل- وحده ، والاعتماد عليه ، مع صدق الأخذ بالأسباب :

فإذا وقع المسلم في كرب شديد فإنه يلجأ إلى الله رب العالمين داعيًا: حسبنا الله ونعم الوكيل؛ فإن من أسباب النصر : التوكل على الله عز وجل ، وصدق ربنا حيث قال:{ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ}[سورة يوسف: ٦٧]. فمع اشتداد الأزمة والشدة يكون الفرج القريب ، قال تعالى: {حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} [يوسف: ١١٠].

ولقد أشار الله تعالى إلى حقيقة التوكل في المعارك مع الأعداء والاعتماد عليه فقال: { إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}

[سورة آل عمران:١٦٠].

يقول الشوكاني معقباً على هذه الآية: "من علم أنه لا ناصر له إلا الله سبحانه وأن من نصره الله لا غالب له، ومن خذله لا ناصر له، فوض أموره إليه وتوكل عليه ولم يشتغل بغيره" (فتح القدير).

كما أن النبي (صلى الله عليه وسلم) حثنا على التوكل على الله تعالى فقال: (لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا) (سنن ابن ماجه).

وقد نهانا ربنا سبحانه وتعالى عن التكاسل والتخاذل والتواكل، وأمرنا بالجد والإخلاص والمثابرة ، وهذا يقتضي الأخذ بالأسباب والإعداد العسكري والاقتصادي والاجتماعي والأخلاقي ببناء الإنسان الصالح الساعي إلى عمارة الكون الذي يعرف حق وطنه عليه ويعمل لأجله .

ولقد رأينا في معركة العاشر من رمضان حينما عادت الأمة كلها إلى الله، القادة والجند، والأمة من ورائهم في المساجد، وصيحة الله أكبر في الميدان، لاحت بوادر النصر ؛ لأن منزل النصر ومدبره إنما هو الله- عز وجل-

كذلك يضع الله عاملاً آخر للقوة وسبباً من أسباب النصر ، وهو : الوحدة والتآلف فيما بين المؤمنين ، فإن الإسلام هو الذي يوحد الأمة، فيجعلها تتماسك كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، ويؤدي إلى وحدة الاتجاه والفكر والشعور بحيث إذا اشتكى منه عضو اشتكى كله، فلا عداوة بينهم ولا تمييز بين عناصرهم، ولا صراع بين الطبقات لقوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}[سورة الحجرات: ١٠] ، ويترتب على هذه الأخوة الحب والسلام والتعاون والوحدة.

وقد أكد هذا نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) بقوله: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى "(مسلم من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ)، وقال في حديث آخر: " الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ) (صحيح البخاري).

إن الوحدة والتآلف تؤدي إلى قوة الأمة وقدرتها على مواجهة التحديات ، وذلك بأن تكون صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص، وتكون أمة

واحدة متآلفة متحابة فيما بينها ، قال تعالى: {وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ}[المؤمنون:٥٢].وقال تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}[الأنبياء:٩٢].

ولا ريب أن توحيد الصفوف واجتماع الكلمة هما الدعامة الوطيدة لبقاء الأمة ودوام دولتها ونجاح رسالتها ، فينبغي توحيد الصف ، وجمع الكلمة ، والالتفاف حول هدف واحد ، وقيادة واحدة . قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} [الصف:٤]، وهكذا كانت أخلاق السلف الصالح عملا بقوله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [آل عمران: ١٠٣]. فلا نصر لقوم متفرقين مشتتين ، متباغضين متنافرين ، لا نصر إلا بصف مرصوص ، وقلوب متآلفة ، وأخوة غامرة...

وهذه قاعدة أساسية في الإيمان والإسلام ليكون المسلمون والمؤمنون أمةً واحدةً ، فلقد حث الإسلام على التعاون والترابط ، قال الله تعالى: {وتَعَاوَنُوا عَلَى البِرّ والتّقْوَى ولا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ والْعُدْوَانِ }[المائدة: ٢].

كذلك من عوامل القوة والنصر : الإعداد الجيد ، فإن الجهاد في سبيل الله تعالى يحتاج إلى الإعداد الذي يواكب المرحلة التي يعيشها المسلمون ، فإن ذلك من أقوى عوامل القوة والنصر ، ومن ثمَّ يجب على الأمة التي تكون دائماً على مستوى المسئولية المنوطة بها، لذلك كان الأمر الإلهي بإعداد العدة : { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ}[سورة الأنفال: ٦٠].

ويتضح من هذه الآية أن الله تعالى أمر بإعداد القوة ورباط الخيل، وأن الهدف من ذلك هو إرهاب الأعداء وإخافتهم من عاقبة التعدي على بلاد الأمة، كما يتبين أن إظهار القوة للأعداء وإخافتهم، وإيقاع الرهبة

والرعب في قلوبهم، يحقق النصر عليهم، ويحقق أهداف الإسلام أكثر من أية وسيلة أخرى من وسائل مواجهة الأعداء.

فالمطلوب أن نأخذ بجميع الأسباب المتاحة والميسرة في إعداد القوة من الوسائل الحديثة المعاصرة ، فالإسلام في جميع معاركه لم يعتمد على العدد فقط، ولا على كثرة الأسلحة والمعدات، وإنما ينظر إلى طاعة المسلمين وأخذهم بالأسباب المتاحة ، قال تعالى: {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة: ٢٤٩].

فإذا ما أعددنا العدة بقدر المستطاع ، وأخذنا بأسباب القوة والنصر، فإن الله تعالى يتكفل عباده بعد ذلك بالنصر والتأييد والتمكين.

أما إذا ابتعدنا عن أسباب القوة والنصر ، كانت الهزيمة والفشل والخذلان ، ومن الأسباب التي تؤدي إلى ذلك:

الشقاق والاختلاف : فإن الشقاق يضعف الأمم القوية ويميت الأمم الضعيفة ، ومن هنا فقد جعل الإسلام أول نصيحة لهم بعد انتصارهم في غزوة بدر حينما اختلفوا على الغنائم – أن يوحدوا صفوفهم ويجمعوا أمرهم ، قال تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [الأنفال:١].

ولقد جعل سبحانَه التنازع والاختلاف محلاً للضعف وداعيًا للسقوط في هوّة العجز والكسَل عن كلّ مصلحةٍ دنيويّة أو أخرويّة ، ولقمة سائِغة في مخالب الأعداء، فمن نظر نظرَةً في أحوال الشعوب ماضيها وحاضِرها ولم يكن مصابًا بموت القلب وعمَى البصيرة أدرَك سرَّ أمرِ الله في قوله : {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا}[آل عمران: ١٠٣] ، وسرَّ نهيه سبحانه في قوله : { وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ } [الأنفال : ٤٦].

لقد نهت الآية عن التنازع والاختلاف والشقاق، فإن الشقاق إذا دبَّ في جماعة فرق أواصر المودة بين أفرادها، وزرع الأحقاد في نفوسها، وانشغلت بنفسها عن عدوها، ومن ثم كتب عليها الفشل في جهادها وجهودها لتحصيل مقصودها، فضعفت قوتها، وسقطت هيبتها، وزالت دولتها، والذي يبدو أن الذي يقضي على كيان الأمة ليس مجرد الاختلاف، وإنما هو الخلاف

المبني على الهوى، وحب الظهور والاعتداد بالرأي، والتعصب له، إنها الأنانية التي تدعو صاحبها إلى التمادي بالباطل والغرور.

ولقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شديد الاحتراس والتحذير من عواقب الاختصام والفرقة والتنازع وكان في حله وترحاله يوصي بالتجمع والاتحاد في السلم وفي الحرب ، فعن سعيد بن المسيب قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " الشَّيْطَانُ يَهُمُّ بِالْوَاحِدِ وَالاِثْنَيْنِ، فَإِذَا كَانُوا ثَلاَثَةً لَمْ يَهُمَّ بِهِمْ"(موطأ مالك).

وقد شهد الواقع أن الشقاق والاختلاف يورث الفشل والهزيمة ، لأن التنازع فشل ، والفشل ضعف ، والضعف من أقوى أسباب الهزيمة ، ففي غزوة أحد حينما اختلف المسلمون وتنازعوا وخالفوا أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) لحقت بهم لطمة موجعة أفقدتهم سبعين شهيداً ، ومن قبل الواقع شهد رب السموات والأرض ؛ لذلك جاء النهي عن التنازع في قوله تعالى: { وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}[سورة الأنفال: ٤٦].

كذلك من أسباب الهزيمة والضعف : التنافس على الدنيا ، فإن التعلق بالدنيا ومحاولة التلذذ بملذاتها يؤدي بالمرء إلى الحرص على هذه الدنيا لدرجة الشعور بالبقاء الأبدي بلا موت حتى يصل به الحال أن يهون حال الأمة في نظره بالنسبة لحال دنياه وينسى قوله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}[آل عمران:١٨٥].

لقد كان التعلق بالدنيا من البعض سبباً للهزيمة في غزوة أحد بعد النصر في بدايتها حيث أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله تعالى: {حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ}[آل عمران: ١٥٢].

وصدق النبي (صلى الله عليه وسلم) حيث قال : " ... فَوَاللَّهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ " (متفق عليه).

بل إن تداعي الأمم على المسلمين واحتلال أراضيهم وخيراتهم وأموالهم ناتج عن حب الدنيا وكراهية الموت ، وهذا ما أكده النبي (صلى الله عليه وسلم) في الحديث الشريف ، فعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : " يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا " ، فَقَالَ قَائِلٌ : وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : " بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ)، فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهَنُ ؟ قَالَ: " حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ ".(سنن أبي داود). وواقع الأمة اليومَ يجسّد هذا الحديث ويوضحه، فأعداد المسلمين كثيرة، لكنها لا تفرح صديقًا، ولا تخيف عدوًا، فهم غثاء كغثاء السيل.

ومن أسباب الهزيمة والضعف : اقتراف الذنوب والمعاصي ، فقد يبتلي الله تعالى الأمة بتأخير النصر أو تمكين الأعداء بسبب الذنوب والمعاصي، قال تعالى: { أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ}[آل عمران:١٦٥].

إن الوقوع في المعاصي من أكبر أسباب الهزيمة ، لأنها طريق الشيطان، فيستدرج من يطيعه حتى يبدأ بصغائر الذنوب ثم الكبائر التي يؤدي انتشارها في الأمة إلى الهزيمة ، ولقد حذرنا الله تعالى من الشيطان وألاعيبه عندما تحدث عن غزوة أحد حيث قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ} [آل عمران:١٥٥].

فقد ذكرت هذه الآية المصاب الجلل في غزوة أحد حيث إنها جمعت موانع النصر وهي الذنوب والمعاصي، ولقد كان للشيطان عليهم سبيل بأن أوقعهم في الزلل، أي الهزيمة وعدم الثبات في المعركة بسبب مخالفة أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) مما أدى إلى تعطيل النصر وعدم تحقيقه، وهذه سنة الله تعالى لا تتخلف ولا تتعطل، وهي أن الهزائم لا تقع إلا بسبب أعمال يصيبها المسلم فتبعد عنه النصر ، وتقرب إليه الهزيمة.

إن اجتناب المعاصى والتحذير منها من أعظم أسباب فلاح الأمة ؛ فالمعاصى مفتاح لكل شر ومغلاق لكل خير ، وبسببها يتصدع كيان الأمة وتزول هيبتها ، وهذا ما فهمه المسلمون الأوائل رضوان الله عليهم، فقد تتابع وصية الأمراء والخلفاء إلى قوادهم فى المعارك بطاعة الله والبعد عن المعاصى، لأنها سبيل النصر، وهذا ما أكده عمر بن الخطاب فى وصيته إلى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما ومن معه من الأجناد: أما بعد ، فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة فى الحرب. وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصى منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم. وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة؛ لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة....)(العقد الفريد).

فمن عوامل النصر : الابتعاد عن المعاصى، لأن المعاصى والآثام إذا اقترفها المسلمون تكون أشد خطرًا عليهم من أعدائهم ، والأشد خطرًا وإثمًا هو المجاهرة بالمعاصى، وهذا ما نشهده فى أيامنا هذه، فإن ارتكاب المعاصى والآثام والموبقات والمجاهرة بها من أسباب إلحاق الهزائم المتكررة بالأمة.

كذلك من أهم أسباب الهزيمة والضعف : الإعجاب بالكثرة : فإن المسلم الذي يؤمن بالحق يدافع عنه بكل ما يملك، ولا يقعده عن ذلك قلة عدد أو انعدام العتاد، ويظل على تمسكه بالحق والدفاع عنه، حتى يظهره الله أو يموت دونه .. ويوم يزهو المسلم بمن معه من أعداد، أو لما معه من عتاد، فإنه يدخل فى دائرة الإعجاب بالنفس والاغترار بالقوة والكثرة ، وهذا ما يؤدي به إلى الهزيمة ، فإن المسلمين حين يركنون لكثرة العدد ، ويعجبون بأنفسهم ، وينسون سندهم الأصيل بتخلُّف عنهم النصر ، وتكون الهزيمة ، كما وقع فى غزوة (حنين).

ففى حنين أعجب المسلمون بكثرتهم وكانوا اثنى عشر ألفاً فقال بعضهم: لن نغلب اليوم من قلة، فقال تعالى مخبراً عن ذلك: {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ

أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شيئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التوبة:٢٥،٢٦]. والحكمة فى ذلك أن يعلم العباد أن النصر من عند الله تعالى ، وأن الأسباب ليست وحدها هى الكافية فى الانتصار ودحر الأعداء.

هذه هى مقوِّمات النَّصر ، وأسباب الهزيمة ، فما أحوجَنا إلى التأمل والتدبر فيها لأخذ العبر والعظات ، وصدق الله العظيم: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحج: ٤٠].

فالأمة التى تريد النصر – والنصر من عند الله – تنهض لأمر الله طاعة وعبادة والتزاماً ، عن إيمان بالله واليوم الآخر ، إيمان صادق تؤثر به الآخرة على الدنيا ، وتسعى إلى الآخرة كما أمر الله وبيّن وفصّل ، ولا تنسى نصِيبها من الدنيا لتكون قوة لها على درب الآخرة ، ولا تطلب الدنيا للدنيا.

ومن أهم أسباب الهزيمة والانكسار : الخلود إلى الراحة والكسل وعدم الأخذ بالأسباب ، فأمة لا تنتج غذاءها وكساءها ودواءها وسلاحها ولا تملك أسباب قوتها لا مكان لها فى عالم اليوم ولا تستطيع أن تستقل بقرارها ، فلابد من أن نعمل ، وأن ننتج ، وأن نسعى إلى تحقيق الاكتفاء الذاتى فى جميع المجالات ولا يكون ذلك إلا بالجهد والعرق والصبر والمثابرة .

ونؤكد أن الإرهاب وترويع الآمنين لا علاقة له بالجهاد ولا بالإسلام أصلا ، فقد حرم الإسلام قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، كما حرم الاعتداء على المال أو العرض وترويع الآمنين، بل جعل جزاء من يعيثون فى الأرض فسادًا شديدًا وحاسمًا ، حيث يقول الحق سبحانه : {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [المائدة : ٣٣]

أخلاق الصائمين وأهل القرآن

أولاً :العناصر

١- الصيام مدرسة للأخلاق

٢- تحذير الصائمين من سوء الأخلاق .

٣ - الصبر والصيام قرناء.

٤ - من سلوكيات الصائمين في رمضان .

٥- فضل قراءة القرآن وأهله في رمضان

ثانياً : الأدلة:

الأدلة من القرآن:

١- قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة:١٨٣].

٢- وقال تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ...} [البقرة: ١٨٥].

٣- وقال تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } [الزمر: ١٠].

٤- وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: ٢٠٠].

٥- وقال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال:٢] .

٦- وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ

وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} [فاطر : ٣١،٢٩].

الأدلة من السنة:

١- عن أَبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ النبيُّ (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ في أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ"(صحيح البخاري).

٢- وعن أَبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): " قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لي وَأَنَا أَجْزِى بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَسْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إني امْرُؤٌ صَائِمٌ. والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا، إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ وَإِذَا لقي رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ"(متفق عليه).

٣- وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) عن النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم): "يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ"(متفق عليه).

٤- وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ" (المستدرك للحاكم).

٥- وعَنْ عُثْمَانَ بن عفانَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَه"

(صحيح البخاري).

٦- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ): "إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ ؟ قَالَ: هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ ، أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُه" (سنن ابن ماجه).

٧- وعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ "(متفق عليه).

٨- و عَنْ أَبِى مَالِكٍ الأَشْعَرِىِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- " الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ. وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ - أَوْ تَمْلأُ - مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالصَّلاَةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا ". (أخرجه مسلم).

ثالثاً : الموضـــــوع:

لقد عُنى الإسلام عناية كبيرة بمكارم الأخلاق، فلقد جعلها الرسول (صلى الله عليه وسلم) الهدف الأسمى من بعثته الشريفة، فعن أبى هريرة (رضى الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ"(مسند أحمد)، فقد شُرعَت العبادات فى الإسلام لما فيها من المقاصِد العظيمة والغايات النبيلة، التى تهذب النفوس، وتزكى القلوب، وتطهر الجوارح، فتصل بأصحابها إلى أعلى الدرجات.

ومن هذه العبادات: صيام شهر رمضان وما تضمَّنَه من قربات جليلة، فرمضانُ مدرسة يتربى فيها المسلم على مكارم الأخلاق، فالصيام يربى فينا التقوى، والتى جعلها الله تعالى هدفًا أسمى من الصيام فى قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ}[البقرة : ١٨٣]، وسر ختام الآية الكريمة بالتقوى أن إعداد قلوب الصائمين يظهر من كون مرجع الصيام إلى ضمير الصائم ، حيث لا رقيب عليه إلا الله ، ومن دلائل التقوى في الآية الكريمة: التحلي بالأخلاق الكريمة والصفات النبيلة فعلاً وقولاً وسُلوكًا ، يقول (صلى الله عليه وسلم): "اتَّق الله حيثُما كنت، وأتبِع السيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالِق الناسَ بخُلُق حسن" (سنن الترمذي).

ومن أخلاق الصائمين : التحلي بالصبر وهو ترويض للنفس وتهذيب للغرائز، وطرد للجشع والطمع ، فالصيام الحقُّ يجعل المسلمَ أوسع صدرًا وأطهر لسانًا وأبعدَ عن الشرّ، وإذا رأى زلّةً احتملها، وإن وجد إساءةً صبر عليها، قال تعالى: { إنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } [الزمر: ١٠]، فالامتناع عن الشهوات يحتاج إلى قوة دافعة، فيصبر الإنسان على الجوع والعطش والشهوة، طاعةً لله عز وجل ، واتباعًا لنبيه (صلى الله عليه وسلم).

يقول ابن رجب (رحمه الله): " ومن أفضل أنواع الصبر : الصيامُ، فإنَّه يجمعُ الصبرَ على الأنواع الثَّلاثةِ، لأنَّه صبرٌ على طاعةِ الله عز وجل، وصبرٌ عن معاصي الله، لأنَّ العبدَ يتركُ شهواتِه لله عز وجل ونفسه قد تنازعه إليها، ولهذا في الحديث الصحيح : ((إنَّ الله عز وجل يقولُ : كُلُّ عمل ابن آدمَ له إلاَّ الصِّيامُ، فإنَّه لي، وأنا أجزي به، إنَّه تركَ شهوتَه وطعامَه وشرابَه من أجلي))، وفيه أيضًا صبرٌ على الأقدار المؤلمة بما قد يحصُلُ للصَّائم من الجوع والعطش..."(جامع العلوم والحكم).

ومن الصبر الذي ينبغي أن يصحب المؤمن في رمضان الصبر على أذي الناس ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَسْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إني امْرُؤٌ صَائِمٌ"، فمع هذا التوجيه النبوي ومع ما ينبغي أن يلقيه الصيام في نفوس الصائمين من الصبر وحسن الخلق نجد بعض الناس يغضبون لأتفه الأسباب ويثورون متعللين بالصيام وكأنه هو الذي

يدعوهم إلى ذلك، وهذا يدل على أن الصيام لم يتمكن فيهم، وأنهم ليس لهم من صومهم إلا الجوع والعطش.

ومن الأخلاق التى يزكيها الصيام فى نفوس الصائمين خلق العفو وكظم الغيظ والحلم، فهذه الصفات التى أثنى الله على من يتصف بها فقال: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاس وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٣٤] والنبى (صلى الله عليه وسلم) يحث الصائم على التحلى بها فى قوله: "... فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّى امْرُؤٌ صَائِمٌ".

وكذا من الأخلاق التى ينبغى أن يكتسبها المؤمن من الصيام : العفة، فالصيام يربى أصحابه على الطهر والعفاف والتحكم فى غرائز النفس، ولهذا وجّه النبى (صلى الله عليه وسلم) الشباب الذي لا يجد ما يتزوج به أن يعتصم بالصيام، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْن مَسْعُودٍ (رضى الله عنه) عن النَّبِىِّ (صلى الله عليه وسلم) قال: "يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَن اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَر وَأَحْصَنُ لِلْفَرْج وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْم فَإِنَّهُ لَهُ وجَاءٌ"(متفق عليه)، فأوضح النبى (صلى الله عليه وسلم) أن الصيام وقاية ووسيلة للعفة، وذلك لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، والصوم يضيق تلك المجاري ويذكر الصيام بالله عز وجل، فيضعف داعى الشيطان، ويقوى داعى الإيمان، وتكثر بسببه الطاعات وتقل المعاصى.

والصيام يربى فينا الالتزام والانضباط ويعالج الفوضى واتباع الهوى، ففى شهر رمضان يمسك المسلمون عن الطعام والشراب فى وقت واحد، ويفطرون فى وقت واحد، وهذا يُعلم الجميع النظام والالتزام.

ومن أخلاق الصائمين : مراعاة الفقراء واليتامى وقضاء حوائج الناس والمواساة، يتذكر فيه الغنى أخاه الفقير، ويحنو عليه، ويطعمه مما يأكل ويسقيه مما يشرب ويواسيه، وقد رغّب النبى (صلى الله عليه وسلم) فى ذلك فقال عليه الصلاة والسلام: "من فطّر صائما كان له مثل أجره، من غير أن ينقص

من أجر الصائم شيء" (سنن الترمذي). فيجب على الصائم أن يشعر بمن ضاق بهم الحال، فيغيث ملهوفهم، ويسعى في جلب المصالح لهم ودفع الأذى عنهم، من باب قوله تعالى: {وَافعَلُوا الخَيرَ لَعَلَكُم تُفلِحُونَ}[الحج: ٧٧]، والأجر في رمضان مضاعف، فهنيئًا لكم أيها الصائمون فاستبقوا الخيرات.

ويتجلى التعاون على البر والخير بين المسلمين في صورة ما أجملها وما أرقّها في قول النبي (صلى الله عليه وسلم): "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة من كُرَب الدنيا، فرّج الله عنه كربة من كُرَب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة" (متفق عليه).

عباد الله : فمن منا بحث عن فقير فأطعمه ؟ ومن منا وجد يتيمًا فآواه ؟ ، ومن منا رأي عريانًا فكساه ؟

إن الصيام في حقيقته هو التقرب إلى الله تعالى بترك الحلال من طعام وشراب وشهوات، ومعلوم أنه لن يتأتّى التقرب بترك المباحات إلا بعد التقرب بترك المحرمات، ولهذا قال النبي (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّور وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ في أنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ"، فالله عز وجل ليس بحاجة إلى العباد وإلى طاعاتهم، لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، فإن لم تَتَقَوَّمْ أخلاقُ الصائم بصيامه فلا قيمة له لأنه فَقَدَ الغرضَ الأهم منه، لأن الله لم يرد أن يعذب العباد بترك ما يشتهون ويألفون، ولكنه أراد منهم أن يَدَعُوا مساوئَ الأخلاق والتي منها قول الزور والعمل به، فأهون الصيام ترك الشراب والطعام، وقد ورد عن سيدنا جابر (رضي الله عنه) قوله: إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ، وبَصَرُكَ، وَلِسَانُكَ، عَنِ الْكَذِبِ، وَالْمَحَارِم، وَدَعْ أَذَى الْخَادِمِ، وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ يَوْمَ صِيَامِكَ، وَلَا تَجْعَلْ يَوْمَ فِطْرِكَ وَصَوْمِكَ سَوَاءً (مصنف ابن أبي شيبة)، وما أبلغ قول الشاعر:

إذا لم يكن في السمع مني تصاون ... وفي بصري غض وفي منطقي صمتُ

فحظي إذاً من صومي الجوع والظما ... فإن قلت إني صمت يومي فما صمتُ

فإن كان يوم صيامك كيوم فطرك فماذا فعل بك الصيام؟! فينبغي على الصائم أن يتخلق بجميل الأخلاق وأن يتحصن بالصيام من كل شر، فعن أَبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): "إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلا يَرْفُثْ وَلا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ"(متفقٌ عَلَيْهِ)، فقول الصائم لمن يعتدي عليه (إني صائم) كأن الصيام حصن يحتمي به ويتقوى على نوازع الشر والجهل والطيش، فعلى كل صائم أن يستمد من صيامه ما يتحصن به ويتقوى على ترك المحرمات، فكيف بمن تَرْقَى به عزيمته إلى ترك المحرمات كأنواع التدخين، والمخدرات وغير ذلك أن يرتد بعد إفطاره مرتميًا في أحضان تلك المنكرات ليهدم ما بناه في نهاره من قوة الإرادة، فيا سعادة من اغتنم فرصة هذا الشهر الكريم فغير مسار حياته وأقبل على طريق الله عز وجل، ويا شقاوة من ضيعها وهتك حرمة هذا الشهر ودنسه بالمعاصي. فمما يجب على الصائم أن يحفظ لسانه وجوارحه عن المخالفات والشتائم وقول الزور مما يذهب بثواب صيامه وأجره، ولا ينال منه إلا الجوع والعطش، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ النبيُّ (صلى الله عليه وسلم): " رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ" (مسند أحمد).

ومن أخلاق الصائمين : صيانة اللسان وحفظه ، عن الخوض فيما يفسد عليه صيامه وقيامه ، فعلى المسلم ألا يتكلم إلا بالخير ويحذر من سبّ الناس وشتمهم، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، قال النبى (صلى الله عليه وسلم): "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده".

وانظر كيف كان السلف الصالح (رضى الله عنهم) يعيشون رمضان ؟ عاشوه بقلوبهم ومشاعرهم، كان الواحد منهم صابرًا على الشدائد، يحافظ على يومه ولا يشوه صومه ، أمّا ليلُه فكان يقضيه فى القيام والوقوف بين يدي مولاه وتلاوة القرآن.

ومن أخلاق الصائمين : مراقبة الله فى السر والعلن، فترى الصائم يراقب نفسه، يقدر هيبة مولاه ، واطلاعه على كل حركاته، فلا يفكر أن يفسد صيامه ولو توارى عن الأعين ، وتلك منزلة الإحسان العظمى، وثمرة المراقبة

في شهر الصيام ، قال تعالى: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} [غافر: ١٩]، وهناك فرق بين مراقبة الخالق ومراقبة المخلوق فمراقبة الخالق فيها عز ، ومراقبة المخلوق فيها ذل ، وكم يحتاج المسلم إلى أن يربى نفسه على مراقبة الله دائما والعارفون يقولون: لا يحسن عبد فيما بينه وبين الله إلا أحسن الله فيما بينه وبين الناس.

ويحذرنا الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الأخلاق السيئة التى تمحو ثواب الأعمال الصالحة، وتحبط العمل، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) يَقُولُ : قِيلَ لِلنَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلاَنَةً تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَتَفْعَلُ، وَتَصَدَّقُ، وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : "لاَ خَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّار" قَالُوا : وَفُلاَنَةٌ تُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ، وَتَصَدَّقُ بِأَثْوَار [الأثوار : جمع ثور وهو القطعة من اللبن المجفف، يعني تتصدق بالقليل]، وَلاَ تُؤْذِي أَحَدًا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "هِيَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ"(الأدب المفرد للبخاري).

فالإسلام يُريد من الصائم العابد أن يتحلَّى بكل خُلُق كريم، وفعل قويم، وقول جميل، قال (صلى الله عليه وسلم): "أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلُقًا، وخيارُكم خيارُكم لنسائِهم"؛ (سنن الترمذي)، وعن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبى (صلى الله عليه وسلم) أنه سُئِل عن أكثر ما يُدخِلُ الناسَ الجنة، قال: "تقوى الله وحُسن الخُلُق". وسُئِل عن أكثر ما يُدخِلُ النار، فقال: "الفمُ والفرْجُ"؛ (رواه الترمذي).

ومن أخلاق الصائمين فى رمضان: أنهم يشغلون جلّ أوقاتهم فى رمضان فى تلاوة القرآن الكريم ومدارسته، حيث ربط الله تعالى فى كتابه الكريم بين صوم رمضان والقرآن الكريم ، فهذا الفضل كله لرمضان ما كان إلا لكونه ظرفًا لنزول القرآن الكريم، يقول الله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاس وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَان فَمَنْ شَهدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} [البقرة: ١٨٥]، فتأمل كيف رتّبَ فرض الصيام على نزول القرآن فى هذا الشهر؟! بل إن ليلة القدر التى فضلها الله على ألف شهر قد أشار القرآن الكريم إلى أن سبب تفضيلها نزول القرآن الكريم فيها فقال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ

فِي لَيْلَةِ الْقَدْر * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْر * لَيْلَةُ الْقَدْر خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْر * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْن رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْر * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}
[القدر: ١ – ٥] .

إنّ المنزلة التى جعلها الله (عزّ وجلّ) لأهل القرآن الذين يشتغلون به تلاوة وتدبرًا وعملاً من أرقى وأعلى المنازل، فمن منا لا يتمنى أن يكون من أهل الله المقربين منه تعالى؟ عَنْ أَنَس بْن مَالِكٍ (رضى الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) : "إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاس" ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ:" هُمْ أَهْلُ الْقُرْآن، أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ"(سنن ابن ماجه)، فقارئ القرآن منتسب إلى الله ، فما أعظمه من شرف ، فبقدر ما تحفظ من القرآن يكون الشرف والمنزلة.

فأهل القرآن يرفع الله قدرهم بين العباد، فعَنْ عَامِرِ بْن وَاثِلَةَ أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ لقى عُمَرَ بِعُسْفَانَ وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ مَن اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي؟ فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَى. قَالَ: وَمَن ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا. قَالَ فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟! قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ. قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ (صلى الله عليه وسلم) قَدْ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ"(صحيح مسلم).

إن العبادة التى تضمن لك آلاف بل ملايين الحسنات فى ساعات معدودة هى قراءة القرآن، فعن عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ (رضى الله عنه) يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ أَلْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ"(سنن الترمذي)، فما أكثر الحروف وما أعظم الحسنات!!

إنّ القرآن خير من يدافع عنك يوم لا تجد نصيرًا ولا مدافعًا، فعن أبى أمامة (رضى الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "يُؤْتَى بِالْقُرْآن يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ". وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) ثَلاَثَةَ أَمْثَال مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: "كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَان أَوْ ظُلَّتَان سَوْدَاوَان بَيْنَهُمَا شَرْقٌ أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا"(صحيح مسلم).

وقد بيّن النّبى (صلى الله عليه وسلم) الفرق بين المؤمن الذي يقرأ القرآن ويتعاهده وبين الذي لا يقرأ القرآن فقال: "مَثَلُ الْمُؤْمِن الذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ، ريحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِن الذي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ لاَ ريحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِق الذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ ريحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ الْمُنَافِق الذي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَل الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا ريحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ" (متفق عليه)، والأترجة هى الفاكهة التى تجمع طيب الطعم والرائحة فنفهم من ذلك أن قارئ القرآن رائحته زكية، ومنافعه جليلة وقربه رحمة.

إن أعلى أهل القرآن أجرًا هم الذين يقرؤون بألسنتهم ويتدبرون بعقولهم وقلوبهم، قال تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص:٢٩]، ولقد أثنى الله على من تلا آياته فى كتابه العزيز ، قال تعالى : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال:٢]، قال ابن عباس (رضى الله عنهما) : " تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة، ودليل ذلك قوله تعالى: { فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى} [طه:١٢٣: ١٢٦]، وعَن ابْن سِيرِينَ قَالَ : الْبَيْتُ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ الْقُرْآنُ تَحْضُرُهُ الْمَلاَئِكَةُ وَتَخْرُجُ مِنْهُ الشَّيَاطِينُ وَيَتَّسِعُ بِأَهْلِهِ وَيَكْثُرُ خَيْرُهُ ، وَالْبَيْتُ الَّذِي لاَ يُقْرَأُ فِيهِ الْقُرْآنُ تَحْضُرُهُ الشَّيَاطِينُ، وَتَخْرُجُ مِنْهُ الْمَلاَئِكَةُ ، وَيَضِيقُ بِأَهْلِهِ وَيَقِلُّ خَيْرُهُ (مصنف ابن أبى شيبة).

فهنيئًا لأهل القرآن والصيام فى الدنيا والآخرة، وما أهون الجوع والعطش بالنهار، والسهر مع القرآن بالليل حين يجدهما العبد يدافعان عنه يوم القيامة، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْن عَمْرو (رضى الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: " الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَان لِلْعَبْدِ فيَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، إِنِّي مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَار فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْل فَشَفِّعْنِي فِيهِ فَيُشَفَّعَانِ"(المستدرك للحاكم).

فيا أيها المسلم الصائم : ليكن شهر رمضان محطة تغيير فى حياتك أمانة فى العمل ، وحرصًا على إنجازك الأعمال المطلوبة ،ونشاطًا لا يعرف الكلل والملل ، وبشاشة عند المقابلة ، ولينًا فى الحديث وتلطفًا فى الأخذ والرد.

ويا أيها الأب الفاضل : ليكن شهر رمضان مدرسة لتربية أبنائك ، فعلم أولادك فضائله وأخلاقه وآدابه حتى تكون قدوة حسنة ، ولبنة فى بناء مجتمع متميز.

ويا أيها التاجر المسلم : ليكن شهر رمضان انطلاقًا فى طلبك الرزق الحلال فى تجارتك ، بلا غش ، ولا خداع ، ولا استغلال حاجات وضرورات الناس ،وكن سمحًا صدوقًا فى البيع والشراء كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعَنْ جَابِرِ بْن عَبْدِ اللَّه (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : "رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ ، وَإِذَا اشْتَرَى ، وَإِذَا اقْتَضَى"(صحيح البخاري)، مؤديًا حق الفقراء من الصدقات والزكوات.

ويا أيها الطبيب المسلم : ليكن شهر رمضان شاهدًا لك فى عملك ، ولا يكن همك جمع المال ، فكن رحيمًا بالمرضى ، وعليك بطيب الكلام الذي يبث الأمل والرجاء فى قلوب مرضاك.

ويا أيها المعلم المسلم : ليكن شهر رمضان محطة تغيير وانطلاق فى مهمتك الجليلة ، فكن قدوة صالحة لطلابك ، فاحرص على تعليمهم الأخلاق الحميدة ، فكن على حذر من أي عمل قبيح أو تصرف سيئ أمام طلابك، فهم يتأثرون بك ، فعند ذلك لن يكون لكلامك قيمة.

رمضان شهر البر والصلة والتكافل
لا القتل ولا سفك الدماء

أولاً: العناصر:

١- رمضان شهر تصفية للنفوس وتطهير للقلوب.
٢- رمضان فرصة للتواصل ونبذ الهجر والقطيعة.
٣- فضل الجود والكرم في شهر رمضان.
٤- رمضان فرصة لتحقيق منهج الإسلام في التكافل بين أفراد المجتمع.
٥- حرمة الدماء في الإسلام .

ثانياً: الأدلة:

الأدلة من القرآن الكريم:

١- يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة: ١٨٣].
٢- ويقول تعالى: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: ٨٨، ٨٩].
٣- ويقول تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } [الحشر: ١٠].
٤- ويقول تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا} [النساء: ٣٦].
٥- ويقول تعالى: {وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ } [الرعد: ٢١، ٢٢].

٦- ويقول تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١].

٧- ويقول تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة: ٨].

٨- ويقول تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٦١].

٩- ويقول تعالى: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} [آل عمران: ٩٢].

الأدلة من السنة :

١-عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) قَالَ : قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) : أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : "كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ ، صَدُوقِ اللِّسَانِ" قَالُوا : صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ ؟ قَالَ : "هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ ، لاَ إِثْمَ فِيهِ، وَلاَ بَغْيَ، وَلاَ غِلَّ، وَلاَ حَسَدَ" (ابن ماجة).

٢-وعَن الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمُ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، لاَ أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلاَ تُؤْمِنُوا، حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَاكُمْ لَكُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ"(سنن الترمذي) .

٣- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَهْجُرَ مُؤْمِنًا فَوْقَ ثَلَاثٍ، فَإِنْ مَرَّتْ بِهِ ثَلَاثٌ فَلْيَلْقَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَقَدِ اشْتَرَكَا فِي الْأَجْرِ، وَإِنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِالْإِثْمِ" زَادَ أَحْمَدُ "وَخَرَجَ الْمُسَلِّمُ مِنَ الْهِجْرَةِ" (سنن أبي داود) .

٤- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ (صحيح البخاري)

٥- وعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ: أَسْلِمُوا، فَوَاللهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ فَقَالَ أَنَسٌ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا (صحيح مسلم).

٦- وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ أَنَّهُ بَيْنَا هُوَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وَمَعَهُ النَّاسُ مُقْبِلاً مِنْ حُنَيْنٍ عَلِقَتْ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) الأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ ، فَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ "أَعْطُونِي رِدَائِي ، فَلَوْ كَانَ عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ ، ثُمَّ لاَ تَجِدُونِي بَخِيلاً وَلاَ كَذُوبًا وَلاَ جَبَانًا"(صحيح البخاري) .

٧- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلاَنًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقِهِ أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي"(صحيح مسلم) .

٨- وَعَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ" (المعجم الكبير للطبراني).

ثالثاً: الموضوع:

تكثر في شهر رمضان المبارك وسائل التراحم والتآلف بين أفراد المجتمع وعلى مختلف مستوياتهم، فهو الشهر الذي تتنزل فيه الرحمات والبركات فتكون فرصة لتزكية النفوس وتطهير القلوب من الكراهية والبغضاء والحقد والغل لتحل محلها مشاعر التسامح والتصافح والبر والتقى، فيا لها من أجواء إيمانية يشيعها شهر رمضان فيتواصل المتهاجرون ويبرّ العاقّون آملين ألا يحرمهم الله تعالى من فضله وجوده ونفحاته في هذا الشهر الكريم.

إن أصحاب القلوب السليمة والنفوس الطاهرة والألسنة الصادقة هم أصحاب المكانة السامية والدرجة العظيمة عند ربهم سبحانه وتعالى يَرضى عنهم ويُرضيهم، ولقد سئل النبي (صلى الله عليه وسلم): أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ : "كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ ، صَدُوقِ اللِّسَانِ" ، قَالُوا : صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ : "هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لاَ إِثْمَ فِيهِ، وَلاَ بَغْيَ، وَلاَ غِلَّ، وَلاَ حَسَدَ"، فهذا القلب هو محل رحمة الله وهدايته، والله عز وجل يُعلي قدر صاحب هذا القلب ويرفع درجته، بل لا يقبل من غيره شيئًا، يقول الله تعالى: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}[الشعراء: ٨٨، ٨٩]، والقلب السليم معناه الذي سلم من الشرك والشك ومحبة الشر والمعاصي، ويلزم من سلامته من هذه الأشياء اتصافه بأضدادها من الإخلاص والعلم واليقين ومحبة الخير.

يقول القرطبي (رحمه الله): ...أَيِ الْخَالِصُ مِنَ الْأَوْصَافِ الذَّمِيمَةِ، وَالْمُتَّصِفُ بِالْأَوْصَافِ الْجَمِيلَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عُرْوَةَ أَنَّهُ قَالَ: يَا بَنِيَّ لَا تَكُونُوا لَعَّانِينَ فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَلْعَنْ شَيْئًا قَطُّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ: الْقَلْبُ السَّلِيمُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ قَائِمَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ:" يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ

أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ" يُرِيدُ- وَاللَّهُ أَعْلَمُ- أَنَّهَا مِثْلُهَا فِي أنها خالية من ذَنْبٍ، سَلِيمَةٌ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ.."(تفسير القرطبي)، ونقل ابن كثير (رحمه الله) عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ قَوْلَهُ: الْقَلْبُ السَّلِيمُ هُوَ الْقَلْبُ الصَّحِيحُ، وهو قلب المؤمن لأن قلب الكافر والمنافق مريض، قال الله تعالى: {في قلوبهم مرض}

(تفسير ابن كثير)

فهذا قلب المؤمن، قلب يحمل الخير لا الشر، يحمل بين جنباته الحب لا الكراهية، قلب يملؤه الصفاء والنقاء، يتمنى الخير لكل الناس ويحرص دومًا على تطهير نفسه من الغل والبغضاء، يقول تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } [الحشر:١٠].

ولِمَ لا يكون المؤمن كذلك والبغضاء والكراهية تحبط عمل العبد وتمحو أثره ؟! فَعَن الزُّبَيْرِبْنِ الْعَوَّامِ (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمُ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، لاَأَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَاكُمْ لَكُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ".

نتذكر هذه المعاني الإيمانية العظيمة ونحن في شهر كريم يرجع فيه الغائب، ويتوب العاصي، وينتبه الغافل، ويصل القاطع، ويبرُّ العاقُّ حتى يزيلَ الحجب بينه وبين رحمة الله تعالى، إذ إن أصحاب القلوب المريضة التي لوثتها الكراهية ودنسها الحقد والحسد والبغضاء لن يقبل الله لهم صيامًا ولن يصح لهم قيام.

وإذا كان الله (عز وجل) يصل عباده في شهر رمضان المبارك بالخير ويغدق عليهم من فضله فلا مكان فيه للهجر ولا للقطيعة بين العباد ولا للعقوق،

أما الهجر والقطيعة فإن الله تعالى لم يُبح للمؤمن أن يهجر أخاه أكثر من ثلاث ليالٍ على الأكثر، وهذه رحمة من الله تعالى أن يُعطي العبدَ فرصة ثلاثة أيام حتى تهدأ نفسه إن كان ثائرًا ليعود بعد ذلك إلى رشده ويصل أخاه تقربًا إلى الله تعالى، ثم لا عذر له بعد ذلك في الهجر فَعَدَّادُ السيئات لا يزال يُحصي ويَعُدُّ عليه مادام مقاطعًا أخاه، فالنَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يقول:

"لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَهْجُرَ مُؤْمِنًا فَوْقَ ثَلَاثٍ، فَإِنْ مَرَّتْ بِهِ ثَلَاثٌ فَلْيَلْقَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَقَدِ اشْتَرَكَا فِي الْأَجْرِ، وَإِنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِالْإِثْمِ" (زَادَ أَحْمَدُ) "وَخَرَجَ الْمُسَلِّمُ مِنَ الْهِجْرَةِ".

إن الذي يقاطع أخاه المسلم لشحناء بينهما لا يقبل الله تعالى منه عملًا ولا يشمله برحمته حتى في الأيام التي تعم فيها رحمة الله عباده، فقد أخرج الإمام مسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا"، فكيف يُحبط العبد صيامه وقيامه ويُفوِّتُ عل نفسه هذا الشهر الذي تُغفر فيه الذنوب وتُرفع فيه الدرجات لشيء بينه وبين فلان أو فلان؟!

قد يقول قائل إن قريبي فلانًا سيء الخلق، يُسيءُ إليَّ على الرغم من إحساني إليه، وصلته وقطعني فكيف بي أصله وأداوم على صلته؟! ونقول لمثل هذا إن صلتك إياه عبادة تتعبدُ بها إلى الله تعالى بغض النظر عما يستحقه العبد الذي قد يكون مسيئًا، ولقد أخرج البخاري بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) عن النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : "لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا"، كما أخرج الإمام مسلم بسنده عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَجُلاً قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ لِى قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِى، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَىَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَىَّ، فَقَالَ: "لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ"، يقول الإمام النووي (رحمه الله): "(الْمَلّ) بِفَتْحِ الْمِيم: الرَّمَاد الْحَارّ، وَ (تُسِفُّهُمْ) بِضَمِّ التَّاء وَكَسْر السِّين وَتَشْدِيد الْفَاء، وَ(الظَّهِير) الْمُعِين، وَالدَّافِع لِأَذَاهُمْ، وَقَوْله: (أَحْلُم عَنْهُمْ)بِضَمِّ اللَّام، (وَيَجْهَلُونَ)أَيْ يُسِيئُونَ، وَالْجَهْل هُنَا الْقَبِيح مِنْ الْقَوْل ، وَمَعْنَاهُ كَأَنَّمَا تُطْعِمهُمْ الرَّمَاد الْحَارّ، وَهُوَ تَشْبِيه لِمَا يَلْحَقهُمْ مِنْ الْأَلَم بِمَا يَلْحَق آكِل الرَّمَاد الْحَارّ مِنْ الْأَلَم، وَلَا شَيْء عَلَى هَذَا الْمُحْسِن، بَلْ يَنَالهُمْ الْإِثْم الْعَظِيم فِي قَطِيعَته ، وَإِدْخَالهمْ الْأَذَى عَلَيْهِ . وَقِيلَ : مَعْنَاهُ إِنَّك بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ تُخْزِيهِمْ وَتُحَقِّرهُمْ

فِي أَنْفُسِهِمْ لِكَثْرَةِ إِحْسَانك وَقَبِيح فِعْلهمْ مِنْ الْخِزْي وَالْحَقَارَة عِنْد أَنْفُسهمْ كَمَنْ يُسَفّ الْمَلّ . وَقِيلَ : ذَلِكَ الَّذِي يَأْكُلُونَهُ مِنْ إِحْسَانك كَالْمَلِّ يُحَرِّق أَحْشَاءَهُمْ، وَاَللَّه أَعْلَم"(شرح صحيح مسلم للإمام النووي) ، إذًا فالأذى واقع على المسيء المقاطع، أما المحسن الواصل فثوابه على الله تعالى الذي يعينه ويتولى أمره.

وأما الوالدان فما يصح لمؤمن أبدًا أن يعقهما خصوصًا في هذه الأيام الطيبة المباركة، فإن عقوقهما يحرم الإنسان من النفحات والخيرات، فإن رضا الله عن العبد مرهون برضا الوالدين، فليحرص كل منا أن يحظى برضا والديه وبدعوة طيبة منهما فإن دعاء الوالدين مستجاب، وقد أخرج الإمام أبو داود بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "ثَلاَثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لاَ شَكَّ فِيهِنَّ دَعْوَةُ الْوَالِدِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ"، وجاء في كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري أن طَيْسَلَةَ بن مَيّاس كان مع ابن عمر (رضي الله عنهما) يوما فقال له: بكاء الوالدين من العقوق، ثم قال له ابن عمر: أتفرق- يعني أتخاف – النار، وتحب أن تدخل الجنة؟ قلت: إي، والله! قال: أحيٌّ والداك؟ قلت: عندي أمي. قال: فوالله! لو ألنت لها الكلام، وأطعمتها الطعام، لتدخلن الجنة ما اجتنبت الكبائر.

إن شهر رمضان شهر بر وصلة وتكاتف وتكافل بين المسلمين، وإذا كنا بحاجة إلى كرم الله وجوده لا سيما في هذه الأيام المباركة فعلينا المسارعة إلى البذل والإنفاق والجود، فإن الله عز وجل يكرم من يكرم عباده ويعطي السخي من عباده، كما جاء في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ"، يقول ابن رجب (رحمه الله): "شهر رمضان شهر يجود الله فيه على عباده بالرحمة و المغفرة و العتق من النار لا سيما في ليلة القدر، و الله تعالى يرحم من عباده الرحماء كما قال (صلى الله عليه و سلم) : "إنما يرحم الله من عباده الرحماء" فمن جاد على عباد الله جاد الله عليه بالعطاء و الفضل، و الجزاء من جنس العمل" (لطائف المعارف)، ولهذا كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يزداد جوده وبذله في رمضان، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ : "كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ"، ففي هذا الحديث دلالة على زيادة جود النبي (صلى الله عليه وسلم) في رمضان عن غيره من الأزمان، وفي تشبيه جوده (صلى الله عليه وسلم) بالريح المرسلة وتفضيل جوده على ذلك يقول ابن حجر :" قال الزين بن المنير وجه التشبيه بين أجوديته (صلى الله عليه و سلم) بالخير وبين أجودية الريح المرسلة أن المراد بالريح ريح الرحمة التي يرسلها الله تعالى لإنزال الغيث العام الذي يكون سببًا لإصابة الأرض الميتة وغير الميتة، أي فيعم خيره وبره من هو بصفة الفقر والحاجة ومن هو بصفة الغنى والكفاية أكثر مما يعم الغيث الناشئة عن الريح المرسلة" (فتح الباري)، وعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: "أَيْ قَوْمِ: أَسْلِمُوا، فَوَاللهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ" فَقَالَ أَنَسٌ: "إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا"(صحيح مسلم).

لقد ضرب النبي (صلى الله عليه وسلم) المثل الأعلى في الجود والإنفاق حتى إنه ربما سأله رجل ثوبه الذي عليه، فيدخل بيته ويخرج وقد خلع الثوب، فيعطيه السائل، وربما اشترى الشيء ودفع ثمنه ثم رده على بائعه، حتى ائتلفت حوله القلوب، فقد جاء في صحيح الإمام مسلم أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ قَالَ: "وَاللهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ"، كما أخرج البخاري بسنده عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ أَنَّهُ بَيْنَا هُوَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وَمَعَهُ النَّاسُ مُقْبِلاً مِنْ حُنَيْنٍ عَلِقَتْ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) الأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ ، فَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ

"أَعْطُونِى رِدَائِى ، فَلَوْ كَانَ عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ ، ثُمَّ لاَ تَجِدُونِى بَخِيلاً وَلاَ كَذُوبًا وَلاَ جَبَانًا ".

لقد وضع الإسلام نظامًا يضمن التكافل والتعايش الأخوي بين المسلمين، سواءً أكان ذلك من خلال فرائض كالزكاة، أم من خلال واجبات كالنذور والكفارات، أم كان ذلك من خلال أبواب الصدقات والنفقات التي وعد الله أصحابها بعظيم الثواب، ولقد اعتبر القرآن الكريم أن قاسي القلب الذي لا يطعم الجائع ولا يرحم اليتيم مكذبًا بالدين جملة فقال تعالى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ[الماعون: ١ – ٧].

فعلى المسلم أن يستشعر الأخوة التي تجمعه بكل المسلمين مصداقًا لقول الله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } [الحجرات: ١٠]، فهذا الجائع الذي لا يجد ما يسد جوعه أخوك، وهذا المريض الذي لا يجد ما يتداوى به أخوك، وهذا العاري الذي لا يجد ما يستتر به أخوك سيحاسبك الله تعالى عليه، فهل يَسَعُكَ أن تترك أخاك يتألم أو يلتوي جوعًا؟!! إن لم تفعلها تَكَرُّمًا وتقربًا إلى الله تعالى فاعلم أنها واجبة عليك، يقول ابن حزم (رحمه الله): " وَفُرِضَ عَلَى الأَغْنِيَاءِ مِنْ أَهْلِ كُلِّ بَلَدٍ أَنْ يَقُومُوا بِفُقَرَائِهِمْ، وَيُجْبِرُهُمْ السُّلْطَانُ عَلَى ذَلِكَ، إنْ لَمْ تَقُمْ الزَّكَوَاتُ بِهِمْ، وَلاَ فِي سَائِرِ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَيُقَامُ لَهُمْ بِمَا يَأْكُلُونَ مِنْ الْقُوتِ الَّذِي لاَ بُدَّ مِنْهُ، وَمِنْ اللِّبَاسِ لِلشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ بِمِثْلِ ذَلِكَ، وَبِمَسْكَنٍ يَكُنُّهُمْ مِنْ الْمَطَرِ، وَالصَّيْفِ وَالشَّمْسِ، وَعُيُونِ الْمَارَّةِ، وَبُرْهَانُ ذَلِكَ: قَوْلُ اللَّهِ تعالى:{وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ}. وَقَالَ تعالى:{وَبِالْوَالِدَيْنِ إحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ}، فَأَوْجَبَ تَعَالَى حَقَّ الْمَسَاكِينِ، وَابْنِ السَّبِيلِ، وَمَا مَلَكَتْ الْيَمِينُ مَعَ حَقِّ ذِي الْقُرْبَى وَافْتَرَضَ الإِحْسَانَ إلَى الأَبَوَيْنِ، وَذِي الْقُرْبَى، وَالْمَسَاكِينِ، وَالْجَارِ، وَمَا مَلَكَتْ الْيَمِينُ، وَالإِحْسَانُ يَقْتَضِي كُلَّ مَا ذَكَرْنَا، وَمَنْعُهُ إسَاءَةٌ بِلاَ شَكٍّ."(المحلى لابن حزم) .

على أن التكافل الذي أمرنا الإسلام به لا يخص المسلمين وحدهم بل يشمل كل بني الإنسان على اختلاف مللهم واعتقاداتهم داخل المجتمع، والله عز وجل يقول: {لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة: ٨]؛ ذلك أن أساس التكافل هو كرامة الإنسان؛ حيث قال الله تعالى: {وَلَقَدْ كَرّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً} [الإسراء: ٧٠].

إن الجمع بين الصيام و الإنفاق في سبيل الله من موجبات الجنة كما في حديث علي (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه و سلم) قال : " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا ". فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "لِمَنْ أَطَابَ الْكَلاَمَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ"(سنن الترمذي)، و هذه الخصال كلها تكون في رمضان فيجتمع فيه للمؤمن الصيام و القيام والصدقة و طيب الكلام فإنه ينهى فيه الصائم عن اللغو و الرفث.

ما أعظم ما نراه في هذا الشهر الكريم من إقبال الناس على الخير وحرصهم على إفطار الصائمين وإكرام من حولهم، إن رمضان جاء ليحرك الخير فينا، فالخير في نفوسنا أصلاً لكن رمضان حرك ما كان راكدًا وساعد بنفحاته وجوه الإيماني على ظهوره، ألا فليكن رمضان بداية لنا لا نهاية للجود والكرم والإقبال على الخير.

لقد عظم الله تعالى حرمة النفس الإنسانية ، فحرم الاعتداء عليها بأي لون من ألوان الاعتداء ، ونهى عن قتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق ، وأن هؤلاء الآثمين المعتدين على الدماء وعلى قتل النفس التي حرّم الله لا علاقة لهم بالإسلام ولا بالأديان ولا بالإنسانية ، سواء في ذلك من يقتلون المدنيين العُزّل في غزة ، أو من قتلوا جنودنا البواسل الصائمين المُرابطين على الحدود ، المُدافعين عن الأوطان غدرًا وخيانة وسفكًا للدم الحرام بدون حق وهو أمر لا يجرؤ عليه إلا من انسلخ من دينه وإنسانيته وآدميته واتبع غير سبيل المؤمنين .

العيـــد - آدابه وضوابط الفرحة فيه

أولاً: **العناصر**:

١- العبادات والأعياد في الإسلام.
٢- حكمة مشروعية الأعياد .
٣- من الآداب الإسلامية في العيد.
٤- الأعياد تدعو إلى التسامح ونبذ الخلافات.
٥- مظاهر الفرح وضوابطه في العيد.

ثانياً: **الأدلة**:

الأدلة من القرآن:

١- يقول الله تعالى: { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى } [الأعلى: ١٤، ١٥].

٢- ويقول تعالى:{ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس:٥٨].

٣- ويقول تعالى: {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: ١٨٥].

٤- ويقول تعالى :{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}[إبراهيم: ٧] .

٥- ويقول تعالى: {اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ} [الرعد: ٢٦].

٦- ويقول تعالى : {ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ * ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ } [غافر: ٧٥، ٧٦].

الأدلة من السنة :

١- عَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا، فَقَالَ: "مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ ". قَالُوا كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِى الْجَاهِلِيَّةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا يَوْمَ الأَضْحَى وَيَوْمَ الْفِطْرِ" (سنن أبي داود)

٢- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) "زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ، مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ، فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ"(سنن أبي داود).

٣- وعن أبي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "... لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ..." (صحيح البخاري).

٤- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَأَرْصَدَ اللَّهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ" (متفق عليه).

٥- وعن عَبْدِ اللهِ بْنَ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: أَخَذَ عُمَرُ جُبَّةً مِنْ إِسْتَبْرَقٍ تُبَاعُ فِي السُّوقِ فَأَخَذَهَا فَأَتَى بِهَا رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْتَعْ هَذِهِ تَجَمَّلْ بِهَا لِلْعِيدِ وَالْوُفُودِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "إِنَّمَا هَذِهِ لِبَاسُ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ" (صحيح البخاري).

٦- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ : "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لاَ يَغْدُو يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمَرَاتٍ .. وَيَأْكُلُهُنَّ وِتْرًا" (البخاري).

٧- وعَنْ جابر بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قال: "كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) إِذَا كَانَ يَوْمُ عِيدٍ خَالَفَ الطَّرِيقَ" (أخرجه البخاري)

٨- وعن عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ بُعَاثَ ، فَاضْطَجَعَ عَلَى

الْفِرَاشِ وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَانْتَهَرَنِي، وَقَالَ: مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم)؟! -يستنكر- ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم)، فَقَالَ: "دَعْهُمَا"(صحيح البخاري).

ثالثاً: **الموضوع** :

لقد انقضى رمضان وودعه المسلمون وقلوبهم مازالت به متعلقة ، لأنه عمَّر قلوبهم بالإيمان، وصفت فيه نفوسهم، وأخلصوا لله فيه العمل، عرفوا حق رمضان فصامت بطونهم عن المفطرات ، وصامت جوارحهم عن المنكرات ، فكان رمضان فرصة لفعل الخيرات ، وموسمًا لعمل البر والطاعات.

انقضى رمضان وقد فرغ المسلمون من صيامه ، ونرجو الله تبارك وتعالى أن يكون قد ترك أثارًا طيبةً في نفوس المسلمين، فلعل ما يقصده الإسلام من وراء الصيام قد تحقق في قلوب المؤمنين، كما نرجو الله تعالى أن يكون المسلمون قد خرجوا منه بتزكية النفوس، وتصفية الأرواح، وسلامة الصدور من الأحقاد والأضغان.

ودّع المسلمون شهر رمضان بأيامه الفاضلة، ولياليه العامرة، وقد فاز فيه من فاز بالرحمة والمغفرة والعتق من النار، وخسر فيه من خسر بسبب الذنوب والعصيان، نسأل الله تعالى أن يكون قد كتبنا فيه من الفائزين المنتصرين الغانمين.

واليوم يشرق علينا عيدُ الفطر المبارك ببهجته وفرحته، أعاده الله علينا وعلى الأمة الإسلامية بالخير واليمن والبركات .

وإذ جعله الله (عز وجل) في نهاية الشهر الكريم ليفرح الصائمون والطائعون بطاعتهم لله (عز وجل)، فقد عُرِفَ بيوم الجائزة، فمن أتم صيامه وقيامه، وبذل فيه من العطاء ابتغاء مرضاة الله (عز وجل)، وأعطى من حرمه، ووصل من قطعه، وعفا عمن ظلمه، صدق فيه قول الحق سبحانه: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} [الأعلى: ١٤]، وذلك هو الفوز العظيم، لأن العيد في حياة الإنسان أن تكون علاقته بالله في خير حال، ويسعى لأن يكون من أهل الجنة، فكل يوم يمر عليه دون أن يعصي الله فهو عيد، يقول ابن رجب (رحمه الله): "ليس العيد لمن لبس الجديد، إنما العيد لمن طاعاته تزيد، ليس

العيد لمن تجمل باللباس والركوب، إنما العيد لمن غفرت له الذنوب، في ليلة العيد تفرق خلق العتق والمغفرة على العبيد، فمن ناله منها شيء فله عيد، وإلا فهو مطرود بعيد"(لطائف المعارف).

والعيد في الإسلام له معنيان كبيران، معنى رباني، ومعنى إنساني، فالمعنى الرباني هو أن لا ينسى الإنسان ربه بالعبادة في يوم العيد، فيبدأ المسلم يومه بالتكبير وبالصلاة - صلاة العيد - والتقرب إلى الله عز وجل.

وأما المعنى الإنساني: فهو أن يفرح الإنسان بفضل الله عليه ، ويتواصل مع غيره ، ويشع عليه من فرحته ، من أجل هذا شرع الإسلام في كل عيد فريضة وشعيرة معينة ، فشرع في عيد الفطر زكاة الفطر، فرضها النبي (صلى الله عليه وسلم) على الكبير والصغير والحر والعبد والرجل والمرأة، وجعلها طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) " زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ، فَمَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ " (سنن ابن ماجه).

وفي عيد الأضحى شرع الأضحية ، حتى يوسع الإنسان على نفسه وأقاربه وعلى جيرانه وفقراء المسلمين، فالإسلام لم يسن الأضحية ليشبع أصحاب الأضحية من اللحم ، ولكن ليشبع الفقراء من اللحم الذي قد لا يتوفر لهم في عموم الأوقات، يقول الله تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ }[البقرة: ١٧٧].

ولما كانت أمة الإسلام هي خير أمة أخرجت للناس، جاءت أعيادُها أكرمَ الأعياد، إذ جعلها الحق تبارك وتعالى مرتبطة بعقيدتها، فربط عيد الفطر بفريضة الصيام، فهو عيد الفطر من الصيام، وفي الحديث الشريف (... لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ...) (متفق عليه).

يفرح بفطره كل يوم عند الغروب، لأنه أُحِل له ما كان محرمًا عليه من أكل وشرب وجماع، وغير ذلك، وفرحة دينية بالتوفيق للطاعة ، وتأتي الفرحة العامة في آخر رمضان لأنه وفِّق إلى طاعة الله وأداء الفريضة في هذا الشهر، فهو يفرح بهذين الأمرين، ففرحة المؤمن الحقيقية بطاعة الله وهدايته، يقول الله تعالى : {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس: ٥٨]. ويحق للصائمين الفرح، لأنهم حققوا نصرًا كبيرًا في معركة ضارية تحالفت فيها النفس مع الشيطان ضد العقل الذي خلقه الله (عز وجل) فهذا العيد الأول عيد الفطر يأتي مرتبطًا بفريضة الصوم، وكذا عيد الأضحى يأتي مرتبطًا بفريضة أخرى وهي فريضة الحج، لذا سمي عيد الأضحى بيوم الحج الأكبر.

هذا، وقد شرعت الأعياد في الإسلام لحكم سامية ومقاصد عالية، وأغراض نبيلة ، لا تخرج عن دائرة التعبُّد لله ربِّ العالمين، في كلِّ وقتٍ وحين ، ومنها:

* ذكر الله تعالى وإظهار نعمته على عباده، وشكره سبحانه على تمام نعمته وفضله وتوفيقه لعباده على إتمام العبادات، وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده عند إكمال العدة بتكبيره وشكره فقال سبحانه: {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[البقرة: ١٨٥]. وشكر من أنعم على عباده بتوفيقهم للصيام وإعانتهم عليه، ومغفرته لهم به وعتقهم من النار، أن يذكروه ويشكروه، لأن قضاء العبادة والطاعة يقتضي من المسلم أن يشكرَ الله تعالى الذي أعانه على ذلك، فإنه ما صلَّى ولا صامَ إلا بِمَنِّه وتوفيقه سبحانه ، ومتى شكر العبد ربَّه على نعمه وعده الله تعالى بالمزيد من النعم، قال تعالى : {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم: ٧] .

ومن المقاصد العالية التي من أجلها شرعت الأعياد : أن تكون فرصة لتوطيد العلاقات الاجتماعية بالتزاور والتلاقي، والتآلف والتعارف ونشر المودة والرحمة بين المسلمين، وترسيخ الأخوَّة الدينيَّة بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ

(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَأَرْصَدَ اللَّهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ، قَالَ: "فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ ".

فتعميق التلاحُم بين أفراد الأُمَّة الواحدة، وتوثيق الرابطة الإيمانيَّة، مقصد من المقاصد العظيمة التي شُرعتْ لأجْلها الأعياد في الإسلام، مصداقًا لقول المصطفى (صلَّى الله عليه وسلَّم): " المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضه بعضًا" (رواه البخاري).

ومن مقاصد العيد أيضًا: التذكيرُ بحقِّ الضعفاء والعاجزين، ومواساة أهل الفاقة والمحتاجين، وإغناؤهم عن ذلِّ السؤال في هذا اليوم؛ حتى تشملَ الفرحةُ كلَّ بيتٍ، وتعمَّ كل أسرة، ومن أجل ذلك شُرِعت الأُضْحية وصدقة الفِطْر.

فشعيرة العيد فرصة لتتصافَى النفوس وتلتقي وتتآلف القلوبُ، وتتوطد الصلاتُ والعلاقات، وتزول الضغائنُ والأحقاد، فتُوصَلُ الأرحام بعد القطيعة، ويجتمعُ الأحباب بعد طول غياب، وتتصافح الأفئدة والقلوب قبل الأيدي، ويعم الودُّ والصفاء جميع أفراد المجتمع.

ولما كان العيد فرصة للسرور وتقوية الروابط الاجتماعية كانت له آداب ينبغي للمسلم أن يراعيها ويحرصَ عليها، ومن هذه الآداب:

الاغتسالُ والتجمُّل، والتطيُّب، ولبس أحسن الثياب يوم العيد، لأنه يومٌ يجتمع الناس فيه، وقد ثَبَتَ أنَّ ابن عمر (رضي الله عنهما) كان يغتسل يوم الفِطْر قبل أن يغدوَ إلى المصلى(موطأ مالك)، وأقرَّ النبي (صلَّى الله عليه وسلَّم) عمر بن الخطاب، ولم ينكرْ عليه التجمُّل للعيد، حين رأى عُمَرُ جُبَّةً مِنْ إِسْتَبْرَقٍ تُبَاعُ فِي السُّوقِ فَأَخَذَهَا فَأَتَى بِهَا رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْتَعْ هَذِهِ تَجَمَّلْ بِهَا لِلْعِيدِ وَالْوُفُودِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " إِنَّمَا هَذِهِ لِبَاسُ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ"(رواه البخاري).

فينبغي للمسلم أن يكونَ في هذا اليوم على أحسن مَظهر، وأَتَمِّ هيئة، وذلك إظهارًا لنعمة الله عليه، وشكرًا له على ما تفضَّل به، فإن الله (عزَّ وجلَّ) يحب أن يَرَى أثرَ نعمته على عبده.

ومن آداب العيد : ألا يخرج في عيد الفطر إلى الصلاة حتى يأكل تمرات، لما رواه البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ :كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) "لاَ يَغْدُو يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمَرَاتٍ .. وَيَأْكُلُهُنَّ وِتْرًا " (البخاري).

والسبب في ذلك : النهي عن الصوم في ذلك اليوم، وإيذانا بالإفطار وانتهاء الصيام، ومن لم يجد تمرا فليفطر على أي شيء مباح.

التكبير والجهر به: ويبتدئ من ثبوت العيد وينتهي بصلاة العيد، وقد قال الله تعالى:{وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[البقرة :١٨٥] ، فينبغي على المسلم أن يجهر بالتكبير من حين يخرج من بيته حتى يأتي المصلي ، لحديث عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) : أن رسول الله كان يكبر يوم الفطر من حيث يخرج من بيته حتى يأتي المصلى (السنن الكبرى للبيهقي). وعن نافع: أن ابن عمر كان إذا غدا يوم الفطر ويوم الأضحى يجهر بالتكبير حتى يأتي المصلى، ثم يكبر حتى يأتي الإمام، فيكبر بتكبيره . (سنن الدارقطني) .

الخروج إلى الصلاة ماشيًا، لحديث علي (رضي الله عنه) قال: مِنَ اَلسُّنَّةِ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى اَلْعِيدِ مَاشِيًا، (رواه الترمذي وحسنه)، والعمل على هذا الحديث عند أكثر أهل العلم، يستحبون أن يخرج الرجل إلى العيد ماشيًا، وألا يركب إلا من عذر .

أن يذهب المسلم إلى الصلاة من طريق وأن يرجع من طريق آخر ؛ لحديث جابر بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قال: كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذَا كَانَ يَوْمُ عِيدٍ خَالَفَ الطَّرِيقَ (أخرجه البخاري) . وذلك ليشهد له الطريقان عند الله يوم القيامة، والأرض تحدّث يوم القيامة بما عُمل عليها من

الخير والشرّ ، أو لإظهار شعائر الإسلام في الطريقين، أو لقضاء حوائج الناس ، أو الصدقة على المحتاجين ، أو لزيارة الأقارب وصلة الرحم وملاقاة الأحباب.

ومن آداب العيد التهنئة الطيبة التي يتبادلها الناس فيما بينهم، أيًا كان لفظها ، مثل قول بعضهم لبعض : تقبل الله منا ومنكم، أو عيد مبارك، وما أشبه ذلك من عبارات التهنئة المباحة، فهي أدب من آداب العيد، لفعل بعض الصحابة لها، فعن جبير بن نفير قال : كان أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض،" تُقُبِّل منا ومنك"(فتح الباري) فالتهنئة كانت معروفة عند الصحابة ورخص فيها أهل العلم.

ولا ريب أن هذه التهنئة من مكارم الأخلاق، ومحاسن المظاهر الاجتماعية بين المسلمين.

ولما كان العيد في الإسلام مظهرًا من مظاهر الفرح بفضْل الله تعالى ورحمته، وإظْهار السرور والفرح في الأعياد من شعائر الدين، فإن الله تعالى لم يحرم على عباده الفرح فيما يستحق أن يفرح الإنسان من أجله، وإن أولى ما يفرح به المسلم توفيق الله – تعالى – له بالطاعة، لذا حثَّ الإسلام أتباعه في كل حين على أن يفرحوا بما يحمد ويذكر، ثمَّ نهاهم – سبحانه – عن أن يفرحوا بزخرف الدنيا ومتاعها الزائل، أو يفرحوا بالسطوة في الأرض بغير الحق، فإن ذلك يؤدي إلى العذاب المهين قال تعالى: { وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ}[سورة الرعد:٢٦]، ويقول تعالى: {ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ * ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ} [غافر: ٧٥، ٧٦].

فالفرح المحمود ما يكون في مقابل نعمة التوفيق بطاعة من الطاعات، أو قربة من القربات، أو كفرحة المؤمن الذي قهر شهواته، وقاوم رغباته، أو كانتصار ما يحبه الله على ما لا يحبه، قال تعالى: { وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ* بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}[الروم ٤،٥].

ومن ثمَّ فلا بأْسَ باللعب واللهو المباح، وفِعْل كلِّ ما يُدخِل البهجة في النفوس، ولا يَعني هذا التحلُّل من الأخلاق والآداب ، بل لا بُدَّ فيه من

الانضباط بالضوابط الشرعيّة والآداب المرعية، من غير إفراطٍ ولا تفريط، فعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا، فَقَالَ: مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟ قَالُوا: كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):" إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الْأَضْحَى، وَيَوْمَ الْفِطْرِ " (سنن أبي داود).

فالعيد في الإسلام بهجة وفرحة وسرور وشكر لله على التوفيق لأداء فريضة الصيام أو الحج ، فقد روى البخاري (رحمه الله تعالى) عن عَائِشَةَ (رضي الله عنه) قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ بُعَاثَ ، فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ وَحَوَّلَ وَجْهَهُ ، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَانْتَهَرَنِي ، وَقَالَ: مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم)؟! يستنكر ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم)، فَقَالَ: (دَعْهُمَا). وهذا يدل على جواز الفرحة والغناء بالمباحات من الكلام والشعر في العيد.

وواجب المسلم في هذا اليوم مراعاة الآداب والضوابط التي وضعتها الشريعة الإسلامية للاحتفال بالعيد ، ومراعاة حرمات الله تعالى، فلا يجوز أن يكون يوم العيد يوم حزن أو هم بالبكاء والندب على الراحلين، وإنما يكون يوم بهجة وسرور ، يوم التزاور والتراحم ، وإظهار الفرح والسرور والبشاشة في وجه إخوانه وكل من يلقاه من المسلمين.

ومن ضوابط الفرحة في الأعياد: البعد عن المعاصي والمنكرات ، والعمل على غرس المحبة، وإكرام الأيتام، وإطعام الفقراء، وسد حاجة المحتاجين، والدعوة إلى التسامح ونبذ الخلافات التي تبعدنا عن طريق الله، والكف عن المشاجرات، والتخلي عن الضغائن والعداوات التي تفسد علينا طاعتنا لله (عز وجل).

والحذر مما يفعله كثير من بعض الناس في أيام العيد من الإسراف والتبذير ، وتبديد الأموال والأوقات، وارتكاب المحرمات، فيما لا يفيد نفعًا لافي الدنيا ولا في الآخرة، بل يعود عليهم بالضرر والخسران .

ومن هذا المنطلق فإن الإسراف في الفرح مدعاة للخروج عن المقصود ؛ بل ربما أدى إلى الوقوع فيما لا يرضي الله (عز وجل) من معاصي.

فالعيد ليس قطعًا للصلة بالله تعالى، أو نسيانًا للقرآن، أو نهاية عهد بالمساجد والجماعات ، وليس انفلاتًا من المثل والأخلاق، ولا انطلاقًا للشهوات، أو تنصلًا من الطاعات ؛ بل هو فرح رباني، وسرور روحاني، يفتتح بالتكبير والتحميد والصدقة والصلاة.

علامات قبول الطاعة

أولاً: العناصر:

١- أحوال الناس في العبادة والطاعة.

٢- من علامات قبول الطاعة:

أ- المداومة على الأعمال الصالحة بعدها.

ب – توفيق الله تعالى للعبد بالطاعة.

ج – إخلاص العمل لله تعالى .

د – الخوف من عدم القبول.

هـ – عدم الرجوع إلى الذنب بعد الطاعة .

٣- ظهور أثر الطاعة في السلوك والأخلاق.

ثانياً: الأدلة:

الأدلة من القرآن:

١- يقول تعالى: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ} [المائدة: ٢٧].

٢- ويقول تعالى: { وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}[الحجر:٩٩].

٣- ويقول تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ}[فصلت: ٣٠].

٤- ويقول تعالى : يقول الله تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف:١١٠].

٥- ويقول تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة : ٥].

٦- ويقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}[المؤمنون ٥٧-٦١].

الأدلة من السنة :

١- عَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)أَنَّهَا قَالَتْ : سُئِلَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ :(أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ)(صحيح البخاري).

٢- وعن علقمة قال: سألت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) : (يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ كَيْفَ كَانَ عَمَلُ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هَلْ كَانَ يَخُصُّ شَيْئًا مِنْ الْأَيَّامِ ؟ قَالَتْ : لاَ ، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً) (رواه البخاري) .

٣- وعن سفيان بن عبد الله الثقفي (رضي الله عنه) قال: قلت يا رسول الله : قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك ؟ قال : "قل: آمنت بالله، ثم استقم" (رواه مسلم).

٤- و عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ : أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ، مَالَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "لَا شَيْءَ لَهُ" فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "لَا شَيْءَ لَهُ" ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ" (رواه النسائي في سننه).

٥- وعن ابْنِ مَسْعودٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يا رَسُولَ اللهِ أَنُؤَاخَذُ بِما عَمِلْنا في الْجاهِلِيَّةِ قالَ: " مَنْ أَحْسَنَ في الإِسْلامِ لَمْ يُؤَاخَذْ بِما عَمِلَ في الْجاهِلِيَّةِ، وَمَنْ أَساءَ في الإِسْلامِ أُخِذَ بِالأَوَّلِ وَالآخِرِ" (متفق عليه).

٦- وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: سألت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن هذه الآية: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ} [المؤمنون:٦٠] أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ! قال: " لا يا ابنة الصديق! ولكنهم الذين يصومون ويصلّون ويتصدقون ، وهم يخافون أن لا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات"

(رواه الترمذي).

٧- وعَنْ أَبِي ذَرّ (رضى الله عنه) قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : "اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ" (رواه الترمذي).

ثالثاً: الموضوع:

ما أسرع ما تنقضي الأيام ، وما أعجل ما تنصرم الشهور والأعوام ، وهذه سنة الحياة ، أيام تمرُّ وأعوام تكرُّ ، وما الحياة الدنيا إلا أنفاس معدودة ، وآجال محدودة ، وفي تقلب الدهر عبر ، وفي تغير الأحوال مدَّكر ، يقول سبحانه: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا } [الفرقان:٦٢].

لقد انتهى شهر رمضان وانقضت أيامه ولياليه ، وودعه المسلمون وقلوبهم ما زالت آسفة لفراقه ورحيله، لأنه عمَّر قلوبهم بالإيمان ، وصفت فيه نفوسهم ، وأخلصوا لله العمل، انقضى رمضان، وربح فيه من ربح ، وخسر فيه من خسر ، فهنيئاً لمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً، ويا حسرة من ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، وليس له من قيامه إلا السهر والتعب.

إن المتأمل في حال كثيرٍ من المسلمين اليوم بعد مضي شهر رمضان، يجد فرقاً شاسعاً، وبونا كبيراً بين حالهم في رمضان وحالهم بعده ، فكثير منهم لا يعرف الله إلا في رمضان، ولا يعبدون الله إلا في رمضان، ولا تستقيم أخلاقهم إلا في رمضان، حتى إذا ما انقضى رمضان عادوا إلى أحضان الذنوب والآثام ، وقطعوا العبادة وانغمسوا في الشهوات والأهواء ، وعادوا إلى سيرتهم الأولى وكأن قلوبهم لم تتذوق حلاوة الإيمان ، وكأن جوارحهم لم تخشع لهيبة الملك الديان ، فبعد أن كانوا في رمضان أبراراً أتقياء صاروا بعد رمضان جبابرة أشقياء ، تعدوا حدود الله ، وهتكوا حرمات الله ، وصدق فيهم قول الله عز وجل : {وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ } [النمل: ٢٤].

وكأنهم بعملهم هذا يعتقدون أن الله تعالى رقيب عليهم في رمضان وغائب عنهم في غير رمضان ، {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} [البقرة: ٩، ١٠]. وما أكثر هؤلاء اليوم الذين أشربوا في

قلوبهم حب المعاصي والمنكرات، وبغض الطاعات والقربات ، فلم يكن لشهر رمضان أثرٌ في نفوسهم وقلوبهم.

أما المسلم الحق فيعلم تمام العلم أن ربَّ رمضان هو رب جميع الشهور والأعوام ، فتجده دائم الصلة بربه عز وجل ، فيستمر بعد رمضان على طاعة الله، والمحافظة على الصلوات وسائر العبادات، والبعد عن المحرمات، فهنيئاً له بقبول طاعته، وهنيئاً له التأسي بالسلف الصالح الذين كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهرٍ أخرى أن يتقبله منهم، فكل أوقاتهم عبادة.

إنّ المسلم الحق يعملُ العمل راجياً من الله القبول ، وإذا قبل الله عمله فهذا دليل أن العمل وقع صحيحاً على الوجه الذي يحبه الله تبارك وتعالى، لكن كيف يعرفُ الإنسان أن عمله قد قبل ، وأن الجُهد الذي قام به آتى ثمرته؟

إن لقبول الطاعة علامات يعرف بها العبد أن الله تعالى تقبل منه عمله وطاعته ، ومن هذه العلامات :

المداومة على الأعمال الصالحة بعدها : فلا شك أن المسلم مطالب بالمداومة على الطاعات والعبادات ، فليس للطاعات موسمٌ معينٌ ، حتى إذا

ما انقضى هذا الموسم عاد الإنسان إلى المعاصي مرة أخرى ، بل إن موسم الطاعات يستمر مع العبد في حياته كلها ، لا ينقضي حتى ينقضي أجله ، فعبادة الله أمر مطلوب في جميع الأوقات والأحوال،لا تختص بوقت دون وقت ، وهذا ما كان يفعله النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فلقد سئلت السيدة عائشة (رضي الله عنها): يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ كيف كان عَمَلُ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هَلْ كَانَ يَخُصُّ شَيْئًا مِنْ الْأَيَّامِ ؟ قَالَتْ: لاَ ، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً (رواه البخاري). وقيل لبشر الحافي – رحمه الله – : إن قوماً يتعبدون ويجتهدون في رمضان ، فقال : "بئس القوم قوم لا يعرفون لله حقًّا إلا في شهر رمضان ، إن الصالح الذي يتعبد ويجتهد السنة كلها".

فعلى المسلم أن يلزم نفسه بقدر من العبادات يستطيع أن يداوم عليه حتى ولو كان قليلاَ ، فالقليل الدائم ينمو ويزكو ، وفي الوقت نفسه سيكون من أحب الأعمال إلى الله سبحانه وتعالى.

ومن ثم يتضح أن من علامات قبول الطاعة المداومة والاستمرار عليها ، وأن يكون حال العبد بعدها خيراَ منه قبلها، وإن انقضى شهر رمضان المبارك ، فإن عمل المسلم واستقامته على شريعة الإسلام ليس له نهايةٌ ، قال تعالى: { وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}[الحجر:٩٩].

فالواجب على المسلم أن يستقيم على طاعة الله في كل وقت وحين ، وأن يستمر على ما تعوده من الأعمال الصالحة ، يؤدي ما أوجب الله عليه ، وينتهي عما حرم الله عليه ، حيث أمر الله نبيه (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنين بالاستقامة وحثهم على ملازمتها ، فقال سبحانه: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }[هود: ١١٢]. وروى مسلم في صحيحه عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت يا رسول الله ، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك ؟ قال : "قل: آمنت بالله، ثم استقم" .

فإن الاستقامة على الطاعة والاستمرار عليها من صفات عباد الله المؤمنين ، يقول تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[الأحقاف:١٣]، ويقول تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ}[فصلت:٣٠].

فالواجب على المسلم أن يداوم على طاعة الله، ويحذر من المخالفات والمعاصي. قال الحسن البصري: إن من جزاء الحسنة الحسنة بعدها، ومن عقوبة السيئة السيئةُ بعدها، فإذا قبل الله العبد فإنه يوفقه إلى الطاعة، ويصرفه عن المعصية.

فإن الله تعالى إذا تقبل عمل عبد وفقه لعمل صالح بعده ، كما قال بعض السلف : ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، فمن عمل حسنة ثم أتبعها بحسنة بعدها كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى ، كما أن من عمل حسنة ثم أتبعها بسيئة ، كان ذلك علامة على ردِّ الحسنة وعدم قبولها ، فمن أراد أن يعلم مدى

قبول عمله من ذلك ، فليعود نفسه على الطاعة والعمل الصالح ، حتى يكون العمل الثاني علامة على قبول العمل الأول.

فالطاعة المتقبلة تتبعها مثلها ، وهذا من حسنها وبركتها، والسيئة تجر إلى مثلها.

ومن علامات قبول الطاعة: أن يوفق العبد لطاعة بعدها، وهذا من رحمة الله تبارك وتعالى وفضله أنه يكرم عبده إذا فعل حسنة، وأخلص فيها لله أنه يفتح له باباً إلى حسنة أخرى ليزيده منه قرباً، وهذا دليل على رضى الله عن العبد ، وإذا رضي الله عن العبد وفقه إلى عمل الطاعة وترك المعصية ، فإن التوفيق للعمل الصالح نعمة كبرى، ولكنها لا تتم إلا بنعمة أخرى أعظم منها، وهي نعمة القبول.

ومن علامات قبول الطاعة : أن يخلص العبدُ أعماله لله ، فلا يجعل للخلق فيها نصيباً، لأن الله تعالى لا يرضى عن العمل ولا يتقبله إلا إذا كان خالصاً لوجهه ، وابتغي به رضاه، يقول الله تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: ١١٠].

فالإخلاص شرط أساسي لقبول الأعمال الصالحة ، فهو ركيزةٌ تقومُ عليهَا الأعمالُ، ولاَ يستقيمُ بدونِهِ للمسلِمِ حَالٌ، وهوَ روحُ الطاعاتِ، وجوهرُ العباداتِ، فلاَ تُقْبَلُ طاعةٌ بدونِهِ، ولاَ يرتقِي مسلمٌ بغيرِهِ، وهُوَ صدقُ النيةِ بالتوجُّهِ إلَى اللهِ تعالَى وحدَهُ، وتنقيةُ النفْسِ مِنَ الشوائبِ التِي تضُرُّ بالأعمالِ، ومن ثم يجب أن يقصد الإنسان بعمله مرضاة الله تعالى لا مدح الناس وحبِّ الشُّهرةِ ، قالَ تعالَى: {وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ }[البينة : ٥].

والمخلص هو الذي يقوم بأعمال الطاعة من صلاة وصيام وحج وزكاة وصدقة وقراءة للقرآن وغيرها ابتغاء الثواب من الله وليس طلباً للمدح والثناء من الناس.

فالإنسان الذي يريد الصلاة لا بد أن يخلص النية لله تعالى حتى ينال الثواب من الله تعالى، كذلك الصيام والزكاة والحج وغير ذلك من الأعمال التي يتقرب بها إلى الله تعالى لا بد أن يخلص الإنسان النية فيها لله تعالى.

ومن ثم فعلَى المسلمِ أَنْ يُوطِّنَ نفْسَهُ علَى الإخلاصِ فِي حالِهِ ومقالِهِ، وأَنْ يستوِيَ عندَهُ العملُ فِي السرِّ والعلنِ، فلاَ يُغرِيهِ ثناءُ المادحينَ، ولاَ يُثنِيهِ ذَمُّ القادحينَ، فغايَتُهُ أَنْ يكونَ العملُ صالحاً خالصاً لوجْهِ اللهِ تعالَى مقبولاً، وعليهِ أَنْ يُبَرِّئَ نفْسَهُ مِنَ العُجْبِ بالعملِ، فآفَةُ الإخلاصِ إعجابُ الْمَرْءِ بنفسِهِ. قال الفضيل بن عياض: "إن الله لا يقبل من العمل إلا أخلصه وأصوبه، فأخلصُه ما كان لله خالصاً، وأصوبُه ما كان على السنة" وذكر الله تبارك وتعالى أنه لا يقبل العمل إلا من المتقين ، فقال تعالى: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ}[المائدة: ٢٧].

وروى النسائي في سننه ، عن أبي أمامة : أن رجلا سأل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا رسول الله : فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ، مَالَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "لَا شَيْءَ لَهُ" فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "لَا شَيْءَ لَهُ" أي إذا عمل الرجل العمل يبتغي الأجر من الله تعالى ومدح الناس له فليس له من الثواب شيء ؛ لأنه يريد مدح الناس له ، ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ".

كذلك من علامات قبول الطاعة : الخوف من عدم القبول ، فالله سبحانه وتعالى غني عن طاعاتنا وعباداتنا، قال عز وجل: { وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [لقمان:١٢] ، وقال تعالى: { إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ }[الزمر:٧] والمؤمن مع شدة إقباله على الطاعات ، والتقرب إلى الله بأنواع القربات إلا أنه مشفق على نفسه أشد الإشفاق ، يخشى أن يُحرم من القبول ، فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: سألت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)عن هذه الآية: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ}[المؤمنون:٦٠] أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ! قال: " لا يا ابنة الصديق! ولكنهم الذين يصومون ويصلّون ويتصدقون ، وهم يخافون أن لا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات" (رواه الترمذي).

فعلى الرغم من حرصه على أداء هذه العبادات الجليلات فإنه لا يركن إلى جهده ، بل يستقل أعماله، ويظهر الافتقار التام لعفو الله ورحمته، ويمتلئ قلبه مهابة ووجلاً ، يخشى أن ترد عليه أعماله والعياذ بالله.

لقد كان السلف الصالح يجتهدون في إتمام العمل وإكماله وإتقانه، ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله، ويخافون من رده، وهؤلاء الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة، يعطي ويخشى ألا يقبل منه، يتصدق ويخشى أن ترد عليه، يصوم ، ويقوم ويخشى ألا يكتب له الأجر. قال بعض السلف: " كانوا لقبول العمل أشد منهم اهتماماً بالعمل ذاته ، ألم تسمعوا قول الله (عز وجل): {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} [المائدة:٢٧] " فغير المتقين ما هو حالهم؟

كذلك من علامات قبول الطاعة: عدم الرجوع إلى الذنب بعد الطاعة ، فإن الرجوع إلى الذنب علامة مقت وخسران ، قال يحي بن معاذ : من استغفر بلسانه وقلبه على المعصية معقود، وعزمه أن يرجع إلى المعصية بعد الشهر ويعود فصومه عليه مردود ، وباب القبول في وجهه مسدود . فإذا كرِه العبد الذنوب وكرِه أن يعود إليها فليعلم أنه مقبول، وإذا تذكر الذنب حزن وندم وانعصر قلبه من الحسرة فقد قُبلت توبته، يقول ابن القيم في مدارج السالكين: "أما إذا تذكر الذنبَ ففرح وتلذذ فلم يقبل ولو مكث على ذلك أربعين سنة" .

وقد ثبت في الصحيحين من حديث ابْنِ مَسْعودٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يا رَسُولَ اللهِ أَنُؤَاخَذُ بِما عَمِلْنا في الْجاهِلِيَّةِ قَالَ: "مَنْ أَحْسَنَ في الإِسْلامِ لَمْ يُؤَاخَذْ بِما عَمِلَ في الْجاهِلِيَّةِ، وَمَنْ أَساءَ في الإِسْلامِ أُخِذَ بِالأَوَّلِ وَالآخِرِ" (متفق عليه) ، أي عوقب بذنوبه السابقة أيضا؛ لأن في الإساءة بعد التوبة حبوط للتوبة ، ولعل من أسرار هذا الأمر بالعمل الصالح بعد التوبة قال تعالى: { إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما } [الفرقان ٧٠] ، { وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل عملا صالحا ثم اهتدى } [طه : ٨٢] ، وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " وأتبع السيئة الحسنة تمحها " (أحمد وحسنه الألباني) ، فاشتراط العمل الصالح بعد التوبة حزم في منع الرجوع إلى الذنب.

ومن ثم فإن علامة قبول الطاعة: أن يظهر أثرها في سلوك المسلم وأخلاقه ومعاملاته مع الخلق، وفي مراقبةِ الله له، فإن الطاعات تعتبر وسيلة من وسائل تزكية النفوس ، وتطهير القلوب، وسلامة الصدور ، وكلّما ازدادَ المسلم طاعةً ازداد عِلمًا وعملاً وهدًى، قال تعالى: { وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا} [النور:٥٤]، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ} [محمد:١٧]. فالمجتَمَع الذي يداوم أفرادُه على الطاعات تضعف فيه نوازِع الشرّ ويحَصَّن من الفساد؛ ذلك أنَّ العبادات والطاعات تهذّب الأخلاق وتقوِّم السلوكَ وتروِّض الجوارِحَ ، ومن ثم ينصلح حال الأفراد وتسمُو المجتمعاتُ وتسودُ الأمّة ، قال تعالى: { إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} [العنكبوت:٤٥]، وقال تعالى: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا} [النور:٥٥].

وعليه فلنستعن جميعاً بالله ، ولنداوم على الطاعة ، ونخلص لله العمل ، ونعزم على عدم العودة إلى الذنب مرة ثانية، فإن الاستمرار على طاعة الله علامة من علامات القبول .

الإسلام دين السلام

أولاً: العناصر:

١- دعوة الإسلام إلى السلام .

٢- السلام شعيرة من شعائر الإسلام .

٣- تسامح الإسلام مع غيره.

٤- أثر السلام في حياة الأمة.

ثانياً: الأدلة:

الأدلة من القرآن:

١- يقول الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [البقرة: ٢٠٨].

٢- ويقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} [النساء: ٩٤].

٣- ويقول تعالى: {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأنعام: ٥٤].

٤- ويقول تعالى: {وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ } [إبراهيم: ٢٣] .

٥- ويقول تعالى: {وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ} [القصص: ٥٥] .

٦- ويقول تعالى: { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }

[الممتحنة: ٨، ٩].

الأدلة من السنة :

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: " الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ". (سنن النسائي).

٢- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): " لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ "(صحيح مسلم).

٣- وعَنْ مُوسَى بْنِ زِيَادِ بْنِ حِذْيَمٍ السَّعْدِيِّ (رضي الله عنه) ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، حِذْيَمِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّهُ شَهِدَ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَقَالَ: "أَلَا إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، وَكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا، وَكَحُرْمَةِ بَلَدِكُمْ هَذَا" (مسند أحمد).

٤- وعَنِ أَبي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ".

(صحيح البخاري).

٥- عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى (رضي الله عنه) ، قال: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ قِبَلَهُ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، ثَلَاثًا، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ، فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ، عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ" (سنن ابن ماجه) .

ثالثاً: الموضوع:

إن الإسلام منذ بدايته عمل على نشر السلام ، وأن يتناول السلام كل جوانب الحياة الإنسانية، على مستوى الأفراد والمجتمعات والدول، وذلك من خلال ما توجه به من تكاليف، وما دعا إليه من واجبات، وما نهى عنه من محرمات، ليغرس في قلب المسلم ووعيه ووجدانه حالة من الاستقرار النفسي والأمن المجتمعي ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [البقرة: ٢٠٨].

وعلى ذلك فالسلام في الإسلام أساس متين ، قامت عليه مبادئه، ودعت إليه توجيهاته ، ورَبى عليه أتباعَه ، وأخذهم بسلوك طريقه، والدعوة إليه، والعمل على سيادته، حتى ينعم المجتمع بالأمن ويتجه أفراده إلى العمل والبناء والإنتاج والرخاء، ويأمن الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، ويكونوا من بعد إخوانا متحابين، فيعم التسامح والتعاون والإخاء، وتزول من حياة الناس أسباب النزاع والشحناء والعداوة والخصام ، ويصبح كل فرد من أفراد المجتمع داعيا إلى الخير، عاملا على إرساء قيمه وتوضيح سبله.

ومن ثم فالإسلام يدعو إلى السلام، ويحث عليه، ويهيب بالناس أن يجنحوا إليه ويدخلوا فيه، حتى نستطيع أن نحقق معاني الإسلام ومبادئه في الحياة، وحينئذ يمكننا أن نجني سلاماً في النفس ، وطمأنينة في القلب ، وصفاء في العقل، وإشراقاً في الروح.

ولا عجب فالسلام شعيرة من شعائر الإسلام ، جعله الله تحية المسلمين فيما بينهم لتطبيق وتمكين معاني السلام في أحوال حياتهم وشؤون معاشهم، حيث أمر الله المؤمنين بأن يتخذوه تحية لهم عند لقائهم وعند فراقهم. قال تعالى: {فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً }

[النور: ٦١] .

كل ذلك من أجل نشر الأمن والسلام بين أفراد المجتمع؛ ليتمكنوا بعد ذلك من أداء مهامهم الدينية والدنيوية، ويحققوا لأبنائهم وأوطانهم ما يحلم به كل غيور على بلده وأهله، مُجدّ في بلوغ آماله وطموحاته.

ولا شك أن من غايات المسلم دخول الجنة ، ولذلك رسم الرسول (صلى الله عليه وسلم) الطريق إليها وجعل من أسبابها إفشاء السلام حتى تعم المحبة بين الناس جميعا ، فقال: "لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ ".

ثم إن الإسلام بمدلوله العام إنما يعني السلام ، لأنه مشتقٌّ من صفة الله العظيم واسمه الكريم (السلام)، وذلك بصريح آيات القرآن المجيد، حيث قال سبحانه – متحدثاً عن أسمائه وصفاته: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ.. } [الحشر: ٢٣]، ومن هنا أمر تعالى جميع المؤمنين أن يدخلوا في هذا المعنى، وأن يتجنبوا ما يتنافى والمعاني الفياضة بحقيقة الإسلام ومبادئ السلام.

والسِّلْم والسلام شيءٌ واحد ، هو الأمن المنبثق من الإيمان بالله الواحد والطمأنينة النابعة من اتباع تعاليمه السمحة وأحكامه العادلة، تلك التي جعلها سبحانه شعار دينه، وضمن من خلالها السكينة لكل عباده، قال تعالى :{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [آل عمران: ١٩].

ولم لا ؟ وهو الدين المحقق لمبدأِ السلام لبني الإنسان، والذي كفل سلامته وسعادته ليهنأ في الدارين- الدنيا والآخرة-، قال تعالى:{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣].

وتأكيداً لتحقيق مبدأ السلام في الأرض بين الناس ، فقد كافأ الله الساعين فيه والمطبقين له عملياً بالجنة، وجعل تحيتهم فيها السلام، قال تعالى: {وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ} [الأعراف: ٤٦] ، وقال تعالى: {خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ} [إبراهيم: ٢٣].

ولو قارنا بين الميثاق الدولي الذي أعلنه نبي الإسلام محمد (صلى الله عليه وسلم) في خطبته في حجة الوداع وقرر فيه حقوق السلم والعدل والمساواة بين الناس ، وبين ميثاق الأمم المتحدة في هذا المجال ، وكيف أن الميثاق النبوي حقق أهدافه كاملة غير منقوصة في نشر السلام

العالمي ، بينما أخفق إعلام الأمم المتحدة في إنشاء مظلة دولية تنصف المظلومين من المتربصين بهم من خارج هذه المنظمة ، أو حتى من بين أعضائها أنفسهم .

والسبب في هذه المفارقة : هو أن نبي الإسلام (صلوات الله وسلامه عليه) كان صادقاً في دعواه في نشر السلم ، وتحقيق العدل ، والمساواة بين الناس ، وأنه لم يكن يعمل من أجل حساب الإنسان العربي أو الإنسان المسلم فقط دون غيرهما من سائر الناس ، بل كان يكرر في خطابه نداءه للناس جميعاً ، ويصدره بين الحين والآخر بعبارة (أيها الناس) وبعبارة :(ليبلغ الشاهد منكم الغائب) بل إنه كثيراً ما تحدى (صلى الله عليه وسلم) أصحابه والعرب جميعاً بأن مظلة الأمن والسلم سوف تنشئ آفاقها على العباد والبلاد في فترة وجيزة ، وكان يقسم على ذلك ، ويقول فيما يرويه الإمام البخاري : " ... والله ليتمَّنَّ هذا الأمرُ حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون " .

أما القائمون على المنظمات الدولية التي أخذت على عاتقها نشر السلام في العالم فإنهم لم يكونوا مخلصين في دعوتهم ؛ إذ كانوا يفرقون في دخائل أنفسهم بين الغرب والشرق ، وبين حق الإنسان الغربي في الأمن والسلم وحق غيره من سائر الناس.

وانطلاقاً من مبادئ الإسلام العامة ومقاصده المهمة ، لم يقتصر السلام في الإسلام على أهل الإيمان، وإنما صار مبدأ للبشرية قاطبة، لينعموا مع المسلمين بالأمن والسعادة، ويحرصوا جميعاً على نشره في الأرض ، فلقد جاء في حديث زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، قال: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ قِبَلَهُ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، ثَلَاثًا، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ، فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ، عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ".

أرأيت كيف أن الخطاب لكل الناس ؟! ليس هذا فحسب، بل إن الأقرب من ربه وكرمه وعطفه ووده وبره، هو الأسبق من غيره في بذل السلام وإلقائه وإفشائه، لما ورد في سنن أبي داود بسنده عَنْ أَبِي أُمَامَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ".

ولقد أكد أئمة الإسلام في كل عصر وأوان على أنَّ السلام هو الهدف الأسمى من رسالة الإسلام وأهم غاياته في الأرض، ومن ثم جاءت الرسالات تترى؛ مؤكدة ضرورة المعاملة في ضوء السلم النفسي والأسري، فهذا نوح (عليه السلام) يخاطبه ربه: { يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ}[هود: ٤٨] ، وهذا إبراهيم (عليه السلام) لما وصل مع أبيه عند نقطة لا يمكن معها الاتفاق، وأصر أبوه على طرده ، لم يؤثر عنه أن أساء له أو نال منه ؛ وإنما كان ما سجله القرآن الكريم ، حيث قال:{قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا} [مريم: ٤٦، ٤٧] .

وهكذا يعني السلام في مضمونه العملي إقامة مبدأِ العطف والبر مع العدل والمساواة والحرية ، بعيداً عن الأطماع البشرية ؛ إذ لا يسمى السلام سلاماً إذا كان لصالح طرف دون الآخر، وإنما يكون ظلماً وذلاً ، لذا قال تعالى: { وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [الأنفال: ٦١].

وقد أودع الله – تعالى– أوامره وزواجره سبحانه معاني السلام ، فمما لاشك فيه أن عمل الصالحات يسهم في نشر الأمن والسلام ، كما أن التصدي للمخالفين والعابثين الفاسدين والمفسدين يحقق الأمن والسلام ، وقد جاء في الحكم أو المثل: من أمن العقوبة أساء الأدب.

ولذا قال الله تعالى : { مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} [المائدة: ٣٢].

والمعنى: أنه لما كانت النفس الإنسانية محترمة في الإسلام ، كان من أهرق دم نفس واحدة بدون حق فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن عمل على حفظها وصيانتها ولو كانت واحدة فقط فكأنما أحيا الناس جميعاً.

إن الإسلام أمر بحسن معاملة الأعداء، علّهم أن يعودوا إلى رشدهم فيكفوا عن ظلمهم وعدائهم ، قال الله تعالى: {وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ * فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } [الزخرف:٨٨-٨٩] .

وبهذا يحرص الإسلام علي أن يغرس السلام في نفوس أتباعه ويربيهم علي ذلك بالتطبيق العملي، ولا يعني هذا إقامة السلام فيما بينهم فحسب بوصفهم أتباع دين واحد ، ولكنه يعني أيضا إقامة السلام مع كل الناس بصرف النظر عن أجناسهم وأديانهم وألوانهم .

كما وضع الإسلام للمسلمين مبدأ عاما للتعايش السلمي بينهم وبين غيرهم من الشعوب، هذا المبدأ يتلخص في ضرورة التعايش الايجابي مع الآخرين أيا كانوا ، ومعاملتهم بالعدل والإنصاف والتسامح ، طالما أن هؤلاء لم يصدر منهم أي عدوان علي المسلمين ، ولم يتعاونوا مع أعداء المسلمين ضدهم ، قال الله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }
[الممتحنة: ٨، ٩].

بل حتى في ميدان الحربِ والقتال؛ قرر الإسلام أنه إذا ألقى العدوُّ السلام وجبَ الكفُّ عنه واعتباره مُسلمًا مُتمتِّعًا بالسلام؛ عملاً بقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا }
[النساء: ٩٤].

ولأهمية السلام في الإسلام نجد أنه لايرتبط بالإنسان فقط ، بل للحيوان والنبات والجماد أيضاً ، ويكفي أن نشير إلى أن كلمة (السلام) وردت في

القرآن الكريم إحدى وأربعين مرة ، بينما وردت كلمة (حرب) أربع مرات فقط، وضرورة السلام للإنسان في الإسلام تنبع من أنه دين يسوي بين الناس جميعاً في الحقوق وفي الواجبات ، وأول هذه الحقوق هو حق (الاختلاف) فالله تعالى خلق الناس مختلفين { ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين} [هود : ١١٨] .

وإذا كان الاختلاف مشيئة إلهية في خلق الناس لا راد لها ، فإن العلاقة بين المختلفين – فيما يقرر الإسلام –هي علاقة التعارف والالتقاء ، والتعاون على البر والتقوى .. و(السلام) هو مقتضى علاقة التعارف ولازمها الأول.

جدير بالذكر أن الإسلام ينظر إلى السلام على أنه الأصل في العلاقات الدولية وفي علاقة الناس بعضهم ببعض ، وأن الحروب ضرورة واستثناء.

إن آفة الآفات في فلسفة السلام أن يرتبط بمقاصد السياسات الدولية ومزاجها المتقلب ، وأن يتخلى عن مقاصد الأخلاق وغاياتها الثابتة التي نادت بها الديانات السماوية ، وحثت على الالتزام بها ، وفي هذه الآفة يكمن الفرق بين نظرة الرسالات الإلهية لمفهوم السلام وضرورته القصوى كشرط أساسي للتقدم والرقي والرفاهية ، وبين معنى السلام في مفهوم الأمزجة البشرية المتقلبة حيناً والمتصارعة حيناً ، والظالمة حيناً آخر.

وعليه فالسلام هو صمام الأمان في المجتمعات، ترتفع به دعائمه، وتعلو رايته، ويعيش أبناؤه في أمن واستقرار ، ويزدهر لهم به وجه الحياة ، فيقوى اقتصادهم، ويعيشون في سعة من العيش ورغد ورفاهية .

ومن هنا يعلمنا الحق سبحانه وتعالى أن ننشر السلام بين أولادنا وأهلينا كلما ولجنا البيوت والمنازل، قال تعالى:{فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}[النور:٦١] ..

وهكذا كفل لنا التشريع الإسلامي إشاعة السلام في جنبات المجتمع حتى يعم الأمن ويكثر الخير وتفيض البركة .

إعلاء الإسلام لقيمة العلم وتحريمه لكل ألوان الغش

أولاً: العناصر :

١- قيمة العلم في الإسلام .
٢- فضل العلم والعلماء.
٣- الحث على طلب العلم والعمل به.
٤- العلم والأخلاق.
٥- دور العلم في نهضة الدول وتقدم الأمم.
٦- الغش في التعليم وأثره المدمر على الفرد والمجتمع .

ثانياً: الأدلة :

الأدلة من القرآن :

١- قال تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق:١- ٥].

٢- وقال تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران: ١٨].

٣- وقال تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ}[البقرة: ٣١ – ٣٣] .

٤- وقال تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [المجادلة: ١١].

٥- وقال تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمر:٩].

٦- وقال تعالى: {الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ } [غافر:٣٥].

٧- وقال تعالى: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ } [فاطر: ٢٧-٢٨].

٨- وقال تعالى: { بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ} [العنكبوت:٤٩].

٩- وقال تعالى: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} [العنكبوت: ٤٣].

الأدلة من السنة والآثار:

١- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ (رضي الله عنه) - قَالَ-: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: " مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ" (سنن أبي داود).

٢- وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "فَضْلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ، وَخَيْرُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ " (رواه الحاكم في المستدرك).

٣- وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: "فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ"، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ" (سنن الترمذي).

٤- عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "مَنْ غشّنَا فَلَيسَ منَّا" (رواه مسلم) .

٥- وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تُعَلِّمُونَ وَلْيَتَوَاضَعْ لَكُمْ مَنْ تُعَلِّمُونَهُ ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ جَبَابِرَةِ الْعُلَمَاءِ فَلَا يَقُومُ عِلْمُكُمْ بِجَهْلِكُمْ. (أدب الدنيا والدين).

٦- وعَنْ رَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) قَالَ: تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ؛ فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ لِلَّهِ تَعَالَى خَشْيَةٌ، وَطَلَبَهُ عِبَادَةٌ، وَمُذَاكَرَتَهُ تَسْبِيحٌ، وَالْبَحْثَ عَنْهُ جِهَادٌ، وَتَعْلِيمَهُ لِمَنْ لَا يَعْلَمُ صَدَقَةٌ، وَبَذْلَهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ؛ لِأَنَّهُ مَعَالِمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَمَنَارُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَالْأُنْسُ فِي الْوَحْشَةِ، وَالصَّاحِبُ فِي الْغُرْبَةِ، وَالْمُحَدِّثُ فِي الْخَلْوَةِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَالسِّلَاحُ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَالدِّينُ عِنْدَ الْأَجِلَّاءِ، يَرْفَعُ اللهُ تَعَالَى بِهِ أَقْوَامًا، وَيَجْعَلُهُمْ فِي الْخَيْرِ قَادَةً وَأَئِمَّةً، تُقْتَبَسُ آثَارُهُمْ، وَيُقْتَدَى بِفِعَالِهِمْ، وَيُنْتَهَى إِلَى رَأْيِهِمْ، تَرْغَبُ الْمَلَائِكَةُ فِي خِلَّتِهِمْ، وَبِأَجْنِحَتِهَا تَمْسَحُهُمْ، يَسْتَغْفِرُ لَهُمْ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ، حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْبَحْرِ وَهَوَامُّهُ، وَسِبَاعُ الطَّيْرِ وَأَنْعَامُهُ، لِأَنَّ الْعِلْمَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ مِنَ الْجَهْلِ، وَمِصْبَاحُ الْأَبْصَارِ مِنَ الظُّلْمِ، يَبْلُغُ بِالْعِلْمِ مَنَازِلَ الْأَخْيَارِ، وَالدَّرَجَةَ الْعُلْيَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَالتَّفَكُّرُ فِيهِ يَعْدِلُ بِالصِّيَامِ، وَمُدَارَسَتُهُ بِالْقِيَامِ، بِهِ تُوصَلُ الْأَرْحَامُ، وَيُعْرَفُ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ، إِمَامُ الْعُمَّالِ، وَالْعَمَلُ تَابِعُهُ، يُلْهَمُهُ السُّعَدَاءَ، وَيُحْرَمُهُ الْأَشْقِيَاءِ (حلية الأولياء).

ثالثاً : الموضوع:

إن العلم هو القوة الدافعة للأمم نحو التقدم، وهو الأداة القوية التي تبنى بها الحضارات، وهو سفينة الحائرين إلى بر الهداية والنور، ولأهميته ومكانته جعل الإسلام له فضلاً عظيمًا ولطالبه شرفًا ونبلاً، فهو أفضل ما رغَّب فيه الراغب وجدَّ في طلبه الطالب، فالله تبارك وتعالى شهد لنفسه بالوحدانية وثنّى بالملائكة وأولي العلم، قال تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران: ١٨].

فما من شكٍ أن العلم له مكانة عالية في الإسلام ؛ لأنه حياة القلوب ونور الأبصار، به يبلغ الإنسان منازل الأبرار ، وبه يطاع الله ، وبه يعبد ، وبه يوحد، وبه يُمَجَّد وبه توصل الأرحام ، وبه ترفع الأمم أعلى الدرجات ، فالإسلام دين

العلم ، لا يُعرَفُ دينٌ مثله أشاد بالعلم وحثّ عليه ، ورغب في طلبه ، ونوّه بمكانة أهله ، وأعلى من قدرهم ، وبين فضل العلم وأثره في الدنيا والآخرة، وحضّ على التعلم والتعليم ، وحسبنا أن أول آيات نزلت من الوحي على قلب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أشارت إلى فضل العلم ، حيث أمرت بالقراءة وهي مفتاح العلم ، ونوّهت بالقلم وهو أداة نقل العلم ، وذلك في قوله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق:١– ٥].

فهذه أول صيحة تنوِّه بقيمة العلم، وتعلن الحرب على الأُمِّيّة الغافلة، وتجعل اللبنة الأولى في بناء كل إنسان عظيم أن يقرأ وأن يتعلَّم ، فهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن مكانة العلم في الإسلام لا تدانيها مكانة ، وقد دل على ذلك أنه المنحة الإلهية التي رفع الله بها مقام آدم على ما دونه من الملائكة (عليهم السلام) ، قال تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ}[البقرة: ٣١ – ٣٣] .

ولقد عني الإسلام بالعلم عناية فائقة ، وحث أتباعه على طلبه، والبحث والتفكير في كل ميدان من ميادين المعرفة، وكل مجال من مجالات الحياة ، والقرآن الكريم به الكثير من الآيات التي تشير إلى هذا، قال تعالى :{ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ} [العنكبوت:٤٩].

إنّ العلم يثمر لصاحبه الخير والهداية، وفضله يزداد عند طالبه، وقد شرف الحق سبحانه وتعالى العالم وميزه عن غيره، وأخبر أنه لا يعقل آياته ويفهمها حق فهمها وينزلها المكانة اللائقة بها إلا العالمون، فقال سبحانه: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمر: ٩] ، فالعلم في ذاته غاية ؛ يدل على ذلك ما جاء عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) قَالَ: تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ؛ فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ لِلَّهِ تَعَالَى خَشْيَةٌ، وَطَلَبَهُ

عِبَادَةٌ، وَمُذَاكَرَتَهُ تَسْبِيحٌ، وَالْبَحْثَ عَنْهُ جِهَادٌ، وَتَعْلِيمَهُ لِمَنْ لَا يَعْلَمُ صَدَقَةٌ، وَبَذْلَهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ؛ لِأَنَّهُ مَعَالِمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَمَنَارُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَالْأُنْسُ فِي الْوَحْشَةِ، وَالصَّاحِبُ فِي الْغُرْبَةِ، وَالْمُحَدِّثُ فِي الْخَلْوَةِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَالسِّلَاحُ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَالدِّينُ عِنْدَ الْأَجِلَّاءِ..

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تُعَلِّمُونَ وَلْيَتَوَاضَعْ لَكُمْ مَنْ تُعَلِّمُونَهُ ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ جَبَابِرَةِ الْعُلَمَاءِ فَلَا يَقُومُ عِلْمُكُمْ بِجَهْلِكُمْ. (أدب الدنيا والدين).

فطبيعة الإسلام تفرض على الأمة المسلمة أن تكون أمة متعلمة ترتفع فيها نسبة المثقفين، وتهبط أو تنعدم نسبة الجاهلين ، فإن قيمة العلم في الإسلام كقيمة الحياة بالنسبة للإنسان.

وكذلك أعلى القرآن الكريم من شأن العلم، فعبَّر عنه بالسلطان ، فقال تعالى: {الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا }[غافر:٣٥]، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ }[غافر:٥٦].

ولله در سيدنا عليّ (رضي الله عنه) حين قال: العلم خيرٌ من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم حاكم والمال محكوم ، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق.

فالعلم ضرورة مُلِحَّة، وحاجة ماسَّة ، عليها تتوقف سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة. ومن هنا كان طلب العلم فريضةً ، كما روى ابن ماجة عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ".

وأما عن فضل العلماء ومنزلتهم ؛ فقد مدح الله أهل العلم وأثنى عليهم وشرفهم ، ورفع منازلهم وقدَّر جهودَهم ، وسما بدرجاتهم حتى قرَنَهم الحق سبحانه بنفسه وملائكته في الشهادة بوحدانيته والإقرار بعدالته، قال تعالى:{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[آل عمران:١٨].

وقال (عز وجل): {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [المجادلة:١١]. وما ذلك إلا لأن العلماء أكثر الناس معرفة بربهم، وأحرص الناس على تبليغ كلام خالقهم ، بل هم أكثر الناس خشية لله بما أدركوا من آثار قُدرته وعظمته، فقال: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} [فاطر: ٢٨].

ومن ثم فإن للعلماء مكانة عظيمة حفظها لهم الشرع الحنيف لعظم قدرهم في الأمة ، فهم ورثة الأنبياء وهم المفضلون بعد الأنبياء على سائر البشر ، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : (فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ)، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ)

(سنن الترمذي).

لذلك أمر سبحانه وتعالى بسؤال أهل العلم والرجوع إليهم فيما يشكل ، فقال: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: ٤٣].

وأما عن الحث على طلب العلم والعمل به ، فإن طلب العلم والسعي في تحصيله واجب على كل مسلم ومسلمة ، ولقد أوضح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فضيلة طلبه في حديث يدفع كل من قرأه بتدبر إلى المسارعة في طلب العلم ، وإفناء العمر في سبيل تحصيله ، فقَالَ : " مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ"(سنن أبي داود).

وقد جاء عن سلف الأمة الصالح (رضي الله عنهم وأرضاهم) عدة معان جديرة بالذكر والعناية؛ تبين حقيقة الطلب الشرعي للعلم والهمة التي ينبغي أن يكون عليها طالب العلم. من ذلك: ما روي عن ابن مسعود (رضي الله عنه)قال:

ليس العلم بكثرة الرواية؛ وإنما العلم الخشية، وكان الحسن البصري (رضي الله عنه) يقول: اعملوا ما شئتم أن تعملوا فو الله لا يؤجركم الله تعالى عليه حتى تعملوا؛ فإن السفهاء همتهم الرواية؛ وإن العلماء همتهم الرعاية. وَقَالَ مالك: العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية؛ ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه: إذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب؛ وما أحد أمنّ عليّ من مالك .

فالعلم نور وهدى ، يعطيه الله تعالى لمن اتقاه واتبع رضاه ، يقول الإمام الشافعي :

شَكَوتُ إِلى وَكيعٍ سوءَ حِفظي ... فَأَرشَدَني إِلى تَركِ المَعاصي
وَأَخبَرَني بِأَنَّ العِلمَ نورٌ ... وَنورُ اللَهِ لا يُهدى لِعاصي

ولقد كان في الأمة الإسلامية نماذج من العلماء الذين أثْرُوا الحياة بعلمهم وأخلاقهم ، وإعمال فكرهم، منهم على سبيل المثال: عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) حبر الأمة وترجمان القرآن، عُرِفَ بشيخ المفسرين ، وعبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) من السبعة المكثرين لرواية الحديث، ومعاذ بن جبل (رضي الله عنه) حامل لواء العلماء يوم القيامة ، وأتى من بعدهم أئمة أعلام ملؤوا الأرض علمًا منهم : ابن النفيس الدمشقي الذي نبغ في الطب وأول من اكتشف الدورة الدموية ، وأبو بكر الرازي ، وابن سينا، وغيرهم كثير ممن أفادوا البشرية بعلمهم وكانوا مثلًا يحتذى بهم ، فالواجب على شباب الأمة أن يحذوا حذوهم وأن ينهلوا من العلم حتى ينهضوا بالأمة، على أن من الخطورة بمكان أن يتصدى الإنسان للفتوى بدون علم، فيضل الناس، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْتَزِعُ الْعِلْمَ مِنَ النَّاسِ انْتِزَاعًا وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعُلَمَاءَ فَيَرْفَعُ الْعِلْمَ مَعَهُمْ وَيُبْقِي فِي النَّاسِ رُءُوسًا جُهَّالاً يُفْتُونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَيَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ " (صحيح مسلم)

ومن هذا يتضح أن الإسلام يدعو إلى العلم ويُحرر العقل ، ويحثّ على النظر في الكون، ويُنشِئ العقلية العلمية التي تبدع وتبتكر، ويرفض العقلية الجاهلة المستسلمة لكل ما يتوارثه الناس، دون مناقشة له ، فالأمة الإسلامية لا يمكن لها أن تنهض إلا بالعلم ، ولا يمكن لها أن تتبوأ مكان الصدارة إلا بالعلم ، ولا يمكن لها أن تقضي على التخلف والأمراض والفقر إلا بالعلم ، ولا يمكن

لها أن تقود غيرها إلا بالعلم ، فالعلم هو الأساس لوحدتها ، هو الأساس لفلاحها أفرادًا وجماعات ، فالعلم مأمور به قبل العمل ، لأنه أساس له قال الله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} [محمد: ١٩].

فالعلم يبني الأفراد وينهض بالمجتمعات؛ وبه تقوى الدول وتتقدم الأمم؛ والواقع خير شاهد على أن الأمم والدول التي اعتمدت العلم سبيلاً لنهضتها ؛ صارت في مقدمة الأمم؛ وأن غيرها ممن تقاعست بقيت في ذيل الأمم. ومن ثم رأينا الحق حين ذكر العلوم جملة وتفصيلاً؛ قدم العلوم التجريبية على العلوم الدينية؛ لأن عمارة الأرض إنما تكون بتطبيق نظريات الكتاب على واقع الحياة والأحياء. قال عز وجل: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ * إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ}[فاطر: ٢٧ – ٣٠]

فلنعد إلى العلم؛ فالعلم ينبغي أن يكون أولاً؛ وثانياً،،،،،، وعاشراً؛ على أن يتبعه العمل؛ باعتباره الترجمة الحرفية لقوانين العلم ونظرياته؛ ليتم بذلك التفاعل بين النظرية والتطبيق.

ولابد لطالب العلم من آداب يجب أن يتحلى بها ، نتعلمها مما فعله سيدنا موسى كليم الله (عليه السلام) – وهو نبي مرسل من أولي العزم من الرسل – مع عبدٍ من عباد الله يتعلم منه، كما حكى القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى : {قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا } [الكهف٦٦ – ٦٩]

كما أن على العالم أن يكون متزينًا بجميل الأخلاق، فالعلم إن لم يرافقه أخلاق وقيملا وزن له ولا اعتبار، ولا أثر له في سلوك صاحبه ولا في تغيير الآخرين، وصدق الشاعر حين قال :

لا تَحْسَبنَّ العِلمَ يَنفعُ وَحدَهُ   ما لَمْ يُتَوَّجْ ربُّهُ بِخَلاقِ

فلابد إذًا للعالم ولطالب العلم أن يتحليا بكريم الأخلاق وأن يكون عملهما متفقًا مع قولهما حتى يؤثر ذلك في المجتمع، فعندما ربطت الأمة بين العلم والأخلاق ، عاشت في عزة ورفعة بين الأمم، وحيث كان الخلق والعلم توأمين، كان الرقي ، وكان الازدهار، ولم يعرف في التاريخ مثل حضارة أمتنا العظيمة ، التي كان أساسها العلم والأخلاق الفاضلة المستقاة من الإسلام ، وصدق النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) حيث قال: " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ" (رواه الحاكم في المستدرك) .

والعلم النافع هو العلم الذي يقود صاحبه إلى الفضائل ، ويحمله على التحلي بالأخلاق العالية ، ويوجهها ويرشّدها ويحافظ عليها ، فمن ثمرات العلم النافع أنه يساعد على البناء والتعمير ، وليس الهدم والتخريب ، يساعد في الإصلاح لا الإفساد ، فعلى كل طالب علم أن يتخلق بأخلاق الإسلام ، وأن يتأدب بآداب العلماء ، وأن يسخر العلم الذي تعلمه لخدمة البشرية وبناء القيم في النفوس ، حتى لا تنتشر الفوضى ويعم الفساد، فهِمَّةُ طالب العلم الابتكار والإبداع والتفوق، لا الهدم والتخريب والإفساد، فالعلم يدفع صاحبه إلى البناء لا الهدم، وإلى استخدام العقل لا إلى إهماله ولا إلى تعطيله.

إننا بحاجة إلى تذكير أبنائنا وبناتنا في المدارس والمعاهد والجامعات بفضل العلم ؛ وحثهم على طلبه خدمة لأنفسهم ومجتمعاتهم ورفعة لأهليهم وأوطانهم.

وجدير بنا أن ننبه أن الإسلام قد حرم الغش بكل أشكاله وألوانه ، فقال نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "مَنْ غشّنَا فَلَيسَ منَّا" (رواه مسلم) ، وفي رواية في صحيح مسلم أيضًا " مَنْ غشّ فَلَيسَ منَّا "، ذلك لأن الغش تزوير وتدليس وإعطاء شهادة أو قيمة لمن لا يستحق على حساب من يستحق ، وهو مما يجعل بناء الفرد هشا لا قيمة له ، ويدمر المجتمعات بقتل الكفاءات وتقديم غيرها عليها ، كما أنه يورث الأحقاد والضغائن ، ويفتح أبوابًا كثيرة من الشر والفساد .

المشروعــات الاقتصاديــة الكبــرى
بيــن الأمــل والعمــل

أولاً : **العناصر** :

١-القرآن والسنة مُفعمَان بالعمل .

٢-الأمل بلا عمل أمان كاذبة .

٣-قيمة العمل في الإسلام .

٤- محاربة الإسلام لليأس والكسل .

٥- أهمية دعم المشروعات الكبرى .

ثانياً : **الأدلة**

الأدلة من القرآن الكريم:

١-قال تعالى: { قل يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } [الزمر:٥٣] .

٢-وقال تعالى: { يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ } [يوسف ٨٧] .

٣-وقال تعالى: { حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجرِمِينَ } [يوسف ١١٠]

٤-وقال تعالى: { فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } [الكهف ١١٠] .

٥-وقال تعالى: { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشورُ } [الملك ١٥] .

٦-وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتِ الصّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ الله وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [الجمعة ٩-١٠] .

الأدلة من السنة :

١-عن أنس (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : " يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا ، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا " (أخرجه البخاري) .

٢-وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه)قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَليغرسها"(الأدب المفرد) .

٣-وعن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: " إِنّ اللَّهَ تَعَالى يُحِبّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ "

(رواه البيهقي في الشعب) .

٤-وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : " اللَّهُمّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ والْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا الْمَمَاتِ " (أخرجه مسلم) .

٥-وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال سئل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن أطْيَب الكَسْبِ قال : عَمَل الرّجُلِ بِيَدِهِ وَكلُ بَيْعٍ مَبْرُورٍ "

(أخرجه أحمد) .

وعن أبي هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ " (أخرجه البخاري) .

ثالثاً : الموضـــوع

الحياة مفعمة بالأمل ، فلا يأس مع الحياة ، ولا حياة مع اليأس ، والعاقل يجد لكل عقدة حلًا أو يحاول على أقل تقدير ، والأحمق يرى في كل حل مجموعة من العقد المتشابكة ، وبما أن صحيح الشرع لا يمكن أن ينتقض مع صحيح العقل ، لأن التشريعات موجهة لمصالح العباد ، فقد عدّ العلماء اليأس والتيئيس من رحمة الله (عزّ وجلّ) من الكبائر ، ويقول الحق سبحانه وتعالى على لسان إبراهيم (عليه السلام) في حواره مع الملائكة وقد بشّروه بإسحاق

(عليه السلام) : قال { أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ } [الحجر : ٥٤-٥٦] ، عن ابن عباس (رضى الله عنهما) أن رجلًا قال : يارسول الله ما الكبائر ؟ قال (صلى الله عليه وسلم) : " الشرك بالله والإياس من روح الله والقنوط من رحمة الله ، من وقاه الله إياها وعصمه منها ضمنت له الجنة " (رواه البزار والطبرانى فى الأوسط) .

وهذا يعقوب (عليه السلام) يقول لولده : {يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ }[يوسف ٨٧] ، ويقول الحق (سبحانه وتعالى) : {قال يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } [الزمر :٥٣] فلا ييأس مذنب من العفو ، لأن الله (عزّ وجلّ) فتح باب التوبة واسعًا ، وفى الحديث القدسى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : قال الله تعالى: {يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِيْ وَرَجَوتَنِيْ غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلا أُبَالِيْ، يَا ابْنَ آدَمَ لَو بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ استَغْفَرْتَنِيْ غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَو أَتَيْتَنِيْ بِقُرَابِ الأَرْض خَطَايَا ثُمَّ لَقِيْتَنِيْ لاتُشْرِكُ بِيْ شَيْئَاً لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغفِرَةً} (أخرجه الترمذي) .

ولا ييأس مريض من عدم الشفاء مهما كان مرضه عضالًا ، فعليه أن يأخذ بأسباب التداوي مع التعلق بالله فى الشفاء ، ولنا فى أيوب (عليه السلام) أسوة، يقول الحق (سبحانه): { وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّى مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ } [الأنبياء : ٨٤-٨٣] .

وإن كنت عقيما لا تنجب فلا تيأس من رحمة الله وفيض عطائه ، فهذه امرأة إبراهيم (عليه السلام) عندما بشرتها الملائكة بالولد على كبر سنها تقول: {قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ } [هود ٧٢ – ٧٣] .

وإن كنت فى حالة من ضيق اليد فاعلم أن فقير اليوم قد يكون غنى الغد ، وغنى اليوم قد يكون فقير الغد ، والأيام دول ، وأن الله (تعالى) إذا أراد للعبد شيًئا أمضاه له { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [يس ٣٦] ، ويقول سبحانه وتعالى: {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [فاطر:٢] .

ومهما تكون اللحظات العصيبة فى حياتك فتعلق بحبل الله (عز وجل) ، فهذه مريم (عليها السلام) عندما أظلمت الدنيا فى عينيها ولم تجد ملجأ من الله إلا إليه قالت : { يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً } [مريم :٢٣] فكان الغوث والرحمة فى قوله تعالى: {فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا، وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا}[مريم ٢٤-٢٦]. وهذا يونس (عليه السلام) عندما التقمه الحوت لجأ إلى الله (عز وجل) واستمسك بحبله كانت الرحمة والنجاة حاضرتين ، ويقول الحق سبحانه: {وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ }

[الأنبياء :٨٧-٨٨] .

غير أن الأمل بلا عمل أمل أجوف ، وأمان كاذبه خاطئة ، وقد كان سيدنا عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) يقول : " لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقنى وقد علمت أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة " ، ولا يكفى مجرد العمل ، إنما ينبغى أن يكون العمل متقنًا ، فعن عائشة (رضى الله عنها) أن النّبيّ (صلى الله عليه وسلم) قال : " إنّ اللّهَ تَعَالى يُحِبّ إذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ " ويقول الحق سبحانه: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا } [الكهف :٣٠] فالإسلام لم يدعُ الى العمل ، أي عمل فحسب ، وإنما يطلب الإجادة والإتقان ، وذلك مع ضرورة مراقبة الله عز وجل فى السر والعلن ، فانه من الصعب بل ربما كان من المستبعد أو المستحيل أن نجعل لكل انسان حارساً يحرسه ، أو مراقباً

يراقبه ، وحتى لو فعلنا ذلك فالحارس قد يحتاج إلى من يحرسه ، والمراقب قد يحتاج الى من يراقبه ، ولكن من السهل أن نربى فى كل انسان ضميرًا حيًا ينبض بالحق ويدفع إلى الخير لأنه يراقب من لا تأخذه سنة ولا نوم ، وفى حديث جبريل الطويل حين سأل النبى (صلى الله عليه وسلم) عن الإحسان قال : " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك " (متفق عليه) .

وللتأكيد على أهمية العمل دعانا الاسلام إلى أن نعمل الى آخر لحظة من حياتنا حتى لو لم ندرك ثمرة هذا العمل ، وما ذلك إلا لبيان قيمة العمل وأهمية الإنتاج للأفراد والأمم ، فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَليغرسها " (الأدب المفرد) .

كما دعا القرآن الكريم إلى العمل وجعله فى مصاف العبادات فقد نادانا الحق سبحانه إلى صلاة الجمعة – هذه الشعيرة العظيمة – بأمر ثم صرفنا إلى العمل بأمر مساو له حيث يقول الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْض وَابْتَغُوا مِنْ فَضْل الله وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (الجمعة: ٩–١٠) وكان سيدنا عراك بنُ مالك (رضى الله عنه) إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال : اللهم إنى أجبت دعوتك وصليت فريضتك ، وانتشرت كما أمرتنى، فارزقنى من فضلك وأنت خير الرازقين (تفسير ابن كثير) ، وإذا كان الإسلام يدعو الى العمل والإنتاج فإنه يرفض – وبشدة – البطالة والكسل والتسول – لأن ذلك من أسباب تأخر البلاد وهلاك العباد وقدكان النبى (صلى الله عليه وسلم) يستعيذ بالله من العجز والكسل ، فعن أنس بن مالك (رضى الله عنه) قال : كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : " اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَل، وَالْجُبْن وَالْهَرَم والْبُخْل، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْر، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ " (أخرجه مسلم) .

ومن ثم كان ترغيب الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى العمل ونهيه عن البطالة والكسل فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) يقول : قال رسول الله

(صلى الله عليه وسلم) : " لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ " (أخرجه البخاري) ، وعن ابن عمر (رضى الله عنهما) قال سئل النبى (صلى الله عليه وسلم) عن أطْيَب الكَسْبِ قال : عَمَلُ الرّجُل بِيَدِهِ وَكلُّ بَيْع مَبْرُور " (أخرجه أحمد) . وعن المقدام (رضى الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَل يَدِهِ وَإِنّ نَبِيّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السّلَام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَل يَدِهِ " (أخرجه البخاري) ، وعن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال " الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله – وأحسبه قال – وكالقائم لايَفتُر وكالصائم لا يُفطِر " (متفق عليه)

إن مما يدفع إلى الأمل ويتطلب الجهد والعمل لصالح الدين والوطن ، والفرد والمجتمع تلك المشروعات الكبرى كمشروع قناة السويس ، ومشروع توشكى وشرق العوينات ، ومشروع تنمية الساحل الشمالى وتنمية سيناء .

وما كل ذلك إلا للتأكيد على أهمية العمل والإنتاج ، إذ إن الأمم لاتملك كلمتها ولا إرادتها إلا إذا عمل أبناؤها جميعا على رقيها ونهضتها ، واستطاعت أن تنتج طعامها وشرابها وكساءها ودواءها وسلاحها ، وسائر مقومات حياتها ، ولن يكون ذلك إلا بالعلم والعمل والتخطيط الجيد.

مـــاذا قبـــل الحـــج ؟

أولا : **العناصر** :

١. الإخلاص وتطهير القلوب .

٢. المبادرة إلى التوبة النصوح .

٣. تحــري المــال الحــلال .

٤ . أداء الديون .

٥. نبذ الخـــلاف والفــرقــة .

٦ . التعجيل بحج الفريضة .

٧- قضاء الحوائج وتقديمه على حج النافلة وعمرة النافلة .

ثانياً : **الأدلة** :

الأدلــة من القـــرآن:

١- يقول الله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران : ٩٧].

٢ - ويقول تعالى: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} [الحج : ٢٨].

٣- ويقول تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: ١١٠].

٤- ويقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التحريم: ٨].

٥- ويقول تعالى: {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: ٤٦].

الأدلة من السنة :

١-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ" قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: "جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: "حَجٌّ مَبْرُورٌ" (أخرجه البخاري).

٢ – وعن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قال : قَالَ لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟" (أخرجه مسلم).

٣- وعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: "مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ" (أخرجه البخاري).

٤- وعن عمَرَ بْنِ الخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: "إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى" (متفق عليه).

٥ – وعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا وَبِهِ مَهْلَكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ، حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الحَرُّ وَالعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي، فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ " (متفق عليه) .

٦ – وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ ؟ " (أخرجه مسلم).

٧ – وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ

وَلاَ دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ" (أخرجه البخاري).

٨ – وعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ (رضى الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : " لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا ، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ " (متفق عليه).

٩ ـ وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : "مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ" (صحيح مسلم) .

الموضـــــــــــوع :

إننا في هذه الأيام المباركة مقبلون على عبادة من أعظم وأجل العبادات، فأفئدة المؤمنين الصادقين تهوي إلى حج بيت الله الحرام ، حيث مغفرة الذنوب وتكفير السيئات ، وإجابة الدعوات ، وسكب العبرات ، ومشاهدة المنافع والخيرات ، فيا لها من طاعة ، ويالها من عبادة تستهوي القلوب والعقول، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام : {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} [إبراهيم : ٣٧] ، فالحج فيه مشاهدة منافع دنيوية من تجارة ليس فيها خسران، ومنافع أخروية من مغفرة ورضوان، قال تعالى: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} [الحج: ٢٧–٢٨] ، كما أنّ الحج من أفضل الأعمال، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ: "إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ" قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: "جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: "حَجٌّ مَبْرُورٌ"، والحج يهدم ما قبله من الذنوب والسيئات، فعن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قَالَ لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ

يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟"، وعن أبي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: "مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ"، والحج المبرور سبب في دخول الجنة فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ (اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ".

ومن عظمة الإسلام ومراعاة التيسير في التكاليف الشرعية، ومن فضل الله تعالى على عباده أن جعل هذه الفريضة مرة واحدة في العمر، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ (اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا" ، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَام يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : " لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ "، ثُمَّ قَالَ: "ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ" فالحج يجب على كل مسلم مستطيع يملك الزاد والراحلة قال تعالى {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاس حِجُّ الْبَيْتِ مَن اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا} [آل عمران : ٩٧] .

فعلى من صدقت نيته ووفقه الله (عزّ وجل) لأداء هذه الفريضة أن يخلص لله (عزّ وجل) لأن العبادات بما فيها الحج لا تكون صحيحة إلا إذا كانت موافقة لشرع الله، ولا تكون مقبولة إلا إذا كانت خالصة لوجهه (عزّ وجلّ)، قال تعالى: { فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } [الكهف:١١٠] قال ابن كثير رحمه الله : {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ} أَيْ: ثَوَابَهُ وَجَزَاءَهُ الصَّالِحَ، {فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا} ، أي:مَا كَانَ مُوَافِقًا لِشَرْعِ اللَّهِ {وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} وَهُوَ الَّذِي يُرَادُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهَذَانِ رُكْنَا الْعَمَلِ الْمُتَقَبَّلِ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ خَالِصًا لِلَّهِ، صوابًا عَلَى شَرِيعَةِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

قال الفضيل بن عياض (رحمه الله) : إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً؛ والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة ، ولأهمية

الإخلاص في العبادة أمر الله (عز وجل) نبيه (صلى الله عليه وسلم) به فقال: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ } [الزمر: ٢] أَيْ: فَاعْبُدِ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، فعلى الحاجّ أن يخلص في حجّه لله تعالى ويطهر قلبه من كل ما يخالف الإخلاص وينافيه من رياء وسمعة وعجب وتكبر وغرور، فعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري (رضى الله عنه) قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ" (متفق عليه)، فعمل المرائي باطل لا ثواب فِيهِ وَيَأْثَمُ بِهِ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : " قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ " ، فالإخلاص عليه مدار قبول جميع الأعمال .

فمن نوى أداء هذه الشعيرة عليه أن يبادر بالتوبة من جميع الذنوب والمعاصي ، فالتوبةُ من أعظم الأعمال، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ} [التحريمُ : ٨]، وقد قَالَ الْعُلَمَاءُ: التَّوْبَةُ النَّصُوحُ هى أَنْ يُقلعَ عَن الذَّنْبِ فِي الْحَاضِرِ، ويندمَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُ فِي الْمَاضِي، ويعزم عَلَى أَلَّا يَفْعَلَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، ثُمَّ إِنْ كَانَ الْحَقُّ لِآدَمِيٍّ رَدَّهُ إِلَيْهِ بِطَرِيقِهِ (تفسير ابن كثير).

فالتوبة سبب للفلاح والسّعادة والمَحبة، قال تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور :٣١] ، وهي من أحبِّ الأعمال إلى الله قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: ٢٢٢] ؛ بل إنَّه سبحانه يفرح بتوبة التائبين مع أنَّه سبحانه غنيٌّ عن الجميع، فعن عبد الله بن مسعود (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا وَبِهِ مَهْلَكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ،

فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ، حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الحَرُّ وَالعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي، فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ ".

وليعلم الحاج بصفة خاصة والمسلم بصفة عامة أنَّ بابَ التوبة مفتوح مهما بلغ الجُرْمُ وعَظُم الإثمُ، قال الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} [الشورى : ٢٥] ، وقال سبحانه: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء : ١١٠] ، وقال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر :٥٣]، فعلى المسلم أن يحرص على التوبة قبل الحج، لأنه يرجو أن يعود مغفوراً له، وينبغي عليه أن يجاهد نفسه وهواه والشيطان، ويقلع عن الذنوب، ويندم على ما فات، ويعزم عزما صادقا على عدم العودة إلى الذنوب مرة أخرى، ويرد المظالم إلى أهلها، حتى يَفِدَ على الله تعالى وليس عليه شيء.

كما يجب على من أراد الحج أن يتحرى المال الحلال لنفقات الحج والعمرة وسائر العبادات ، وذلك لما له من أثر طيب في قبول العبادة، فالله عز وجل طيب لا يقبل إلا طيبًا فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : " أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَام، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟ "، فالمال الحلال والكسب الطيب يشرح الصدر ، ويكسب الطمأنينة، ويعين على الطاعة ، فالحج عبادة تؤدَّى بالنفس والمال معًا، فيجب أن يكون المال حلالاً، خالصا من كل شائبة .

كما يجب على من أراد الحج وعزم على أداء هذه الشعيرة أن يسارع لسداد ما عليه من ديون وحقوق للآخرين لأنه ليس من حقه، فعنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ" (أخرجه البخاري) ، فلقد حذر الإسلام كل الحذر من التهاون فى أداء الدَّين ، أو المطل والتأخير فى قضائه ، أو التساهل وعدم الاكتراث بأدائه ، فمن عزم على قضاء الدين ورد الحقوق إلى أصحابها أعانه الله ويسّر له ، فَعنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، عَن النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاس يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَها يُرِيدُ إِتْلاَفَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ" (أخرجه البخاري) .

وهذا لما للدَّين من خطورة على الأموال وما يخلّفه فى النفوس من ضغائن و أحقاد ، فعلى من يريد الحج أن يُعجل بقضاء الديون ورد المظالم إلى أهلها فهذا أبرأ للذمة وأرجى للقبول، وينبغى على من يريد الحج أن يتنبَّه إلى ما يُحبط العمل أو يمنع قبوله : كالمشاحنة والقطيعة، فعَنْ أَبِى أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ (رضى الله عنه) : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: " لاَ يَحِلُّ لِرَجُل أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَال، يَلْتَقِيَان: فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ "، فالهجر قد يكون سببًا لتأخير – أو حجب – المغفرة والثواب من الله تعالى وقبول الأعمال، فعنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: " تُفَتَّحُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْن وَالخَمِيس فَيُغْفَرُ فِيهمَا لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا المُهْتَجِرَيْن، يُقَالَ: رُدُّوا هَذَيْن حَتَّى يَصْطَلِحَا "، فالقطيعة لا تتناسب مع أخلاق الإسلام بصفة عامة وأخلاق الحج بصفة خاصة ، وحذر المسلمين أشد ما يكون التحذير من تعاطى أسباب القطيعة والفرقة وحثهم على الصبر فقال تعالى: {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال:٤٦] ولأنّ النفوس في حال الخصام والتنافر محكومة بنوازع الانفعال

والعناد والكبر ، والإصلاح يقضي على كل هذا ويُليِّن النفوس المتصلبة ويحررها من دوافع التأبّي والعناد .

ولقد جعل الإسلام الصلح خيرًا في كل أحيانه فقال تعالى: {وَالصُّلْحُ خَيْرٌ} [النساء : ١٢٨] وجعل الكلام فيه من خير الكلام وجعل له أعظم الأجر فقال (عز وجل): {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا } [النساء : ١١٤] فمن أراد الثواب الجزيل وراحة الضمير ، وقبول العبادة فليحلم على الجاهل، وليعفُ عن المعتدي وليقبل الصلح { فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ} [الشورى:٤٠] .

هذا بالنسبة لمن لم يؤد فريضة الحج من قبل وعزم على أدائها هذا العام ،وأمّا من أدى فريضة الحج ويريد أن يحج نافلة فنقول له إنّ هناك ما هو أولى من حج النافلة وعمرة النافلة مثل: قضاء حوائج المسلمين ، فإن الناظر إلى واقع المسلمين الآن يجد منهم الفقير الذي لا يجد ما يسد جوعه ، ناهيك عن ملبسه ومسكنه ، والمريض الذي لا يجد دواءه ، والأرامل ، واليتامى والعوانس ، والضعفاء ، والعجزة ، ومن لا عائل لهم ، هؤلاء وغيرهم هم أحق بقضاء حوائجهم والقيام على شئونهم.

قال ابن القيم رحمه الله : وقد دل العقل والنقل والفطرة وتجارب الأمم على اختلاف أجناسها ومللها ونحلها على أن التقرب إلى رب العالمين والبر والإحسان إلى خلقه من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير، وأن أضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر، فما استُجْلِبت نعمُ الله، واستُدفعت نقمه بمثل طاعته والإحسان إلى خلقه فقضاء حوائج الناس والقيام على شئونهم من خلق الأنبياء والرسل، فأشرف الخلق محمد (صلى الله عليه وسلم) تصف لنا السيدة خديجة (رضى الله عنها) خُلقه فتقول: "كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ" (متفق عليه) .

وحث النبى (صلى الله عليه وسلم) على قضاء حوائج الناس وتنفيس كربهم، والتيسير على معسرهم والستر عليهم فمن فعل هذا فهو موعود

بالإعانة، مؤيد بالتوفيق ، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ" رواه مسلم . وعلى هذا النهج القويم سار الصحابة والصالحون، فقد كان عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) يتعاهد الأرامل، يسقى لهن الماء ليلاً، فيجب علينا أن نسير على هذا المنهج الإسلامى المستنير الذي رسمه لنا النبى (صلى الله عليه وسلم) والأئمة الأعلام من بعده. إن قضاء حوائج الناس لا يخرج عن كونه فرض عين أو فرض كفاية، ولا شك أن الفرض والواجب عينيًا كان أم كفائيًا مقدم على سائر النوافل لا على حج النافلة وتكرار العمرة فحسب .

كما أن قضاء حوائج الناس والقيام بمتطلبات حياتهم ليس مجرد نافلة، إنما هو واجب شرعى ووطنى، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ" (أخرجه البزار) ، ويقول الحق سبحانه: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّين فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَام الْمِسْكِين} ، وهو مقدم على ألف حجة وحجة بعد حجة الإسلام التى هى حجة الفريضة ، ومن ألف عمرة نافلة .

الديــن المعــاملـــة

أولاً : العـناصـر :

١ – المقاصد العليا للشريعة الإسلامية .

٢– ثمرات العبادات في الإسلام .

٣– فضائل المعاملة الحسنة والسلوك الطيب في الإسلام .

٤– منهج الإسلام السمح في البيع والشراء.

٥– الانضباط الأخلاقي: الأمانة ، الصدق ، الوفاء بالوعد.

٦ – دعوة الإسلام إلى المعاملة الحسنة (مع الأطفال و الخدم و الأعداء).

٧– رسائل لأبناء الأمة (الطبيب– المهندس –المدرس –العامل – الصانع ..).

٨– أثر المعاملة الحسنة على الفرد والمجتمع .

ثانياً : الأدلة :

الأدلــــة من القــرآن :

١–قال تعالى: {َقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب:٢١] .

٢– و قال تعالى: { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ }

[الأعراف: ١٩٩].

٣– وقال الله تعالى: { وقُلْ لعبادي يقولوا الَّتي هيَ أحسنُ إنَّ الشَّيطانَ يَنزَغُ بينَهُم إنَّ الشَّيطانَ كان للإنسانِ عدوّاً مُبيناً } [الإسراء ٥٣] .

٤– وقال تعالى: { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}

[المؤمنون : ١–١١] .

٥- وقال تعالى:{ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } [لقمان ١٧] .

٦- وقال تعالى: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } [ال عمران: ١٩٥] .

٧- و قال تعالى: { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا }

[الأحزاب: ٧٢] .

٨- وقال تعالى: { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ } [الفتح ٢٩] .

٩-وقال تعالى: {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا } [الإسراء: ٣٤].

الأدلـــة من الســـنة :

١- عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " أَتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟ ـ فقالوا: المفْلسُ فينا من لا درهم له، ولامتاع، فقال: إن المفْلسَ مَنْ يأتي يوم القيامة؛ بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شَتَمَ هذا، وقذفَ هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنِيَتْ حَسَناتُهُ ـ قبل أن يُقْضى ما عليه ـ أُخِذَ من خطاياهم؛ فطُرِحَتْ عليه، ثم يُطْرَحُ في النار" (أخرجه مسلم) .

٢- وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا ،غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا. قَالَ :"هِيَ فِي النَّارِ". قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلَاتِهَا وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنْ الْأَقِطِ – القطع من الجبن– وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا. قَالَ: هِيَ فِي الْجَنَّةِ" (رواه أحمد).

٣- وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِطَعَّانٍ، وَلَا بِلَعَّانٍ، وَلَا الْفَاحِشِ الْبَذِيءِ " (مسند أحمد) .

٤- وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ : قَلَّ مَا خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إلا قَالَ : " لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ " (صحيح ابن حبان) .

٥- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ".

(سنن أبي داود) .

٦- وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : " حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنْ النَّاسِ " .

(الإمام أحمد في مسنده)

٧- وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : "مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ" (صحيح مسلم) .

٨- و(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وحُسْن الخُلُق " . (الإمام البزار في مسنده) .

٩- وعن جابر (رضي الله عنهما): قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ ، سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى ، سَمْحًا إِذَا اقْتَضَى ، سَمْحًا إِذَا قَضَى." (صحيح ابن حبان) .

١٠- وعن عمر بن أبي سلمة: كنت غلامًا في حِجْر رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وكانت يدي تطيش في الصحفة؛ فعلَّمه رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في رفق ولين كيف يأكل فقال له: "يا غلام سم الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك". (صحيح البخاري) .

ثالثاً : الموضـــــــــــوع :

إن الشريعة الإسلامية السمحة لها مقاصد وغايات تحقق السعادة للإنسان فى الدنيا والآخرة ليتمكن من خلافته فى الأرض، وقد جاءت الأحكام الشرعية دليلا ومرشدا لتساعده فى تحقيق مصالحه، وتجلب المنافع له، وتدفع عنه الشرور و المضار ، فتدلّه على كل خير، وتهديه إلى الطريق المستقيم.

وما من مصلحة فى الدنيا والآخرة إلا وقد رعاها الشرع، وأوجد لها ما يكفل إيجادها والحفاظ عليها وما من مفسدة فى الدنيا والآخرة إلا وحذّر منها وأوجد لها بديلا .

قال العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى: اعلم أن الله سبحانه لم يشرع حكمًا من أحكامه إلا لمصلحة عاجلة أو آجلة ، أو هما معًا ، تفضلاً منه على عباده ، ثم قال: وليس من آثار اللطف والرحمة واليسر والحكمة أن يكلف عباده المشاق بغير فائدة عاجلة ولا آجلة، لكنّه دعاهم إلى كل ما يقربهم إليه

ومن مقاصد الشريعة الإسلامية المحافظة على الكليات الخمس التى نادى بها رسل الله الكرام (عليهم السلام) ووجوب المحافظة عليها ، وهى الدين، والنفس، والعقل، والنسب، والمال، والعرض، ومنها اليسر ورفع الحرج والمشقة .

إن الغاية المنشودة والثمرة المرجوّة من الطاعات والعبادات فى الإسلام هى تزكية النفوس البشرية وتقوية صلة الإنسان بربه وخالقه ، وبمن يعيشون معه فى مجتمعه ، لتؤتى أكلها إذا صدقت النية ، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، قال تعالى: { اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} [العنكبوت : ٥٤] .

وبالزكاة تتآلف القلوب وتتطهر النفوس والأموال ، قال تعالى: { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [التوبة ١٠٣] .

وبالصوم يتدرب المسلم على الصبر ، وبالحج ومناسكه تغرس الفضائل فى قلوب المسلمين وتدعوهم إلى محاسن الأخلاق ، قال تعالى: { الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُون يَا أُولِي الْأَلْبَابِ } [البقرة: ١٩٧] ، فالعبادات والطاعات لها ثمرات جليلة حين تجتمع مع المعاملة الحسنة والسلوك الطيب .

ومن تتبع نصوص القرآن الكريم وسنّة النبى (صلى الله عليه وسلم) يجد أنها اعتنت بمعاملة الناس معاملة حسنة، ولننظر إلى الآية الكريمة التى جمعت أصول فضائل المعاملة الحسنة ، قال تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } [الأعراف: ١٩٩] . فجمعت الآية الكريمة أصول الفضائل ومكارم الأخلاق فيما يتعلّق بمعاملة الإنسان مع الغير :

الأول : الأخذ بالعفو ، وهو السّهل اللين من أخلاق الناس وأعمالهم، دون تكليفهم بما لا يطيقون ، وأن يصل الرحم المقطوعة ، وأن يرفق بالمؤمنين ، كما ورد عن أنس بن مالك عن النّبى (صلّى الله عليه وآله وسلم) : "يسّروا ولا تعسّروا، وبشّروا ولا تنفّروا". (متفق عليه) .

والثانى : الأمر بالعرف وهو المعروف والجميل من الأفعال ، وهو كل ما أمر به الله تعالى ، واستحسنه أهل الخير ، فيشمل كل خير من طاعة وبرّ وإحسان إلى الناس. ولا يذكر المعروف فى القرآن إلا فى الأحكام المهمة .

والثالث : الإعراض عن الجاهلين ويكون هذا فى عدم مقابلة السّفهاء والجهّال بمثل فعلهم، والابتعاد عن معاشرتهم ، والصّبر على سوء أخلاقهم ، عملا بقوله تعالى: { وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا } [الفرقان ٦٣] .

لما نزل قوله تعالى: { وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } ، قال عكرمة : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "يا جبريل، ما هذا ؟ قال: إنّ ربّك يقول: "هو أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك".

فجاء الإسلام ليهذب السلوك والأخلاق ويسمو بالنفوس إلى درجات الرقى والتحضر ، ويدعو إلى حسن التعامل مع الآخرين ويعد ذلك من أعظم العبادات والقربات إلى رب الأرض والسموات.

ولما كان الدين المعاملة فى القول والفعل والأخلاق ، فقد فكان نبينا (صلى الله عليه وسلم) ألين الناس قولا ، وأطهرهم فعلا وخُلقًا، فأظهر الفهم الصحيح للإسلام سلوكًا عمليًا عرفنا أثره فى معاملته للناس ومخالطته لهم، فكان نِعم القدوة والأسوة كما قال الله – سبحانه –: {قَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُول اللَّـهِ أُسْـوَةٌ حَسَـنَةٌ لِمَـنْ كَـانَ يَرْجُـو اللَّـهَ وَالْيَـوْمَ الآخِـرَ وَذَكَـرَ اللَّـهَ كَـثِيرًا} [الأحزاب:٢١]. وقد أمرنا باتباعه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

فيجب على كل مسلم ومسلمة أن يحسن إلى الناس قولا وعملا ، وأن يتخير من الكلمات أحسنها ، ومن الجمل أفضلها ، حتى ينشر المودة والألفة بين أهله وأصدقائه ومجتمعه .

فالقول الحسن اللطيف يفتح مغاليق القلوب ، ويورث المحبة والتقدير ، ويدل على سمو نفسه ، وعفة لسانه ، قال تعالى: {وقُلْ لعبادي يقولوا الَّتى هىَ أحسنُ إنَّ الشَّيطانَ يَنزَغُ بينَهُم إنَّ الشَّيطانَ كان للإنسان عدوّاً مُبيناً }

[الإسراء : ٥٣] .

وعَبْد اللَّهِ بْن مَسْعُودٍ (رضى الله عنه)، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّان وَلا اللَّعَّان وَلا الْفَاحِش وَلا الْبَذِيءِ " (رواه البزار) .

إن المعاملة الحسنة والأخلاق – وهى سلعة نادرة – تكشف معدن الإنسان وتظهر سمو فكره ، والناس لا يحبون العابد المتكبر ، وإنما يحبون البسّام الهيّن المتواضع ، وهذه صفات نبينا التى جمع بها من حوله : { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } [ال عمران :١٥٩] .

وإذا تتبعنا أخبار المسلمين المخلصين الأوائل وجدنا أن عامة من دخلوا في الإسلام ليس إلا بسبب خُلُق رأوه من مسلم فأقرَّت قلوبهم قبل عقولهم أن الإسلام هو دين الله الحق فدخلوا فيه أفواجًا .

وقد حذرنا رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من سوء الخلق والمعاملة السيئة للناس حتى ولو كنت عابدًا زاهدًا فهى تضيع الأجر والثواب

إن دين الإسلام هو دين السماحة واليسر في جميع المعاملات ، وقد أثنى (نبينا صلى الله عليه وسلم) على من كان سمحاً في بيعه وشرائه ؛ فعن جابر (رضى الله عنه): قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : "رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ ، سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى ، سَمْحًا إِذَا اقْتَضَى ، سَمْحًا إِذَا قَضَى" (رواه ابن حبان) .

فيجب على المسلم ألا يستغل حاجة الناس وفقرهم وشدة حاجاتهم ، فهذا يُعد من التعسير والتضييق على الناس مما يوغر الصدور ، ويزيد الأحقاد ، وينشر الكراهية والبغضاء وهذا ما لا يريده الإسلام ولا تقبله النفوس المؤمنة ، وليعلم الرجل السمح في بيعه وشرائه أن الله سيرحمه في الدنيا والآخرة ، فعن ابن مسعود (رضى الله عنه) عن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال: "ألا أخبركم بمن يحرم على النار ؟ تحرم النار على كل قريب هين سهل" (أخرجه الترمذي) .

بهذا يكون المسلم قريباً من الناس فإذا أحب الله تعالى عبدًا جعل محبته في قلوب الخلق

وكل هذا راجع إلى حسن المعاملة وحسن الخلق ، فالإنسان المؤمن يتعامل مع الخَلْق المعاملة التى يحب أن يعامله الناس بها ، فيُحسّن خُلُقَه ولا يبتغى من وراء ذلك إلا وجه الله .

ولكى تكونَ المعاملة حسنة يجب ضبط السلوكيات الأخلاقية ، ومنها الأمانة التى يجب أنْ يتَّصِف بها المسلم ؛ لأنها من الدِّين، ولثقلها أبَت السماوات والأرض والجبال حَمْلَها وحمَلَها الإنسان، قال تعالى: { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض وَالْجِبَال فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا }[الأحزاب: ٧٢] .

وقد وَرَد فى القرآن الكريم ما يؤكِّد أهميَّة هذا الخُلُق الكريم للرجل الأمين فى أكثر من موضع، من ذلك على سبيل المثال قولُه تعالى : { قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ } [القصص: ٢٦]

كما أمرنا الله تعالى فى كتابه بحفظ الأمانات وأدائها فى قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا } [النساء: ٥٨].

وحذر الله تعالى المؤمنين من الخيانة بكافة أشكالها ، لأن خائن الأمانة مضيع للحقوق ، ومقطع لأواصر المحبة ، ويلحقه غضب الله تعالى فى الدنيا وعذاب الله فى الآخرة ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [الأنفال: ٢٧] .

وهذا مما أشار إليه النبى (صلى الله عليه وسلم) فعن أَنَس بْن مَالِكٍ ، قَالَ : قَلَّ مَا خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إلا قَالَ : " لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ" (أخرجه الإمام أحمد) .

ويقول (صلى الله عليه وسلم) أيضًا : " أدِّ الأمانة إلى مَن ائتمنك، ولاتخن مَن خانَك " (أخرجه الحاكم فى مستدركه)

ومما يدل على المعاملة الحسنة و انضباط السلوك الصدق فى المعاملات، فالمسلم الحق صادق فى كل أقواله وأفعاله ، لا خوفًا من عقاب ، ولا هروبا من عذاب ، ولا بحثًا عن مصلحة شخصية ، ولا مآرب دنيوية .

ألا فليصدق المسلم مع أخيه ، وقد روي أنّ النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال: " كَبُرَتْ خيانة أن تحدِّث أخاك حديثًا ، هو لك مصدِّق، وأنت له كاذب" (أخرجه أحمد) .

وصدق قول القائل :

عوِّد لسانك قول الصدق تَحْظَ به   إن اللسان لما عوَّدْتَ معتادُ

ومن الأخلاق التى تكون دليلا على المعاملة الحسنة وانضباط السلوك الإنسانى الوفاء بالعهد وهو خلق كريم ، من أخلاق الإسلام ، كما قال الله سبحانه وتعالى: { وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا } [الإسراء: ٣٤] ، وقال فى صفات أهل الجنة : { وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ } [المعارج: ٣٢] .

وإذا نظرنا إلى سيرة الحبيب (صلى الله عليه وسلم) لنأخذ موقفًا واحدًا من المواقف العظيمة في الوفاء بالعهود ، منها : ما كان قبل غزوة "بدر" حين أخبره حذيفة بن اليمان، ": أن كفَّار "قريش" قد أخذوه قبل أن يدخل المدينة هو وأبا حُسَيل، فقالوا إنكم تريدون محمدًا، قلنا: ما نريد إلا المدينة ، فأخذوا منا عَهْد الله وميثاقه لننصرفَنَّ إلى المدينة ولا نقاتل معك يا رسول الله ، ومع أنه كان في أشد الحاجة إلى الرجال ليقاتلوا معه ضد المشركين، وبالرغم من كلِّ هذا، قال لهما رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "انصرفَا نَفِي لهم بعَهْدِهم، ونستعين الله عليهم". (صحيح مسلم) .

إن كان هذا هو وفاء المسلمين لغير المسلمين ، فكيف يكون وفاءُ المسلمين للمسلمين ؟! .

لقد دعا الإسلام إلى المعاملة الحسنة مع كل أعضاء المجتمع أطفالا وشيوخًا ونساء ورجالا ، فقد كان النبى (صلى الله عليه وسلم) يحسن معاملة الأطفال ويفيض عليهم من حنانه ويحبهم ويقبلهم ويداعبهم ويلاعبهم ويسأل عنهم ، ويسلم عليهم، ويمسح على رؤوسهم ويضع يده الشريفة على خدهم، ويدعو لهم ويضعهم فى حجره ، بل ويستمع إلى أحاديثهم ، فهذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أتى بشراب فشرب منه وعن يمينه ابن عباس وعن يساره الأشياخ – كبار الصحابة – فقال لابن عباس" أتأذن لى أن أعطى هؤلاء " فقال : لا والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبى منك أحدًا ، قال فتله (دفعه إليه) رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى يده (صحيح البخاري) .

ومن جمال سيرته (صلى الله عليه وسلم) معاملته الحسنة مع الخدم فعن عائشة (رضى الله عنها) قالت : ما ضرب رسول الله بيده خادمًا له قطّ، ولا امرأة، ولا ضرب رسول الله بيده شيئًا قطّ، إلا أن يجاهد فى سبيل الله، ولا خُيِّر بين أمرين قطّ إلا كان أحبهما إليه أيسرهما إلا أن يكون إثمًا، فإذا كان إثمًا كان أبعد الناس من الإثم ، ولا انتقم لنفسه من شىء يؤتى إليه حتى تنتهك حرمات الله (عز وجل) فينتقم لله (صحيح البخاري) .

قال أنس (رضى الله عنه) خدمت النبى (صلى الله عليه وسلم) عشر سنين بالمدينة وأنا غلام ليس كل أمرى كما يشتهى صاحبى أن أكون عليه ما قال لى مرة أف قط وما قال لى لما فعلت هذا ولم لم تفعل هذا

(سنن أبو داود) .

ولما كانت حقيقة الدّين تتجلّى عمليًّا فى إحسان معاملة النّاس، فإنّ مفهوم المعاملة واسع يشمَل كلّ علاقات المسلم وغير المسلم ، فحثنا الإسلام على التعامل مع العدو معاملة حسنة فكان صلى الله عليه وسلم يتعامل مع أعدائه وهو متمكّن منهم، فلم نعرف فى السيرة والتاريخ أرحم منه مع أعدائه رغم ما كان يلاقيه منهم من الأذى فكان مثالا للأخلاق الحسنة ، ماذا أقول عن رجل هدى الله به الحيارى ؟! ، فالدين المعاملة أيها الطبيب فكن رحيمًا بالمرضى وخفف عنهم الآلام ولا تثقل عليهم وعليك بطيب الكلام وما يبث الأمل فى النفوس و الرجاء فى القلوب .

الدين المعاملة أيها المهندس ، فكن مخلصًا فى عملك وتعامل مع الناس بأمانة وصدق ولا تقلق من الرزق فهو مكتوب مع الأجل .

الدين المعاملة أيها المسلم فلتكن أخلاقك حسنة مع الناس ، فعنْ أَبِى ذَرٍّ، أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ لَهُ : "اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ " (مسند الإمام أحمد).

الدين المعاملة أيها المدرس فعلّم أبناء المسلمين ما ينفعهم فى الدنيا والآخرة وكن أنت قدوتهم فى المعاملة والنصح وفعل الخيرات وترك المنكرات .

الدين المعاملة أيها المواطن الصالح : فعامل الناس كما تحب أن يعاملوك وكن متواضعًا ولا تقابل السيئة بالسيئة بل قابل السيئة بالحسنة ،وأتقن عملك ، ولاتتبع عورات الناس ، وكن محبًا لدينك، مخلصًا لوطنك ، إيجابيًا لا سلبيًا .

فالمسلم الحق هو الذي يترجم إسلامه إلى سلوكيات إيجابية فى واقع حياته ، ليعود أثر ذلك عليه وعلى المجتمع بكل ما هو مفيد وصالح وفيه النفع لعامة المسلمين ، فلقد جعل النبى الكريم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حسن المعاملة والعلاقة مع الآخرين من كمال الإيمان فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ " (مسند الإمام أحمد).

وقال " إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق" (رواه البزار).

وفى مقابل ذلك قد تكون المعاملة السيئة مع الناس سبباً لدخول النار حتى ولو مع الاجتهاد فى العبادات، لما روي عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا. قَالَ :"هِيَ فِي النَّارِ". قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلَاتِهَا وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنْ الْأَقِطِ – القطع من الجبن– وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا. قَالَ: "هِيَ فِي الْجَنَّةِ" (رواه أحمد).

وهناك ارتباط وثيق بين الأخلاق والإيمان، وكل عمل يقوم به العبد المسلم يحتاج إلى الأخلاق الحميدة والصفات الحسنة ولاشك أن من فقد الإيمان والتقوى فقد فقد تلك الأخلاق ، وكلما كان المؤمن أكمل أخلاقاً كان أكثر إيماناً .والالتزام بمكارم الأخلاق فيه تقوية لإرادة الإنسان وتمرينها على حب الخير وفعله والبعد عن الشر وتركه ، وبذلك تتحقق سعادة القلب ، ولنا فى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أسوة حسنة فى التحلى بالأخلاق الكريمة والصفات الحسنة ، والتى تعود بالنفع على الفرد والمجتمع والأمة .

بل إن المعاملة الحسنة والخلق القويم تدعو إليها الفطر السليمة، فهى أخلاق فاضلة يستحق صاحبها التكريم والثناء .

ومن أثر المعاملة الحسنة وحسن الخلق على الفرد والمجتمع أيَضًا أنه يكون سببًا فى شيوع المحبة والرحمة بين أفراد المجتمع ، وإزالة أسباب الشقاق .

إنه حين يتعامل الناس معاملة حسنة بعضهم مع بعض يسود فى مجتمعهم الصدق ، والأمانة، والوفاء بالوعود ، والتواضع ، واحترام الكبير والعطف على الصغير وتقبل النصيحة وأداء الواجبات بكل دقّة وإخلاص ، حينئذٍ لن نجد مستغِلا أو غاشًّا أو سارقًا أو متطرفًا أو منحرفًا .

إن المعاملة الطيبة تورث التقوى والورع وتكسب ثقة الآخرين ، وتجلب الخير والبركة ، وتكون سببًا فى رفع الدرجات و الحصول على عفو الله ومغفرته .

العشر الأول من ذي الحجة ..مناسك وفضائل

أولاً : **العناصر**:

١- سنة الله تعالى في تفضيل بعض الأزمنة على بعض.
٢- فضل العمل الصالح في هذه العشر وفضل صيام يوم عرفة.
٣- وقوع غالب مناسك الحج فيها.
٤- مشاركة الناس للحجيج في أعمال البر والطاعة.
٥- الأضحية وفقهها ومشاركة المضحي للمحرم.
٦- العمل الصالح لا يقف عند حدود العبادات.

ثانياً: **الأدلة**:

الأدلة من القرآن:

١-يقول الله تعالى: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ } [التوبة: ٣٦] .

٢-ويقول تعالى : {وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ} [الفجر: ١ – ٣].

٣-ويقول تعالى : {لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ}
[الحج: ٣٧] .

٤-ويقول تعالى: { إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ }[الكوثر: ١، ٢].

٥-ويقول تعالى: {مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ }[الأنعام :١٦٠].

٦-ويقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[البقرة:٢٥٤]

الأدلة من السـنة :

١- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ"

يَعْنِي الْعَشْرَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: "وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ"

(أخرجه البخاري)

٢- وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: " مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ وَلَا أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ"

(رواه أحمد).

٣- عن جَابِرِ بن عبد الله (رضي الله عنهما) أن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال: " أَفْضَلُ أَيَّامِ الدُّنْيَا أَيَّامُ الْعَشْرِ " - يَعْنِي عَشْرَ ذِي الْحِجَّةِ - قِيلَ: وَلَا مِثْلُهُنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ قَالَ: " وَلَا مِثْلُهُنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا رَجُلٌ عَفَّرَ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ " (رواه البزار وأبو يعلى).

٤- وعن أَبِي قَتَادَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ ؟ فَقَالَ: "يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ " (رواه مسلم).

٥- وعن أُمِّ سَلَمَةَ- رضي الله عنها- عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنَّهُ قَالَ: " مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْحَرَ فِي هِلَالِ ذِي الْحِجَّةِ، فَلَا يَأْخُذْ مِنْ شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ "

(رواه أحمد).

٦- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرْطٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : " إِنَّ أَعْظَمَ الأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ وَهُوَ الَّذِى يَلِيهِ "

(رواه أبو داود والبيهقي).

٧- وعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: " مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِ إِنَّهَا لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَظْلَافِهَا وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ مِنَ الأَرْضِ فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا "(سنن الترمذي).

ثالثاً : **الموضــــوع** :

وبعد: فمن رحمة الله تعالى بعباده أن جعل لهم مواسم للخيرات ، تضاعف فيها الحسنات ، ويستكثرون فيها من الأعمال الصالحات ، هذه

المواسم لها مزية ليست لغيرها من الأوقات ، حيث يتجدد فيها نشاط العبد فيسارع إلى الخيرات ليتقرب من رب الأرض والسموات .

وقد فضل الله تعالى بعض الأزمنة على بعض ، ففضّل بعض الشهور – وهي الأشهر الحرم – على غيرها من الشهور ، فقال تعالى :{ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ }[سورة التوبة: ٣٦]. وفضَّل شهر رمضان على سائر الشهور ، وفضَّل ليلة القدر على سائر الليالي ، قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ} [القدر: ١– ٣].

كما فضَّل– تبارك وتعالى – بعض الأيام على بعض ، ففضل العشر الأوَل من شهر ذي الحجة على سائر الأيام ، وجعل العمل الصالح فيها أكثر ثوابًا وأعظم أجرًا من العمل فيما سواها من الأيام؛ فهي أيامٌ شريفةٌ فاضلةٌ عالية القدر ، وهي أعظم الزمن بركةً؛ إذ لها مكانةٌ عظيمةٌ عند الله تعالى ، فهي عَشْرٌ مباركاتٌ كثيرةُ الحسنات ، عالية الدّرجات ، متنوّعة الطّاعات ، فهي أفضل أيام العام كله، حيث يجتمع فيها حجاج بيت الله الحرام في أطهر بقعة من الأرض ، حول الكعبة المشرفة يطوفون ، ويتسابقون إلى الطاعات ، ويتنافسون في الخيرات ، وليتزودوا بخير زاد عملاً بقول الله تعالى: {وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ} [البقرة: ١٩٧].

تلك الأيام المباركة عرف الإسلام قدرها ، وأمر المسلمين أن يسارعوا إلى الانتفاع بأوقاتها رغبة في التقرب إلى الله عز وجل الذي يجزى الحسنة بعشر أمثالها ، قال سبحانه:{مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ }[الأنعام :١٦٠].

ومن فضائلها:

أن الله تعالى أقسم بها في كتابه الكريم ، ولا يقسم الله تعالى إلا بعظيم، ولا يجوز لخلقه أن يقسموا إلا به، فالقَسَم بها يدلُّ على عظمتها ورفعة مكانتها وتعظيم الله تعالى لها ، وتنويهًا بشأنها وفضلها ، وإرشادًا لأهميتها ومكانتها ومنزلتها ، قال سبحانه :{وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * والشفع والوتر } [الفجر:١ – ٣]، والصحيح الذي عليه جمهور المفسرين أن الليالي العشر هي

عشر ذي الحجة ، وقد ورد عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أنه قال في تفسير هذه الآيات " العشر: عَشْرُ النَّحْرِ ، وَالْوَتْرُ يَوْمُ عَرَفَةَ ، وَالشَّفْعُ يَوْمُ النَّحْرِ".

(رواه النسائي في السنن الكبرى، عَنْ جَابِرٍ).

أنَّ الله تعالى نصَّ في كتابه العزيز على ذكره فيها ؛ تعظيمًا لله تعالى وإعلامًا بفضيلة هذه العشر، وإظهارًا لشعائرها ، حيث سماها الأيام المعلومات ، فقال تعالى: {وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ} [الحج: ٢٧]. وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – هي أيام العشر . فالأيام المعلومات هي العشر في قول أكثر السلف والعلماء.

أنها أفضل أيام الدنيا كما نص بذلك حديث النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حيث قال: "مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّام" يَعْنِي الْعَشْرَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: "وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ" (أخرجه البخاري).

أنها مكان لاجتماع العبادات فيها ، فالصلاة، والصيام ، والدعاء، والصدقة، والجهاد، وقراءة القرآن، وذِكْر الله – تعالى – وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والأمر بالمعروف، والنَّهي عنِ المنكر، وغيرها منَ القُرُبات – هي في عشر ذي الحجة أفضل منها في غيرها؛ لحديث ابن عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – عنِ النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال: "ما من عَمَلٍ أَزْكَى عِنْدَ الله – عز وجل – ولا أَعْظَم أَجْرًا من خَيْرٍ يعمله في عَشْرِ الأَضْحَى"، قِيلَ: ولا الجِهاد في سبيل الله؟ قال: "ولا الجِهَاد في سبيل الله (عز وجل) إلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فلم يَرْجِعْ من ذلك بِشَيْءٍ" (رواه الدارمي).

ونحن نعيش في ظلال هذه الأيام المباركة من شهر ذي الحجة ينبغي علينا أن نغتنمها ولا نضيعها ، وأن نتسابق إلى الخيرات فيها ، وأن نشغلها بالعمل الصّالح ، فالعمل الصالح فيها أحبّ إلى الله سبحانه وتعالى مما سواها من الأيام، لقول رسولنا (صلى الله عليه وسلم) في الحديث : " أَفْضَلُ أَيَّامِ الدُّنْيَا أَيَّامُ الْعَشْرِ " – يَعْنِي عَشْرَ ذِي الْحِجَّةِ – قِيلَ: وَلَا مِثْلُهُنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ قَالَ: " وَلَا مِثْلُهُنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا رَجُلٌ عَفَّرَ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ "(رواه البزار وأبو يعلى).

ومن هذا الحديث يتضح أن هذه الأيام أفضل أيام السنة كلها ، وأن العمل الصالح فيها – أيًّا كان نوعه – أفضل منه في غيرها، وأن العامل في هذه العشر أفضل من المجاهد في سبيل الله الذي رجع بنفسه وماله .

ويستحب الإكثار من العبادات من صلاة وصيام وذكر في هذه الأيام ، وآكدها صوم يوم عرفة لغير الحاج، وقد خص النبي (صلى الله عليه وسلم) صيام يوم عرفة من بين أيام عشر ذي الحجة بمزيد عناية ، وبيّن فضل صيامه ، فقد ثبت عن أبي قتادة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سئل عن صوم يوم عرفة فقال:" يكفّر السنة الماضية والباقية " (رواه مسلم). وقال(صلى الله عليه وسلم): "صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِى قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِى بَعْدَهُ"(رواه مسلم) .

فالصيام من أفضل الأعمال الصالحة ، وقد أضافه الله إلى نفسه لعظم شأنه وعلو قدره، فقال سبحانه في الحديث القدسي :[كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به (متفق عليه) . فللصوم فضل عظيم وثواب عميم ، وقد صح في الحديث " من صام يوما في سبيل الله باعد الله منه جهنم مسيرة مائة عام ".وعليه فيسن للمسلم أن يصوم التسع ؛ لأنها من العمل الصالح

التكبير والتحميد والتهليل والذكر :

ومن الأعمال التي ورد فيها النص على وجه الخصوص الإكثار من ذكر الله عموما ومن التكبير خصوصاً لقول الله تعالى: { ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام } [الحج ٢٨]، وجمهور العلماء على أن المقصود بالآية : أيام العشر.

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: " مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ" (رواه أحمد). وقال البخاري: كان ابن عمر وأبو هريرة (رضي الله عنهما) يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما. وقال: وكان عمر يكبر في قبته بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون، ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى

تكبيراً. وكان ابن عمر يكبر بمنى تلك الأيام وخلف الصلوات وعلى فراشه، وفي مجلسه وممشاه تلك الأيام جميعاً .

ويستحب للمسلم أن يجهر بالتكبير في هذه الأيام ويرفع صوته به في المساجد والمنازل والطرقات والأسواق وغيرها، يجهر به الرجال، وتسر به النساء ، إعلاناً بتعظيم الله تعالى ، وذلك من أول يوم من أيام ذي الحجة ويستمر إلى عصر آخر يوم من أيام التشريق، وهو من السنن المهجورة التي ينبغي إحياؤها في هذه الأيام.

وأما التكبير الخاص المقيد بأدبار الصلوات المفروضة، فيبدأ من فجر يوم عرفة ويستمر حتى عصر آخر يوم من أيام التشريق ؛ لقوله تعالى:{واذكروا الله في أيام معدودات} [البقرة: ٢٠٣]. ولقوله(صلى الله عليه وسلم): "أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ، وَشُرْبٍ، وَذِكْرِ اللَّهِ" (رواه مسلم وغيره).

* الصدقة: وهي من جملة الأعمال الصالحة التي يستحب للمسلم الإكثار منها في هذه الأيام، وقد حث الله – تعالى– عليها ، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[البقرة:٢٥٤]، وقال (صلى الله عليه وسلم) : {ما نقصت صدقة من مال}(رواه مسلم).

وبالنظر إلى هذه الأيام – عشر ذي الحجة – نجد أنها حظيت بهذه المكانة وتلك المنزلة ؛ لاجتماع أمهات العبادات فيها ، وهي الصلاة ، والصيام ، والصدقة ، ووقوع غالب مناسك الحج فيها، ولا يتأتي ذلك في غيرها ، ففيها يوم التروية ، وهو اليوم الثامن من ذي الحجة ، وفيها يوم عرفة، وهو اليوم التاسع من ذي الحجّة ، وهو يومٌ معروفٌ بالفضل وكثرة الأجر وغفران الذنب ، فعن جَابِرٍ(رضي الله عنهما) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " إِذَا كَانَ يَوْمُ عَرَفَةَ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا ضَاحِّينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " فَمَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ عَتِيقًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ". (رواه البيهقي في شعب الإيمان ، وابن خزيمة في صحيحه).

وفي صحيح مسلم عن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: " مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ ".

وفيها كذلك يوم النّحر، وهو اليوم العاشر من ذي الحجّة ، وهو أفضل الأيام، وفيه معظم أعمال النُسُك: من رمي الجمرة ، وحَلْق الرّأس، وذبح الهَدْي، والطَّواف ، والسّعي، وصلاة العيد، وذبح الأُضحية، واجتماع المسلمين في صلاة العيد، وتهنئة بعضهم بعضًا ، ففي حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرْطٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) :" إِنَّ أَعْظَمَ الأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ وَهُوَ الَّذِي يَلِيهِ" (رواه أبو داود والبيهقي).

فالسعيد من اغتنم هذه الأيام ، وتقرب فيها إلى مولاه بالطاعات ، حتى يكون مشاركاً للحجيج في أعمال البر والطاعة ، فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ- رضي الله عنها- عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنَّهُ قَالَ: " مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْحَرَ فِي هِلَالِ ذِي الْحِجَّةِ ، فَلَا يَأْخُذْ مِنْ شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ "(مسند أحمد).

إنها قمة المشاركة للحجيج في العبادة والطاعة ، حيث بين النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في الحديث أن المسلم الذي لم يُقَدَّر له الحج فلا يحرم الثواب من المشاركة للحجيج في أعمالهم ، من عدم قص الشعر ، وتقليم الظفر ، تشبها بالمحرمين حتى ينتهوا من صلاة العيد وذبح الأضاحي .

والأضحية سنة مؤكدة فعلها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وحثَّ على فعلها لما فيها من التقرب إلى الله - عز وجل- بإراقة الدماء ، ولما فيها من سدٍّ لحاجة الفقراء والمساكين ، وفيها إحياء لسنة أبينا إبراهيم - عليه السلام -، فهي سنة مؤكدة على كل مسلم حاجاً أو غير حاج ذكراً أو أنثى ، ينبغي لكل قادر موسر ألا يدعها ، لأنها شعيرة عظيمة من شعائر الدين الإسلامي الحنيف قال الله تعالى: {لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ} [الحج: ٣٧] ، وقال تعالى: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} [الكوثر: ٢] ، و عَنْ أَنَسٍ قَالَ : ضَحَّى النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ وَسَمَّى وَكَبَّرَ وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا " (رواه مسلم) ، وعن

عبد الله بن عمر(رضي الله عنهما) : أن رسول الله (صلى الله عليهوسلم) نحر يوم الأضحى بالمدينة ، قال : وكان إذا لم ينحر يذبح بالمصلى" (رواه النسائي).

والأضحية من أفضل الأعمال التي يتقرب بها الإنسان إلى ربه في هذا اليوم ، فعن عَائِشَةَ- رضي الله عنها- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: " مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِ إِنَّهَا لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَظْلاَفِهَا وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ مِنَ الأَرْضِ فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا "(سنن الترمذي).

ويجب على المسلم الذي يريد أن يُضحي ويحرص على اتباع السنة أن يتأكد من سن الأضحية عند شرائها وذلك بسؤال أهل الخبرة ، ففي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: " لاَ تَذْبَحُوا إِلاَّ مُسِنَّةً إِلاَّ أَنْ يَعْسُرَ عَلَيْكُمْ فَتَذْبَحُوا جَذَعَةً مِنَ الضَّأْنِ". (والجَذعة : ما استكمل سنة ولم يدخل في الثانية).

كما اشترط الإسلام أن تكون الأضحية خالية من العيوب ، فقد روى أبو داود عن البراء بن عازب أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: " أَرْبَعٌ لاَ تَجُوزُ فِي الأَضَاحِي الْعَوْرَاءُ بَيِّنٌ عَوَرُهَا وَالْمَرِيضَةُ بَيِّنٌ مَرَضُهَا وَالْعَرْجَاءُ بَيِّنٌ ظَلْعُهَا وَالْكَسِيرُ الَّتِي لاَ تَنْقَى". قَالَ قُلْتُ فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ فِي السِّنِّ نَقْصٌ. قَالَ " مَا كَرِهْتَ فَدَعْهُ وَلاَ تُحَرِّمْهُ عَلَى أَحَدٍ ". قَالَ أَبُو دَاوُدَ لَيْسَ لَهَا مُخٌّ. (سنن أبي داود).

هذا وقد وجه الإسلام إلى الإحسان في يوم الأضحية إلى الفقراء والمحتاجين ، وإن من الأفضل لمن وسع الله عليهم أن يتصدق بالأضحية كلها فهذا أقرب للتقوى وأعظم للثواب ، وقد أجاز الإسلام للمضحي أن يأكل منها وأن يهدي لقرابته وأصدقائه ، أو أن يجعل ذلك أثلاثًا ، وكل ذلك مقبول إن شاء الله كما كان يفعل النبي (صلى الله عليه وسلم) ففي حديث عائشة (رضي الله عنها) لما ذَبحَ الرسول (صلى الله عليه وسلم) الشّاة وأمر بالتصدق بها جميعاً، فلما سَأل عائشة فقالت ذَهَب كلها إلا الكَتِف، فقال (صلى الله عليه وسلم) : "بقِي كلُها إلا الكَتِف" (أخرجه الترمذي) .

كما نؤكد أن العمل الصالح لا يقف عند حدود العبادات ، وإنما يشمل كل ما فيه نفع الفرد والمجتمع ، من الأخلاق الكريمة ، والعمل والإنتاج ، والبذل والعطاء ، والتكافل والتراحم.

وإذا كنا قد عرفنا عظمة هذه الأيام وفضلها وشرفها وفضل العمل الصالح فيها ، فلنحرص على الخير في هذه الأيام حتى نكون أهلا بقبول دعوة الرسول (صلى الله عليه وسلم) لنا ، فإن النبي (صلى الله عليه وسلم) دعا لنا من غير أن يرانا ، ففي حديث عائشة – رضي الله عنها – قالت : لما رأيت النبي (صلى الله عليه وسلم) طيب النفس ، قلت يارسول الله ، ادع الله لي ، فقال : " اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر ، وما أسرّت وما أعلنت " فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجرها من الضحك ، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " أيسرك دعائي" ؟ فقالت: وما لي لا يسرني دعاؤك ،فقال (صلى الله عليه وسلم): "والله إنها لدعائي لأمتي في كل صلاة " (صحيح ابن حبان ٢٥٥/٢٩ باب ذكر مغفرة الله جل وعلا).

فحَرِيٌّ بالمسلم أن يشكرَ الله - تعالى - على فضلها وفضْل العمل الصالح فيها، وأن يشكرَه – عز وجل – على بُلُوغها وهو في أمْنٍ وعافية ، وأن يعرف لهذه الأيام فضلها، ويقدر لها قدرها، ويحرص على الاجتهاد فيها بالأعمال الصالحة .

الحـج ووحـدة الأمـة

أولا : **العناصر** :

١- وحدة الصف من غايات مناسك الحج .

٢- مظاهر الوحدة بين المسلمين في الحج.

٣- أثر الحج في إذكاء روح الأخوة بين المسلمين.

٤- من ثمرات الوحدة :

- التكامل والتعاون .
- الإخلاص في التعامل بين أفراد الأمة.
- نبذ الفرقة والخلاف .
- أدب الحوار وأدب الخلاف .

ثانيا : **الأدلـة** :

الأدلة من القرآن الكريم :

١- يقول الله تعالى:{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٩٢].

٢-ويقول تعالى:{وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} [المؤمنون: ٥٢].

٣-ويقول تعالى: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُو اْنِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}[آل عمران ١٠٣].

٤-ويقول تعالى: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }[البقرة ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩].

٥- ويقول تعالي: {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِير ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} [الحج ٢٧ :٣٠].

٦- ويقول تعالى: {ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ} [الحج : ٣٢].

٧- ويقول تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[الحجرات آية١٠].

٨- ويقول تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات : ١٣].

الأدلة من السنة :

١-عَنْ أَبِي مُوسَى (رضي الله عنه) قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا"(متفق عليه).

٢- وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "يَدُ اللَّهِ مَعَ الجَمَاعَةِ"(سنن الترمذي).

٣-وعن جَابرٍ (رضي الله عنه) أنَّ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ فِي خُطْبَتِه وَسَطَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ" ؟ قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: "أَيُّ يَوْمٍ هَذَا" ؟ قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ:" أَيُّ شَهْرٍ هَذَا" ؟ قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ: قَالَ: ثُمَّ قَالَ: "أَيُّ بَلَدٍ هَذَا"؟ قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: "فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ، هَذَا فِي

بَلَدِكُمْ هَذَا، أَبَلَّغْتُ "؟ قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لِيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ"(مسند الإمام أحمد، وحلية الأولياء لأبي نعيم).

٤-وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (رضي الله عنهما) قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"(متفق عليه).

ثالثاً : المـــوضــــوع

تأتى فريضة الحج كلَّ عام لتذكر الأمة بثوابتها وأصولها ، ومن بين هذه الثوابت والأصول أنها أمة واحدة، واحدة في عقيدتها ، وواحدة في وجهتها ، وواحدة في قبلتها ، وواحدة في غايتها، قال تعالى :{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٩٢]، وقال تعالى:{وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} [المؤمنون: ٥٢]، فبيَّن ربنا تبارك وتعالى أن ديننا واحد وشريعتنا واحدة ، وفى خاتمة الآية الأولى قال {وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} فكأن من أصول الدين وثوابت هذه الأمة وحدتها وتماسكها لأنها موحَّدَة فى عباداتها ، وفى خاتمة الآية الثانية قال تعالى {وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} إذ وحدة الأمة وتماسكها بثوابتها والحفاظ على هويتها يحتاج إلى ركيزة أساسية تقوم عليها ألا وهى : التقوى ، التى هى إخلاصٌ وتجرد لله تعالى فى العبادة والمعاملة و السلوك . ويأتى موسم الحج ليؤكد على هذا المعنى، معنى الوحدة التى تحتاج إلى الإخلاص والتقوى قال تعالى {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ}.

إن وحدة الأمة واعتصامها بدينها والحفاظ على ثقافتها هو سر بقائها ودعامة قوتها والسبيل إلى نهضتها ، ولذا كانت دعوة الإسلام إلى الحفاظ على هذا التماسك ونبذ الخلاف والتفرق والتشرذم، وقد جاءت هذه الدعوة صريحة واضحة فى قول الله تعالى: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُو اْنِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم

بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}[سورة آل عمران ١٠٣]، وكانت دعوة النبى (صلى الله عليه وسلم) للأمة بلزوم جماعة المسلمين وعدم الفرقة والتنازع، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "يَدُ اللَّهِ مَعَ الجَمَاعَةِ"، وضرب النبي (صلى الله عليه وسلم) مثلا للأمة في تماسكها وتآزرها فقال: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا".

وأكثر ما تتجلى فيه روح الأخوة، وتزيد أواصر المحبة بين أبناء الأمة: شعيرة الحج التي تعتبر خُمُسَ الإسلام ،وخامسَ الأركان كما قال النبي العدنان – عليه الصلاة والسلام،كما أنها تجمع باقي أركان الإسلام في أسمى معانيها ، وتحلق بجموع المسلين في سماء من الرقي ، تفيض بالطهر والإيمان، وتنأى بهم عن الرجس والبهتان، والإفك والطغيان، فيكونون مع الرحمن بالقلوب والأبدان ، تذوب الفوارق فيما بينهم، وتعلوهم روح العدل والمساواة، ولا تخضع الجباه إلا لله تعالى.

أما كون الحج يجمع أركان الإسلام فيبدو في مناسكه، فالطواف بالبيت في اتجاه واحد يتفق مع دوران الأرض حول نفسها ومع دورانها فى محورها وكأن القلوب قد اتسقت حركتها مع حركة الكون فى طواف واحد لرب واحد ، وهذا من مظاهر الوحدة بين أفراد الأمة بل بين المؤمن والكون من حوله إضافة إلى كون الطواف صلاة، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ صَلاةٌ، ولكنّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَحَلَّ لَكم فيه الكلام، فلا تكثروا فيه مِن الكلام" (سنن النسائي).

كما أن الحاجَّ بإحرامه يمتنع عن أشياء أحلها الله له وهو في حله وحتى وهو صائم ، مما يرتقي بالمسلم ويسمو به على شهواته وملذاته ، ومنها إزالة شعر الرأس بحلق أو غيره لقوله تعالى: {وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ} [البقرة: ١٩٦]، وقوله تعالى:{الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ} [البقرة: ١٩٧]، ولا شك أن هذا مظهر يدل على الوحدة والمساواة بين

عباد الله تعالى الذين لبسوا لباسا واحدا وأحرم كل منهم من محل إحرامه قاصدين بيتا واحد ، لا فرق بين غنى أو فقير صغير أو كبير ، رجل أو امرأة، فكل من قصد بيت الله الحرام قد أحرم ولبى بالحج.

ووحدة الصف من غايات مناسك الحج فيبدو فيها وحدة العقيدة ، فالمؤمن قلبه عامر بالإيمان مطمئن بذكر الرحمن: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ }[الرعد: ٢٨]، وشعيرة الحج تجعل المؤمنين يكثرون من ذكر الله ويُشْغَلون به عما سواه، فالحاجّ يلبي نداء مولاه "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك " وغير الحاجّ ممن لم تتوفر لهم مؤنة الحج مشغولون بالدعاء والذكر فى عيد الأضحى وصوم يوم عرفة الذى قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبه أمته إلى فضله : "خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ"(سنن الترمذي).

ويوم عرفة رمز لوحدة المسلمين ومظهر من مظاهر قوتها ، فالحجيج على اختلاف لغاتهم وتباين ألوانهم وتباعد أقطارهم قد اجتمعوا فى صعيد واحد ولباس واحد وهتفوا بهتاف واحد فى وقت واحد ، يتعارفون فيما بينهم وتتآلف قلوبهم وأصبح كلٌ منهم ممثلًا لبلده فى هذا المؤتمر الحافل يتدارسون مشاكل أمتهم ويبحثون علاجها ويعلنون للدنيا كلها أنهم أمة واحدة وكيان واحد.

كما يبدو الأخذ بالأسباب في السعي بين الصفا والمروة ، فعلى المسلم أن يتمثل موقف السيدة هاجر التي جاءت برضيعها في واد غير ذي زرع، وتوكلت على الله حق التوكل، أخذت بالأسباب وجدت في البحث عن الماء لرضيعها ولم تيأس حتى نبع الماء لرضيعها ، فعلى المسلم ألا ييأس ، بل يطمع في رحمة الله تعالى ويأخذ بالأسباب وما أحوج أمتنا إلى العمل ، ونبذ التكاسل والخمول .

كما أن فريضة الحج تبعث فى الأمة روح التعاون والتكامل وهذا مما يدعم وحدتها وينمى قوتها ، فحين تتكامل فى اقتصادها وتتبادل

احتياجاتها بحيث تقوى كل أركانها فإنها تصبح عصية على أعدائها ، ولذا كان فى الحج منافع دنيوية كما أن فيه منافع أخروية قال تعالى: {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} .وروى عن عمرو بن دينار عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانت عكاظ ومجنة وذوالمجاز أسواقنا فى الجاهلية فلما جاء الإسلام كأنهم كرهوا أن يتجروا فى الحج فسألوا النبي (صلى الله عليه وسلم) فأنزل الله تعالى قوله: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ} ونحن أمة خيِّرةٌ مدعوة بالتعاون فى كل سبل الخير إذ إن من ثمرات الوحدة التعاون والتكامل فى كل النواحي الاقتصادية والسياسية والزراعية والدفاعية قال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}[المائدة: ٢]، وقال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الحجرات: ١٠].

ومن ثمرات الوحدة الإخلاص وتقوى القلوب ، فمن التقوى أكل الحلال يقول الله: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}[المؤمنون:٥١]، ومن التقوى تعظيم الحرمات وعدم سفك الدماء وعدم ترويع الآمنين ، عن طريق التطرف والتعصب لغير الحق، وصاحبه أبعد ما يكون عن الحق، ونبه الحق على هذا: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ} [الحج: ٣٠].

والنبي صلى الله عليه وسلم نبَّه على هذا في حجة الوداع فقال: "أَيُّها النّاس: أَيُّ يَوْمٍ هَذَا"؟ قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ: "أَيُّ شَهْرٍ هَذَا" ؟ قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ: قَالَ: ثُمَّ قَالَ: "أَيُّ بَلَدٍ هَذَا"؟ قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: "فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ، هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَبَلَّغْتُ؟ قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لِيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ".

والإخلاص يجمع كل هذا فهو أساس العبادة قال الله تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}[البينة: ٥]، وفي سورة الحج يقول الله تعالى: {لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ} [الحج: ٣٧]، والنبي صلى الله عليه وسلم كان مخلصًا في حجه مقتصدا في نفقته عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال حج النبي (صلى الله عليه وسلم) على رحل رث ، وقطيفة تساوي أربعة دراهم أو لاتساوي ، ثم قال : " اللَّهُمَّ حَجَّةٌ لاَ رِيَاءَ فِيهَا وَلاَ سُمْعَةَ"

فعلى المسلم أن يخرج من حجه وقد تغير ظاهرًا وباطنا وبدا طاهرًا قلبه ، نظيفًا فى تعامله مع الناس، محافظًا على وحدة الصف متآلفًا مع أبناء مجتمعه، وإذا كان الله عز وجل قد شرع للمسلمين اجتماعات تلم شعثهم وتوحد صفوفهم كصلاة الجماعة والجُمعة فإن الحج أعظم هذه الاجتماعات فيه يتعارفون ويتآلفون، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣].

خطبة عيد الأضحى

أولاً : العناصر:

١- عيد الأضحى رمز للتضحية والبذل والعطاء.

٢- بعض الدروس المستفادة من قصة الذبيح عليه السلام.

٣- الأضحية عبادة وتوسعة.

٤- من فضائل يوم الأضحى.

ثانياً : الأدلة :

الأدلة من القرآن:

١-قال الله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

٢-وقال تعالى: {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ* وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ}[الصافات: ١٠١ – ١٠٧].

٣-وقال تعالى: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ}[الكوثر].

٤- وقال تعالى: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} [الحج: ٣٢].

٥-وقال تعالى: {لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ}

[الحج: ٣٧].

الأدلة من السنة والآثار:

١- عَنْ عَبدِ اللَّهِ بْنِ قُرْطٍ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "إِنَّ أَعْظَمَ الأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ – يعني اليوم الذي يليه"(سنن أبي داود).

٢- وعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً فَقَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم): "مَا بَقِيَ مِنْهَا؟". قَالَتْ مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلاَّ كَتِفُهَا. قَالَ "بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا"(سنن الترمذي).

٣- وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ لاَ تَأْكُلُوا لُحُومَ الأَضَاحِيِّ فَوْقَ ثَلاَثٍ". وَقَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ. فَشَكَوْا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّ لَهُمْ عِيَالاً وَحَشَمًا وَخَدَمًا فَقَالَ: "كُلُوا وَأَطْعِمُوا وَاحْبِسُوا أَوِ ادَّخِرُوا"(متفق عليه).

٤- وعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ: الضَّحَايَا وَالْهَدَايَا ثُلُثٌ لأَهْلِك، وَثُلُثٌ لَك، وَثُلُثٌ لِلْمَسَاكِينِ(المحلى لابن حزم).

ثالثاً : الموضـــوع

هذا يوم عيدنا الأكبر، عيد التضحية والبذل والعطاء، التضحية بكل شيء في سبيل مرضاة الله عز وجل، التضحية بالنفس والمال، التضحية بالأهل وبكل شيء، فهذا خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام يضحي بكل شيء في سبيل دينه وعقيدته ، أخرج من وطنه الذي يحبه فحب الأوطان فطرة في النفوس، هجر وطنه بعد صراع بينه وبين قومه، وبعد أن عانى من أبيه نفسه ما عانى، بعد رفقه به غاية الرفق في دعوته، وحاول بكل سبيل أن يستميله إلى طريق الله عز وجل: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا}[مريم: ٤١ – ٤٤]، ثم يبلغ الأدب والرفق وحسن التأدب مع الأب غايته حين يقول لأبيه : {يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا} لم يقل له : إنك كافر جاحد وإن مصيرك العذاب ، ولم يقل: ستعذب في النار .. لا، بل قال: إني أخاف أن يمسك – مجرد مسّ ... تخيلوا مدى الرفق والأدب مع الأب على الرغم من كفره !!! ثم إن المقام مقام عذاب ومع ذلك لم يقل: عذاب من الجبَّار ، وإنما أتى

باسم من أسماء الله تعالى فيه رحمة حتى لا يفجع أذن أبيه – منتهى الأدب والبر ؛ لكن كيف كان ردّ الأب الكافر : {قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا} فهذا ردّ الأب الكافر الذي مات على الكفر.

لكن كيف كان جزاء سيدنا إبراهيم عليه السلام ؟! رزقه الله تعالى بولد أطاعه فيما لا يطيع فيه أحد أحدًا في الذبح وإنهاء الحياة كلها : { فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} منتهى البلاء وغاية المحنة أن يؤمر الأب بذبح ابنه؛ ثم مَن الأب ومَن الابن؟! الأب رجل بلغ من الكبر عتيا ورزق ولدا في نهايات العمر، ثم هو اليوم يؤمر بذبحه! والابن شاب في بداية شبابه بدليل قوله { فلما بلغ معه السعي ...} في بداية شبابه؟ يعني في السن التي يكون الولد فيها قرة عين لأبيه ويكون الشاب فيها مزهوًا بشبابه ؛ في هذه اللحظة الفارقة في عمر الولد والوالد يؤمر الوالد بذبح ولده... فماذا كان رد الابن؟! { قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ} ياأبتِ ؟! إنها نفس الكلمة الحانية التي كان يقولها سيدنا إبراهيم لأبيه ! حقًا إن الجزاء من جنس العمل؛ كما تدين تدان؛ بروا آباءكم تبركم أبناؤكم ؛ ما تفعله اليوم مع والديك ستلقاه غدا من أبنائك .

إن الدرس الأعظم في قصة الذبيح عليه السلام هو منتهى الامتثال والاستسلام الكامل والانقياد التام لأمر الله تعالى، امتثال يجعل حرص المسلم على أمر الله تعالى وطاعته أشد من حرصه على نفسه وولده والدنيا وما فيها، يقول الله تعالى: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ}[النور: ٥١، ٥٢].

ما أحوجنا أن نستلهم هذه المعاني الإيمانية العظيمة في زمن بدت تلوح في آفاقه موجات جديدة من الضلال والإلحاد، وفي قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام دروس وعبر يتوجب علينا أن نديم النظر فيها، لقد

واجه خليل الرحمن محنًا شديدة، وواجه مهمات جسامًا، لقد وجد نفسه يواجه وحده سيلًا من الإلحاد والضلال، الإلحاد الذي وصل إلى أن يدعي النمرود أنه يحيي ويميت، {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [البقرة: ٢٥٨]، يقول ابن كثير رحمه الله: وكان - أي النمرود- طَلَبَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ دَلِيلًا عَلَى وُجُودِ الرَّبِّ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: {رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ} أي إنما الدَّلِيلُ عَلَى وُجُودِهِ حُدُوثُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْمُشَاهَدَةِ بَعْدَ عَدَمِهَا وَعَدَمُهَا بَعْدَ وُجُودِهَا، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى وُجُودِ الْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ، ضَرُورَةً لِأَنَّهَا لَمْ تَحْدُثْ بِنَفْسِهَا فَلَا بُدَّ لَهَا مِنْ مُوجِدٍ أَوْجَدَهَا، وَهُوَ الرَّبُّ الَّذِي أَدْعُو إِلَى عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ المحاجّ - وهو النمرود-:{أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ}، قال قتادة: وذلك أني أوتى بالرجلين استحقا القتل فآمر بقتل أحدهما فيقتل، وآمر بالعفو عَنِ الْآخَرِ فَلَا يُقْتَلُ، فَذَلِكَ مَعْنَى الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ، وَالظَّاهِرُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّهُ مَا أَرَادَ هَذَا لِأَنَّهُ لَيْسَ جَوَابًا لِمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَلَا فِي مَعْنَاهُ لِأَنَّهُ غَيْرُ مَانِعٍ لِوُجُودِ الصَّانِعِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَدَّعِيَ لِنَفْسِهِ هَذَا الْمَقَامَ عِنَادًا وَمُكَابَرَةً وَيُوهِمُ أَنَّهُ الْفَاعِلُ لِذَلِكَ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ كَمَا اقْتَدَى بِهِ فِرْعَوْنُ فِي قَوْلِهِ: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي}، وَلِهَذَا قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ لَمَّا ادَّعَى هَذِهِ الْمُكَابَرَةَ: {فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بالشمس مِنَ المشرق فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ} أَيْ إِذَا كُنْتَ كَمَا تدعي من أنك تحيي وتميت فالذي يحيي ويميت هُوَ الَّذِي يَتَصَرَّفُ فِي الْوُجُودِ، فِي خَلْقِ ذواته تسخير كواكبه وحركاته، فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق فإن كنت إِلَهًا كَمَا ادَّعَيْتَ تُحْيِي وَتُمِيتُ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ؟ فَلَمَّا عَلِمَ عَجْزَهُ وَانْقِطَاعَهُ وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْمُكَابَرَةِ فِي هَذَا الْمَقَامِ بُهِتَ، أَيْ أُخْرِسَ فَلَا يَتَكَلَّمُ وَقَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ"(تفسير ابن كثير)، لكن سيدنا إبراهيم عليه السلام حين اختلى بربه أراد أن يُريه الله تعالى قضية الإحياء والإماتة رأي العين حتى يعاينَ ما تطمئنُ به نفسه حين

يجادل الملحدين: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة: ٢٦٠]، يقول القرطبي -رحمه الله-: "...فأخذ هذه الطير حسب ما أمر وذكاها ثُمَّ قَطَعَهَا قِطَعًا صِغَارًا، وَخَلَطَ لُحُومَ الْبَعْضِ إِلَى لُحُومِ الْبَعْضِ مَعَ الدَّمِ وَالرِّيشِ حَتَّى يَكُونَ أَعْجَبَ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ ذَلِكَ الْمَجْمُوعِ الْمُخْتَلِطِ جُزْءًا عَلَى كُلِّ جَبَلٍ، وَوَقَفَ هُوَ مِنْ حَيْثُ يَرَى تِلْكَ الْأَجْزَاءَ وَأَمْسَكَ رُءُوسَ الطَّيْرِ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: تَعَالَيْنَ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَتَطَايَرَتْ تِلْكَ الْأَجْزَاءُ وَطَارَ الدَّمُ إِلَى الدَّمِ وَالرِّيشُ إِلَى الرِّيشِ حَتَّى الْتَأَمَتْ مِثْلَ مَا كَانَتْ أَوَّلًا وَبَقِيَتْ بِلَا رُءُوسٍ، ثُمَّ كَرَّرَ النِّدَاءَ فَجَاءَتْهُ سَعْيًا، أَيْ عَدْوًا عَلَى أَرْجُلِهِنَّ"(تفسير القرطبي).

وعيد الأضحى عيد الأضحية، عيد إخلاص الدين لله عز وجل: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، نذبح الأضاحي في هذا اليوم تقربًا إلى الله تعالى، وإنها لدليل على عظيم فضل الله على هذه الأمة، فالأضحية ذبيحة توسّعُ بها على نفسك وأهلك ومن حولك، ومع ذلك هي قربة وعبادة تؤجر عليها الأجر العظيم، إن الأضحية شعيرةٌ من شعائر الله واجبٌ تعظيمها كما قال تعالى: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ}[الحج ٣٢]، وسنة من سنن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ينبغي الالتزام بها، وإحياؤها بالعمل بها، ذكرى لهذا الحادث العظيم الذي ترجع إليه الأمة المسلمة لتعرف فيه حقيقة أبيها إبراهيم، الذي تتبع ملته، والذي ترث نسبه وعقيدته، ولتدرك طبيعة العقيدة التي تقوم بها أو تقوم عليها، ولتعرف أنها الاستسلام لقدر الله في طاعة راضية واثقة ملبية لا تسأل ربها لماذا؟ ولا تتلجلج في تحقيق إرادته عند أول إشارة منه وأول توجيه، ولا تستبقي لنفسها في نفسها شيئًا، ولا تختار في ما تقدمه لربها هيئةً ولا طريقةً لتقديمه إلا كما يطلب هو إليها أن تقدم، ثم لتعرف أن ربها لا يريد أن يعذبها بالابتلاء، ولا أن يؤذيها بالبلاء، إنما يريد

أن تأتيه طائعةً ملبيةً وافيةً مؤدية مستسلمةً لا تقدم بين يديه، ولا تتألى عليه، فإذا عرف منها الصدق في هذا أعفاها من التضحيات والآلام، وهكذا تكون التكاليف الشرعية تربية وتأديبًا للعباد لا طلبًا للمشقة عليهم.

والمسلم بذبحه الأضحية يعبر عن ذبحه شهواته وتضحيته بحظوظ نفسه تقربًا إلى الله تعالى، فالأهم ليس اللحم والدم ولكن التقوى المُسْتَكِنَّة في القلب، التقوى التي يريد الله تعالى أن يربي العباد عليها من خلال العبادات التي يشرعها لهم، فهي التي تدفعهم لكل خير، وتمنعهم عن كل شر، وتأخذهم إلى تحري مرضاة الله تعالى، يقول الله تعالى: {لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ}[الحج: ٣٧]، يقول الزمخشري: والمعنى : لن يُرضى المضحون والمقرِّبون ربَّهم إلا بمراعاة النية والإخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى في حل ما قرب به، وغير ذلك من المحافظات الشرعية وأوامر الورع. فإذا لم يراعوا ذلك ، لم تغن عنهم التضحية والتقريب وإن كثر ذلك منهم (الكشاف).

وإذا كانت الأضحية قد شرعت توسعة على النفس والأهل والأقارب والمساكين فإن للمضحي أن يأكل منها ما شاء، ويدخر ويتصدق بما شاء فإن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "كُلُوا وَأَطْعِمُوا وادَّخِرُوا"، لكن يستحب أن يقسمها ثلاثًا، فيأكل هو وأهله ثلثها ويهدي ثلثها ويتصدق بثلثها، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ: الضَّحَايَا وَالْهَدَايَا ثُلُثٌ لأَهْلِك، وَثُلُثٌ لَك، وَثُلُثٌ لِلْمَسَاكِينِ، وعلينا أن ندرك أن الصدقة منها هي الأبقى والأنفع لصاحبها في الآخرة، فعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً فَقَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم): "مَا بَقِيَ مِنْهَا؟". قَالَتْ مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلاَّ كَتِفُهَا. قَالَ "بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا".

وينبغي أن تكون الأضحية مظهرًا من مظاهر عظمة الإسلام ونظافته وطهارته، فلا ينبغي الذبح في مداخل العمارات والبيوت وفي الشوارع والأزقة وأمام المساجد والمستشفيات ونقل العدوى، والمناظر المشينة المسيئة للإسلام والمسلمين، كيف وقد حرم الإسلام الضرر، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ

(رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) : "لاَ ضَرَرَ وَلاَ إِضْرَارَ"، كما أمرنا بتطهير الطرقات وإبعاد الأذى عنها وعدَّ ذلك من شعب الإيمان، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ".

فهذا يوم ينبغي أن يكون رحمة كله وخيرًا كله وجمالاً وعظمة، إنه أعظم الأيام، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرْطٍ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِىِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "إِنَّ أَعْظَمَ الأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ" – يعني اليوم الذي يليه– ، وفي هذا اليوم العظيم وقف نبيُّنا محمدٌ (صلى الله عليه وسلم) في منًى خطيبًا في الحجَّاج، فذكَر تعظيم مكان الحج، وتعظيم زمانه، وتعظيم يومه الأكبر الذي هو يوم النحر، وتعظيم أمر الدماء والأعراض والأموال؛ روى جَابِرٌ (رضي الله عنه) قال: خَطَبَنَا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم النَّحْرِ، فقال: "أيُّ يَوْمٍ أَعْظَمُ حُرْمَةً"؟، فَقَالُوا: يَوْمُنَا هذا، قال: "فأي شَهْرٍ أَعْظَمُ حُرْمَةً"؟، قالوا: شَهْرُنَا هذا، قال: "أي بَلَدٍ أَعْظَمُ حُرْمَةً"؟، قالوا: بَلَدُنَا هذا، قال: "فإن دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذا، في بَلَدِكُمْ هذا، في شَهْرِكُمْ هذا، هل بَلَّغْتُ"؟، قالوا: نعم، قال: "اللهم اشهد".

فسبحان من جعل حرمة الدم كحرمة بيته الحرام، فهلّا اتخذنا من هذه المناسبة الكريمة فرصة للتآلف وتعظيم معاني الأخوة؟! هذه الأخوة فرضها الله تعالى علينا وربط بها بين جميع المؤمنين، يقول تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الحجرات: ١٠]، والآية التي بدأت بإثبات الأخوة بين المسلمين ختمت بقوله "وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" أي: اتقوا الله فيما ذكر في هذه الآية من الأخوة لعلكم ترحمون، فتأمل كيف علق الله تعالى الرجاء في رحمته على مراعاة الأخوة!! وكأن الله تعالى يقول لنا: لن أرحمكم حتى يرحم بعضكم بعضًا، وليعلم كل واحد منا أن أحدًا لن يدخل معه قبره، لا الجماعة الفلانية ولا الزعيم الفلاني ولا الحزب الفلاني، ستقف وحدك أمام ربك ليحاسبك فاتق الله فيما بينك وبين المسلمين من أخوة، واستثمر الفرصة العظيمة هذه الأيام الطيبة المباركة.

الدروس المستفادة من خطبة حجة الوداع

أولاً : العناصر:

١- التأكيد على حرمة الأنفس والأموال والأعراض.
٢- الربا وخطره على الفرد والأمة في الدنيا والآخرة.
٣- الوصية بالنساء.
٤- تقريرها لحقوق الإنسان.
٥- وحدة الأمة والنهي عن العصبية العمياء.

ثانياً : الأدلة:

الأدلة من القرآن الكريم :

١-يقول تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلامَ دِينًا}[المائدة: ٣].

٢-ويقول تعالى: {وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ} [الأنعام: ١٥١].

٣-ويقول تعالى: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}[النساء: ٢٩].

٤- ويقول تعالى: {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا} [البقرة: ٢٧٥].

٥- ويقول تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ }
[البقرة: ٢٧٨ – ٢٧٩]،.

٦-ويقول تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وأُنثَى وجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: ١٣].

٧- ويقول تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } [الأنفال: ٤٦]

الأدلة من السنة النبوية :

١- عَنْ جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) أن النبي (صلى الله عليه وسلم)خَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ : " ... إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ... "(صحيح مسلم)

٢- و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " .... كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ" (صحيح مسلم) .

٣- و عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ الثَّيِّبُ الزَّانِي وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ"(صحيح مسلم).

٤- و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنْ النَّارِ"(صحيح البخاري).

٥- وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ، فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ"(المستدرك للحاكم).

٦- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَشَاهِدَيْهِ، وَكَاتِبَهُ" (مسند أحمد).

٧- وعن عَمْرِو بْنِ الأَحْوَصِ (رضي الله عنه) أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال في حجة الوداع: "أَلاَ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ ... "(سنن الترمذي).

٨- وعَنْ أَبِي نَضْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ "، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: " أَيُّ يَوْمٍ هَذَا"؟ ، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ: " أَيُّ شَهْرٍ هَذَا"؟ ، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: " أَيُّ بَلَدٍ هَذَا"؟ ، قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: " فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ " ـ قَالَ: وَلَا أَدْرِي قَالَ:

أَوْ أَعْرَاضَكُمْ، أَمْ لَا . كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبَلَّغْتُ "، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: " لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ" (مسند أحمد).

ثالثًا - الموضوع:

ما أحوج الأمة في أيام محنِها وشدائدها، وأيام ضعفها وضياعها، إلى دروسٍ من تاريخها تتأمّلها، وإلى وقفاتٍ عند مناسباتها تستلهم منها العبر ويتجدّد فيها العزم على الجهاد الحقّ، ومحاربة كل بغي وفساد.

ما أحوجها إلى دروسٍ تستعيد بها كرامتها وترد من يريد القضاء على كيانها، وإن في حجة النبيّ (صلى الله عليه وسلم) الوداعية لعبرًا ومواعظ، وفيها مِن الدروس ما فيها، فلو تدبَّرها المسلمون وعملوا بما فيها، لكانت سببًا لسعادتهم في الدنيا والآخِرة.

فبعد أن استقر التشريع وكمل الدين وتمت النعمة ورضي الله لنا الإسلام دينًا ، كما قال –سبحانه وتعالى–: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلامَ دِينًا}[المائدة: ٣]، خطب النبي (صلى الله عليه وسلم) في موقف عرفة ويوم الحج الأكبر خطبةً جامعةً موجزة ، أرسى فيها قواعد الإسلام وهدم مبادئ الجاهلية، وعَظّمَ حُرمات المسلمين، وثبّت النبي (صلى الله عليه وسلم) في نفوس المسلمين أصول الدين وقواعد الشريعة الإسلامية بعبارات توديعية بألفاظها ومعانيها وشمولها وإيجازها، استشهد الناسَ فيها على البلاغ بقوله: " اللهم فاشهد".

وتُعَد خطبة حجة الوداع دستورًا للأمة الإسلامية ومنهجًا للبشرية جمعاء؛ فلقد أتم الله رسالته إلى البشرية على يد أشرف وأكرم رسول بعث إلى الإنسانية ، ووضع الدعائم لقيام الدولة الإسلامية ، والتمكين لدين الله – تعالى– في الأرض إلى يوم القيامة.

* ومن الدروس المستفادة من خطبة النبي (صلى الله عليه وسلم) في حجة الوداع: التأكيد على حرمة الأنفس والأموال والأعراض.

إن حِفْظ النفوس وصيانة الدماء والأموال والأعراض قضيةٌ خطيرة يُثيرها خطاب الرسول(صلى الله عليه وسلم) إلى الأمة في كلماته

التوديعية، حيث أكد النبي(صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُ رحمةٌ للعالمينَ، يحفظُ للإنسانِ كرامتَهُ، وللمجتمعِ استقرارَهُ ومكانَتَهُ، يصونُ الأعراضَ والدماءَ، ويحمِي العقولَ والأموالَ، قالَ(صلى الله عليه وسلم) فِي خطبةِ حجةِ الوداعِ: " أيهَا الناسُ إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا في شَهْرِكُمْ هَذَا في بَلَدِكُمْ هَذَا" .

لقد بيَّن النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) حُرمة الدماء والأموال، ووضَّح لنا أن هذه الحُرمة تُساوي حُرمة اليوم والشهر والبلد، ومعلومٌ أن حُرمة البلد الحرام – وهو مكة – حُرمةٌ عظيمة، وحُرمة الشهر الحرام – وهو شهر ذي الحجَّة – حرمة عظيمة ، وكذلك حرمة الدِّماء والأموال حُرمة شديدة وعَظيمة.

بهذا التوجيه النبوي أسَّس الرسول (صلى الله عليه وسلم) لمجتمعٍ حضارِيٍّ مستقِرٍّ ، تسودُهُ الأُلْفَةُ ، وتُرْعَى فيهِ الحرمةُ، ويأخُذُ فيهِ كلُّ ذِي حقٍّ حقَّهُ ، وتقوم العلاقةُ بيْنَ أفرادِهِ علَى التعاونِ والتراحُمِ، لينهضُوا فِي نسيجٍ واحدٍ مُتلاحِمٍ ، فلاَ يحلُّ لامرِئٍ أَنْ يعتدِيَ علَى أخيهِ بأيِّ شكلٍ مِنَ الأشكالِ، كما بين النبي(صلى الله عليه وسلم) بقوله: " كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ".

ولو تدبَّر الناس هذا الكلام، لَمَا تعدَّى أحد على أحد، ولَمَا سُفِكَت الدماء، ولَمَا خُطفَت الأموال، ولما سُرقَت، ولَما اغتُصبَت، ولَعاش الناس عيشةً هنيئةً فيها سعادتهم الدُّنيوية قبل الأُخرويَّة، فهذا التحريم يجعل الإنسانَ يعمل ألف حِساب قبْل أن يتعدَّى على غَيره ليَسفك دمه ، أو ليأخُذ ماله دون وجْه حقٍّ، ولأمِن الناس على دمائهم وأموالهم، ولما عاشوا في رعْب وخَوف .

فقتْل النفس بغير حقٍّ حرام بالكتاب والسنَّة ، فقد جاء في كتاب الله (عز وجل) قولُه تعالى:{وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ} [الأنعام: ١٥١].

وقد حصر النبي (صلى الله عليه وسلم) استباحة الدم المحَرَّم في هذه الثلاثة فقال في الحديث الصحيح: "لاَ يَحِلُّ دَمُ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ

إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ الثَّيِّبُ الزَّانِى وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ"(سنن أبي داود).

فكيف يتجرَّأ بعض الناس ويَسفِكون الدماء، ويَهدِمون بُنيان النفس، وقد حرَّم الله – عز وجل – ذلك ، بل إن النبي (صلى الله عليه وسلم) نهى عن كل عمل يؤدي إلى القتل أو القتال ولو كان إشارة بالسلاح ، فقال: "لاَ يُشِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسِّلاَحِ فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِى أَحَدُكُمْ لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِى يَدِهِ فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ"(صحيح مسلم).

حتى القتال في سبيل الله – عز وجل – فيه حقْن للدماء، فالذي لا يُحارِب لا يُقتَل، فكان (صلى الله عليه وسلم) إذا أرسل جيشًا أوصاهم ألا يَقتلوا شيخًا كبيرًا، ولا امرأة ولا طفلاً صغيرًا، هذا مع الكفار، فما بالُنا بحُرمة دماء المسلمين؟

وكما حرَّم الإسلام الاعتداء على الأنفس كذلك صان الأموال وحرم الاعتداء عليها غصبًا ، أو سرقةً ، أو احتيالا ؛ فقال تعالى: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا } [النساء: ٢٩].

وقد جمع الرسول (صلى الله عليه وسلم) بين حرمة المال وحرمة الدم والعرض في سياق واحد، وجعل السرقة منافية لما يوجبه الإيمان، فقال: "...وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ...".

فلنتق الله في دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم ، ولا يأخذ أحد مالاً إلا بحقِّه؛ فالله – عز وجل– سوف يسأل كل صاحب مال مِن أين اكتسبَه؟ وفيمَ أنفقه؟ وسوف يسأل القاتل عندما يقول المقتول: سلْه يا رب فيمَ قتَلني ؟

ومن الدروس المستفادة من خطبة حجة الوداع : الربا وخطره على الفرد والأمة في الدنيا والآخرة.

حيث يقفُ الرسول (صلى الله عليه وسلم) في خطبة الوداع، ويُوقف أمته على أمرٍ حاسم وموقفٍ جازم، فيبيِّن (صلى الله عليه وسلم) أن الربا

موضوع وباطل، وأول ربًا يضعه (صلى الله عليه وسلم) رِبا العباس بن عبد المطَّلب، فإنه موضوع كلُّه .

فالرِّبا باطل وحرام، والله – عز وجل – قد حرّم الربا؛ يقول تعالى : {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا} [البقرة: ٢٧٥]، ويقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ }[البقرة: ٢٧٨ – ٢٧٩]، فهذا وعيد شديد لمَن لم يَنتهِ عن الرِّبا، فقد سدَّ الإسلام الطريق على كل من يحاول استثمار ماله عن طريق الربا، فحرّم قليله وكثيره، وأعلن الرسول(صلى الله عليه وسلم) حربه على الربا والمرابين، وبيّن خطره على المجتمع فقال: " إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ، فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ".

ويقول النبي (صلى الله عليه وسلم): "َعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَشَاهِدَيْهِ، وَكَاتِبَهُ". فآكِل الربا مَلعون، واللعنَةُ: هي الطرد مِن رحمة الله – (عز وجل)- فعلينا بتقوى الله – سبحانه وتعالى – وأكْل الحلال، والبُعد عن أكل الحَرام ، و التعامل بالربا الذي يُطرَد آكِلُه من رحمة الله تعالى.

* ومن الدروس المستفادة من خطبة حجة الوداع : الوصية بالنساء.

لقَدْ أوصَى رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) بالمرأةِ خيرًا فِي خطبتِهِ يوم عرفةَ، تقديرًا لمكانتِهَا، فقالَ (صلى الله عليه وسلم):"أَلاَ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا"(رواه الترمذي). وبهذهِ الوصيةِ النبويةِ نالَتِ المرأةُ احترامَهَا، وحظِيَتْ بتقديرِ جميلِهَا، والوفاءِ لصنيعِهَا، فغَدَتْ أُمًّا مُربِّيَةً، وأُختاً مُكَرَّمَةً، وزوجةً صالحةً، وبنتاً طاهرةً، وأضْحَتِ النساءُ شريكاتٍ للرجالِ فِي البناءِ والعطاءِ، قالَ (صلى الله عليه وسلم) :"إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ"(رواه أبو داود). وبذلِكَ أخذَتِ المرأةُ نصيبَهَا مِنَ الرعايةِ والتعليمِ، وأُتِيحَتْ لَهَا المشاركةُ فِي شتَّى الميادينِ.

فلنحرص علَى وصيةِ النبيِّ (صلى الله عليه وسلم) ولنحْسِن إلَى النساء حتى يحسن الله إلينا، ولنعاملهم معاملة حسنة ، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): "...فاتَّقوا الله في النساء؛ فإنكم أخذتموهنَّ بأمانة الله، واستحللتُم

فروجهنَّ بكلمة الله"، فأمرنا النبي(صلى الله عليه وسلم) بتقوى الله تعالى في النساء، وعلَّمنا أن نؤدي الحقوق التي علَينا قِبَلهن، وبيَّن لنا أن أصل الفروج حرام بقوله "واستحللتُم"، فالأصل أن الفروج حرام، ولا يحلُّ منها إلا ما أحله الله - تعالى - وقد أمَرنا الله – تعالى– بغضِّ الأبصار؛ فقال– عزَّ وجل– : {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا...}[النور:٣٠ – ٣١]. فالأمر بغضِّ البصر الذي هو بَريد الزنا يدلُّ على تحريم الفروج ؛ حيث منع ما يُتوصَّل به إليه، بقوله – عزَّ وجل–: { وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً }[الإسراء: ٣٢].

وإذا كان الله – سبحانه وتعالى– أحلَّ لنا الزواج مِن النساء، فقد أمَرنا الرسول (صلى الله عليه وسلم) بتقوى الله– تعالى– في النساء والإحسان إليهنَّ، فعلى الأزواج أن يُحسِنوا في إطعامهن، وكسوتهنَّ، وأن يُعاشِروهنَّ بالمعروف؛ يقول الله تعالى: { وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا }[النساء: ١٩]، وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) خير الناس لأهلِه، وهو قُدوتنا (صلى الله عليه وسلم).

ومِن خلال الخُطبَة الجامِعة نلاحظ أن على النساء ألا يوطِئنَّ فرُش الرجال أحدًا يَكرهه الزوج ، حيث بيَّن النبي (صلى الله عليه وسلم) أن هذا حقٌّ للرجال على النساء.

ومن الدروس المستفادة من خطبة حجة الوداع : تقريرها لحقوق الإنسان.

حيث أكدت أن الناس جميعًا متساوون في التكاليف حقوقًا وواجبات لا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى، لا تفاضل في نسبٍ ولا تمايزَ في لونٍ، فالناس سواسية كأسنان المشط ، وأعلنت إعلانا حقيقيا عالميا لحقوق إنسان ، وليس خاصة بطائفة من الناس، ويُعْلِن النبي (صلى الله عليه وسلم) ذلك بقوله: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا

أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ "، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: " أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ "، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ: " أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ "، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: " أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ "، قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: " فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ " - قَالَ: وَلَا أَدْرِي قَالَ: أَوْ أَعْرَاضَكُمْ، أَمْ لَا - كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبَلَّغْتُ "، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: " لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ " (مسند أحمد عَنْ أَبِي نَضْرَةَ).

فالناس جميعا سواسية أمام الشريعة لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى – كما ذكر في الحديث – ، ولا تمايز بين الأفراد في تطبيقها عليهم ، فالناس كلهم في القيمة الإنسانية سواء ، " كلكم لآدم وآدم من تراب"والنبي (صلى الله عليه وسلم) لم يأمر الناس بشيء دون أن يطبقه على نفسه وبيته ، ففي الحديث : " لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها".

فكل ما يؤدي إلى التفرقة بين الأفراد على أساس الجنس، أو العرق ، أو اللون، أو اللغة، أو الدين ، هو مخالف لما قرره النبي (صلى الله عليه وسلم) في خطبته ، ومصادرة للمبدأ الإسلامي العام ، حيث حدَّد أن أساس التفاضل لا عبرة فيه بجنس، ولا لون، ولا وطن، ولا قومية، وإنما أساس التفاضل قيمة خلقية راقية ترفع مكانة الإنسان إلى مقامات رفيعة جدًّا ، وهي التقوى والعمل الصالح ، كما قال ربنا سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وأُنثَى وجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: ١٣].

كذلك من الدروس المستفادة من خطبة حجة الوداع : وحدة الأمة والنهي عن الفرقة والعصبية.

فمِمَّا حذَّرَ منْهُ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فِي حجةِ الوداعِ الفرقةُ والتنافرُ، والتنازعُ والتدابرُ، فقَدْ قالَ فِي خطبتِهِ (صلى الله عليه وسلم): (أَلَا إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ)
(مسلم، والترمذي واللفظ له).

قالَ العلماءُ: ومعنَى التحريشِ: التَّحْرِيضُ بِالشَّرِّ بَيْنَ النَّاسِ وحملُهُمْ علَى الفتَنِ والبغضاءِ، والإفسادِ والشحناءِ، فلنحْذَرْ مِنْ كُلِّ مَنْ يُفرِّقُ أمرَنَا، ويَبُثُّ الفتَنَ بينَنَا، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ (رَضِيَ الله عَنْهُ) قَالَ: سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ:" اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ وَصُومُوا شَهْرَكُمْ وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ"(رواه الترمذي) ومعنَى وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ: أَيْ أطيعُوا وُلاةَ أمورِكُمْ، فإنَّ طاعتَهُمْ واجبةٌ فِي الدِّينِ، متصلَةٌ بطاعةِ ربِّ العالمينَ.

وقد بيَّن النبي – صلى الله عليه وسلم – في خطبته أن اعتصامنا بالكتاب والسنَّة فيه النجاة مِن كل شرٍّ وسوء، فإذا أراد المسلمون الثبات على الهداية، فعليهم أن يتمسَّكوا بالقرآن الكريم والسنَّة المشرَّفة ، ففيهما سعادة مَن تمسَّك بهما في الدنيا والآخِرة.

فما أحوج الأمة إلى مثل هذه الدروس التي عرضها الرسول (صلى الله عليه وسلم) في خطبته التي ودع فيها أمته ، تستلهم منها العبر ، وتستعيد بها كرامتها، وترد من يريد القضاء على كيانها ، ويتجدّد فيها العزم على محاربة كل بغي وفساد.

ماذا بعـــد الحـــج ؟

أولاً : **العناصر**:

١-شكر الله تعالى على توفيقه لأداء العبادة.

٢-رجاء قبول العبادة وعدم العجب.

٣-المداومة على العمل الصالح وفتح صفحة جديدة مع الله تعالى.

٤-المداومة والامتثال لأمر الله تعالى استلهامًا لمعاني الحج .

٥-استصحاب السلوك القويم بعد الحج .

٦-بين العبادة والسلوك .

ثانياً : **الأدلــة**:

الأدلة من القـــرآن:

١-يقول الله تعالى: {فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ *وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ}

[البقرة: ٢٠٠ – ٢٠٢].

٢-ويقول الله تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}

[البقرة: ١٥٢].

٣-ويقول تعالى: {وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [الحج: ٣٦].

٤-ويقول تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [البقرة: ١٧٢].

٥-ويقول تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم: ٧].

٦-ويقول تعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمر: ٩].

٧-ويقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ *وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}[المؤمنون: ٥٧، ٦١].

٨-ويقول تعالى: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ }[الحجر: ٩٨، ٩٩].

٩-ويقول تعالى: { ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ * ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ}[الحج: ٣٠، ٣٢].

١٠-ويقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ }

[الأنفال: ٢٠، ٢١].

الأدلــة من الســنة:

١-عَنِ ابْنِ شَمَاسَةَ الْمَهْرِىِّ قَالَ حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ (رضي الله عنه) وَهُوَ فِى سِيَاقَةِ الْمَوْتِ فَبَكَى طَوِيلاً وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) بِكَذَا أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) بِكَذَا قَالَ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، إِنِّى قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلاَثٍ لَقَدْ رَأَيْتُنِى وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) مِنِّى وَلاَ أَحَبَّ إِلَىَّ أَنْ أَكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الإِسْلاَمَ فِى قَلْبِى أَتَيْتُ النَّبِىَّ (صلى الله عليه وسلم) فَقُلْتُ ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعْكَ. فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ : فَقَبَضْتُ يَدِى. قَالَ "مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟". قَالَ: قُلْتُ أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: "تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟" قُلْتُ أَنْ يُغْفَرَ لِى. قَالَ: "أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلاَمَ يَهْدِمُ

مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ"(صحيح مسلم) .

٢-وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: "يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّى لأُحِبُّكَ وَاللَّهِ إِنِّى لأُحِبُّكَ" فَقَالَ: "أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لاَ تَدَعَنَّ فِى دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّى عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ" (سنن أبي داود) .

٣-وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ" (متفق عليه).

٤-وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ"(متفق عليه).

٥-وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: "إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، قِيلَ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، قِيلَ ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ" (صحيح البخاري).

٦-وعَنْ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) عَنْ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ وَفْدُ اللَّهِ، دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ، وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ" (سنن ابن ماجة) .

٧-وعن علي (رضي الله عنه) قال: كونوا لقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل ألم تسمعوا الله عز و جل يقول : {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}(لطائف المعارف لابن رجب) .

٨-قيل للحسن البصري (رحمه الله) : "الحج المبرور جزاؤه الجنة ؟ قال: آية ذلك: أن يرجع زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة. و قيل له: جزاء الحج المغفرة ؟ قال: آية ذلك : أن يدع سيء ما كان عليه من العمل الحج المبرور" (لطائف المعارف) .

ثالثاً : الموضـــــوع :

إن أي عبادة سواء أكانت حجًا أم صلاة ، أم زكاة هي في الواقع نعمة تستحق الشكر ، يامن نلتم من الرحمات وارتدتم أرض الحرمين المباركات، طبتم وطاب ممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلًا، وهنيئًا لمن عظَّم الشعائر واستنارت بسعيه وطوافه البصائر، يا من وقف على عرفات فتجددت معالم الإيمان في قلبه حين عاين صورة ما أشبهها بيوم الحشر، يا من رمى الجمرات وهزم إبليس اللعين ومعها هزم وساوس النفس فقويت روحه واشتدت عزيمته، يامن ارتاد أرض الأنبياء وتذكر تاريخ الصالحين والأتقياء، إنها رحلة عظيمة ومنة كريمة من الله العلى القدير، أن يُتِمَّ الله عليك نعمته وتؤدى فريضة الحج قبل فوات العمر لهى نعمة كبرى تستوجب شكر المنعم جل وعلا على تمام هذه النعمة وأداء هذه الفريضة التى لن يكتمل ثوابها ويَعْظُم خيرها إلا بشكر الله جل وعلا القائل {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}[البقرة: ١٥٢] وشكر الله عز وجل على أداء الطاعة بأن يظهر أثر النعمة على اللسان ثناء واعترافًا بفضل الله تعالى وتوفيقه وإحسانه وإسباغ نعمه،وذلك بكثرة ذكره والثناء عليه سبحانه ، وأن يظهر أثر النعمة على القلب شهودا ومحبة للمنعم جل جلاله، فلابد وأن يتعلق القلب بحب الله تعالى الذي منَّ فأفضل وأعطى فأجزل،ووفق لأداء هذه الفريضة وأعان عليها ، وأن يظهر أثر النعمة على الجوارح طاعة لله سبحانه وانقيادًا لأوامره واجتنابًا لنواهيه، هذا الشكر على الطاعة يُثْمِر خيرًا وبركة في النفس والعمل ويجعله مقبولًا ومأجورًا قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم: ٧] فشكر النعمة يزيدها و يُثَمِّرها، وكفر النعمة وجحدها يُنْقِصُهَا ويمحوها .

وإن النبي (صلى الله عليه وسلم) وجه صحابته الكرام (رضوان الله عليهم) إذا فرغوا من العبادة أن يلتزموا شكر الله على الطاعة، فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَخَذَ بِيَدِهِ يَوْمًا ثُمَّ قَالَ: " يَا مُعَاذُ إِنِّي لَأُحِبُّكَ " فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ

اللهِ وَأَنَا أُحِبُّكَ، قَالَ: "يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّى لأُحِبُّكَ وَاللَّهِ إِنِّى لأُحِبُّكَ" فَقَالَ: "أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لاَ تَدعَنَّ فِى دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّى عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ".

ولقد تكرر في القرآن الكريم ختم آيات الشرائع والأحكام بذكر الله تعالى وشكره عليها، ففي آيات الصيام مثلاً: {...وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[البقرة: ١٨٥]، وفي آيات الحج: {...وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ } [البقرة: ١٩٨]، فينبغي على من منّ الله عليه بالتوفيق لأداء هذه الفريضة أن يشكر الله تعالى مكثرًا من ذكره متمثلًا قوله سبحانه: {فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ}[البقرة: ٢٠٠ – ٢٠٢].

إن الحج فريضة عظيمة القدر كثيرة الثواب فمن أداها وتحمل مشقتها وجد لذتها في قلبه وانعكس أثرها في حياته تواضعا لله تعالى وتذللًا له فلا يداخل نفسه كبر ولا ينازع طاعته عُجب ، فما من طاعة يؤديها المؤمن بإخلاص وصدق نية إلا وتدفع به إلى طاعة أخرى وعبادة أسمى، فلا يزال يرتقى من عبادة إلى عبادة ومن طاعة إلى طاعة حتى يبلغ درجة الإحسان وإن هذا من علامات قبول الطاعة ، كما أن المؤمن لا يُعجب بعمله، ولا يغتر بكثرته إذْ لا ندرى مَنْ المقبول عمله فنهنئه ومَن المردود عمله فنُعزيه ، ولقد بين الله تعالى من صفات المؤمن عدم إعجابه بعمله ووقوفه بين مقام الخوف الرجاء ، الخوف من عدم قبول العمل ، والرجاء والطمع في قبوله ونيل ثوابه قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ *وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ* أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} [المؤمنون: ٥٧، ٦١]، وقيل للحسن البصري (رحمه الله) : "الحج المبرور جزاؤه الجنة ؟ قال: آية

ذلك: أن يرجع زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة. و قيل له: جزاء الحج المغفرة ؟ قال: آية ذلك : أن يدع سيء ما كان عليه من العمل "، وعن علي (رضي الله عنه) قال: كونوا لقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل ألم تسمعوا قول الله عز و جل : { إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}.فالمؤمن لا يهتم بكثرة العبادات وكثرة النوافل بقدر ما يهتم بقبول العمل من عدمه، وبقدر ما ينعكس على حياته من هذه العبادات .

ولقد ربى الله تعالى نبيه (صلى الله عليه وسلم) على السعي والاجتهاد في الطاعة فلا يستصغر عملا فيتركه ولا يستكثر عملا فيعجبه قال تعالى {وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ} [المدثر: ٦، ٧] ، ولقد أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) بأن العُجب من المهلكات ومحبطات الأعمال، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): "الْمُهْلِكَاتُ ثَلاثٌ: إِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ، وَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبِعٌ"(مسند البزار). وإذا كان المؤمن قد وفقه الله تعالى وأدى فريضة الحج فليس ذلك نهاية الطاعات ، بل إن لديه الكثير من الأعمال الصالحة التي تعدل ثواب الحج والعمرة وسائر العبادات كالسعي في مصالح العباد وكالنوافل من الصلاة والصيام وكفالة الأيتام وعيادة المرضى وغير ذلك مما يرفع قدره ويعلي منزلته عند الله تعالى فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ "(صحيح البخاري)

فعلى المؤمن أن يجتهد في الطاعة ويداوم على صالح الأعمال ويرجو من الله تعالى القبول،ولقد كان حال السلف الصالح (رضي الله عنهم) بعد أداء العمل خوفًا وإشفاقًا ووجلا، وقد وصف الله تعالى حالهم بقوله: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}[المؤمنون: ٦٠، ٦١]، يقول ابن كثير (رحمه الله):

"..أَيْ هُمْ مَعَ إِحْسَانِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ وَعَمَلِهِمُ الصَّالِحِ، مُشْفِقُونَ مِنَ اللَّهِ خَائِفُونَ مِنْهُ، وَجِلُونَ مِنْ مَكْرِهِ بِهِمْ، كَمَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ جَمَعَ إِحْسَانًا وَشَفَقَةً، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ جَمَعَ إِسَاءَةً وَأَمْنًا... وَقَوْلُهُ: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} أَيْ يُعْطُونَ الْعَطَاءَ وهم خائفون وجلون أَلا يُتَقَبَّلَ مِنْهُمْ، لِخَوْفِهِمْ أَنْ يَكُونُوا قَدْ قَصَّرُوا فِي الْقِيَامِ بِشُرُوطِ الْإِعَطَاءِ، وَهَذَا مِنْ بَابِ الإشفاق والاحتياط، كما قال الإمام أحمد عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ هُوَ الَّذِي يَسْرِقُ وَيَزْنِي وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ وَهُوَ يَخَافُ اللَّهَ عزَّ وجلَّ؟ قال: "لا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ! وَلَكِنَّهُ الَّذِي يُصَلِّي وَيَصُومُ وَيَتَصَدَّقُ وَهُوَ يَخَافُ اللَّهَ (عزَّ وجلّ)" (تفسير ابن كثير).

لقد عاد الحاج من حجه مغفورًا ذنبه إن شاء الله مأجورًا على عمله مشكورًا على سعيه، فليحذر ممن يترصد له ليفسد حجه، فليخالف النفس والشيطان وليعصهما، ولنفتح جميعا صفحة جديدة مع الله تعالى، صفحة يملؤها حب الله وحب الناس وحب الكون والحياة، ولنحاسب أنفسنا على أعمالنا صغيرة أم كبيرة ، فلا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى ، ولا تستعظمن كبيرة فإن عفو الله أعظم ، ولا نُسَوِّفُ في الأعمال الصالحة فنقول: سأفعل سأتوب سأعود. بل بادروا بالأعمال الصالحة وأكثروا من الاستغفار فقد رجعتم من جهاد لا شوكة فيه إلى جهاد أعظم وعمل متواصل إنه جهاد النفس والشيطان.

فأنت أيها الحاج انتهيت بفضل الله تعالى من فريضة يُكفر الله تعالى بها الذنوب ورجعت مطهرا من كل إثم كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ"، فلعلك ممن شملهم الله تعالى بالمغفرة، فلا تدنس صفحة طهرها الله لك، ولا تسود قلبًا بيضه الله لك بالمغفرة، جاءت الفرصة فلا تضيعها.

لقد رأينا في الحج كيف يكون الامتثال لأمر الله تعالى والانقياد لحكمه، رأينا ذلك في الطواف ببيت الله الحرام وفى تقبيل الحجر الأسعد وفى رمى الجمرات وفى السعي بين الصفا والمروة، فلا يزاحم

الحاج الناس ولا يفسق ولا يرفث ويعظم شعائر الله تعالى، والحاج بعد عودته لا بد أن يستصحب هذه المعاني في حياته وسلوكياته ، فيقف على أوامر الله طاعة وينقاد لحكمه، يأتمر بأمر الله وينتهي عند نواهيه، يخالق الناس بخلق حسن ويعاملهم معاملة صالحة، يحلم مع الجاهل ويتورع عن الحرام ، ويسعى في مصالح العباد والبلاد ، إن الحج ليس لقبًا يمنح للحاج وإنما هو امتثال لأوامر الله تعالى يدور معها حيث دارت بحثا عن مرضاة الله والفوز بثوابه، إذ السعادة في الدارين تنبني على حسن الامتثال لأمر الله تعالى وطاعة رسوله (صلى الله عليه وسلم) قال تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [الأحزاب: ٧١] والشقاء والتعاسة تنبني على مخالفة أوامر الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وسلم) قال تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [النور: ٦٣].

حقوق الجار

أولاً : العناصر:

١- مكانة الجار فى الإسلام .

٢- من حقوق الجار .

- الإحسان إليه .
- كف الأذى عنه .
- تحمل الأذى منه .

٣- أنواع الجيران

٤- أثر مراعاة حقوق الجار فى إصلاح العلاقات بين أفراد المجتمع .

ثانياً : الأدلـة:

الأدلة من القـرآن الكريم :

١-يقول الله تعالى: {وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً} [النساء : ٣٦] .

٢-ويقول تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [فصلت: ٣٤] .

٣- ويقول تعالى:{ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}[الشورى:٤٣].

٤- ويقول تعالى : { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة :٨] .

٥- ويقول تعالى :{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات] .

الأدلة من السنة والآثار :

١- عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ،وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ، ضَيْفَهُو مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ " (صحيح مسلم).

٢- وعنْ أَبِي شُرَيْحٍ العَدَوِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: سَمِعَتْ أُذُنَايَ، وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ، حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ،قَالَ : وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ وَالضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهْوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ " (متفق عليه).

٣- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ" (صحيح البخاري).

٤- وعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم)قَالَ: "وَاللَّهِ لاَيُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، قِيلَ وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ ،قِيلَ: وَمَا بَوَائِقُهُ ؟ قَالَ : شَرُّهُ"

(صحيح البخاري ومسند أحمد).

٥- وعن عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: "مَازَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ"(متفق عليه).

٦- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُم لِصَاحِبِهِ ، وَخَيْرُ الجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ " (سنن الترمذي) .

٧- وعَن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم)كَانَ يَقُولُ: "يَانِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ"(متفق عليه).

٨- وعن أبي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلَانَةً تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَتَفْعَلُ، وَتَصَدَّقُ، وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "لَا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ" ، قَالُوا: وَفُلَانَةٌ تُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ، وَتَصَدَّقُ بِأَثْوَارٍ، وَلَا تُؤْذِي أَحَدًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "هِيَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ"(الأدب المفرد للبخاري) .

٩- وعن الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ(رضي الله عنه) قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِأَصْحَابِهِ : " "مَا تَقُولُونَ فِي الزِّنَا؟ " قَالُوا: حَرَّمَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِأَصْحَابِهِ: " لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرَةِ نِسْوَةٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَارِهِ"، قَالَ: فَقَالَ: " مَا تَقُولُونَ فِي السَّرِقَةِ؟ " قَالُوا: حَرَّمَهَا اللهُ وَرَسُولُهُ فَهِيَ حَرَامٌ، قَالَ: "لَأَنْ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرَةِ أَبْيَاتٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ جَارِهِ"(مسند أحمد) .

١٠- وعَنْ أَبِي ذَرٍّ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ"(صحيح مسلم).

١١- وعَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)قالت: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي جَارَيْنِ فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: "إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا" (صحيح البخاري) .

١٢- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "لَا يَمْنَعْ أَحَدُكُمْ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَةً فِي جِدَارِهِ" (متفق عليه) .

١٣- وجاء رجل إلى ابن مسعود (رضي الله عنه) فقال له: إن لي جارًا يؤذيني ويشتمني ويضيق عليّ، فقال: اذهب فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه. (إحياء علوم الدين) .

١٤- وعن الْحَسَنِ البصري (رحمه الله)قال: لَيْسَ حُسْنُ الْجِوَارِ كَفُّ الْأَذَى، وَلَكِنَّ حُسْنَ الْجِوَارِ احْتِمَالُ الْأَذَى. (إحياء علوم الدين).

١٥- وعن الحسن البصري (رحمه الله) أنه: "كان لا يرى بأسًا أن تطعم جارك اليهودي والنصراني من أضحيتك" (مكارم الأخلاق للخرائطي) .

ثالثًا : الموضـــــــــــوع :

يحرص الإسلام على دعم أواصر المحبة بين أفراد المجتمع مما يمنحه قـوة وتماسـكًا، وممـا يشيع روح التعـاون بـين النـاس ويزيـد المجتمـع ثباتًـا واستقرارًا مراعاةُ حقوقِ الجار التي أعلى الإسلام شأنها واهتم بها أيّما اهتمام، بل جعلها من علامات الإيمان، فقد جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) الإيمانَ مشروطًا بالإحسان إلى الجار، فعَن أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ (رضي الله عنه)أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)قَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِن بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ"، كما جعل حسنَ معاملة الجار وإكرامَه من الإيمان أيضًا، فَعن أَبِي شُرَيْحٍ العَدَوِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: سَمِعَتْ أُذُنَايَ ، وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ ، حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ"، ولقـد أوصـى الله (عـز وجـل) في كتابـه الكـريم بالجـار وأمـر بالإحسان إليه فقال تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِـذِي الْقُرْبَـى وَالْيَتَـامَى وَالْمَسَـاكِينِ وَالْجَـارِ ذِي الْقُرْبَـى وَالْجَـارِ الْجُنُـبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُـورًا} [النساء: ٣٦]،ولهـذا كـان كـثيرًا مـا ينـزل الـوحي علـى الـنبي (صلى الله عليه وسلم) يوصي بالجار حتى ظنَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الله (عز وجل) سيشرع ميراثًا بين الجيران من شدة الوصية بهم، فعن عَائِشَةَ (رضـي الله عنهـا) قَالَـتْ: سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللَّـهِ (صـلى الله عليـه وسـلم) يَقُولُ: "مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ".

إنها وصية عُلْوِيَّةٌ يريد الله (عز وجل) أن يُطَهِّرَ بها المجتمع المسلم من الأحقاد والعداوات والمشاحنات ليسوده الود الوئام والتعاون والتكاتف، هذه شـيمة المجتمـع المسـلم، فهـذا جعفـر بـن أبـي طالـب (رضـي الله عنـه)

يشرح للنجاشي طبيعة رسالة الإسلام ويُبيِّنُ له أهم ملامح هذا الدين حين طلب منه مبعوثا أهل مكة : عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص أن يَرُدَّ مهاجري الحبشة إلى بلادهم، فطلب النجاشي من المسلمين أن يحدثوه عن هذا الدين الذي خالفوا به قومهم، فتكلم جعفر (رضي الله عنه) فقال: "أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الأَصْنَامَ ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ ، وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ ،يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولاً مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ ، وَصِدْقَه ، وَأَمَانَتَهُ ، وَعَفَافَهُ ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ ، وَنَعْبُدَهُ ، وَنَخْلَعَ مَاكُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِن الحِجَارَةِ وَالأَوْثَانِ ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ ، وَالدِّمَاءِ ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ ، وَقَوْلِ الزُّورِ..." (مسند الإمام أحمد)، بهذه المبادئ العظيمة تحول المجتمع من الجاهلية إلى الإسلام، من الهجر والتقاطع وسوء الجوار والعداوة إلى البر والصلة وحسن الجوار والتكاتف والتآزر.

إن الجار في نَظَر الإسلام مُعين ، وناصِر ، وحارِس ، وأمين ، يُطْعمُكَ إذا جُعْت ،ويُشارك في الأفراح والمناسبات الطيبة ، ويُواسي ويُعزِّي في المصائب والأتراح ، ويُرْشِد ، وينصَح ، ويتعاوَن معك على البرّ والتقوى ، ويعودُك إذا مرِضْت ، ويزورُك زيارة الأخوّة الخالصَة يحْفظُك في أهلك وولدك ، ولا يخونك في مالٍ ولا أهلٍ.

قال الإمام الغزالي رحمه الله : وجملة حق الجار: أن يبدأه بالسلام ، ولا يطيل معه الكلام ، ولا يكثر عن حاله السؤال ، ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة ، ويقوم معه في العزاء ، ويهنئه في الفرح ، ويظهر الشركة في السرور معه ، ويصفح عن زلاته ، ولا يتطلع من السطح إلى عوراته ، ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ، ولا في مصب الماء في ميزابه ، ولا في مطرح التراب في فنائه ، ولا يضيق طرقه إلى الدار ، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره ، ويستر ما ينكشف له من عوراته ، وينعشه من صرعته إذا نابته نائبة ، ولايغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ، ولا يسمع عليه كلامًا ، ويغض بصره عن

حرمته ، ولا يديم النظر إلى خادمته ، ويتلطف بولده في كلمته ، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه (إحياء علوم الدين).

ومن حقوق الجار تفقد حاله لا سيما الفقير وذو الحاجة ، وهذا من الإيمان والمروءة ، فعن ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما)قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : "لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَشْبَعُ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ" (الأدب المفرد للبخاري)، فالإحسان إلى الجار يشمل كل وجوه الخير، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ(رضي الله عنهما)عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ)أَنَّهُ قَالَ: "خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ "،فالإحسان إلى الجار دليل على صدق الإيمان بالله تعالى ،وعلى التخلق بمكارم الأخلاق وعلى كمال العقل ورجاحته.

ومن إكرامِ الجارِ والإحسان إليه : المُبادرةُ بتقديم هديةٍ إليه قليلة كانت أو كثيرة، إذ إن الهدية في ذاتها رسول يحمل الصلة والألفة،فعن أبي ذرٍّ(رضي الله عنه)قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وسلم): "يا أبا ذر إذا طبختَ مرقةً فأكثِر ماءَه او تعهّد جيرانَك"، فللمعاملة الكريمة والهدايا الأثر الطيب في تأليف القلوب وإشاعة المحبة والألفة بين الناس خاصة الجيران الأقربين،فعَنْ عَائِشَةَ(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) قالت: قُلْتُ يا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي جَارَيْنِ فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي ؟ قَالَ: "إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا "،وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)قَالَ: "يَانِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا، وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ"، وقوله فرسن شاة : هو ما فوق الحافر وهو كالقدم للإنسان ، والمقصود الحض على التصدق ولو بالقليل، يقول النووي (رحمه الله) : " وهذا النهي عن الاحتقار نهي للمُعطية المُهدية ، ومعناه : لا تمتنع جارة من الصدقة والهدية لجارتها لاستقلالها- أي لظنها أنها قليلة- واحتقارها الموجودَ عندها بل تجود بما تيسر وإن كان قليلا كفرسن شاة وهو خير من العدم ، وقد قال الله تعالى : {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ } [الزلزلة: ٧]..."(شرح مسلم للنووي).

ومن حقوق الجار كف الأذى عنه ، فهذا الحق من أعظم حقوق الجيران، وإلحاق الأذى بالآخرين وإن كان حرامًا بصفة عامة فإن حرمته تشتد إذا كان متوجهًا إلى الجار ، لأن الأذية للجار أعظم من أذية غيره فعقابها

مضاعف ، فعن الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ (رضي الله عنه)قال:قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)لِأَصْحَابِهِ : " مَا تَقُولُونَ فِي الزِّنَا ؟ " قَالُوا : حَرَّمَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ ، فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)لِأَصْحَابِهِ : " لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرَةِ نِسْوَةٍ ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَارِهِ "، قَالَ: فَقَالَ: " مَا تَقُولُونَ فِي السَّرِقَةِ؟ " قَالُوا: حَرَّمَهَا اللهُ وَرَسُولُهُ فَهِيَ حَرَامٌ ،قَالَ: " لَأَنْ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرَةِ أَبْيَاتٍ ،أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ جَارِهِ "(مسند أحمد) ، فليس معنى هذا يسر الزنا بغير حليلة الجار وإنما عِظم الجرم في الحالتين وفي حق الجار أعظم وأشد، لأن الاعتداء هنا اعتداءان: اعتداء على الأعراض ، واعتداء على حقوق الجار ، وقد حذر النبي (صلى الله عليه وسلم)من أذية الجار أشد التحذير لدرجة أنه أقسم على انتفاء الإيمان عمن لا يأمنُ جارهُ شرَّه،فعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ ، قِيلَ وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟قَالَ الَّذِي لاَيَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ ، قِيلَ: وَمَا بَوَائِقُهُ ؟ قَالَ: شَرُّهُ "، فهذا الجار الذي لا يراعي للجوار حقًا ولا حرمة، يعيش جارُه في خوف وقلقٍ بسببه، يتوقع منه الضرر ولا يأمن على نفسه وماله وعرضه، إنه جار لم يعرف الإيمانُ إلى قلبه سبيلًا، وقد جعل النبي (صلى الله عليه وسلم)أذي الجار سببًا في عدم دخول الجنة أيضًا ، فَعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)قَالَ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ".

فأذى الجار أو انتقاصه حقًا من حقوقه يَحرم الإنسان من دخول الجنة وإن كثرت حسناته، إذ إن سوء الجوار محبط للعمل، فلا ينفع معه صلاة ولا صيام ولا صدقة،فعن أبي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قال: قِيلَ لِلنَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): يَارَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ فُلَانَةَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ ، وَتَفْعَلُ ، وَتَصَدَّقُ ، وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "لَاخَيْرَ فِيهَا ،هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ"،قَالُوا: وَفُلَانَةُ تُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ ، وَتَصَدَّقُ بِأَثْوَارٍ، وَلَاتُؤْذِي أَحَدًا ؟فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : "هِيَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ " (الأدب المفرد للبخاري)، وجعل عدم إيذاء الجار علامة على الإيمان

بالله واليوم الأخر،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ(رضى الله عنه)عَنِ النَّبِيِّ(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ".

إن الإساءة إلى الجار أو انتقاصه حقًا من حقوقه يعد من أكبر الكبائر المفضية بصاحبها إلى النار والعياذ بالله، ويعد أيضا علامة على انتهاء الخير وفناء الدنيا ، فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُخَوَّنَ الأَمِينُ وَيُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ ،حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالتَّفَحُّشُ ، وَقَطِيعَةُ الأَرْحَامِ وَسُوءُ الْجِوَارِ "(مسند أحمد).

ومن حقوق الجار أيضًا تحمل الأذى منه ،فكما قال الحسن رحمه الله : "لَيْسَ حُسْنُ الْجِوَارِ كَفَّ الْأَذَى ،وَلَكِنَّ حُسْنَ الْجِوَارِ احْتِمَالُ الْأَذَى " ، فتَحَمُّلُ أذى الجار من شيم الكرام ذوي الأخلاق الكريمة والهمم العالية ،إذ يستطيع كثيرٌ من الناس أن يكفّ أذاه عن الآخرين ،لكن أن يتحمل أذاهم صابرًا محتسبًا فهذه درجة عالية : قال تعالى: {وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ }[الشورى:٤٣]، وقال الله تعالى: {لَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}[فصلت: ٣٤] ولنا في رسول الله (صلى الله عليه وسلم)القدوة والمث لفقد آذاه أهله وجيرانه إبّان البعثة النبوية المباركة ، فم ازاده ذلك إلا حلمًا وعفوًا وماحدث منه (صلى الله عليه وسلم)بعد فتح مكة لهو من أصدق الأمثلة الواقعية على تأكيد الإسلام على الإحسان والصفح.

على أننا نؤكد أن الإحسان إلى الجار عبادة بينك وبين الله تعالى ،فلا تتعلل بسوء معاملته ،فإن أجرك على الله تعالى ، فقد رُوي أن رجلا جاء إلى ابن مسعود (رضي الله عنه) فقال له : إن لي جارًا يؤذيني ويشتمني ويضيق عليّ ؟ فقال:"اذهب فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه" (إحياء علوم الدين)، ذلك لأن الإحسان يغلب الإساءة والصلة تَجُبُّ القطيعة، وقد يكون للجوار بعضُ الأمور التي يكون فيها بعض تجاوز دون إلحاق ضرر فلا حرج في ذلك، فالتعامل فيها يكون بالفضل ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "لَا يَمْنَعْ أَحَدُكُمْ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَةً فِي جِدَارِهِ "(متفق عليه).

وقد تحدث العلماء عن حدود الجوار الذي أمر الإسلام بمراعاته وجعل له حرمة،يقول القاضي عياض رحمه الله: "واختُلف فى حد الجار ،فجاء عن على (رضى الله عنه): " من سمع النداء فهو جار"،وقيل : من صلى معك صلاة الصبح فى المسجد فهو جار،وعن عائشة (رضي الله عنها): (حدّ الجوار أربعون دارا من كل جانب " (إكمال المعلم شرح صحيح مسلم) ، لكن كلما قَرُبَ الجار عَظُمَ حقه، يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: "واسم الجار يشمل المسلمَ والكافر والعابد والفاسق والصديق والعدو والغريب والبلدي والنافع والضار والقريب والأجنبي والأقرب دارًا والأبعد ،وله مراتب بعضها أعلى من بعض ،فأعلاها من اجتمعت فيه الصفات الأُول كلها ثم أكثرها وهلم جرا "(فتح الباري).

وفي الآية التي أمر الله تعالى فيها بالإحسان إلى الجار بيّن فيها أنواع الجيران الذين تجب لهم حقوق الجوار والإحسان في المعاملة، يقول تعالى: {وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً}[النساء: ٣٦]،

والْجِوَارُ ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ الْقَرَابَةِ ، ومنها قُرْبُ النَّسَبِ ، وقُرْبُ الْمَكَانِ و السَّكَنِ، وَقَدْ يَأْنَسُ الْإِنْسَانُ بِجَارِهِ الْقَرِيبِ مَا لَا يَأْنَسُ بِنَسِيبِهِ الْبَعِيدِ ، وَيَحْتَاجَانِ إِلَى التَّعَاوُنِ وَالتَّنَاصُرِ مَالَا يَحْتَاجُ الْأَنْسِبَاءُ الَّذِينَ تَنَاءَتْ دِيَارُهُمْ ،فَإِذَا لَمْ يُحْسِنْ كُلٌّ مِنْهُمَا بِالْآخَرِ لَمْ يَكُنْ فِيهِمَا خَيْرٌ لِسَائِرِ النَّاسِ.

والجيران ثلاثة : جار له ثلاثة حقوق وهو المسلم القريب: له حق الجوار، وحق القرابة ، وحق الإسلام ،وجار له حقان وهو المسلم غير القريب: له حق الجوار، وحق الإسلام ، وجار له حق واحد وهو الجار غير المسلم : له حق الجوار، فيشمله ما أمر الله تعالى به من البر والإحسان إليه، سبحان الله! حتى من هو على غير ملة الإسلام يأمرنا ربنا سبحانه وتعالى أن نحسن جواره، فهل بعد هذا دليل على أهمية الجوار في الإسلام؟!!

ولا شك أن لأداء حقوق الجار وحسن معاملته أثرًا بالغًا في المجتمع وحياة الناس، فهو يزيد التراحم والتعاطف والتحابّ، وهو مصدر للتآلف والتوادّ والتعاون، فبه يحصل تبادل المنافع وقضاء المصالح والاستقرار

والأمـن، واطمئنـان النفـوس، وسـلامة الصـدور، فتطيـب الحيـاة ويهنـأ النـاس بالعيش فيها، فلو أحسن كل جار إلى جاره لحقق الناس لأنفسهم ولمجتمعاتهم السعادة والأمـن والاسـتقرار والتقـدم ولعاشـوا أسـرة واحـدة فتنصـهر الفـوارق وتـذوب الطبقـات وتنصـرف الهمـم إلـى الإصـلاح والبنـاء والسـعي نحـو الرقـي والتقدم.

هذا، وليعلم كل واحد منا أن الجـوار دائرتـه أوسـع وأشـمل، والـتي علـى أساسها ينشأ التعارف والتآلف الذي قال عنه ربنا تبارك وتعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣]، ويصـبح المجتمـع جسـدًا واحدًا متعاونًا في الخير متضامنًا في الشدة، بـل ربمـا يتسـع مفهـوم الجـوار في الإسـلام ليشـمل القـرى والمـدن والـدول وكـل هـؤلاء لهـم حقـوق وعلـيهم واجبات.

في استقبال العام الجديد

أولا : العناصـــــر:

١- قيمة الزمن في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

٢- هدى النبي (صلى الله عليه وسلم) في استقبال الشهور والأعوام .

٣- الأمم الراقية تدرك قيمة الوقت ، فبه يغير تاريخ الأمم والحضارات .

٤- أهم الدروس المستفادة من ذكريات العام الماضي .

٥- أهم التمنيات للأمة والوطن في العام المقبل .

ثانياً : الأدلـة

الأدلـة من القرآن الكريم :

١- قال تعالى:{ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ } [التوبة: ٣٦].

٢- وقال تعالى:{ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً }[الإسراء : ١٢] .

٣- وقال تعالى: {وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ} [الفجر: ١، ٢].

٤- وقال تعالى: {وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى} [الضحى: ١، ٢].

٥- وقال تعالى:{ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ }[سورة العصر كاملة].

٦- وقال تعالى:{ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ * وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ }[المدثر : ٣٣ ، ٣٤].

٧- وقال تعالى: { وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ} [التكوير : ١٧ ، ١٨] .

٨- وقال تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ }[القصص : ٧٧].

٩ – وقال تعالى: { وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}

[التوبة : ١٠٥].

١٠–وقال تعالى:{ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون}[الحشر : ١٨] .

١١– وقال تعالى:{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ } [إبراهيم : ٥] .

١٢– وقال تعالى: { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }

[فصلت : ٥٣] .

الأدلة من السنة:

١– عن طلحة بن عبيد الله (رضي الله عنه) أن النبي(صلى الله عليه و سلم) كان إذا رأى الهلال قال: "اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْيُمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ"(سنن الترمذي)

٢– وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه و سلم) لرجل و هو يعظه : "اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ : شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ"(المستدرك للحاكم).

٣– وعن عَنْ صَخْرٍ الْغَامِدِيِّ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم): قَالَ "اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا" وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ. وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلاً تَاجِرًا وَكَانَ يَبْعَثُ تِجَارَتَهُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ فَأَثْرَى وَكَثُرَ مَالُهُ .

(أخرجه الأربعة واللفظ لأبي داود).

٤– و عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ

وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى" (أخرجه مسلم).

٥- و عن كَعْبِ بن عُجْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) رَجُلٌ، فَرَأَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنْ جِلْدِهِ وَنَشَاطِهِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ" (أخرجه الطبراني) .

٦- وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ" أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلاَثٍ لاَ أَدَعُهُنَّ حَتَّى أَمُوتَ: صَوْمِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَصَلاَةِ الضُّحَى وَنَوْمٍ عَلَى وِتْرٍ" (أخرجه البخاري).

ثالثاً : الموضـــــــوع

إن من سنن الله (عز وجل) في الكون اختلاف الليل والنهار ، وتعاقب الشهور والأعوام ، وأن كل يوم يمر على الإنسان - هو جزء من حياته- سيكون شاهداً له أو عليه ، فما من يوم إلا وينادى: يا بن آدم أنا يوم جديد وعلى عملك شهيد فاغتنمني فإن غابت شمسي لن تدركني إلى يوم القيامة ، فالإنسان بين أجلين : أجل قد مضى لا يدرى ما الله فاعل فيه ، وأجل باقٍ لا يدرى ما الله قاضٍ فيه ، والعاقل من يأخذ من شبابه لشيبته ، ومن صحته لسقمه ، ومن دنياه لآخرته ، ولقد بين القرآن الكريم للمسلم عدة شهور السنة الهجرية قال الله تعالى: { إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ } [التوبة :٣٦].

وقد علمنا النبي (صلى الله عليه وسلم) كيف نستقبل الشهور والأعوام، ففي الحديث الذي رواه الإمام الترمذي - رحمه الله - بسنده من حديث

طلحة ابن عبيد الله (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان إذا رأى الهلال قال : " اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله " فيعلمنا النبي (صلى الله عليه وسلم) استقبال الشهور والأعوام بالأمل في غدٍ أفضل من خلال طلبه من ربه أن يبدأ الشهر (باليمن والسلامة والإيمان والإسلام ربي وربك الله) وهي إشارة إلى أن رب الهلال الذي يرمز إلى الزمن هو الله وهو القادر على تغيير حال المسلم إلى الأفضل في الدنيا وكذا في الآخرة .

ولقد لفت القرآن الكريم أنظارنا تجاه قيمة هذا الزمن وأهمية استثماره ، فتبرز قيمة الزمن عند الله في كونه من جملة ما أقسم به الله تعالى ولا يقسم الله (عز وجل) إلا بما هو عظيم ومكين عنده سبحانه وتعالى فتطالعنا أوقات كثيرة يقسم الله (عز وجل) بها ليبرز أهميتها ، وحث المجتمع المسلم على اغتنامها ، ومن هذه الأوقات الشريفة : قوله تعالى: {وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ } تنبيهًا للمسلمين بألا يبدأوا يومهم من طلوع الشمس؛ بل من طلوع الفجر ، ذلكم الوقت الشريف المبارك بدعوة النبي (صلى الله عليه وسلم) لمن بكّر باستقبال يومه وبدأه بطاعة ربه ، فقد روي الإمام الطبراني رحمه الله بسنده من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "بورك لأمتي في بكورها"، وقد أقسم الله تعالى بوقت الضحى فقال تعالى: { وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى } تنبيهًا لشرف هذا الزمان وما ينبغي أن يفعل فيه ، فقد أوصى رسولنا صلى الله عليه وسلم الأمة في شخص سيدنا أبي هريرة (رضي الله عنه) حيث قال في الحديث الذي رواه الإمام البخاريرحمه الله بسنده من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلاَثٍ لاَ أَدَعُهُنَّ حَتَّى أَمُوتَ : صَوْمِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، وَصَلاَةِ الضُّحَى ، وَنَوْمٍ عَلَى وِتْرٍ ولا يوصي الخليل خليله إلا بما هو غالٍ وله مكانة في قلبه.

كما أقسم الله تعالى بوقت قد يشغل بعض المسلمين عنه وهو وقت العصر، فقال تعالى: {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} تنبيهًا لعدم تضييع الآخرة بالانشغال بالدنيا ، وتلك هي الوسطية الربانية التي أرسى الله تعالى معالمها

للأمة الإسلامية بألا ينغمس الإنسان في الدنيا فتكون شغله الشاغل ، ولا يصرف نفسه بالكلية عن الدنيا ويحرمها على نفسه ؛بل يتزود من الدنيا للآخرة يأخذ نصيبه منها ولا يجور على نصيب الآخرة فقال تعالى مرشدًا المجتمع المسلم: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}[القصص:٧٧].

وقد أقسم الله تعالى بأجزاء كثيرة من النهار تنبيهًا لحسن استثمارها، واستضافة كل يوم يمر عليك بما يمكن أن يدر بالنفع على المسلم ولذا فقد أوصى الصالحون أن :"نهارك ضيفك فأحسن إليه، فإنك إن أحسنت إليه ارتحل بحمدك، وإن أسأت إليه ارتحل بذمك وكذلك ليلتك"، فعلى المسلم أن يحسن الاستفادة من هذا الضيف الكريم الذي إذا رحل لن يُعوَّض ولن يأتي إلى يوم القيامة .

لقد بين لنا النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الناس فى غفلة عن هذه النعمة نعمة الزمن واستثماره فى النافع المفيد، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : " نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ " (صحيح البخاري)، فالصحة تاج على رؤوس الأصحاء وقد وهبنا الله تعالى نعمة الحياة ومدَّ فى أعمارنا عاما بعد عام حتى أدركنا هذه الأوقات المباركات ، والفراغ هذا الوقت الذى نحيا فيه ونعيش كيف يمكن أن يستثمر الإنسان عمره ويجعله عمرًا مباركًا من خلال الاستفادة من الزمن فيما يعود عليه بالربح الوفير ، ويعود على مجتمعه ووطنه الذي يعيش تحت ظلاله بالتقدم والازدهار والرقي ، فقد روي الحاكم رحمه الله بسنده من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لرجل وهو يعظه: " اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك " .

إنه يُعلّم المجتمع المسلم أن يغتنم هذه الأمور الخمسة التي على رأسها اغتنام أخصب فترة من فترات عمر الإنسان وهي فترة الشباب والفتوة التي بها

يصنع الشاب مستقبله ، ويغير وجه الأرض بساعديه وفكره المستنير ، ويرفع قدره عند ربه يوم القيامة ، ويعود بالخير العميم على وطنه بما قدم من أعمال محافظًا على عمره وشبابه واغتنامه فيما ينفع ويفيد الإنسانية من خلال ما فتح الله له من آليات وظفها كما ينبغي أن توظف ، وفهم أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) قيمة الوقت فقد قدروه حق قدره ، فهذا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول : إني لأكره أن أرى الرجل سبهللا – فارغًا – لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة (المقاصد الحسنة للسخاوي).

ويقول ابن القيم رحمه الله : إن إضاعة الوقت أشد من الموت ، لأن إضاعة الوقت تقطع عن الله والدار الآخرة ، والموت يقطع عن الدنيا وأهلها) ناهيك عما دونه بعض أهل العلم من هدي للنبي (صلى الله عليه وسلم) فيما ينبغي للمسلم فعله في اليوم والليلة من ذكر واستثمار للوقت في أعمال الطاعة وقضاء حوائج الناس بما يثمر نفعًا وخيرًا وبرًا وغيرها التي تبين منهج الإسلام في الاستفادة من الوقت ، فاليوم أو الليلة آية من آيات الله ينبغي الحفاظ عليها ، قال تعالى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا }[الإسراء:١٢]، والمسلم الفطن هو من يحسن استخدام نهاره الذي هو جزء منه فيضيف إلى رصيد حسناته ومآثره فيه بقدر ما يستطيع من أعمال وفق طاقته وقدراته التي وهبه الله تعالى إياها ، وكذا يستثمر ليله في الاستعانة به على ما يلاقيه من متاعب طوال ليله وهذا ما رسمه الحق تبارك وتعالى للمسلم من جعل الليل سكنًا وراحة والنهار معاشًا وجدًا ونشاطًا فقال تعالى: " وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا [النبأ : ١٠ ، ١١] وقال تعالى: " وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا " [الفرقان:٤٧] .

ومع استقبال العام الهجرى الجديد يحاسب المرء نفسه ويراجعها ، فيقف على ما قصرت فيه نفسه فيستدرك ما قصر فيه ، وما قام به من عمل صالح فيدوام عليه ،فإن المؤمن فى رباط دائم ،وصبر ومصابرة وجهاد ومجاهدة مع

النفس والشيطان قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[آل عمران:٢٠٠] .

ومع محاسبة النفس أولا بأول يستطيع المؤمن أن يسعد فى حياته وآخرته ويحظى برضوان الله تعالى، ومن كان هذا حاله مع نفسه فهو الذكى العاقل، فعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، قَالَ: "الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ"(سنن الترمذي).

ولقد كان عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)، يكتب إِلَى بَعْضِ عُمَّالِهِ، فَكَانَ فِي آخِرِ ما يكتب: " أَنْ حَاسِبْ نَفْسَكَ فِي الرَّخَاءِ قَبْلَ حِسَابِ الشِّدَّةِ، فَإِنَّهُ مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الرَّخَاءِ قَبْلَ حِسَابِ الشِّدَّةِ عَادَ مَرْجِعُهُ إِلَى الرِّضَا وَالْغِبْطَةِ وَمَنْ أَلْهَتْهُ حَيَاتُهُ وَشُغْلُهُ بِهَوَاهُ عَادَ مَرْجِعُهُ إِلَى النَّدَامَةِ وَالْحَسْرَةِ، فَتَذَكَّرْ مَا تُوعَظُ بِهِ لِكَيْ تَنْتَهِيَ عَمَّا يُنْتَهَى عَنْهُ "(شعب الإيمان)

إن الأمة التى تستثمر وقتها وتحاسب نفسها لهى أجدر بالقيادة والريادة والخيرية، وهكذا حال الأمة الإسلامية التي نهلت من رسولنا صلى الله عليه وسلم وصنعت على هديه ، فقد صنعت حضارة غيرت وجه التاريخ ، تستلهم منها كل الأمم منطلقاتها نحو التقدم والرقي في شتى فروع العلم والمعرفة : في الطب ، والهندسة ، والصيدلة ، والفلك ، وكل العلوم الإنسانية ، ناهيك عن العلوم الدينية التي كانت منطلقات لهذه العلوم والمعارف قال تعالى: { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ }[الأنعام: ٨٨] وقال تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } [فصلت:٥٣].

ومن ثم فإن الأمم الراقية صاحبة الحضارة هي التي اتخذت من الوقت قيمة عظمى وأعلت دور العلم والعلماء ، وأجزلت الأجر للعاملين فنهضت وارتقت وصارت على رأس الأمم .

وعليه ونحن نستقبل عامًا هجريًا جديدًا علينا أن نحاسب أنفسنا بعد انقضاء عام هجري بكل ما كان فيه من تقصير في جنب الله وفي حق وطننا ،

ومجتمعنا المسلم ، ومجتمعنا الإنساني كله ، وما حدث في هذا العام من إساءة في عرض صورة هذا الدين السمح الوسطي المعتدل ، وبكل ما أثاره هذا العرض السيء من غير المتخصصين من تفرق واختلاف دبّ في المجتمع المسلم ، ناهيك عن آثار هذا التدين الشكلي من تخلف اقتصادي واجتماعي وثقافي وفكري محاولة من أعداء المسلمين لاستنزاف طاقات علماء الأمة في الرد على مثيري هذا الفكر المتطرف المتشدد يمنة أو يسرة ، ومحاولة شغلهم عن إيجاد حلول جذرية للقضايا المصيرية للأمة الإسلامية عملا بقوله تعالى: {...ما فرطنا في الكتاب من شيء...} .

فإذا أردنا أن نحسن استقبال هذا العام الهجري الجديد فعلينا أن نعلي قيمة الوقت في حياتنا اليومية ، لأنه هو الحياة ، وعلى الأمة أن تفسح المجال لعلمائها الأزهريين المتخصصين في حقل الدعوة لعرض التدين الحقيقي الذي لا غلو فيه ولا تطرف بمنهج وسطي رباني معتدل يمنح المسلم الفرصة لقيادة البشرية إلى تعبيدها لله رب العالمين وتعميرها لكونه الفسيح .

فمع بداية العام الجديد نتمنى ألا يكون حبنا لديننا أو وطننا حباً أجوف، حبَ أخذ لا حب عطاء، ولا حتى تبادل حقوق وواجبات ، إننا نريد أن نتجاوز هذه المراحل من ادعاء حب الأوطان إلى حب حقيقي يقوم على التضحية في سبيل الوطن ، والعمل لأجل إنقاذه من كبواته وعثراته ، سعياً إلى تقدمه ورقيه ، وأن يبدأ كل منا بنفسه ، ولنا في رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أسوة حسنة ، فيروي الترمذي رحمه الله بسنده من حديث حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: " لا تكونوا إمعة تقولون: إن أحسن الناس أحسنا ، وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤوا فلا تظلموا " وبخاصة أن حق الدين وحق الوطن يدفعان إلي العمل لا إلى الكسل ، ويقول النبي (صلى الله عليه وسلم) فيما رواه أحمد (رحمه الله) بسنده من حديث أنس بن مالك (رضي الله عنه):" إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها " .

وقد روي الطبراني رحمه الله بسنده من حديث كَعْبِ بن عُجْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رَجُلٌ، فَرَأَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنْ جِلْدِهِ وَنَشَاطِهِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):"إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ".

وأقول لكل متخصص في غير العلوم الشرعية أنت على ثغرٍ من ثغور الإسلام وداعية في تخصصك ، فالطبيب سيسأل عن الناحية الطبية للأمة ، والمدرس سيسأل عن الناحية التربوية لأبناء الأمة ،وأستاذ الجامعة سيسأل عن الناحية الفكرية والعلمية للأمة ، والفلاح سيسأل عن إطعام الأمة كلٌ في مجاله داعية ، فلو انشغل كلٌ منا بمجاله وتخصصه الذي وضعه الله فيه، وأدى دوره كما ينبغي ، فسيؤدي ذلك إلى طفرة علمية هائلة نرجع بها إلى ما كان عليه سلفنا الصالح ونكون مجتمعًا متكاملا لا متصارعًا ، ونكون مجتمعًا منتجًا لا مستهلكًا ، ونكون مجتمعًا متوحدًا على إعلاء المصلحة العليا للوطن فنبنيه ونعمّره ونرتقي به ونجمّله ، نأمل في مجتمع يكفل غنيه الفقير ، ويحترم الصغير فيه الكبير ويحنو فيه الكبير على الصغير ، فيصدق فينا الوصف الذي وصف به النبي صلى الله عليه وسلم المجتمع المؤمن فيما رواه الإمام مسلم (رحمه الله) بسنده من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (رضي الله عنه) قَالَ : " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"، ونكون على رأس الأمم لا في ذيلها، ونكون بحق وجهة مشرفة لدين الله عز وجل وترجمة عملية للدين الإسلامي الحنيف ، ويدخل الناس في دين الله أفواجًا لما يرونه من صورة مشرقة للإسلام عبادة ومعاملة وسلوكًا حضاريًا في شتى المجالات وتحت أي ظروف وملمات .

فعلينا إذا أن نستقبل هذا العام الهجري الجديد بروح مفعمة بالإيمان، يدفعها الأمل إلى بذل الجهد والمزيد من العمل في كل المجالات ، ولنراجع ما فات فنجبر التقصير ونثمن النجاح ونستثمر الوقت ، ونحافظ على الإنجاز ، ونتآلف ونتحاب لنسعد بالفوز برضواب الله عز وجل.

الفهرس العام

الصفحة	الموضوع	م

طبع بحمد الله بمطبعة وزارة
الأوقاف
طره البلد